جـامعـة الجـزائـــر 2

أبــو القــاسـم سعـد الله

كليـــة العلـــوم الاجتماعية

قســـم: علـــوم التربيـــة

الدور التربوي لجمعيــة العلمـاء المسلمين الجـزائـريين في المحـافظـة على القيم الاجتماعية و الشخصيـة الجزائريـة 1931 - 1956

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم التربية

إعداد الطـالـب:

بـريبـش عبد الرحمـان

تـحت إشـــراف:

الدكتور : خلايفية محمد

السنـــة الجـــامعيـــة 2020– 2021

جـامعــة الجــزائـــر 2 أبــو القــاسـم سعـدالله

كليـــة العلـــوم الاجتماعية

قســـم: علـــوم التربيـــة

الدور التربوي لجمعيــة العلمـاء المسلمين الجـزائـريين في المحـافظـة على القيم الاجتماعية والشخصيـة الجزائريـة

(1931 - 1956)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم التربية

إعداد الطــالـب:

بـريبـش عبد الرحمـان

تـحت إشـــراف:

الدكتور: خلايفية محمد

السنـــة الجـــامعيـــة: 2020–2021

ملخص البحث باللغة العربية

عنوان البحث

الدور التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على القيم الاجتماعية والشخصية الجزائرية 1931- 1956

أهداف البحث:

1. تسليط الضوء على مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومقومات الشخصية الجزائرية.
2. إفشال مخططات السياسة التعليمية الفرنسية و أهدافها المتمثلة في: الفرنسة – التنصير – الإدماج.
3. المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية.
4. تربية النشء – توعية الشباب – نشر الوعي الوطني.
5. إيقاظ الضمير الوطني وتكوين جيل مؤمن بثوابته ووطنيته.
6. تهيئة الأجيال والشباب لمقاومة الاحتلال والمطالبة بحقوقه واستقلاله واسترجاع سيادته.
7. إبراز دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تحقيق أهداف نهضتها التعليمية والتربوية والتثقيفية التوعوية والتغييرية في المجتمع الجزائرية.

منهج البحث: المنهج التاريخي (المقاربة التاريخية)

منهج استطلاعي واكتشافي للأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء – المحافظة – القيم – الشخصية الجزائرية.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Title : The Role of the Algerian Muslim Ulema Association in the preservation of the social Values and of the Algerian Personality

Abstract

This study aims at shedding light on the contribution of the Algerian Muslim Ulema Association tothepreservationof the social values of the Algerian society and its national characteristics during the period from 1931 to 1956.

Our research led us to draw a clear picture on the great contribution of the Algerian Muslim Ulema Association to preserve the social values of the Algerian society and the Arab and Islamic character. It also highlighted the role of the association's different educational activities including its teaching and educational roles, its role in raising awareness and correcting wrong religious practices in addition to its economic and social roles.

The Algerian Muslim Ulema Association took as a core interest the education and the formation of the young generation raising them on the love of their language, their religion and on patriotism. It also contributed to the raising of the youth's awareness and the awakening of the consciousness of the Algerian citizens targeting their ideological, religious and ethical, social and cultural transformation preparing them for the call for their rights, their sovereignty and their independence.

Key words

Ulema Association – preservation – social values – Algerian character

ملخص البحث بالغة الفرنسية

Titre : Le rôle de l'association des oulémasmusulmansalgériensdans la préservation des valeurssociales et de la PersonnalitéAlgérienne.

Résumé

Cette étude a pour objectif de mettre en lumière la contribution de l'association des oulémasmusulmansalgériens à la préservation des valeurs sociales de la société algérienne et de ses caractéristiques nationales au cours de la période allant de 1931 à 1956.

Notre recherche nous a permis de brosser un tableau clair de la grande contribution de l'Association des oulémas musulmans algériens à la préservation des valeurs sociales de la société algérienne et de son caractère arabo-musulman. Elle a également souligné le rôle des différentes activités éducatives de l'association, notamment ses rôles d'enseignement et l'éducation, son rôle de sensibilisation et de correction des pratiques religieuses erronées, en plus de ses rôles économique et social.

L'association des oulémas musulmans algériens s'est intéressée de manière essentielle à l'éducation et la formation de la jeune génération, les élevant ainsi à l'amour de leur langue, de leur religion et au patriotisme. Elle a également contribué à sensibiliser les jeunes et à l'éveil de la conscience des citoyens algériens à l'égard de leurs transformations idéologiques, religieuses et éthiques, ainsi que leurs transformation sociale et culturelle, en les préparant à l'appel de leurs droits, de leur souveraineté et de leur indépendance.

Mots clés

Association de oulémas – préservation – valeurs sociales – personnalité algérienne.

الفهرس

كلمة شكر.....أ

الإهداء.....ب

الفصل الأول:الإطار العام للدراسة

مقدمة البحث.....06

إشكالية البحث.....11

01- فرضيات البحث..... 15

02- أهداف البحث..... 15

03- أهمية البحث..... 15

04- أسباب اختيار الموضوع..... 16

05- تحديد المفاهيم والمصطلحات.....16

06- منهج البحث.....23

07- الدراسات السابقة.....24

08- التعقيب على الدراسات السابقة.....26

الفصل الثاني: جذور الحركة الإصلاحية

01- الإصلاح مفهوم قرآني..... 27

02- بداية ظهور رجال الإصلاح(تقي الدين ابن تيمية)..... 28

03- منهجه التربوي –أهداف التعليم عند ابن تيمية–..... 29

04- المعرفة عند ابن تيمية.....30

05- مدرسة التجديد الإسلامي السلفية.....31

06- الدعوة الوهابية الشيخ محمد بن عبد الوهاب..... 32

07- الدعوة السنوسية..... 34

08- الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي..... 35

09- جمال الدين الأفغاني..... 36

10- الشيخ محمد عبده..... 38

11- الشيخ محمد رشيد رضا..... 39

12- بوادر الإصلاح في الجزائر.....42

13- لائحة المطالب بالإصلاحات (1891) محمد بن رحال..... 42

14- الشيخ عبد القادر المجاوي ودوره الإصلاحي..... 44

15- الأمير خالد واتجاهه الإصلاحي..... 45

16- مفهوم الإصلاح في الجزائر..... 47

17- الأسس البنائية للمجتمع الجزائري 50

18- التعليم في الجزائر قبل فترة الاحتلال..... 56

19- تأثر عبدالحميد بن باديس بالمدرسة الإصلاحية التجديدية..... 64
20- انبعاث الحركة الوطنية الإصلاحية 66

الفصل الثالث: أوضاع الجزائر في فترة الاحتلال

01- الوضع السياسي للمجتمع الجزائري..... 68
02- الوضع الاقتصادي للمجتمع الجزائري..... 72
03- الوضع الثقافي للمجتمع الجزائري..... 76
04- التربية والتعليم في فترة الاحتلال..... 85
05- الحركة التنصيرية في الجزائر..... 93
06- التعليم العربي الحر..... 99

الفصل الرابع: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

01- فكرة جمعية المسلمين الجزائريين..... 152
02- نشأة جمعية العلماء، أهدافها وغاياتها..... 153
03- العوامل الداخلية..... 157
04- العوامل الخارجية..... 158
05- مكونات الشخصية الجزائرية..... 159

الفصل الخامس: الدور التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

01- جهود جمعية العلماء التعليمية في ميدان التربية والتعليم..... 198
02- التربية ومبادئها عند الجمعية..... 200
03- فلسفة الجمعية التربوية..... 200
04- التربية بين الأصالة والمعاصرة..... 203
05- مبادئ جمعية العلماء التربوية..... 205
06- وظيفة التعليم عند الجمعية..... 210

الفصل السادس: الجانب الإجرائي والميداني في منهج التربوي للجمعية

01- التعليم المسجدي..... 228
02- التعليم المدرسي..... 236
03- جمعية التربية و التعليم..... 329
04- التنظيم التربوي عند الجمعية.....242
05- الجوامع ودورها التربوي..... 255
06- النوادي..... 258
07- طرق التدريس..... 262
08- هيئة التفتيش..... 262

09- إدارة التعليم..... 263
10- التمويل التعليم العربي الحر.....264
11- مراحل تطور النشاطات جمعية العلماء الجزائريين المسلم.....268
12- البعثات الطلابية للجمعية..... 277
13- مدرسة دار الحديث نموذجا..... 283

الفصل السابع: دور جمعية العلماء في المحافظة على قيم المجتمع الجزائري

01- تعريف القيم.....290
02 – مصادر القيم.....291
03- دور الجمعية في مجال غرس القي.....293
04 – دور الجمعية في ترسيخ القيم الإسلامية.....307
05- دور القيم في تكوين الفرد.....311

الفصل الثامن: دور التعليم في المحافظة على الشخصية الجزائرية

01- دور التعليم في المحافظة على الشخصية الجزائرية.....317
02- التعليم كأداة لتحقيق المقومات الشخصية.....328
03- التربية و التغير الاجتماعي.....330
04- الجمعيات الخيرية و الرسالة الإصلاحية في الجنوب الجزائري.....333

الفصل التاسع: جمعية العلماء وثورة التحرير

01 – دور الجمعية في ثورة التحرير.....341
02- مضايقة رجال الجمعية.....343
03- السياسة في نظر العلماء.....352
04 – دور جمعية العلماء في التعريف بثورة الجزائر في العالم الإسلامي.....361
05 – بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 15نوفمبر1954 من القاهرة.....362
06 – سجن العلماء.....365

- **استنتاج عـام**
- **الخاتمة**
- **المرجع و المصادر**
- **الملاحق**

بسم الله الرحمن الرحيم

" اقرأ باسم ربّك الذي خلق[1] خلق الإنسان من علق
[2] اقرأ وربك الأكرم [3] الذي علّم بالقلم [4]
علّم الإنسان ما لم يعلم [5] "

{الآيات 1،2،3،4،5 من سورة العلق }

" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

{ الآية 105 من سورة التوبة }

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

نشكر الله تعالى ونحمده على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل المتواضع.

كما نتقدم بالشكر الجزيل و التقدير و الاحترام إلى الأستاذ الفاضل–المشرف- الدكتور خلايفية محمد على توجيهاته القيمة و التي ساهمت بشكل كبير في إنجاز هذا العمل، وذلك بالتشجيع و بث روح البحث العلمي و التحلي بالموضوعية في كل خطوات و مراحل البحث فشكراجزيل الشكر لكم أستاذي الفاضل راجيا منكم مزيدا من الإنجازات العلمية مع دوام الصحة والعافية إن شاء الله.

كما نتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة المحكمين على توجيهاتهم القيمة لموضوع بحثنا.

كما أتقدم بالشكر لكل أساتذة قسم علوم التربية بجامعة الجزائر 02- أبو القاسم سعد الله-

ونشكر كل من ساعدنا و ساندنا من إطارات وزارة التربية الوطنية: أساتذة ومديرون و مفتشون و إداريون لإنجاز هذا البحث.

الباحث

الإهداء

إلى الّذين رفعوا راية الجهاد ونالوا عند الله حظوة الاستشهاد من أجل إعلاء كلمة الله وتحرير البلاد. إلى روح علمائنا الأحرار، مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين قاموا بنهضة علمية و تعليمية وتربوية خدمة لأبناء أمتهم وشعبهم و محافظة على مقومات شخصيتهم الوطنية و دفاعا على لغتهم العربية ودينهم الإسلامي. وأصالة ثقافتهم العربية الإسلامية وانتمائهم الحضاري.

و إلى أرواح شهدائنا الأبرار، و مجاهدينا الأخيار الذين جاهدوا بعلمهم وعملهم وصبروا وصابروا حتى بعثوا النهضة واستعادوا الدين واللغة الحياة في أرض الجزائر بفضل تضحياتهم الغالية حققت الجزائر حريتها واستقلالها الوطني في نطاق شخصيتها العربية الإسلامية. و إلى كل من آمن بثوابتنا:

الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا.

أهدي هذا البحث المتواضع

الفصل الأول

الإطار العام للدراسة

1- مقدمة

2- إشكالية البحث

3- أهداف البحث

4- أهمية البحث

5- منهج البحث

6- تحديد مفاهيم البحث

7- فرضيات البحث

8- أسباب اختيار الموضوع

9- الدراسات السابقة

10-التعقيب على الدراسات السابقة

مقدمة

مقدمـــة:

تتـذكر الأجيـال الماضـية مـن أبنـاء الشـعب الجزائـري، دور جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين، أثنـاء فتـرة الاحـتلال الفرنسـي، فقـد لعبـت دورا كبيـرا فـي إرسـاء دعـائم الشخصـية الجزائريـة، وتربيـة الـنشء علـى القـيم العربيـة الإسـلامية، والمحافظـة علـى وحـدة الأمـة وتماسـكها الاجتمـاعي، ومقاومـة سياسـة المحتـل المتمثلـة فـي محاربـة اللغـة والـدين والثقافـة والتـاريخ الـوطني والحضـارة الإسـلامية. وهـي أسـاس الصـراع بـين الشـعب الجزائري وإدارة الاحتلال.

وكانـت وسـيلتها الأساسـية هـي: التربيـة والتعلـيم فأنشـأت المـدارس عبـر الـوطن، وكونـت ووجهـت المعلمـين لتعليم أبناء الشعب الجزائري.

وكـان كـل مـا يتلقـاه أبنـاء الجزائـر يركـز علـى سـبل تعزيـز دعـائم الثقافـة العربيـة الإسـلامية، ومعـالم الهويـة العربيـة الإسـلامية، وشـحذ الأجيـال مـن أجـل الغيـرة علـى الـدين الإسـلامي واللغـة العربيـة وبالتـالي الـدفاع عنهـا و تهيئـتهم لأخـذ المشـعل و الـدفاع عـن شخصـيتهم ووطـنهم. وقـد كـان شـعار هـذه النهضـة التعليميـة الكبـرى هـو :(الإسلام ديننا– والعربية لغتنا– والجزائر وطننا).

فـي سـبيل تحريـر الـوطن واسـترجاع السـيادة الوطنيـة للشـعب الجزائـري ولا أحـد بإمكانـه أن يشـكك فـي الـدور الـذي لعبتـه جمعيـة العلمـاء المسـلمين الجزائـريين فـي تنـوير العقـول بحقيقـة المسـتعمر الظـالم الغاشـم. وهـي معروفـة باتجاهها الـوطني منـذ الوهلـة الأولـى مـن تأسيسـها. كانـت العامـل الرئيسـي فـي فشـل سياسـة الاحـتلال في القضاء على الشخصية الجزائرية.

و إذا تتبعنـا اتجاهـات السياسـة الفرنسـية منـذ الأيـام الأولـى للاحـتلال مـن عـام 1830 إلـى غايـة خروجهـا مـن الجزائـر 1962، فإننـا نجـدها قـد سـارت فـي أربعـة اتجاهـات متوازيـة تلتقـي كلهـا فـي النهايـة عنـد نقطـة واحـدة وهـي القضـاء الكامـل علـى مقومـات الشخصـية الجزائريـة، و محوهـا مـن الوجـود و تتمثـل هـذه الاتجاهـات فيمـا يلـي :**نشـر الفقـر فـي الأوسـاط الشـعبية ،التجهيـل، تجهيـل الأمـة و نشـر الأميـة، الفرنسـة(نشـر اللغـة الفرنسية بدل اللغة العربية)، التنصير (محاربة الدين الإسلامي، و نشر المسيحية).**

و بهـذا العمـل تهـدف إلـى القضـاء علـى التـراث العربـي الإسـلامي فـي الجزائـر كـي تتوصـل إلـى الهـدف الأساسـي و هـو تكـوين أجيـال مـن الجزائـريين بـلا أصـالة و لا عمـق يمكـن فرنسـتهم بسـهولة و يسـر، وقـد عمـل الاسـتعمار علـى فرنسـة سـائر مظـاهر الحيـاة الجزائريـة حتـى المـدن أصـبحت تحمـل أسـماء حكمـاء وجنـرالات فرنسيين مثل : فولتير، و فيكتور هيجو، الجنرال ساتارنو، و روفيقو، ميشال...إلخ.

و عنـد احتفاليـة فرنسـا بوجودهـا فـي الجزائـر بعـد مئـة سـنة ،ظهـرت جمعيـة العلمـاء المسـلمين فـي 5 مـاي 1931 لتتصـدى لهـذه السياسـة الاسـتعمارية الفرنسـية، ووقفـت بالمرصـاد فـي وجـه أعـداء الشـعب الجزائـري واتخـذت " التعلـيم العربـي الحـر "وسـيلة و ملجـأ لتعلـيم أبنـاء الشـعب لغتـه العربيـة ،و دينـه الإسـلامي واسـترجاع شخصـيته العربيـة الإسـلامية وتوعيـة أبنـاء الشـعب للمحافظـة علـى لغتـه ودينـه ووطنـه و العمـل علـى اسـترجاع

سيادته الوطنية. والنهضة التعليمية للجمعية كانت سلاحا فعالا مضاد لسياسة الاحتلال التعليمية التي كانت تقوم على أساس: الفرنسة والتنصير والإدماج.

لم تقتصر جمعية العلماء في مشروعها الإصلاحي في وسط الجزائر فقط، بل اهتمت بالجالية الجزائرية المقيمة في فرنسا، نظرا لتزايد عدد المهاجرين، وقلة وجود أماكن التوجيه الديني والتعليم في ديار الغربة، والاهتمام بالمهاجرين، دلالة واضحة على إدراك جمعية العلماء للوزن السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يمكن أن يمثله هؤلاء في المستقبل، ووجود جمعية العلماء في فرنسا يفسره أكثر تخوفهم من انسلاخ المهاجرين وانصهارهم في الثقافة الغربية التي يعيشون في وسطها.

لقد شعرت جمعية العلماء بضرورة توجيه المغتربين، ودعوتهم إلى الحفاظ على أصالتهم وقيمهم، وحثهم على ممارسة شعائرهم الدينية.

واستطاعت جمعية العلماء من خلال نشاطها في فرنسا، إيصال الأفكار الإصلاحية إلى المهاجرين الجزائريين، وتوجيههم توجيها دينيا ووطنيا وتعريفهم بكفاح الشعب الجزائري من أجل التحرر من سلطة الاحتلال، وبتاريخ الجزائر الذي كان مجهولا في المشرق العربي، بسبب سياسة المراقبة والتعتيم والتشويه التي روجتها فرنسا في الوطن العربي:(مجلة التاريخ العدد 11 (1981) الصراع بين جمعية العلماء وحكومة الاحتلال.)

و قد تساءل – عبد الحميد بن باديس – عن حقيقة الأمر و اندفع نحو بحث الواقع كما هو, ثم كما ينبغي ان يكون ذلك هو عماد فلسفته التربوية. و الجاهرة بالدعوة, و يصرح بالحقائق المتبعة في العمل فيقول: "أن نتعلم غير تعليمنا, و نعيش في غير مجتمعنا, و ننظر بغير أبصارنا و ندرك بغير عقولنا, فهل نحن موجودون؟

كلا!! لايكمل وجودنا الا بعد أن يستملك عقولا و أبصارا و عيشا وتعليما, و أن نخرج من هذه الفوضى الحيوانية. (أنت أنت – أنا أنا) الى الحقيقة الناصعة الوضاءة التي وضع قاعدتها في خلاصة فلسفية:

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

(مجلة العبقرية العدد3 سن 1946)

وإذا كانت هذه المسيرة النضالية محدودة في الزمان والمكان فإنها حافلة بإنجازات والأعمال. وبفضل الخطة المنتهجة تم تكوين في ذرف وجيز جيلا من المفكرين و طلائع من العلماء المصلحين الذين واصلوا المسيرة بكل ثقة و عزم و انقطاعهم لبناء الأجيال و تأليف الرجال, و نشر العلم و الفكر و مقاومة سياسة الاستعمار.

وأسهمت في تنشيط الحياة الفكرية وثقافية التي عرفتها البلاد في هذه الفترة (1931–1956) و غذت الحركة الوطنية بالروح التي كانت تنبض بها.

في هذه الفترة اشتد فيها الصراع بين الشعب الجزائري حول الشخصية الجزائرية' ومكوناتها من لغة ودين وثقافة وتاريخ وحضارة ووطنية.

وقد كان من أهم الوسائل التي اعتمد عليها الشعب الجزائري في هذه الحرب المصيرية –التعليم العربي (الحر)–بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض الجمعيات المحلية وبعض الزوايا في الشمال وجنوب البلاد. و حزب الشعب–الجزائري– بتأسيس المدارس و النوادي و المساجد و الجوامع على نطاق واسع في جميع أنحاء البلاد من أجل نشر التعليم العربي الحر و بعث الثقافة العربية الإسلامية و تعليم مبادئ الدين و تاريخ الوطني لأبناء و بنات الشعب الجزائري في جميع أنحاء الوطن بقصد المحافظة على وجوده الوطني و شخصيته العربي الإسلامية مما أدى إلى حدوث نهضة تعليمية عربية إسلامية أكثر انتشارا على مستوى الوطني.

كانت العامل الأساسي في فشل سياسة المحتل في القضاء على الشخصية الجزائرية وكانت وسيلة فعالة ومضادة لسياسة المستعمر التعليمية التي كانت تهدف الى الفرنسة والتجنيس والتنصير والادماج. (تركي رابح 1975)

ونلاحظ من خلال نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. أنها تعمل من أجل وحدة الشعب الجزائري داخل الوطن أو خارجه، وتجعله متماسكا بدينه الإسلامي ولغته العربية. ومحافظا على شخصيته المميزة وانتمائه الحضاري، وحثه على إعداده للدفاع عن وطنه، واسترجاع السيادة الوطنية ومحاربة الاحتلال، ومواجهة سياسة " التنصير والاندماج " وإثبات وجوده وكيانه وانتمائه القومي والوطني، وحقه في الوجود وإبراز مكانته الإنسانية والحضارية وكيانه بين الأمم والشعوب، وقد انتصرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وقد انتصرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في صراعها مع المحتل، وقد حافظ الشعب الجزائري على مقومات شخصيته وكيانه الوطني. ولكن نظرة الحركات السياسية للجمعية على أنها مجرد حركة قاومت البدع والخرافات وقامت بإصلاح العقيدة وبعث التعليم العربي والثقافة العربية الإسلامية ولم ترق إلى العمل السياسي. إن المسلك الذي انتهجه المخلصون في تربية النشء والشباب هو تنمية الشعور الديني وتقويته وإيجاد البواعث على التمسك بالدين بالوجوه المقنعة، وبيان أن لا حياة للمسلم إلا بدينه ولا سعادة إلا بالتمسك بأهداف تربيته الفاضلة والتحلي بأخلاقه الطاهرة التي يكون المرء فائزا بالحال والمآل.

إن هذا المنهج السوي هو الذي نطلق عليه اليوم بأحق الأصالة والمعاصرة. فقد كان منهجا متطورا متقدما يهدف إلى بناء الأجيال الصاعدة من أبناء الشعب الجزائري بناء عمليا يجمع بين الحفاظ على أصالته المتجدرة، لغة ودينا وتفتحه على العالم من حوله مواكبا، مسايرا، فاعلا، منفعلا.

من هذا المنطلق، ظهر لنا الاهتمام بدراسة هذا الموضوع، وهدفنا هو إبراز مجهودات جمعية العلماء في الحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري التي أرادت فرنسا محوها من الوجود وذوبانها، واعتبار الجزائر قطعة من التراب الفرنسي. فهي بهذه الفكرة قد أزالت وقضت على وجود كيان الشخصية الجزائرية

ومقوماتها، وبالتالي أزاحت خريطة الجزائر من بين البلدان والأمم: أرضا وترابا وشعبا وحضارة، ودينا ولغة وقيما ووجودا.

كانت بداية العمل عند تأسيس جمعية العلماء ذات المبادئ الإسلامية والتوجه الوطني مهيكل، هدفه تحقيق الصحوة الفكرية ودفع المجتمع إلى التحرك الواعي الذي يمكنه من إدراك واستيعاب مشاكل واقعه، ومن ثم التوجه نحو العمل لتغييره وفق ما يتطلع إليه الشعب الجزائري في الاتجاه الذي يضمن ارتقاء وعيه وازدهار حياته الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والسياسية وحقه في الوجود.

إن علماء الجمعية وهبوا أنفسهم لدينهم وأمتهم وكانوا قمة في العطاء والتضحية والإصلاح، لها تأثيرها في قلب الأحداث بالجزائر. واستهدفت جهودها تغيير الإنسان الجزائري وبعث تاريخه وثقافته وتحريره من رواسب الانحطاط والتخلف التي كانت تتحكم في تفكيره وسلوكه حياته الاجتماعية والسياسية عامة.

واعترافا بمجهودات رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العظماء كان من حقهم علينا أن نحيي سيرتهم ونجدد ذكراهم ونبين أفكارهم ومبادئهم، فربما جهل كثير من شباب الجيل الجديد اليوم تاريخهم ومدى تأثيرهم في حاضرنا ومستقبل أيامنا بآرائهم وأعمالهم ومن حقهم علينا أن نكتب عنهم الكثير ونشيد بإنجازاتهم ونقيم لهم المهرجانات لنجعل من نضالهم وتفانيهم في خدمة أمتهم وبلادهم قدوة لكل ناشئ ومثلا لكل عالم ومفكر ومن الطبيعي أن يبقى هؤلاء العظماء في ذاكرة أمتهم لأنهم يمثلون جزءا من أمجادها.....

ومن هذا المنطلق تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في المحافظة على القيم الاجتماعية ومكونات الشخصية الجزائرية وتوعية ويقظة ونهضة الأمة وتهيئتها للمطالبة بحقها في الوجود بين الأمم. لذلك ارتأينا تقسيم الدراسة كالآتي:

الفصل الأول يتضمن:-الإطار العام للدراسة الذي يتناول إشكالية البحث، و أهداف البحث ومنهج البحث، وأسباب اختيار البحث، و تحديد المفاهيم الأساسية للدراسة، والدراسات السابقة.

الفصل الثاني يتضمن: جذور الحركة الإصلاحية

الإصلاح مفهوم قرآني

بوادر الإصلاح في الجزائر

الفصل الثالث يتضمن: أوضاع المجتمع الجزائري في فترة الاحتلال (سياسيا اقتصاديا وثقافيا)

الفصل الرابع يتضمن: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أهدافها وغاياتها

المحافظة على المقومات الشخصية الجزائرية

الفصل الخامس يتضمن: الدور التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الفصل السادس يتضمن: الجانب الإجرائي والميداني في المنهج التربوي للجمعية

الفصل السابع يتضمن: دور الجمعية في المحافظة على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري

الفصل الثامن يتضمن: دور التعليم في المحافظة على الشخصية الجزائرية

الفصل التاسع يتضمن: جمعية العلماء وثورة التحرير

استنتاج عام.

الخاتمة

المراجع

الملاحق

وأخيرا يبقى إنجاز هذا العمل التربوي والعلمي المتواضع مدينا للأستاذ المشرف الدكتور خلايفية محمد الذي وضع كامل ثقته في شخصي وشجعني على الجد في العمل والاجتهاد، ومن حقه علي كذلك التقدير والشكر لمتابعته الدقيقة وحرصه على متابعة البحث من بدايته إلى نهايته. كما أشكر كل من ساعدني في هذه المهمة وقدم لي النصح والتوجيه.

الإشكالية :

يعتبر الاستعمار سلاحا خطيرا، يفتك بالإنسانية لأنه يعوق تطور ثقافتها وحضارتها، بل يعمل جاهدا ليحملهم على نسيان تراثهم الوطني، ومشاركتهم في الحضارة الإنسانية.

إن الشعب الجزائري عبر العصور، وضع قضايا التربية والتعليم في الصعيد الأول من اهتماماته ومشاغله، ومصدرها يعود إلى عمق المشاعر الدينية في الأوساط الشعبية، لدى هذا الشعب الذي أقام مؤسسته الثقافية، ونظمه القضائية وعلاقاته الاجتماعية على أساس قيم وتعاليم الإسلام، ذلك الذي أعطى للعلم أهمية وصيغة مقدسة حيث جعل من طلبه فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وانطلاقا من الشعور بأن التربية قضية حيوية بالنسبة للجماعة كلها، فإن التعليم كان يحظى، بصفة تلقائية بدعم مادي هام، ويتمتع لدى كل مجموعة، بموارد خاصة هي وقف عليه، مما أتاح للمدارس أن تنتشر عبر الوطن وتنمو وتزدهر.

إن هذا التعليم الذي كانت مضامينه مستوحاة من المبادئ الدينية والذي كان يتميز بالطابع العملي، والتدريب على الجوانب المختلفة للحياة، قد كان يتم في جو من الحرية والاستقلال ساعد على تبادل الأفكار وانتشار الإشعاع الثقافي، كما منح المدرسة والمعلم وضعا اجتماعيا مرموقا.

وهكذا كانت التربية قبل الاحتلال شديدة الانتشار في الجزائر، إذ كانت تمتد على طول البلاد وعرضها شبكة كثيفة من الكتاتيب والمدارس.

ولقد أراد الاستعمار أن يسلك أوثق السبل إلى تحقيق أهدافه واستعباد البلاد وأهلها إلى الأبد، فأبدى تكالبا شرسا منقطع النظير في تهديم وتحطيم وتخريب الركائز الأساسية للمجتمع الجزائري.

بدأ باغتصاب الأراضي. و تحطيم القاعدة المادية و الاقتصادية للبلاد، فانفجرت البنيات الاجتماعية نتيجة لذلك، و شاع الفقر، و انتشرت الأمية و الجهل و الأمراض و لذلك وصلت نسبة الأمية بين النساء الجزائريات 99 0/0و بين الرجال 095/**0**(مجلة الأصالة / العدد 1971/02)

ثم أخذ على استكمال هذه السيطرة الاقتصادية وتدعيمها بسيطرة ثقافية قد خطط لها بحيث تؤدي إلى استلاب الجماهير، المركبات الذهنية والعقد الاجتماعية من صفوفها وغلق سبل الرقي في وجهها.

وهكذا كان محكوما على اللغة العربية والدين الإسلامي اللذين تتجسد فيهما الهوية الثقافية للشعب الجزائري وتتكون منها شخصيته الوطنية. أن يكون الهدف المفضل لأعمال التخريب و التحطيم التي مارستها سلطة الاحتلال بصفة مستمرة , فاللغة العربية قد استبعدت من المدارس , و عزلت عن النشاطات الاقتصادية و السياسية التي احتكرها المحتل، فجمدت شيئا فشيئا لتحبس آخر الأمر في إطار لا يمكن أن يتيح لها التطور و ذلك بقرار من السلطات المحتلة المؤرخ ب 8 مارس 1938،واستغلت السلطة الاستعمارية بكل فعاليةالدور الخطير الذي تقوم به المدرسة في استخلاف الأجيال، فأقامت في البلاد منظومة تربوية متنوعة حددت اختصاصاتها على ضوء وظيفة و موقع لكل الفئات الاجتماعية.

أما المعنى العميق لهذا التنوع فإنه يبدو بوضوح تام. فالمدارس المفتوحة للأهالي تتلخص مهمتهافي تكوين المساعدين الذين يحتاج إليهم الاستعمار، بينما كانت مدارس الأوربيين نسخة مطابقة للنموذج الأصلي. و تم توحيد الجهاز التربوي فيما بعد ذلك، فاستمر الغزو الثقافي الاستعماري متمثلا في نشر اللغة الفرنسية و الثقافة الفرنسية الأجنبيتين.

و مارس الاستعمار من جهة أخرى ضغطا شديدا على عقيدة الشعب، و عندما فشلت محاولاته المتكررة الرامية إلى استئصال الإسلام بواسطة ارسالاته و بعثاته التنصيرية التي اكتسبت بالفعل طابع حرب صليبية عصرية، لجأ إلى أساليب المكر الأخرى، فاستغل الحركات الطرقية، و أطلق العنان لطائفة المستشرقين السائرة في ركابه، لنشر الزيف و بث المغالطات.

و في نطاق هذه الحملة الواسعة من المسخ و التشويه، قام الاستعمار بكل ما كان في وسعه لعزل الجزائر عن محيطها الطبيعي، و منع الجزائريين من الاتصال بإخوانهم في المغرب العربي و المشرق العربي.

و لقد اصطدمت هذه السياسة بمقاومة شعبية شاملة، و على الرغم من هذا المناخ الثقل بالقمع المتواصل ، و الاحتلال العسكري الدائم، ظهرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 و تصدت للسياسة الاستعمارية التي كانت تهدف إلى محاربة اللغة العربية و الدين الإسلامي الحنيف، وبالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية نجحت التعبئة الشعبية التي كانت تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على شكل من أشكال التربية و الثقافة الوطنية بواسطة الكتاتيب القرآنية، والمدارس و المعاهد العصرية الحرة، التي كان يتفق عليها الشعب و يرجع الفضل إلى هذه المؤسسات في منح أبناء الوطن، عن طريق مواطنيهم، تعليما باللغة الوطنية، أتاح للعديد من أجيال الجزائر أن تعي حقيقة انتمائها الثقافي والديني والوطني.

أن هذه المؤسسات بفضل إذكائها لحب الوطن، وتعميق إرادة تحريره، وغرسها في قلوب ونفوس النشء الإيمان بضرورة استرجاع اللغة والثقافة العربية الإسلامية، والعمل على ازدهارهما، قد أصبحت مراكز حقيقية لتكوين الأطر الواعية، والمناضلين الملتزمين، والمحاربين المستعدين لخوض المعركة المسلحة، كان هدفا من الأهداف الأساسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

إن هذا التيار من المقاومة الصلبة لكل أساليب الغزو الثقافي قد وجد إقبالا شديدا في الأوساط الشعبية، فنشطت السلطات الاستعمارية لمواجهته ولكنها حين فشلت في القضاء عليه بالقوة، لجأت إلى الدّس والخداع في مناورة مكشوفة هدفها الواضح زرع بذور الشقاق في صفوف الشعب.

من ذلك: الفكرة التي روّجتها، والقائلة بأن اللغة العربية عاجزة عن النهوض بمسؤولية التعبير عن النشاطات الاقتصادية والاجتماعية المفيدة، وأنها على كل حال لا تستطيع أن تساير التقدم الاجتماعي والعلمي والتقني.

إن هذه المناورات الاستعمارية قد فضحتها يقظة الجماهير ومقاومتها الصلبة، ولكنها على الرغم من ذلك تركت آثارا واضحة تعد من أهم العقبات التي يجب على النهضة الثقافية أن تواجهها وأن تتغلب عليها.

لقد كان طبيعيا إذن، أن تتجه المقاومة الشعبية في كفاحها من أجل الحرية والحياة إلى استرجاع السّيادة المسلوبة واستعادة المصير التاريخي المغتصب، وأن تحرص أيضا على تدارك التخلف الثقافي وتلافي النقائص التربوية الناجمة عن الاستعمار الطويل، ومخططاته الرهيبة الرامية بإصرار إلى اجتثاث الإنسان من منبته الحضاري لاستعباده بشكل عام، ولقد اهتدى الشعب بثاقب حدسه إلى أن ازدهار قيمه الثقافية والأخلاقية والدينية يمكن أن يتم إلا باسترجاع لغته الوطنية وإعادتها إلى مكانتها الطبيعية، ذلك أنّ اللغة العربية، وهي إحدى المقومات الأساسية للشعب الجزائري في استمراريته وعبقريته، إنما تعبر عن مطلب جماهيري دائم يتمثل في ضرورة إيجاد تربية تكون في متناول الجميع لأنها تمنح لكلّ فرد، وهذه أعظم مهمّة قامت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ نشأتها، وقد سئل يوما رئيسها الشيخ عبد ابن باديس : لماذا لا تؤلف كتبا؟ فكان جوابه:"... إن الشعب ليس اليوم بحاجة إلى تأليف الكتب بقدر ما هو بحاجة إلى تأليف الرجال، هبّ أنّي انصرفت إلى التأليف وانقطعت عمّا أنا اليوم بصدده من نشر العلم وإعداد النشء فمن يقرأ كتبي وتأليفي؟ مادام الشّعب في ظلمات الجهل والأمية! (آثار عبد الحميد بن باديس الجزء 4).

إنّ إعداد معلم واحد كفء يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا لخير لمجتمعنا من ألف كتاب تحفظ في خزائن إلى أن تبيد وتبلى".(آثار عبد الحميد بن باديس الجزء 4).

وكان يقول:" إننا لا نريد أن نكوّن من تلامذتنا اليوم علماء بحث وفلسفة وأدب وخيال...ولكن نريد قبل كل شيء أن نكوّن منهم أولا بناة نهضة، ودعاة إسلام وجهاد، ورجالا يقفون بالمرصاد للاستعمار الذي أقام سياسته على أساس محاربة مقوماتنا الروحية الثقافية حتى يسهل عليه أن يبتلعنا ويقضي على شخصيتنا " (من آثار عبد الحميد ابن باديس الجزء 5)

بالإضافة إلى أن الإمام عبد الحميد كان مدرسة أخلاقية بما طُبع عليه من تواضع ونُبل وشهامة وترفّع ووطنية صادقة فتخرّج من هذه المدرسة جيل كبير كان له أثره البعيد في سلوك الشعب الجزائري وفي انتصاره على نفسه وعلى عدّوه..

إنّ النّهضة التربوية والعلمية لجمعية العلماء، كانت تهدف إلى تكوين جيل صالح يعمل على إحداث النهضة المنشودة وقيادتها إلى إحداث تغييرات جذرية في وسط المجتمع الجزائري. وفقا لقوله تعالى: "إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم" سورة الرعد –الآية 11–. ذلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا. فالإسلام يدعو إلى التغيير والتطور والرقي، ولا يتحقق ذلك إلا بتغيير الفرد باطنيّا وظاهريّا. نفسيّا وعقليّا وسلكيّا واجتماعيّا. وبعبارة أخرى تكوين الإنسان الجديد ليواكب التّغيّرات والأحداث الاجتماعية والوطنيّة. فالعلماء يعملون لتطهير الإسلام وتكوين كيان جزائري قائم على الثقافة العربيّة الإسلاميّة (شارل أندري جوليان 1976)

إنّ التربية السليمة هي إحداث التغيير أو تثبيت سلوك محمود في الإنسان. لذلك نلاحظ أنّ الدور التربوي لجمعية العلماء لا يهتمّ بتربية الفرد فقط ولكنّه يهتمّ بتربية المجتمع أيضا، والنهوض به نحو الرقي والتطوّر

والتحرّر والتغيّر في المجال الثّقافي والاقتصادي والاجتماعي. إنّه يجمع بين الحفاظ على أصالته وتفتّحه على العالم. إنّ التربية هي التي تعطي للإنسان قيمته كفرد، وللمجتمع الإنساني قيمته كمجتمع.

نستشف مما تقدم أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا كبيرا في المحافظة على القيم الاجتماعية ومكونات الشخصية الجزائرية المتمثلة في اللغة والدين. في مقابلة صحفيّة لأحد الطلبة القدماء لجمعية العلماء يقول: خاطب ابن باديس طلبته ذات يوم قائلا:" عاهدوني جميعا على أن تكونوا جنودا لتحرير الوطن". جريدة الشروق العدد 4807 بتاريخ 2015/07/25. وقد خاطب ابن باديس النّشء من أبناء مدارس جمعية العلماء عام 1937م قائلا:

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخذ الخطوبة ولا تهب

حقيقة قد أصبحوا رجالا يتقدمون الصفوف ويحملون الحياة سلاحها (أحمد حماني 1984)

إنّ المنهج التربوي لجمعية العلماء يهدف لتكوين جيل قادر على حمل الأمانة التاريخية والحضارية لوطننا والمحافظة عليها ودعمها حتى تقوى على منافسة التيارات المحدقة بها، والعمل على إحياء الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية وتطعيمها بدماء جديدة حتى تقف في وجه تيارات الأعداء.

وعليه يمكن طرح التساؤلات التالية:

1- ما الدور التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين للحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومقومات شخصيته الوطنية الجزائرية؟
2- ما هي أوجه النشاطات التربوية والاصلاحية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهل حققت أهدافها في فشل مخططات السياسة التعليمية الفرنسية الرامية إلى القضاء على الشخصية الجزائرية؟
3- ما أثر مساهمة المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على القيم الاجتماعية ومقومات الشخصية الوطنية الجزائرية وما فاعليته وملاءمته لمتطلبات التغييرات الحقيقية والواقعية للمجتمع الجزائري؟

-فرضيات البحث:

1-لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا كبيرا في الحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومقومات شخصيته الجزائرية.

2-يرتكز الدور التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين على أوجه نشاطات متعددة وهي كالآتي: الدور التعليمي -التربوي -التثقيفي - التوعوي -التوجيهي - الاقتصادي -الاجتماعي -السياسي، غايتها المحافظة على المقومات الشخصية الجزائرية.

3-ساهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى حد كبير في محاربة ومواجهة وإفشال السياسية الفرنسية ومخططاتها في سياسة التجنيس والفرنسة والتنصير والإدماج.

-أهداف البحث:

يمكن تلخيص أهداف البحث فيما يلي:

1- -تسليط الأضواء على مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومقومات شخصيته الوطنية في الفترة الممتدة ما بين (1931 و1956.)
2- إبراز دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على مكونات الشخصية الجزائرية.
3- معرفة أوجه نشاط جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية.
4- إبراز دور مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربة وإفشال أهداف السياسة التعليمية الفرنسية الرامية إلى القضاء على الشخصية الجزائرية.

-أهمية البحث:

-تبرز أهمية البحث فيما يلي:

1-تذكير الأجيال الحالية واللاحقة بدور ومساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومقومات شخصيته الوطنية.

2-التأكيد للشباب الجزائري الصاعد على أن الجزائر المستقلة لم تنتصر على الاستعمار الفرنسي إلا عن طريق تمسكها الكامل وإيمانها القوي بكل مقومات هذه الأمة وهي الإسلام واللغة العربية والوطنية الجزائرية التي آمن بها أجدادنا وناضلوا من أجلها واستشهد من أجلها شهداؤنا الأبرار.

3-الإشادة بمجهود جمعية العلماء في النهضة التعليمية والتربوية والثقافية في ميدان الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي، ومواجهتها لسياسة الفرنسة -التجنيس-التنصير-الإدماج، ونفض الغبار عن تراثنا الثقافي والتربوي والوطني.

-أسباب اختيار الموضوع:

الكشف عن دور ومهام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المتمثل في تربية وتعليم النشء وتوعية الشباب وحثهم للحفاظ على قيم المجتمع وشعورهم بالانتماء الثقافي والحضاري، وغرس فيهم حبّ الوطن والدّفاع عنه والمحافظة على مكونات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية والدين الإسلامي ومحاربة الاحتلال واسترجاع السيادة الوطنية المسلوبة.

تحديد المفاهيم الأساسية:

من بين المراحل الأساسية في أي دراسة تربوية تحديد المفاهيم التي لا جدال في أن الاتفاق المسبق حولها ضروري للتبادل الإيجابي لمختلف الآراء والتصورات لما لها من دور فعال في وضع المعالم البارزة للبحث لأن كل فرع من فروع العلم عليه أن يطور مصطلحاته ومفاهيمه لكي يستطيع أن يجعل مكتشفاته قابلة للتواصل.(محمد علي محمد 1982).

1 مفهوم الدور:

يعتبر مفهوم الدور أساس النظريات التربوية، الأمر الذي أدى إلى تباين وتداخل التحديدات المقدمة له من طرف علماء الاجتماع والمختصين بالبحوث الاجتماعية ضمن هذا الإطار. ترى البنائية الوظيفية أن الدور هو مجموعة من الالتزامات التي يتحتم على الفرد انجازها، اي انه مجموعة من السلوكات والممارسات التي يقوم بيها وفق القواعد السائدة في المجتمع. وعليه يرى ت- طارستونز (tparson) ان الدور يمثل الجانب الحركي للمكانة بينما تمثل المكانة الجانب المكاني للدور) فبارسوتر حسب هذا التعريف يبين ان الدور يتمثل حسب وضعية الفرد والمكان الذي يتموضع فيه ويدعم ذلك. امارالف لينتن R-LINTON فيقول انه (لا يوجد دور بدون مكانة ولا مكانة بدون دور) فالدور يمثل جانب الديناميكي للمكانة.

القيم الاجتماعية:

هي المثل العليا التي يتخذها الأفراد والجماعات قاعدة لهم في تصرفاتهم اليومية.

كما تعد تعبيرا عن الغايات والأهداف البعيدة للفاعل الاجتماعي وهي إذا لا ترتبط بما هو موجود بل بما يجب ان يكون. (وليام لامبرت وولاس لامبارت 1973ص 95)

الشخصية: يستعمل اصطلاح الشخصية للدلالة على مجموعة الكاملة من صفات الفرد العقلية والسيكولوجية والاجتماعية واستجاباته العاطفية.(رالف لنتون 1984) التي تجعل منه شخصا متميزا عن غيره.

الشخصية الوطنية:

من التعابير التي يستعملها بدون تحديد عبارة (الشخصية الوطنية) فبعضنا استعملها للدلالة على الاستغلال السياسي والاقتصادي عن الهيمنة الاستعمارية التي كانت تخضع لها الجزائر.

وبعضنا يستخدمها للدلالة على روح النضالية (جغرافيا وعنصريا عن جسم الأمة العربية – الإسلامية) (أبو القاسم سعد الله 1974).

ولعل أقرب استعمال إلى الصواب هو ان الشخصية الوطنية تعني استرداد العناصر الصالحة من حياتنا الماضية التي حاول المحتلون طمسها خلال فترة الاحتلال، ومن أهم هذه العناصر:

أولا: ـ القيم الاجتماعية المتوارثة عن أجدادنا كالكرم والشجاعة والعفة واحترام الصغير للكبير وغير ذلك، بإحياء هذه القيم عن طريق الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام المختلفة.

ثانيا : ـ اكتشاف تراثنا ونشره لأنه يعكس حياتنا الغابرة وطريقة تفكيرنا وذوقنا العام، وكذلك إحياء ونشر الفنون الصالحة كالموسيقى والعمارة والخطوط، وجهود مفكرينا في الطب والهندسة والرياضيات والتعريف بأصحابه الذين تركوا هذه الآثار.

ثالثا: اللغة العربية الوطنية لأنها تعرضت إلى اضطهاد خاص خلال فترة الاحتلال باعتبارها أداة واحدة فعالة ولأنها وسيلة تفاهمنا مهما تباعدت واختلفت الحدود السياسية مع البلاد العربية ولأنها مفتاح فهم وتذوق القرآن الكريم.

فقد خاطب ابن باديس في الشباب الجزائري في إحدى المناسبات قائلا:

(إني أعاهدكم على أنني أقضي بياضي على العربية والإسلام كما قضيت سوادي عليهما وأنها لواجبات... واطلب منكم شيئا واحد وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن (جريدة الشهاب أوت 1939).

–المجدد: إن المجدد هو كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها وجدد حبله بعد انتفاضة وقدرة على القيادة.–التجديد: التجديد في حقيقته عبارة عن تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية وإحياء الدين القيم من القرن الأول إلى القرن الحاضر ومحاربة الشرك والوثنية والبدع ورفع أولوية التوحيد الخالص والسنة المحمدية بين في البشرية جمعاء.

–التغير: إن كل شيء داخل المجتمع يتغير وينمو بالصورة التي نسميها بالتغير الاجتماعي بدءا من الأنماط السلوكية. التي حددها المتخصصون في ثلاثة أنماط أساسية هي:

1– التغير الحضاري 2– التغير الثقافي 3–التغير الاجتماعي

إن قبول الأفراد أو رفضهم للتغير يؤثر في التغيرات الاجتماعية. وذلك ما أشار إليه (موريس جينيس بيرج) حيث ذهب إلى أن التغير في المجتمع يتأثر برغبات الأفراد وقراراتهم(M.Ginsbirg 1958)

معنى التربية الإسلامية

1 - التربية في اللغة

المعنى اللغوي للتربية الإسلامية:

يتكون مصطلح التربية الإسلامية من كلمتين هما(التربية) و (الإسلامية).

- المعنى اللغوي لكلمة« تربية »:

جاء في (لسان العرب): ربا الشيء زاد و نما،و أربيته نميته.و في القران الكريم :«و يربى الصدقات »أي يزيدها و ربوت في بني فلان :نشأت فيهم.

و قال الجوهري :ربيته تربية :غدوته،ثم أضاف ،و هذا لكل ما ينمي ،كالولد و الزرع و نحوه.

و في (المعجم الوسيط): تربى: نشا و تغذى و تثقف.

و رباه: نمي قواه الجسدية و العقلية و الخلقية.

تربى (يتربى) الولد تربيا :نهذب و نثقف تربى رفيقي مصطفى تربية حسنة.

و هكذا، فان المعنى القاموسي- في لغتنا العربية - لكلمة تربية يتضمن العناصر التالية:

-النمو و الزيادة

-التغذية و التنشئة

-التثقيف

معجم.....- المجاني المصورد /جوزيف الياس.

- المعنى الاصطلاحي لكلمة «تربية »:

إن المعنى الاصطلاحي لكلمة« تربية» يتعرض دائما لتفسيرات متباينة، ذلك لان موضوع العمل التربوي ينصب على تنشئة الإنسان و تكوينه ،كما أن الذي يتولى هذا لعمل هو الإنسان نفسه ،و الإنسان في تغير و تطور مستمرين، و نظرته إلى نفسه ،و إلى العالم من حوله في تبدل دائم ،و يقوم عاملا الزمان و المكان بدور كبير في ذلك. يقول" ليستر سميث

lester ""smithفولكييه«ان معنى التربية» لا يتأثر بمرور السنين فحسب ،بل يتأثر كذلك باختلاف المكان ،حيث نجد لكلمة تربية معنى خاصا في كل قطر من الأقطار، بل إن هذا المعنى لا يكون واحدا : فالمناطق الريفية نحتاج إلى نوع من التربية يختلف عن ذلك الذي يلائم المناطق الصناعية المزدحمة...،ثم يستطرد (سميث) قائلا :«و نحن نرتكب خطا كبيرا حينما نفسر التربية و نشرحها في المجتمعات النامية بنفس الطريقة التي نصطنعها في المجتمعات المتقدمة ».

إن هذه الاختلافات ،و إن كانت تضع أمامنا بعض الصعوبات، إلا إنها لن تسد أمامنا الطريق، فنحن لا يهمنا إلا الطابع الخاص المميز للتربية في كل عصر أو في كل مجتمع بقدر ما يهمنا التماس الخصائص المشتركة و الوصول إلى المعنى العلمي المجرد.

-تعريف جون ستويراتمل :

في أكثر التعريفات التي يقدمها المفكرون و رجال التربية ،على اختلاف اتجاهاتهم نصادف دائما الفكرة الأساسية الآتية:

«إن التربية هي انتقال تأثير شخص إلى شخص أخر ،و إن هذا التأثير هو دائما متجه من عقل إلى عقل، أو من طبع إلى طبع ،و بصفة عامة من شخصية إلى شخصية أخرى، لكننا نجد بعض المفكرين و في مقدمتهم جون ستيوارت مل J.S. MILL(1806-1873)يعتبرون إن كل ما يؤثر في الفرد في اتجاه نموه هو تربية ،فليست التربية مقصورة على تلك العمليات المنظمة التي تدور في الأقسام الدراسية ،و إنما هي أوسع و اشمل من ذلك ،إنها تتضمن على حد تعبير (هل)كل ما يقوم به الآخرون نحونا، بقصد تقريبنا من بلوغ هدف أساسي: هو« تحقيق كمالنا الطبيعي»(الذي يتمثل في استخراج ما فينا من قوى و ملكات طبيعية)جون ستيوارت 1961

بل إن ذلك يشمل في المعنى الواسع، كل المؤثرات غير المباشرة ،و التي تصدر عن أمور ذات غايات مختلفة لكنها ذات تأثير على نمو الإنسان و تكوينه ،و ذلك كالقوانين ،و أنظمة الحكم المختلفة ،و الفنون الصناعية ،و أنماط الحياة الاجتماعية السائدة(من عادات و تقاليد و مواضعات اجتماعية).و أكثر من ذلك فان (مل) لا يستبعد مؤثرات البيئية الطبيعية ،المستقلة عن إرادة الإنسان ،مثل المناخ و نوع التربة و الموقع الخاص للبيئية المحلية التي يعيش فيها الفرد

-تعريف دوركايم:

ينحصر رأي اميل دوركايم في العمل التربوي الذي يقوم به الراشدون الكبار نحو الأطفال الصغار- في رأيه- هي وحدها المقصودة بكلمة فهو يقول :«التربية هي العملaction'lالذي تقوم به الأجيال الناضجة نحو الأجيال التي لم ينضج ولم تتهيأ بعد للانخراط في سلك الحياة الاجتماعية ،و هي تهدف إلى أن تثير و تنمي لدى الطفل حالات جسمية و عقلية و ذهنية يتطلبها منه مجتمعه السياسي في عمومه. أو يتطلبها منه مجتمعه المحلي الذي يعد للحياة فيه.و بناء على هذا التعريف فان "دوركايم" يخلص الى نتيجة هامة مؤداها ان التربية ماهي« إلا تنشئة اجتماعية منظمة » يقوم بها الجيل الراشد نحو الجيل الناشئ.دوركايم- مادة «تربية» ضمن قاموس «بويسون».

أ- معنى التربية في اللغة:

التربية من رب, يرب, ربا و تربية بمعنى: التعهد بالتنمية و التغذية و التأديب و قيل التربية : من ربى, يربي بمعنى : ينشأ

و قيل التربية: من ربا, يربو, ربوا, بمعنى: نما و زاد

قال الله تعالى:

{ و َ تَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}الآية(5) سورة الحج

ب-معنى الإسلام في اللغة:

الإسلام من أسلم, يسلم, إسلاما بمعنى إظهار الخضوع و القبول لما أتى به سيدنا محمد "**صلّى الله عليه وسلّم**".

قال الله تعالى:

{بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ولاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ و لا هُمْ يَحْزَنُونَ }

سورة البقرة الآية (112)

بمعنى استسلم و خضع و قيل اخلص في عمله و خص والوجه بالذكر, لكونه أشرف ما يرى من الإنسان

(القرطبي محمد بن أحمد الانتصاري(1966)

2- التربية في القران الكريم:

وردت كلمة التربية وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم بمعان متقاربة منها ما يلي:

أ- الحكمة والعلم والتعليم:

قال الله تعالى:

{وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ }

سورةآل عمران الآية (79)

ب-**الرعاية:**

قال تعالى:

{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}

و هذا يدل على ان من مدلولات التربية : الرعاية و العناية

سورة الإسراءالآية 24

3- التربية في الاصطلاح:

أولا-للتربية في الاصطلاح تعريفات عدة منها:

- **التربية:**

هي مجموعة العمليات التي يستطيع بها المجتمع ان ينتقل معارفه و اهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه. (أوبير رونيه 1966 ترجمة عبدالله عبد الدايم)

- التربية: هي الحياة وهي عملية تكيف بين الفرد وبيئته. (ناصر محمد 1977)

- **التربية:** هي عملية تضم الأفعال والتأثيرات المختلفة التي تستهدف نمو الفرد في جوانب الشخصية جميعها وتسير به نحو كمال وظائفه عن طريق التكيف مع ما يحيط به من حيث ما تحتاجه هذه الوظائف من أنماط سلوك وقدرات.(الرشدان عبدالله و نعيم جعريري 1993)

- **التربية:** هي عملية مقصودة تهدف إلى تنشئة جوانب الشخصية الإنسانية جميعها لتحقيق غايات محددة ويقوم بهاأفراد ذو كفاءة عالية بتوجيه وتعليم أفرادآخرين وفق طرق ملائمة مستخدمين تعليما محددا وطرق تقويمملائمة. (صالح عبد الرحمن وآخرون 1994)

- التعليم العربي الحر هو التعليم الذي يجري باللغة العربية في مدارس تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- معلم حر هو من يعمل بسلك التعليم العربي الحر

- الشخصية الجزائرية : شخصية عربية إسلامية و هي جزء من الشخصية العربية

- زاوية : هي مركز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر من أهم وظائفها التعليم الديني.

ثانيا– للإسلام في الاصطلاح تعريفات عديدة منها:

الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله و أن محمدا رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقيم الصلاة و تؤتي الزكاة و تصوم رمضان و تحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

الإسلام:النظام العام الشامل لأمور الحياة, و مناهج السلوك للإنسان التي جاء بها محمد صلى الله عليه و سلم من ربه و أمر بتبليغها إلى الناس.

الإسلام : هو مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه و سلم من أحكام العقيدة و الأخلاق والعبادات و المعاملات و قد أمر الله تعالى بتبليغها إلى الناس.(زيدان عبد الكريم 1985)

التربية الإسلامية إذن هي عملية تفاعل بين الفرد و البيئة الاجتماعية المحيطة به مستضيئة بنور الشريعة بهدف بناء الشخصية الإنسانية المسلمة المتكاملة في جوانبها كلها بطريقة متوازنة.

ثالثا–مفهوم التربية الإسلامية:

لقد أخذت التربية الإسلامية حيزا بين المناهج التربوية العالمية منذ اللحظات الأولى للبعثة المحمدية حيث عرف عن الدعوة الإسلامية بأنها دعوة العلم و المعرفة إذ كانت أولآيات القران الكريم هي :**{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}.سورة العلق الآية (1)**

و قد عملت هذه التربية السماوية على تنمية جميع جوانب الشخصية الإسلامية الفكرية و العاطفية و الجسدية والاجتماعية و الروحية و تنظيم سلوكه على أساس من مبادئ الإسلام و تعاليمه بغرض تحقيق أهداف في شتى المجالات.

رابعا: تعريف التربية الإسلامية

التربية الإسلامية هي تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي وبقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة أي في كل مجالات الحياة.إن التربية عملية هادفة ولها أغراضها وأهدافها وغايتها. (النجلاوي عبد الرحمن 1979).

- **العلاقة بين الإسلام والتربية الإسلامية:**
- **التربية الإسلامية فريضة إسلامية:**

الإسلام شريعة الله للبشر, و العمل بهذه الشريعة تقتضي تطوير الإنسان و تهذيبه حتى يصلح لحمل هذه الأمانة, وهذا التطور و التهذيب هو التربية الإسلامية

قال الله تعالى: **{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا }سورةالأحزاب الآية 72.**

لا تتحقق الشريعة الإسلاميةإلا بتربية النفس و الجيل و المجتمع على الإيمان بالله و مراقبته و الخضوع له وحدهومن هنا كانت التربية الإسلامية رسالة في أعناق جميع الآباء و المدرسين.

و الإنسان في هذه الدنيا معرض لأي عيب الشيطان لا ينقذه منها إلا إيمانه بالله و اليوم الآخر و العمل الصالح والتواصي بالحق و التواصي بالصبر على إحقاق الحق و محاربة الباطل

قال تعالى:

{وَالْعَصْرِ (01) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (02) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (03) } سورة العصر الآية 03

نستنتج من هذه السورة إن هناك ثلاث ضروب من التربية لخلاص الإنسان من الخسران و العذاب و هي:

أ-تربية الفرد على الإيمان بالله و الاستسلام لشريعته و الإيمان بالغيب.
ب-تربية النفس على الأعمال الصالحة و على النهج الإسلامي في الحياة اليومية و المواسم السنويةوالتصرفات المالية و جميع الشؤون الدنيوية.
ج- تربية المجتمع على التواصل بالحق للعمل به و التواصي بالصبر على الشدائد و على عبادة الله و على التزام الحق.

منهجية البحث التاريخي :

تعريفه :

هو الأسلوب الذي يهتم بدراسة الظواهر والأحداث والمواقف الماضية مع تحصيلها وتفسيرها على أساس منهجية علمية دقيقة لتساعدنا في فهم الحاضر والمستقبل.

مصادره :

– **المصادر الأولية:** أثار، وثائق، سجلات رسمية، شهود عيان، دراسات سابقة.

– **المصادر الثانوية:** رواية أشخاص، كتب تاريخ، دوائر معارف.

–**نقد المعلومات** : نقد خارجي (صحة نسبتها لأصحابها) و داخلي (دقة المحتوى).

صياغة الفروض و تحقيقها.

ما ينبغي مراعاته :

البعد عن التحيز والتعصب لحدث أو فكر معين.

الوصول إلى أكبر عدد ممكن من المصادر توضيحا للدقة.

الاعتماد على المصادر ذات الأصالة و الأهمية بالدقة.

المنهج :

المقاربة التاريخية:

لكونها منهج ينصب على ما كان يتقصى الحقائق والعلاقات في ظاهرة ما. وكذلك ارتباطها بعلم التاريخ التخصص المعرفي الذي يتخذ من الحوادث الماضية موضوعا له والذي يعد عصب الحياة على حد تعبير عالم الاجتماع الأمريكي " رايت ميلز " ثم إنه لما كان الحاضر والوضع الراهن لا يفهم الأمن خلال جذوره التاريخية وإعادة بناء الماضي بدراسة أحداثه بالاعتماد أساسا على الوثائق المتنوعة ثم تقييمها ونقدها " موريس انجرس " 2004.

أما التقنية التي تم اعتمادها في البحث فتتمثل في المقابلة التي تعتبر من ضمن الوسائل التي تستخدم في جمع المعلومات و كونها ذي علاقة بالهدف المحدد مباشرة (مادلين غراوتيز) التقنيات في خدمة العلوم الاجتماعية 1996 ترجمة عمار سامي دار مشرق دمشق، حيث تعتمد هذه التقنية على تحديد مواعيد لقاء مع من يمكن له المساهمة في اثراء النقاش حول موضوع معين.المقابلة 1، 2،.... الخ

و المنهج التاريخي التحليلي بأصوله و قواعده, و هو المنهج الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية ثم تحليلها تحليلا موضوعيا من اجل الوصول إلى معرفة أسبابها و فهم التيارات التي أثرت فيها و العوامل التي وجهتها في الاتجاه التي سارت فيه و ذلك بقصد الخروج بنتائج محددة تلقي الأضواء الكافية على الأحداث التي وقعت في هذه الفترة التاريخية كب تتضح لنا على حقيقتها.

الدراسات السابقة :

1-دراسة ابراهيم معيوش (2011-2012) تحت عنوان :

دراسة في بيان حدود التأثير الثقافي لحركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المجتمع الجزائري بين (1931-1956) رسالة ماجستير الجزائر ج نسخة على الاجتماع تخصص : ثقافي، تربوي.

تسليط الضوء على مشروع جمعية العلماء النهضوي التجديدي المتعدد الجوانب و الذي تجاوز الإصلاح الديني إلى كل ما له علاقة بالموروث الثقافي للجزائر من معالم و مفهومات الشخصية الجزائرية المهددة بالمسح و الذوبان.

معرفة درجة فعالية البرنامج الإصلاحي الذي سارت عليه و التزمت به الجمعية، و محاولة إبراز مدى نجاحها في تحقيق الأهداف التي نشأت من أجلها.

2-دراسة عبد الكريم بوصفصاف (1982-1983) تحت عنوان :

(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقاتها بالحركات الجزائرية الأولى 1994-1995) رسالة ماجيستير في التاريخ المعاصر – جامعة قسنطينة.

قد حاول الباحث أن يبرز فيها الدور الذي أدته الجمعية كحركة دينية ثقافية لتقريب الرؤى بين الاتجاهات الوطنية التي كانت تنشط آنذاك على اختلاف مبادئه و تعدد مشاريعها.

3-دراسة علي علواش (1983-1984) تحت عنوان : "حركة ابن باديس التربوية وأهدافهاالإصلاحية " دكتوراه الحلقة الثالثة في الفلسفة.تناول كل جوانب التفكير عند ابن باديس، كما ركز على نشاطه في ميدان التربية و التعليم.

4-دراسة " العموري شهيدة " (2005-2006) إشكالية الهوية في فكر جمعية العلماء " البشير الإبراهيمي " نموذجا " ماجستير في الفلسفة.ركزت عن أصول الهوية و أعمال و مواقف البشير الإبراهيميالإصلاحية نموذجا للدراسة

5-دراسة "سعيد بورنان" (2005-2009)نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا (1936-1954) ماجستير في التاريخ المعاصر.ركز على النشاط الإصلاحي في الجزائر، و النشاط خارج الوطن و بالتحديد في فرنسا.

6-دراسة علي مراد (1982-1983) تحت عنوان "الإصلاح الديني في الجزائر " ما بين (1925-1940) تعد هذه الدراسة إحدى الدراسات التي تلقى قبولا عند الكثيرين و تجمع الآراء حول جديتها حول الحركة الإصلاحية في الجزائر ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.ركز فيها عن الإصلاح الديني فقط الذي عرف انتشارا في الجزائر ابتداء من مطلع القرن العشرين.

7-دراسة رابح تركي 1969 و هي رسالة في التربية تحت عنوان : "الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية و التعليم ".حاول فيها أن يقدم أراء الشيخ ابن باديس في فلسفة التربية، و جهود الجمعية في نشر مبادئ الإصلاح و إحياء معلم الشخصية الجزائرية التي هددت بالذوبان.

8–دراسة محمد القورصو – ج – وهران 1977 حول تأسيسو نشاط جمعية العلماء في وهران ما بين (1931–1935) و هي دراسة من منظور تاريخي لنيل دبلوم في الدراسات المعمقة بقسم التاريخ بوهران دراسة محدودة في إطارها الزمني الذي لا يتجاوز 04 سنوات فقط و هي فترة غير كافية.

9–دراسة دلال عبد الغني(1980–1981) بعنوان : " القومية العربية من خلال جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفترة ما بين (1931–1939) جامعة الجزائر دبلوم دراسات المعمقة في التاريخ المعاصر.

أرادت أن تكشف عن مواقف جمعية العلماء المصلحين من بعض القضايا الداخلية و الخارجية و لم تتطرق للنشاط الإصلاحي للجمعية.

10– دراسة عروس الزبير – 1999 – "مفهوم المواطنة بين المحلية و العالمية في خطاب الحركة الإسلامية بالجزائر " مركز البحوث العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، مكتبة مدبولي، القاهرة.

تكشف هذه الدراسة حالة التمزق وضعف الهوية و غياب التأهيل الواضح لمفهوم المواطنة و الصراع الفكري بين الأطروحات المتناقضة على الساحة الجزائرية و الخلفيات و المنطلقات التي تغذي هذا الصراع و تؤججه و انعكاسات ذلك على المجتمع بصفة عامة.

و بحثت الدراسة بعض المقولات الرئيسية في صياغة مفهوم المواطنة كمفهوم الأمة الجزائرية، و الأمة العربية، ثم مفهوم الأمة الإسلامية.

و عرضت الدراسة العديد من النماذج التي تثير إلى عدم وضوح مفهوم المواطنة في الخطاب السياسي , كما تناولت المواطنة بين العموم و الخصوص و صفوف المواطن وحرية التنظيم و رؤية بعض التنظيمات الإسلامية بالجزائر لحقوق المواطنة.

و خلص الباحث إلى أن الاستعمار و الهيمنة الغربية و التدخل الأجنبي و تطرق بعض الجماعات الدينية أوجدت مناخا في الفكر و الممارسة يؤكد على عدم استقرار مفاهيم الدولة و الأمة و المواطنة في الذهنية السياسية (عروس الزبير 1999).

التعقيب على الدراسات السابقة:

نستشف و نستنتج أن أوجه الاختلاف و التباين بين مختلف هذه الدراسات في علاقتها بدراستها الحالية. و نلاحظ أنها لم تعط للموضوع حقه و لهذا يتطلب دراسات أخرى، لها طابع الشمولية لمختلف نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عملت على انبعاث الحركة الإصلاحية في الأمة الجزائرية من جديد وجاهدت في عدة جبهات منها-- مجال التربية و التعليم- و الصحافة – و السياسة – و الإصلاح الديني و الاجتماعي و الدعوة إلى الإيمان الصحيح و محاربة البدعة و الخرافات و الأوهام و الظلم و الفساد و أشكال الاضطهاد و الوقوف في وجه القوانين الجائرة التي كانت سيفا مسلطا على أعناق الجزائريين. ولهذا اهتمت بتعبئة الأمة و تنوير عقولها بالعلم و المعرفة و تسليحهم بالوعي و الإيمان ليبقى إحساسهم بذاتهم قويا و ارتباطهم بوطنهم متينا وليكونوا دائما على أهبة الاستعداد لما يتطلبه واجب الدفاع عن الوطن و تحريره من أشكال الظلم و الاستبداد.

فقد ركزت على نشاط الجمعية وجهودها الإصلاحية، وتتبع مواقفها السياسية والدينية والاجتماعية ولم تتطرق هذه الدراسات إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كمشروع تغييري حضاري بمرجعيته الإسلامية السلفية ولم تتوغل هذه الدراسات كذلك في فهم واستقراء وفهم المنظومة الفكرية لجمعية العلماء المسلمين ومن ثم تقييمها بميزان الأفكار.

الفصل الثاني

جذور الحركة الإصلاحية

. الإصلاح مفهوم قرآني

تمهيد:

ولا يغيب عن الأذهان أن الاتجاهات الفكرية العربية التي تكونت في عصر النهضة تشكل القاعدة المتينة التي بنيت عليها الاتجاهات الفكرية العربية المعاصرة.

وما دعوات الإصلاح الديني والحركات والأحزاب السياسية والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى سوى استمرار وامتداد لتلك التي نمت وترعرعت في عصر النهضة.

في هذا الوضع كان الدين هو المسيطر على حياة الناس الفكرية . وكان علماء الدين يشكلون الطبقة الفكرية الوحيدة في الأمة العربية (على محافظة 1983) وكان العلماء هم المشرفون على التربية والتعليم في الدولة وفي البلاد العربية . كان الأزهر أضخم المؤسسات العلمية (المرجع السابق)

إن فكرة الإصلاح ليست غربية على الشريعة الإسلامية والدين الإسلامي، فالقرآن في المقام الأول، ساهم في نشر فكرة الإصلاح في قلب الأمة الإسلامية.

ومن بين ما ورد في القرآن الكريم في هذا المجال، نشير إلى الآية الكريمة التي كثيرا ما يذكرها المصلحون المعاصرون في العالم الإسلامي . كشعار " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب " سورة هود الآية 88

من هذا المنطلق، يمكن النظر إلى الفكر الإصلاحي بوصفه أحد مقومات التربية الإسلامية الأساسية، بما أنه يستمد جذوره من القرآن الكريم نفسه.

وأن القيمة التي اكتسبها مفهوم الإصلاح في العالم الإسلامي وخاصة في التصورات الدينية والاجتماعية للمسلمين. غير أن هذا المبدأ الإصلاحي التجريدي نجده مثبتا في سنة الرسول (ص).

إن كتب الأحاديث تنص على وجود حديث يعبر عن فكرة تشير أن الدين الإسلامي في حاجة إلى التجديد أو الإصلاح وأن العناية الإلهية ستبعث من قرن إلى آخر الرجل الذي سيقوم بهذا العمل " بإحياء الدين والأخلاق" قال رسول الله(ص) " يرسل الله إلى هذه الأمة كل مائة سنة من يجدد لها دينها " أبي هريرة.

إن إعلان الرسالي عن الإحياء الضروري الدوري للدين فرض نفسه كحقيقة مقدسة، تعبر عن قانون الهي يحكم بشكل أزلي سير الأعمال البشرية ونلاحظ بأن هذه الفكرة بعد أن أدرجت في الحديث واضطلع بها المحدثون كدرس رسالي أي سنة، قد اكتسبت قوة الحقيقة الدينية وقوة القانون ذي الجوهر الرباني.

. بعد ذلك لم يتأكد هذا القانون فحسب بل وجد هناك أناس سعوا إلى تنصيب أنفسهم مصلحي جيلهم، وهذا لتأكيد على هذا الإعلان الرسالي ومن ثم أيضا ضمان استمراريته. كما أثار الجهل بأصول الدين والعبادات.

ويبدو أن محاولة الغزالي ومحاولة المهدي الموحدي بن تومرت تندرجان في صلب هذا المعتقد.

بداية ظهور رجال الإصلاح:

ظهر عدد من العلماء المتنورين، **أدركوا** الحاجة إلى الإصلاح وإيقاف التدهور الديني والاجتماعي الذي يعيشه المسلمون. ففي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ظهر تقي الدين أحمد ابن تيمية وبدأ في عهده كمجدد كبير، فدعا إلى تحرير الإسلام من البدع الصوفية. وقد بدأ ابن تيمية . **في** عهده كمجدد كبير.

. أما صاحب المصنفات الكثيرة والشهير جلال الدين السيوطي، فقد صرح بأنه كان مجدد القرن التاسع الهجري.

. وقد شهد القرن الثاني عشر الهجري . إصلاح محمد بن عبد الوهاب (1703 . 1787) أخيرا وقريبا منا أكثر كان محمد عبده يعد أكبر مصلح إسلامي الفترة المعاصرة

. إن مفهوم الإصلاح أو التجديد معقد نسبيا في الواقع يعطي مجموعة من الدلالات التي تبدو مترابطة من بينها . التذكير بالرسالة الأساسية للتنزيل وسنة الرسول (ص) وإحياء الممارسة الدينية . ومحاولة "إعادة صياغة" المذهب السني وصقل الشعائر صقلا جيدا ، ولكن بالنظر إلى أن المعتقد الشعبي ينطوي على تشويهات مرجعها إلى الجهل أو انحراف الشعور الديني ، كما أن الإصلاحات الدينية يمكن أن يصحبها نشاط مباشر أو على المدى البعيد، على السلوك الأخلاقي والاجتماعي للمؤمنين سواء عن طريق الإقناع وفضيلة الأسوة وإما عن طريق الإكراه ، وإن الظاهرة الدينية لا يمكن فصلها عن الظواهر الاجتماعية و الثقافية الأخرى أو التحول العميق في ظروف الحياة .

كانت أقوى الحركات الفكرية التي ظهرت في العالم الإسلامي هي الحركات الدينية فقد أثار الجمود الفكري والتقليد الأعمى لدى الأجيال المتعاقبة من علماء المسلمين وما علق بالإسلام . منذ أن أغلق باب الاجتهاد في القرن الرابع الهجري من ضلالات وبدع ما نشأ في ظلاله من طرق صوفية اعتمدت المبالغة والتطرف ، وابتعدت بما ابتدعته من احتفالات وحلقات للذكر وممارسات شاذة عن جوهر العقيدة كما أثار الجهل بأصول الدين و العبادات عددا من العلماء المتنورين أدركوا الحاجة إلى الإصلاح وإيقاف التدهور الديني والاجتماعي الذي يعيشه المسلمون ففي نهاية القرن الثالث عشر الميلادي . ظهر تقي الدين أحمد بن تيمية (661 . 728هـ) ، (1262 . 1327م) فدعا إلى تحرير الإسلام من بدع الصوفية وهاجم كبار المتصوفة ، وقال في هذا الصدد " هكذا يريد هؤلاء الضالون المتحيرون أن يفعلوا بالمؤمنين ، يريدون أن يدعوا من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، وهي المخلوقات و الأوثان و الأصنام وكل ما عبد من دون الله ، ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم ، ويردونهم عن الإيمان بالله وملائكته ورسله و البعث بعد الموت ويصيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ...} وانتقد جمود الأشعرية وفقهائها في عصره ، واستنكر زيارة القبور و الاستعانة بالأنبياء و الأولياء ، ونادي بفتح باب الاجتهاد في الفقه .

. وأكد ابن تيمية على صلاح أولي الأمر كضرورة لصلاح الأمة و المجتمع فقال " وأولو الأمر صنفان: الأمراء والعلماء وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس، فعلى كل منهما أن يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة لله ورسوله وإتباع كتاب الله " ونادى بالشورى كوسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي و السياسي فقال: "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى قال:{فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين}.

وسار على نهجه تلميذه شمس الدين محمد بن قيم بن الجوزية (691. 751هـ) (1291 . 1350م) وتولى نشر أفكاره في مصر وبلاد الشام وألف كتابا في أصول القضاء الشرعي هو " الطرق الحكمية في السياسة الشرعية " وكان لأراء هذين الفقهين الجليلين أثرها في الأجيال التالية، واستمدت الحركات الإصلاحية معظم مبادئها وتعاليمها من أرائهما وتعاليمهما.

منهجه التربوي:

1. أهداف التعليم عند ابن تيمية

تقوم غاية التعليم عند ابن تيمية على تربية الفرد المسلم على طاعة الله ورسوله (1) [الفتاوي كتاب التصوف مجلد11]

فعن طريق العلم " يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد" والعودة إلى حياة وعلوم السلف الأوائل والمحافظة عليها من البدع والانحرافات، وبناء الأمة المسلمة وإخراجها من الظلمات إلى النور من أجل إعدادها لمواجهة التحديات التي تواجهها، وكذلك توحيد الأمة من الناحية المذهبية والثقافية والفكرية واجتماع كلمتهم وصفوفهم وأرائهم.

إن السابقين من جيل الصحابة والسلف إنما سمو أهل الجماعة لاجتماع كلمتهم ووحدة تفكيرهم فلم تفرقهم الاجتهادات و لا مزقتهم الآراء و الاتجاهات[الفتاوى مجلد اعتقاد السلف ج/3] والعلم النافع عند ابن تيمية هو أساس الحياة الرشيدة والفاضلة الذي يقوم على دعائم صحيحة مستمدة من الخالق وتنسجم مع حقائق الخلق وتكوين الإنسان الفطري والقوانين التي تنظم الكون والحياة (عبد العزيز المعايطة 2007).

. ويذكر عبد المجيد عمر النجار . أن هناك قوة ذاتية للأمة إذ أن هذه القوة هي التي تدفع إلى المقاومة حينما تطرأ على الأمة الإسلامية عوامل الضعف والوهن، فما إن تأتي عليها فترة شدة متمثلة في اعتداء خارجي أو في انحراف عن جادة الدين أوفي تراجع حضاري حتى تدفع القوة الذاتية في تعاليم الدين برجل من المسلمين أو بفئة منهم للعمل على إخراج الشدة وإصلاح الفساد (عبد المجيد عمر النجار 1999)

فمعظم الحركات التجديدية والتغييرية التي مرت على مسرح التاريخ الإسلامي وجدت في عقيدة مجددة المائة . تلك التي نص عليها الحديث النبوي الذي رواه أبوداود والحاكم " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها "

المصدر: عبد المجيد عمر النجار 1999. مشاريع الإشهاد الحضاري ط1ج3 دار الغرب الإسلامي . بيروت . لبنان

. والحكمة الإلهية تقتضي ألا يوجد مثل هؤلاء إلا في فترات تكون الأمة والإنسانية في حاجة إليهم، لينهضوا بها ويجددوا أمور دينها وتفكيرها ويبصروها بالحقائق المحيطة بها، فيكونوا منارة هدى لها وللإنسانية، ومن هنا ينبغي ألا نقلل من شأن الأفراد الذين وهبهم الله استعداد ا متميزا.

لذلك استخلف الله الإنسان في الأرض ليقوم بوظائف التي خلق من أجلها وهيأه للقيام بها، فقد ذكر القرآن في شأن أدم عليه السلام " إني جاعل في الأرض خليفة " آية 30 سورة البقرة . أي متخذ فيها من يخلفني في تنفيذ أحكامي، وقال مخاطبا داود عليه السلام " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض، فاحكم بين الناس بالحق " الآية 26 من سورة (ص) وفي معرض الحديث عن شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالى " إن إبراهيم كان امة قانتا لله حنيفا " الآية 120 من سورة النحل.

فإبراهيم بمفرده يساوي أمة بكاملها ،بما يملك من مجامع الخير و الإصلاح وهناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تشيد بذكر الأفراد العظماء الذين يتميزون عن غيرهم ، وتنوه بمكانتهم ، وتعلي من شأنهم فالرسول (ص) كثيرا ما كان يثني على أصحابه ممن اخلصوا في إيمانهم وصدقوا ما عهدوا الله عليه ، ووهبوا أنفسهم لدينهم وأمتهم وكانوا قمة في العطاء والتضحية والإصلاح ، ومن الصحابة الذين نوه بهم الرسول (ص) . أبو بكر الصديق صاحبه الذي بين فضله ومكانته حين قال " إن حسنات الأمة لو جمعت في كفة وحسنات أبي بكر في كفة لرجحت كفة أبي بكر رضي الله عنه " (صلاح الدين الجورشي 1978) وبهذا يتأكد دور العناصر القيادية في المجتمع وتأثيرها في مسيرة المجتمع ومجرى الأحداث

2. المعرفة عند ابن تيمية

استمد ابن تيمية منهج المعرفة من القرآن والسنة ، وأثار السلف وهو ينطلق من منطق إسلامي فجاءت نظرته إلى المعرفة متكاملة في ووسائل تحصيلها وفي موضوعاتها ، اما عن وسائل التحصيل . المعرفة . فهي الوحي والعقل والحواس . و العقل شرط في المعرفة ولكنه ليس جوهرا مستقلا وإنما هو قوة في القلب بمنزلة قوة البصر في العين ،ولكمال قوة العقل لابد من سلامة القلب تماما كالبصر الذي يقوى بسلامة العين وإذا انفرد العقل بنفسه لم يبصر الأمور كما هو الحال في العين إذا انفردت في الظلمة فإنها لا تبصر الأشياء و العقل لا يهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة (الفتاوى) مع أن ابن تيمية يجعل الكتاب والسنة وأثار السلف سنده الأول في بحوثه وأرائه إلا أن هذا

الفهم يحتاج إلى قلب واع وعقل مفكر نافذ مع إيمانه بأن للعقل قيمة ومجاله الذي يتحرك فيه ، فلا يجاوز به هذا المجال ، ولا يرتفع به عن قدره .(عبد العزيز المعايطة 2007)

مدرسة التجديد الإسلامي السلفية

التي تعود إلى تراث الإمام أبي العباس أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية اللذين عاشا في أواخر القرن السابع، والنصف الأول من القرن الثامن هجري.

ومدرسة بن تيمية وتلاميذه القدماء ن وكذلك تلميذته المعاصرين أمثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية . والشيخ محمد عبده في مصر والشيخ رشيد رضا والإمام الشوكاني . ثم الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيرهم تقوم على مجموعة من الدعائم الأساسية يمكن اختصارها في الدعائم الأربعة التالية:

1- الرجوع إلى القرآن والسنة في كل شأن من شؤون الحياة بالنسبة للمسلمين وإتباع السلف الصالح من صحابة النبي(ص) وإتباعه في فهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
2- الدعوة إلى ترك طريق الفلاسفة والمتكلمين ورجال التصوف، لأنها في نظر الإمام بن تيمية لا تتفق مع روح الدعوة الإسلامية ولذلك سميت دعوته بالسلفية.
3- محاربة البدع والمنكرات وخاصة ما اتخذ منها مظهر الشرك بالله مثل التمسح بالقبور والاستعانة بغير الله كأولياء والأضرحة والأحجار إلى غير ذلك من مظهر الشرك بالله إلى آخره ز
4- فتح باب الاجتهاد على مصراعيه أمام علماء المسلمين المتضلعين في الشريعة الإسلامية لمعالجة مشاكل المسلمين التي تحدثها تطورات الحياة ة إعلان الحرب على المقلدين والمتعصبين (يوسف موسى 1962) للمذاهب والآراء.

. مجالات عمل مدرسة التجريد الإسلامي للمسلمين

وقد ركزت مدرسة التجديد الإسلامي عملها في ثلاثة نقاط جوهرية لنهضة الإسلام والمسلمين نلخصها فيما يلي:

أ- **أ.** العمل على إحياء جذوة الدين الإسلامي في نفوس المسامين حتى يعود الدين كما كان عليه في عصور الإسلام الأولى قوة دافعة للبذل و التضحية و الجهاد والنهضة الشاملة للمسلمين.

ب. العمل على إحياء اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم وبالتالي لغة الإسلام التي يجب بعثها ونشرها بين كافة المسلمين حتى يستطيع المسلمون فهم أصول دينهم كما وردت في القرآن و السنة.

ج. مكافحة الخرافات و البدع و الأفكار الشاذة (علي سامي النشار1966) والغريبة عن الين الإسلامي ومحاربة كل ألوان الشرك سواء كان علنيا أو خفيا كإشراك الأولياء و الأضرحة مع الله في طلب المنافع أو دفع المضار، وقد كان هدف مدرسة التجريد الإسلامي من هذا الاتجاه هو مواجهة وضعية المسلمين التي تدهورت تدهورا مريعا في

الاعتقادات . الأخلاق . السلوك الاجتماعي . و العمران المدني . مما جعل أعداءهم يتربصون بهم من كل جانب ، يستعمرون في نهاية المطاف معظم أقطار العالم الإسلامي ومن هنا يمكننا فهم حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس . التربوية و الإصلاحية التي نهض بها في الجزائر وفهم الدوافع التي دفعت به إلى هذا الاتجاه.

الدعوة الوهابية:

كانت الدعوة الوهابية أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة صاحبها "محمد بن عبد الوهاب" ولد في قرية العينية في نجد عام 1115هـ ، 1703م تعلم دروسه الأولى بها ، ثم انتقل إلى المدينة المنورة فتتلمذ على شيوخها ، وأقام مدة في البصرة وبغداد ، ولم يتمكن من زيارة الشام ، فعاد إلى بلده العينية ، وخرج منها يدعو الناس إلى أفكاره الجديدة ومحاربة مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة (زعماء الإصلاح . أحمد أمين1990) تقديم عبد الرحمن بوزيدة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . وحدة رغاية . الجزائر) ويعتبر هو زعيم الحركة الوهابية ، وتعتنق مذهبه الحكومة السعودية في الحجاز .

وقد درس ابن عبد الوهاب كتب ابن تيمية وابن الجوزية في الإصلاح الديني فتأثر بهما كثيرا واستشهد بهما والإمام أحمد بن حنبل في معظم رسائله وفتاويه.

وأهم مسألة شغلت ذهنه في درسه ورحلاته مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام والتي تبلورت في

"لا إله إلا الله" والتي تميز الإسلام بها عما عداه والتي دعا إليها رسولنا الكريم . محمد(ص) . أصدق دعوة وأحرها، فلا أصنام ولا أوثان، ولا عبادة أباء وأجداد ولا أحبار ولا نحو ذلك، ومن أجل ذلك سمي هو وأتباعه أنفسهم " بالموحدين" أما اسم الوهابية فهو اسم أطلقه عليهم خصومهم، واستعمله الأروبيون، ثم جرى على الألسن.

فالتوحيد أساسه الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا الكون و المسيطر عليه ، وواضع قوانينه التي يسير عليها ، والمشرع له وليس في الخلق من يشاركه في خلقه ولا في حكمه ولا من يعينه على تصريف أموره لأنه تعالى ليس في حاجة إلى عون أحد منهما كان من المقربين إليه هو الذي بيده الحكم وحده وهو الذي بيده النفع و الضر وحده لا شريك له ، فمعنى لا إله إلا الله : ليس في الوجود ذو سلطة حقيقية تسيير العالم وفقا لما وضع من قوانين إلا هو ، وليس في الوجود من يستخلف العبادة و التعظيم إلا هو ، وهذا محور القرآن "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون " صدق الله العظيم.

وهذا شغلت ذهنه فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شريك وفكرة التوحيد في التشريع، فلا مصدر له إلا الكتاب والسنة، هذا هو أساس دعوة محمد بن عبد الوهاب، وعلى هذا الأساس بنيت الجزئيات (علي المحافظة 1983).

فيظهر أن محمد بن عبد الوهاب عرف ابن تيمية عن طريق دراسته الحنبلية فأعجب به وعكف على كتبه ورسائله يكتبها ويدرسها، فكان ابن تيمية إمامه ومرشده وباعث فكره والموحي إليه بالاجتهاد والدعوة إلى الإصلاح.

دعا مثله إلى رد البدع والتوحيد بالعبادة و الدعاء إلى الله وحده ، لا إلى المشايخ و الأولياء و الأضرحة ،لا بواسطة توسل والشفاعة وزيارة القبور التي كانت للعظة و الاعتبار ، لا للتوسل والاستشفاع ، فهم لا يملكون شيئا بجانب الله وقوانينه الثابتة التي لا تتخلف والتي نظم الله بها كونه ، فالذبح للقبور والنذر لها والاستغاثة بها و السجود عندها شرك لا يرضاه الله ، وهو هدم للتوحيد الذي جاء به الإسلام من أساسه وبالمقابل انتشرت أفكار محمد بن عبد الوهاب في جميع أنحاء العالم الإسلامي. (المرجع السابق)

الحركة السنوسنية :

مؤسس هذه الحركة محمد ب علي السنوسي المولود في احدى قرى الجزائر عام 1787 م .تعلم في مستغانم تم في مازونة .وانتقل غلى جامع القرويين في فاس . حيث أقام سبع سنوات (1822–1829 م) طالبا للعلم ومدرسا . وفي فاس وجه اهتمامه لدراسة الصوفية وخاصة طرقها المنتشرة في المغرب .

من قادرية وشاذلية وناصرية وحبيبية . وغادر فاس إلى الأغواط (في الجزائر) ومنها توجه إلى قابس فطرابلس الغرب وبنغازي ، ميمم شطر الأزهر في القاهرة .ولم تطل إقامته في القاهرة لأنه أثار أفكاره حفيظة علماء الأزهر فغادرها إلى الحجاز عام 1830 م وهناك التقى بعدد من مشاهير المشايخ وعلماء الدين مثل الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الله الفاسي الذي رافقه في زيارة إلى اليمن . ثم عاد إلى مكة حيث أنشأ زاويته الأولى في جبل أبي قبيس عام 1837 م . وأتبعها بزوايا عدة في الطائف والمدينة المنورة وبدر وجدة و ينبع .وعاد إلى مصر عام 1840 م في طريقه إلى الجزائر .فعرج على طرابلس الغرب .ولكن خشيته من الفرنسيين الذين احتلوا الجزائر بعد مغادرته لها ، جعلته يعود من تونس إلى ليبا حيث وصل بنغازي عام 1841 م . وقرر الإقامة نهائيا فيفي ليبيا. وأنشأ عام 1843 م *الزاوية البيضاء * وفي الجبل الأخضر فكانت أول زاوية سنوسية في شمال إفريقيا (أحمد أمين 1948) وزار الحجاز مرة ثانية وعاد منها إلى ليبيا عام 1856 م . وقرر نقل مركز دعوته من *الزاوية البيضاء * إلى واحة الجغبوب البعيدة عن أنظار السلطة الفرنسية في الجزائر والحكومة المصرية والحكومة العثمانية التي أعادت احتلال ولاية طرابلس الغرب عام 1834 م . أخذا بعين الاعتبار توسط الجغبوب وسهولة اتصالها ببوقة وطرابلس والسودان الغربي .

وأقام السنوسي في الجغبوب مدرسة دينية كبيرة ، يتعلم فيها الأتباع أصول الدعوة السنوسية ويتخرجون منها لنشرها في البلاد المجاورة . توفي السنوسي الكبير في الجغبوب عام 1859 م . بعد ان انتشرت دعوته في برقة وطرابلس ووادي . وخلفه في زعامة الحركة ابنه المهدي (1859–1902) وفي عهده بلغت السنوسية ذروة نشاطها وانتشارها .(الدجاني أحمد صدقي 1967 م الحركة السنوسية دار لبنان للطباعة والنشر بيروت)

مبادئ السنوسية :

السنوسية حركة إصلاحية سلفية وطريقة صوفية ، جمعت بين النظرة الوهابية للإصلاح الديني ومحاسن الصوفية . ولذا لم يجد الوهابيون المتشددون في دينهم وفي رفضهم للطرق الصوفية ، في هذه الطريقة بدعة ، بل سمحوا بوجودها في الحجاز ، فكان ذلك استثناء فريدا . ذلك أن السنوسية قد اتبعت طريقا وسطا بين الصوفية الإشراقية والصوفية البرهانية .وكان هدفها الأعلى جعل الإنسان مسلما صالحا لاصوفيا غيبيا .

فوجدت بطريقتها المعتدلة هذه اتباعا كثيرين وانتشرت بين البدو انتشارا واسعا مع أن معرفتهم بالتعاليم الدينية والطرق الصوفية معرفة بسيطة وبدائية .

وتقوم السنوسية على المبادئ التالية :

1. العودة بالإسلام إلى نقائه الأول .
2. اعتبار الكتاب والسنة مصدر في الشريعة الإسلامية ، وهي في هذا متأثرة بآراء ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب .
3. فتح باب الاجتهاد في الإسلام واعتبار اغلاق هذا الباب سببا في تحجر الفكر الإسلامي ودخول البدع إليه .
4. تنقية الدين مما علق به من بدع وضلالات . (علي المحافظة 1983)

منجزات الحركة السنوسية :

1. نجحت في إصلاح المجتمع البدوي الليبي يأن دفعت الأفراد إلى العمل والإنتاج وبث في نفوسهم عقيدة دينية نظمت سلوكهم ووجهته إلى طريق البناء ، فنشأ في الصحراء الليبية مجتمع متعاون تسوده روح الأخوة والسلام .(الدجاني أحمد صدقي 1967 م)
2. أقامت سلطة دينية وسياسية تولت الإشراف على الفرد والمجتمع ووجهتها إلى الإيمان والعلم والعمل .
3. نشرت العلم والمعرفة في الصحراء الإفريقية بإنشاء الزاوية المتعددة التي كانت مراكز ثقافية هامة(المرجع السابق)
4. نشرت الإسلام بين القبائل الوثنية في افريقيا الوسطى .

وكان السنوسي الكبير يشترى العبيد الأسرى من أواسط افريقيا ويعلمهم الدين الإسلامي ويدربهم على طريقته تم يبعث بهم يبشرون بدعوته في بلادهم .(الدجاني ، أحمد صدقي 1967 م الحركة السنوسية).

الاتجاهات الحديثة في التجديد الإسلامي

ظهرت حركات الإصلاح لمحاربة الفساد السائد في المجتمعات العربية، وخاصة لواجهة الانحلال الأخلاقي والاجتماعي وانتشار البدع والضلالات التي تتناقض مع الدين الإسلامي والابتعاد عن أصول العقيدة.

فقد كان للاحتلال الاستعماري الغربي لبعض الأقطار العربية والغزو الثقافي الذي رافقه عجز الدول الإسلامية وعلى رأسها الدولة العثمانية عن مواجهة التحدي الخارجي ونلاحظ البعد الكبير في المستوى والمكانة بين التقدم العلمي والتفوق الاقتصادي في أوروبا، وما كان عليه المسلمون من تأخر في العلوم وتخلف في الحياة الاقتصادية، أثره في نفوس المتنورين من "علماء" المسلمين.

وأتيحت فرص لعدد من هؤلاء العلماء أن يتعلموا اللغات الأوروبية وأن يقيموا في أوروبا فترات من الزمن، تمكنوا خلالها من الاطلاع على المؤسسات السياسية ة الإدارية و الاقتصادية فيها ، ودراسة التيارات الفكرية المتعددة

،واستيعاب أراء المفكرين البارزين ، وترجمة خيرة أثارهم الفكرية ، فكان طبيعيا و الحالة هذه أن يقارنوا بين ما رأوه و عاشوه ودرسوه وبين ما كانت عليه أوضاع المسلمين السياسية و الاقتصادية و أحوالهم الاجتماعية و الأخلاقية ولم يجدوا يدا من العودة إلى ينابيع الإسلام الأولى يستلهمون منها الحل للمشكلات الملحة التي تواجههم ، وأن يوفقوا بين جوهر عقيدتهم وبين العلوم والمبادئ و المؤسسات الغربية معتمدين في ذلك على ما توفر لهم من الثقافة القديمة و الحديثة ودعوا إلى الإصلاح الشامل لأمور الدين و الدنيا و الإقبال على أخذ أسباب الحضارة الغربية ، والعلوم الحديثة بشكل خاص . (أحمد أمين 1948)

وذهب هؤلاء مذاهب شتى في كيفية التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي، وظهر من أشهر قادة هذا الاتجاه هم:

1-السيد جمال الدين الأفغاني

- **مولده:** ولد جمال الدين الأفغاني في قرية أسد أباد في أفغانستان عام 1254هـ / 1839م. تلقى تعليمه في مدينة كابل حيث تعلم اللغة العربية و العلوم الدينية من تفسير و حديث وفقه وكلام وتصوف والعلوم العقلية من منطق ورياضيات وتاريخ، وانتقل إلى الهند فتعلم اللغة الإنجليزية، وجمع فيها بين الثقافة القديمة و الحديثة، ثم رحل إلى مكة المكرمة حاجا عام 1273هـ /1870م . واتصل في مصر ببعض أساتذة الأزهر وطلابه ، ثم انتقل إلى الأستانة بناء على دعوة من السلطان عبد العزيز ، الذي عينه عضوا في مجلس المعارف ، وحدث خلاف بين حمال الدين وشيخ الإسلام حسن فهمي أفندي واضطر على أثره إلى مغادرة دار الخلافة إلى مصر عام 1288هـ /1871م فاستقبله الخديوي إسماعيل ورئيس وزرائه رياض باشا بالترحاب ،وفي أثناء إقامته في مصر توطدت علاقات الشيخ محمد عبده به ، إلا أن توفيق باشا الذي تولى الخديوية بعد عزل إسماعيل باشا أمر بنفي جمال الدين من مصر عام 1296هـ/1879م فغادرها إلى الهند حيث أقام ثلاث سنوات أنكب خلالها على الدراسة والتأليف ، ثم ذهب إلى باريس ودعا الشيخ محمد عبده إليه ،وكان آنذاك منفيا في بيروت فتم ذلك عام 1302هـ /1884م ، وهناك في باريس أنشأ جمال الدين ومحمد عبده "جمعية العروة الوثقى" وأصدرا مجلة العروة الوثقى لتدعوا المسلمين إلى النهوض ببلادهم والثورة على المستعمرين و التحرير من الاستبداد و الاضطهاد السياسي الداخلي، وبقي جمال الدين في أوروبا إلى أن عاد إلى إيران عام 1303هـ/1886م.بناء على دعوة من الشاه ناصر الدين وتولى في إيران وزارة الحربية ، ثم ما لبث أن غادرها بسبب آرائه السياسية ، فتجول في روسيا ، ثم عاد إلى فرنسا ورجع ثانية إلى إيران فنفاه الشاه إلى العراق، ومنها انتقل إلى انجلترا حيث أصدر هناك مجلة "ضياء الخافقين" باللغتين العربية و الإنجليزية وهناك اتصل بالفيلسوف البريطاني المشهور هربرت سبنسر . واتصل بالمهدي في السودان عن طريق بعض الطلبة السودانيين السابقين في الأزهر وحاول التوسط بينه وبين السلطات البريطانية ، ثم استدعاه السلطان عبد الحميد الثاني عام 1310هـ/1892م إلى الأستانة وظل في دار الخلافة حتى وفاته عام 1314هـ/1896م . (الرافعي عبد الرحمن 1964)

كان لثقافة جمال الدين الأفغاني الإسلامية والغربية والتجربة السياسية التي عاشها في عدة أقطار إسلامية أثرها الواضح في آرائه في التجديد الديني والإصلاح السياسي والاجتماعي، ويبرز ذلك في تحليله أسباب تدهور الحضارة الإسلامية والضعف السياسي والانحلال الاجتماعي اللذين يعانيهما المسلمون.

أما آراءه في التجديد الديني فتقوم على المبادئ التالية:

1- السبب الأول و العامل الأكبر في تدهور الحضارة الإسلامية وضياع مجد المسلمين هو : إهمال ما كان سببا في النهوض والمجد وعزة والملك ،وهو ترك حكمة الدين والعمل بها وهي التي جمعت الأهواء المختلفة و الكلمة المتفرقة ، وكانت للملك أقوى من عصبية الجيش وقوته (المخزومي محمد :خواطر جمال الدين الأفغاني) وفي رأيه أن استرجاع عزة المسلمين وقوتهم رهن بالعودة إلى دينهم النقي ، فهو يقول : "من يعجب من قولي أن الأصول الدينية الحقد ، المبرأة عن محدثات البدع تنشئ ، للأمم قوة الاتحاد وائتلاف الشمل ،وتفضيل الشرف على لذة الحياة ،وتبعثها على اقتناء الفضائل وتوسيع ادارة المعارف، وتنتهي بها أقصى الغاية في المدنية المرجع: الرد على الدهريين، ترجمة الشيخ محمد عبده. مطبعة محمد مطر القاهرة 1959م
2- تحرير الفكر الديني من التقليد وفتح باب الاجتهاد
3- التدقيق بين العلم والإيمان " إن الدين لا يصح أن يخالف الحقائق العلمية"
4- التدقيق في النصوص الدينية واستخلاص الصحيح منها اعتمادا على القرآن والحديث
5- رفض تقليد الغرب في مختلف النواحي
6- ضرورة اطلاع العلماء المسلمين على التيارات الفكرية الحديثة، وبقبول ما يتفق والشريعة الإسلامية ويفيد المسلمين في حياتهم ورفض ما يتعارض وعقيدتهم ورفضه بالحجج العقلية كالبراهين المنطقية
7- الطريق إلى التمدن الحقيقي هو الإصلاح الديني
8- الدعوة إلى توحيد الفرق الإسلامية
9- الدفاع عن الإسلام والحضارة الإسلامية (عمارة محمد 1966)

2 . الشيخ محمد عبده

مولده : ولد الشيخ محمد عبده عام 1266هـ / 1849م في قرية "محلة نصر" وتعلم فيها القراءة والكتابة ، ثم التحق بالمسجد الأحمدي في طنطا ليتقن تجويد القرآن والتقى بالشيخ درويش خضر الذي حببه بطلب العلم ولما أكمل تعليمه في المسجد الأحمدي انتقل إلى القاهرة ليتابع تحصيله العالي في الأزهر عام 1294هـ/1877م وعين مدرسا في دار العلوم ،وألف كتابا في علم الاجتماع والعمران(وهو مفقود) ، وأخذ يكتب في جريدة الأهرام منذ صدورها عام 1876م وتولى التحرير في "الوقائع المصرية" قضم إلى التحرير سعد زغلول و الشيخ عبد الكريم سليمان وإبراهيم الهلباوي (أحمد أمين 1948 . زعماء الإصلاح الحديث)

اشترك في ثورة عرابي عام 1882م فسجن ثلاثة أشهر، ونفي ثلاث سنوات قضى منها عاما في بيروت وانتقل إلى باريس بنا على دعوة أستاذه جمال الدين الأفغاني، وفي باريس أصدرا مجلة العروة الوثقى ثم عاد إلى بيروت ثانية، وأخذ يدرس في جوامعها ويكتب في مجلة "ثمرات الفنون " البيروتية، وعاد إلى مصر بعد ست سنوات من المنفى عام 1888م (خولة محمد البشير 1959.)

وكانت عودته بوساطة صديقه رياض باشا الذي تولى الوزارة في عهد الخديوي توفيق، غير أن الوضع قد تغير في مصر وأصبح الإنجليز هم المسيطرون على الحكم والإدارة، ولذلك انصرف محمد عبده إلى التجديد الديني وإصلاح المؤسسات الدينية كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية، ولما توفي الخديوي توفيق عام 1892م وخلفه الخديوي عباس تقرب منه محمد عبده بواسطة محمد ماهر باشا فعينه الخديوي في مجلس إدارة الأزهر وأوكل إليه تقديم تقرير عن الإصلاح المرجو في الأزهر.

وفي عام 1899م تولى الإفتاء في مصر وتوثقت صلاته باللورد كرومر المندوب السامي البريطاني، واختير عضو في مجلس شورى القوانين، ومجلس الأوقاف والجمعية الخيرية الإسلامية، وتوفي عام 1905م (أحمد أمين – 1948م . زعماء الإصلاح الحديث).

كان محمد عبده يواجه الانحلال الداخلي ويدعو إلى التجديد في الإسلام وإقامة المجتمع الصالح، وكانت تواجهه صورتان للمجتمع الإسلامي صورة قديمة جميلة تعود إلى عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، وصورة أخرى مهزوزة للمجتمع المعاصر، وكان عليه أن يوفق بين المجتمع الإسلامي الأفضل الذي يطمح إليه والمجتمع الذي كان يعيش فيه وإدراك أيضا أن تطورات عديدة قد طرأت على المجتمع الإسلامي الحديث بما أدخل من قوانين وأنظمة وضعية، سواء كان ذلك في مصر أو الدولة العثمانية.

وأصبح في مصر نوعان من التعليم ونوعان من المعاهد:

المعاهد الدينية التابعة للأزهر والتي تدرس فيها العلوم الدينية و المعاهد الحكومية، على النمط الغربي، حيث تدرس العلوم العصرية ونتيجة لذلك ظهرت في مصر طبقتان من المثقفين هما: طبقة المثقفين ثقافة إسلامية تقليدية، التي ترفض كل تجديد، وطبقة المثقفين ثقافة غربية، ومعظمها من الجيل الجديد، لا ترفض التطور والتغيير بل ترحب بكل جديد في ميداني الفكر والعمل.

أما المجتمع المثالي الذي أراده محمد عبده فهو مجتمع يسوده العقل لا القانون ، ذلك أن المسلم الحق في رأيه هو الذي يعتمد على العقل في شؤون الدنيا والدين وما الكافر إلا ذلك الإنسان الذي يغمض عينيه فلا يرى نور الحقيقة ،ولا يقبل اعتماد البراهين العقلية و الإسلام بخلاف ما زاعم أعداؤه ، لم يدع إلى إهمال العقل ، بل حث على العلوم العقلية وغيرها من العلوم ، والمجتمع المثالي أو الصالح هو الذي يقبل أوامر الله ويمتثل لها ويفسرها تفسيرا عقليا وفقا للصالح العام ، إنه مجتمع الفضيلة والسعادة و الرخاء والقوة ، ومن هذا التصور الشامل نشأت دعوة محمد عبده في التجديد الديني واعتمد على الأسس التالية:

1- تطهير الإسلام من البدع والضلالات والعودة به إلى نقائه الأول.
2- إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث أو التوفيق بين الدين والعلم.
3- الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية وحملات المبشرين المسيحيين.
4- إصلاح التعليم العالي الإسلامي.

بدأت فكرة إصلاح التعليم الديني في ذهن محمد عبده بداية مبكرة فها هو يقول:" إن إصلاح الأزهر أعظم خدمة للإسلام فإن إصلاحه إصلاح للمسلمين وفساده فساد لهم" (رضا محمد رشيد 1931) . تاريخ الأستاذ الإمام ج1 الشيخ محمد عبده ج1 ط1 مطبعة المنار . القاهرة 1931م.

وقد اهتم الشيخ محمد عبده بالتعليم الديني العالي وأهمل التعليم الابتدائي والثانوي في المدارس الدينية التابعة للأزهر، وأغفل مكافحة الأمية بل اعتقد أن إصلاح التعليم العالي سيؤدي إلى إصلاح بقية مراحل التعليم الديني.

ومهما قيل في دعوة الشيخين حمال الدين الأفغاني و محمد عبده في الإصلاح الديني فقد تأثر بهما عدد من المفكرين العرب و المسلمين من الأجيال اللاحقة ، فكان من أشهر تلامذتهما و المتأثرين بهما في مصر محمد فريد وجدي وقاسم أمين وأحمد لطفي السيد و عبد العزيز جاويش، وفي بلاد الشام الشيخ طاهر الجزائري (1851- 1920) والشيخ حسين الجسر (1845- 1909) مؤسس المدرسة الوطنية الإسلامية في طرابلس والشام التي كانت تدرس العلوم العصرية باللغات العربية والفرنسية والتركية . ومحمد رشيد رضا ، والأمير شكيب أرسلان ، وسار على نهجهما في شمال إفريقيا محمد بيرم التونسي ، والشيخ محمد النخلي و الشيخ الطاهر بن عاشور وهؤلاء جميعا تأثر بهما الشيخان عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي و الشيخ العربي التبسي إلخ ...

3 . الشيخ محمد رشيد رضا

مولده:

ولد بقرية القلمون قرب طرابلس الشام عام 1282هـ/1865م وتعلم فيها القراءة و الكتابة ، ثم دخل "المدرسة الوطنية الإسلامية " في طرابلس ، ثم درس بإضافة إلى العلوم الدينية بعض العلوم الحديثة من منطق ورياضيات وطبيعيات ، وتتلمذ فيها على يد عدد من العلماء والأدباء أشهرهم مدير المدرسة الشيخ الحسين الجسر ، وأعجب أثناء ذلك بالصوفية ، فدرس مؤلفات كبار المتصوفة في الإسلام كالحلاج وابن عربي، وأصبح لفترة قصيرة من أتباع الطريقة النقشبندية، ثم ما لبث أن انقلب على الطرق الصوفية ، مستنكرا شعوذات أتباعها والتقى بالشيخ محمد عبده في طرابلس عام 1894م ثم ارتحل إلى مصر عام 1897م واتصل من جديد بمحمد عبده، وأصدر في العام التالي مجلة "المنار" التي حلت محل "العروة الوثقى" في التجديد الديني و الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وقد أصبح أهداف المجلة في افتتاحية العدد الأول منها (22شوال 1315هـ /15مارس 1898م) ولخصا بقوله :" إنما أنشئ المنار للدعوة إلى الإصلاح الإسلامي بجميع أنواعه ، ولا سيما الديني بإصلاح التربية والتعليم" (رضا محمد رشيد : المنار والأزهر . مطبعة المنار ط1 1253هـ /1836م . القاهرة .

وظلت المنار تصدر حتى وفاة صاحبها عام 1354هـ /1935م وإلى جانب إصدار المنار ألف محمد رشيد رضا مجموعة من الكتب أبرزت اتجاهاته في الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي.

أما آراؤه في التجديد والإصلاح الديني فتقوم على المبادئ التالية:

1- استقلال الفكر وحرية العقل في العلم، واجتناب تقليد العلماء.
2- إبطال البدع والخرافات والتقليد والعادات التي أفسدت العقائد والأخلاق والأعمال.
3- اعتماد القرآن والحديث النبوي في تصحيح العقائد وتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق والإتباع المحض.
4- إصلاح نظام التربية والتعليم إذ وجه اهتمامه بشكل خاص إلى الأزهر مطالبا بإصلاح نظام التعليم فيه.
5- الدفاع عن الإسلام وذلك بالرد على الملا حدة.
6- القيام بالوعظ والإرشاد للمسلمين في مساجدهم ومجامعهم وقراهم ومزارعهم وبدوهم وحضرهم بالخطب والدروس العامة والتأليف في العقائد والعبادات والأخلاق والآداب الدينية، والقصد من ذلك إزالة الأوهام والضلالات والبدع التي علقت في أذهان أبناء المسلمين في مختلف مستوياتهم.
7- الدعوة إلى الإسلام في العالم، وذلك بعد تهيئة جيل من المثقفين ثقافة دينية سليمة، والمسلمين باللغات الأجنبية والعلوم الحديثة.

8- تربية البنات، فإذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن تكون الأمهات دينيات ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا وتربيتهن تربية إسلامية، وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال.

غايته السياسية :

مضى السيد الرشيد بعد الأستاذ محمد عبده مضطلعا بأعباء خطته الإصلاحية واتسعت أفاق أعماله إلى العالم الإسلامي كله، وكان لا بد له من أن يصطدم بالحالة السياسية التي عليها العالم الإسلامي والتي هي بطبيعتها العقبة الكؤود في سبيل كل إصلاح، فأصبح رشيد رضا من الفرسان المعلمين في ميدان الإصلاح الديني والاجتماعي وكان في كليهما يصدر عن إيمان ويجاهد بقوة وينظر بحكمة ويفحم بالبرهان.

لقد كانت غايته السياسية الكبرى إيجاد دولة إسلامية كبرى مرهوبة الجانب ، تكون مركزا للأمم الإسلامية في العالم بصفة دينية إذا لم تكن بصفة سياسية ، وعلى هذه الفكرة ولهذه الغاية ناصر الدستور العثماني وجمعية الإتحاد والترقي ، ثم تراجع وعمل على إيجاد مملكة عربية إسلامية مستقلة عن الدولة العثمانية ،فأنظم إلى الجمعية العربية العاملة في مصر وأوروبا لهذا الغرض ،وفي أثناء هذه المرحلة أخذت لوامع الدولة السعودية تلوح في الأفق حتى فاجأت العالم بإزالة العرش الهاشمي المتداعي وانتصابها مكانه بمكة المكرمة ،فوجد رشيد رضا ضالته من دولة إسلامية تنفذ الشرع الإسلامي وتقف عند حدوده وتحي سنته ووجد من ملكها الملك عبد العزيز آل سعود الرجل المسلم الذي يعمل للدين ، فسار معه رشيد رضا.

كان يظهر من رشيد رضا تبدل في سيره السياسي فإنما هو البحث في سبيل الوصول إلى غاية معينة.

بوادر الإصلاح في الجزائر

تمهيد

ظهرت بوادر الحركة الإصلاحية في الجزائر على يد علماء ورجال المؤسسات الدينية دفاعا عن الدين الإسلامي واللغة العربية. وتطالب بتحقيق طموحات الشعب الجزائري التي تتمثل في مطالب محمد ابن رحال، الذي أعد وثيقة تحت عنوان "المطالبة بالإصلاحات (1891)" الموجهة للدولة الفرنسية للنظر في أوضاع الأهالي بالقطر الجزائري. ولهذا من الواجب علينا أن نشيد بدور هؤلاء الرجال الذين عملوا وطالبوا بالإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي للأهالي في مختلف أنحاء القطر الجزائري.

لائحة المطالبة بالإصلاحات (1891)

التي جاءت في وثيقة محمد بن رحال

الوثيقة التي أعرضها عبارة عن تقرير وجهة بن رحال والحكيم محمد بن العربي جراء مساهمتهما في أعمال لجنة عينها مجلس الأمة للجمهورية الفرنسية للنظر في أوضاع الأهالي بالقطر الجزائري، وما يقتضيه تحسينها من إصلاحات برئاسة جول فيري (Jules Ferry) وذلك في أوائل جويلية سنة 1891م، طُبعت هذه الوثيقة في المطبعة العمومية بتونس وتشمل على آراء واقتراحات من أجل تحسين أوضاع الأهالي بالجزائر. وأول محور تناولته الوثيقة يخص قضية تعميم التعليم وتسهيل إيصاله للأهالي، والذي يثير الانتباه أن محمد بن رحال يولي اهتماما كبيرا للتعليم، فهو يعتبره عنصرا هاما من وسائل تحسين أحوال الأهالي. بالإضافة إلى "تعليم الصنائع و الحرف" وفي شان مكانة المواد العربية، فإنه يقترح إحلالها مكانة مرموقة لجذب اهتمام التلاميذ وذلك بقوله:

" ومن الباعث على تحريك الهمم للتعلم الاعتناء بتعليم العربية وأصول الفقه لأبناء الأهالي، حيث كانوا على علم من أن من أنكر لغته أنكر ملته. فهذه الآراء إن دلت على شيء فإنما تدل على تمسك محمد بن رحال بانتمائه الحضاري، وتخلقه بقيم الإسلام السامية، ومبادئه الاعتقادية والأخلاقية وثقافته الأدبية والفنية وأصوله التشريعية، ولا يرى مانعا من اكتساب فنون حضارة الأجانب والاستفادة من تعلمها. وتشجيع من أبدى موهبة في هذه العلوم ونبغ فيها، وتوظيف النجيب من التلاميذ حتى لا ينحاز إلى الفلتاء بالبطالة وتسوء أخلاقه.

والجدير بالملاحظة أن هذه الآراء والاقتراحات تهدف إلى معالجة جانب هام من جوانب تكوين المواطن الصالح معرفيا وثقافيا وأخلاقيا، وجعله قادرا على القيام بدوره في المجتمع على أحسن وجه.

ويبدو من خلال نص هذه الوثيقة أن المجتمع الجزائري كان يشكو من تدهور أحوال الأهالي في هذا المجال. وأن أحوالهم كانت سيئة جدا في سائر المجالات، نتيجة سياسة الاستلاء على الأراضي التي انتهبها الفرنسيون، وتخريب العديد من

المؤسسات التعليمية من كتاتيب ومدارس ومساجد وانعدام أي قرار جدي يهدف إلى تنفيذ سياسة تساعد الأهالي على استرجاع ما أُخذ منهم ظلما، وتمكنهم من ممارسة مهنة، ونيل حظ من العلم يسمح لهم بالاطلاع على ما ينبغي عليهم معرفته في مجال الصحة والحرف والتجارة والقضاء من أجل إبعاد شبح البطالة والفقر والأوبئة وسائر مظاهر التخلف. فكانت الآراء تتأرجح بين سياسة استيطانية تهدف إلى إبعاد أهالي الأراضي الشمالية الخصبة وتهجير أهاليها نحو الأراضي الجنوبية الجدبة والصحراء، وسياسة انتهاجية ترمي إلى إدماج الأهالي في مجتمع المعمرين، وتدعو إلى تعميم التعليم في المدارس الفرنسية عن طريق إلزام الأهالي ببعث أولادهم إلى المدارس التي تؤسسها السلطة الحاكمة. ويبدو أن أغلب المعمرين يرون أن إلزام التعليم يتطلب إنفاق أموال ضخمة لبناء المدارس وتجهيزها في المدن والقرى والأرياف. وأن تكوين الأهالي العلمي قد يفتح لهم باب الحصول على الوظائف وطلب المساواة في الحقوق مما يهدد مصالحهم. وتفطن محمد بن رحال إلى خطر تلك الآراء المغرضة، فأجاب بما يلي: "إن تنفيذ تعميم التعليم يكون بمدارس محتشمة لا بقصور شامخة وقد غلط من توهّم أن من برع في الفنون العلمية، وفي نجابة أبناء الأهالي وتمدنهم فخر لدولة الجمهورية، خصوصا إذا أحرزوا على الشهادات الكاملة. وفي ذلك وفاء بالذوق السياسي وحسن موالاة بين الحكومة والأهالي".

ويُستنتج من هذه الوثيقة أنها تعبر عن أسلوب جديد في العلاقات بين ممثلي الشعب الجزائري والسلطة الفرنسية. وذلك يكمن في الانتقال من المقاومة بالسلاح، التي قادها الأمير عبد القادر والمقراني وبوعمامة وغيرهم ... إلى مقاومة سلمية ترتكز على الحوار، وتهدف إلى المطالبة بالحقوق والإصلاحات، مع التمسك بالانتماء إلى الحضارة العربية، والتحلي بالقيم الأخلاقية الإسلامية، فهي تشكل مرحلة التمهيد للانتقال إلى مرحلة الحركة الوطنية والمطالبة بالحرية والاستقلال.

ويُلاحظ أن هذه الوثيقة تناولت قضايا أخرى كانت تتطلب إصلاحات هامة، مثل نظام الضرائب، ونزع الملكية للمصلحة العامة. وفي كل هذه المحاور، التزم محمد بن رحال ورفيقه نفس الموقف الذي اتخذاه في محور تعميم التعليم. والذي يتسم بطابع المقاومة الحوارية، والمطالبة بالمساواة مع التمسك بالهوية الإسلامية وما تتسم به من قيم أخلاقية ومبادئ دينية. غير أن عرضها لم يحظ بعناية السلطة الاستعمارية، رغم ما نال من قبول مبدئي، مما أدى إلى هجرة العديد من الأهالي إلى أقطار إسلامية أخرى، وإلى نشأة حركات تطالب بتحقيق ما كان يصبو إليه الشعب من الإصلاحات وتدعو بعد رفضها الى الاستقلال. (عبد الحميد حاجيات ـ2012ـ)

- ونجد من بين هؤلاء العلماء –العالم القدير المجاوي التلمساني.

انتقل هذا العالم إلى مدينة قسنطينة واستقر بها مدرسا وباحثا لبذور النهضة الفكرية والعلمية والإصلاحية.

"ولا شك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى ان كون القرآن الكريم والحديث كان المنبع الذي يستمد منه الجزائريون كل أنواع تفكيرهم وأنماط حياتهم". (أبو القاسم سعد الله 1981م.)

- **عبد القادر المجاوي**

من الشخصيات الجزائرية التي تركت أثرا ملموسا في الحياة الثقافية أيام الاحتلال والاستدمار. نادى بالإصلاح .

وكرس حياته للتدريس وهو علم من أعلام الجزائر، كانت له بصمات في الحركة الثقافية وتأثيرات هامة في

النهضة والحركة الإصلاحية في الجزائر.

ولد بتلمسان عام 1848م، ينتمي إلى أسرة تلمسانية عريقة في العلم وممارسة القضاء. فقد كان والده محمد بن عبد الكريم المجاوي قاضيا بتلمسان. فنشأ عبد القادر في هذا البيت الشريف نشأة علمية ولما عيّن والده قاضيا على طنجة درس بمدينة تطوان ثم بالقرويين في فارس، وفي سنة 1869م عاد إلى وطنه الجزائر واستقر في مدينة قسنطينة ودرس في مساجدها العلوم الشرعية واللغة العربية في المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي وجعلتها الإدارة الفرنسية مدرسة رسمية (عبد العزيز فيلاني 2007). وقد نشط عبد القادر المجاوي في هذا المجال: مؤلفا وأستاذا وإماما ومصلحا في أكثر الحالات.

يعود إليه الفضل في إيقاظ روح الإصلاح والنهضة الفكرية بمدينة قسنطينة، فداعت شهرته العلمية في البلاد فأقبل عليه طلاب العلم والمعرفة من مختلف مناطق الوطن. ومن التلاميذ الذين حملوا أفكاره والذين كان لهم شأن كبير العالم حمدان الونيسي، الذي انتقل إلى التدريس بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة وهو أستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس، والمولود بن الموهوب المدرس بالمدرسة الكتانية، وأستاذ المفكر الجزائري مالك بن النبي. فكان الشيخ عبد القادر المجاوي مربيا بارعا قدم نصائح وعلوم مفيدة لطلابه.

في كتاب ألفه بعنوان "إرشاد المتعلمين" تحدث فيه عن علوم اللسان وعلوم الأديان وعلوم الأبدان. كما قدم عدة كتب أخرى في علوم مختلفة بلغ عددها ثلاثة عشر كتابا ورسالة، ومقالات عديدة في صحف ذلك الوقت، أشار فيها إلى أن العلوم الحديثة لا تتعارض مع الإيمان بل تخدمه وتعز الدين وتدعمه وتنميه وتعتبر أفكاره هذه اللبنة الأولى للنهضة الإصلاحية في الجزائر.

وخلف عبد القادر المجاوي عددا كبيرا من التلاميذ حملوا أفكاره وساروا على دربه واتخذوا من منهجه منارا يهتدون به في جهادهم التربوي و التعليمي، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة سنة 1898م وأصبح مدرسا بمدرسة الثعالبية العليا المكلفة بتكوين القضاة و المترجمين، ثم وسع نشاطه بداية من سنة 1908م خارج المدرسة الثعالبية إلى الدعوة و الإرشاد وساهم في إحياء اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وبذل جهدا كبيرا في نشر الثقافة العربية الإسلامية وتكوين جيلا من المثقفين صاروا كلهم نواة للوطنية واليقظة القومية فربطوا حاضر الجزائر بتاريخها المجيد الحافل بالأمجاد والبطولات والإنجازات الحضارية. وتشاء الأقدار أن يتوفى الشيخ عبد القادر المجاوي يوم 26-09-1914م بقسنطينة أثناء زيارته لها وكانت

له نشاطات مكثفة في هذه الزيارة، ولهذا فقد شككوا في أن موته لم يكن طبيعيا، ويشير تلميذه إبراهيم اطفيش (1886-1965م) بأنه تعرض للاغتيال من طرف المخابرات الفرنسية بحيث وضعت له ولثلاثة عشر عالما جزائريا السّم في القهوة فماترحمه الله.

(مولود عويمر 2011) وقد أمّ صلاة الجنازة تلميذه الشيخ أحمد الحبيباتيوأبّنهتلميذه الشيخ المولود بن الموهوب مفتي الديار القسنطينية. وألقى بالمناسبة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس خطبة مؤثرة أبّن فيها شيخه وأستاذه، جاء فيها:"أيها الإمام الذي يبزغ شمسه تمزقت سحب الجهل، وبدت غرة القلم المعين، أنت الذي عانيت في سبيل إصلاحنا أتعابا طويلة .... كنت مثالا لحسن الأخلاق وكرم الطبع ولباب الفضيلة .... نبكيك بالدموع، ويبكيك القرطاس والقلم، نبكيك وتبكيك المنابر ودروس العلم والحكم، نبكيك ويبكيك هذا القطر الحزين الذي غمرته بيض أياديك وغرر فضائلك الحسان، وقد حان أن أودعك وعزيزعليّ وداعك وداعا يعقبه اللقاء إن شاء الله في جنان الرضوان، ارجع إلى ربك راضيا مرضيا مثنيا عليك بكل لسان مهديا لك الفوز بالخلد في أرقى فراديس الجنان". وختم العلامة بن باديس تأبينه بقصيدة طويلة نقتطع منها ما يلي:

ألا إن هذا الدهر ذو فتكـــــــــــات وإنا لنا في طيه لحظـــــــات

له عصميات في النفوس فلو رمى بها الراسيات صرن منخفضات

وكم قدر ماها فاضطربنا لرميـــه إلى أن رمى بأعظم النكبـــات

الأمير خالد و اتجاهاته الإصلاحية (1875-1936)

آمن الأمير خالد بأن الحقوق تؤخذ ولا تُعطى، وإن معانات شعبه لا يمكن أن ترفع إلا بالانخراط في الكفاح ومغالبة أعداء الأمة.

يقول جمال قنان: ".. لم يكن مسموعا للفرد الجزائري قبل 1919م بالتنفس والتعبير عن المطالبة الهادفة إلى التخفيف من معانات المجتمع الناجمة عن الآلية القهرية المسلطة عليه" (جمال قنان 2006).

ويمكن أن نعتبر أنه ابتداء من 1913م بدأ نجم الأمير خالد يتألق في عالم السياسة، وبرز شخصه في الميدان كأعظم شخصية وطنية قومية ظهرت بالجزائر. (عبد الرحمان جيلالي 1973)

حيث أسس جريدة "الأقدام" وأوجد إطارا للعمل الجمعوي الوطني من خلال تأسيس "جمعية الأخوة الجزائرية".

عريضة الأمير خالد إلى مؤتمر الصلح سنة 1919م للمطالبة بحق تقرير المصير.

عريضة رفض لمشروع التجنيس الجماعي إلى المجلس الوطني الفرنسي سنة 1887م، كما حمل "ابن رحال" (أبو القاسم سعد الله) مطالب الجزائريين إلى باريس 1891م المتمثلة في التعليم للجزائريين والدفاع عن القضاء الإسلامي والملكية الجزائرية .. إخ

كما نقل الجزائريون عريضة ضد التجنيد الاجباري سنة 1919م إلى السلطات الفرنسية بباريس (الشهاب 1936م)، وقبل ذلك تقدمت النخبة الجزائرية 1886م بعريضة مطالب لفرنسا. (أحمد سعيود 2004) وعندما انتشرت فكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها، قدم الامير خالد عريضة هاجم فيها السياسة الاستعمارية، ولفت فيها انظار العالم إلى الاوضاع السيئة التي يعيش فيها الشعب الجزائري. (المرجع السابق)

وترمي السياسة التي اعتمدها الامير خالد إلى تحقيق هدفين، الأول على المدى البعيد وهو استقلال الجزائر، والثاني على المدى القريب وهو المناداة بالمساواة. (بسام العسلي 1982)

وقد بدأ الامير خالد نشاطه السياسي بمهاجمة جماعة النخبة، وبدأ يتحداهم في مقال نشر في جريدته (الإقدام(سنة 1919م. أنكر فيه قبول الجزائريين المواطنة الفرنسية إلا داخل إطارهم الخاص. وكانت النخبة في هذه الآونة تتحدث عن اندماج وتجنيس الجزائريين طبقا للقوانين الفرنسية. (عبد الرحمان بن العقون 1984)

وقد اعتبر المحللون المعاصرون حركة الأمير خالد تغييرا اسلاميا قوميا. (أبو القاسم سعد الله 1981)

وكان الأمير خالد داخل المجالس وهو ممثلا لمنتخبيه يرافع من اجل قضايا شعبه العادلة. وجريدة الاقدام كأذاة للعمل الوطني.

تعتبر جريدة الاقدام والمعبرة في الواقع عن آراء الامير خالد، أسست في 10 سبتمبر 1920، كانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية (أبو القاسم سعد الله 1981)

وقد اعتبرها خالد سلاحه المفضل، وقد أدت جريدة الاقدام دورا كبيرا في فضح تعسف الادارة الاستعمارية (المرجع الثامن) السعي لجمع الشمل . (جمعية الاخوان الجزائرية)

أدرك الامير خالد بحنكته السياسية اهداف الادارة الاستعمارية ومخططاتها الجهنمية القائمة على سياسة "فرق تسد" التي كانت تهدف هدم الاسس التي تقوم عليها الكيان الجزائري والعمل على تمزيق نسيجه السكاني، لكي يسهل عليه السيطرة

على الجزائريين بصفة دائمة أرضا وشعبا. لذلك سعى الامير خالد إلى تأسيس جمعية وطنية باسم (جمعية الأخوة الجزائريين في سنة 1922م مبدأها الاتحاد بين الجزائريين. (محفوظ قواش 2008)

إن كفاح الأمير خالد يهدف إلى بعث جزائر جديدة وعصرية محافظة على مقوماتها العربية الإسلامية والعمل لتحقيق وحدة وطنه قصد مواجهة أعداء الأمة.

مفهوم الإصلاح في الجزائر:

إن الحديث عن حركة الاصلاح التي قادها رجال الاصلاح في الجزائر خلال العشرينيات يتطلب العودة إلى التاريخ وذلك لمعرفة أصولها الحقيقية لأنه لا يمكن أن ندرك أبعاد النهضة الحديثة في الجزائر قبل معرفة الاصول النفسية والاجتماعية للنهضة الحديثة في المغرب الإسلامي وفي المغرب الاوسط (الجزائر) خاصة.

وقد كانت ابرز الحركات الاصلاحية والثورية وأكثرها حيوية وأعمقها جدورا وأشدها اتصالا بالفكر الإسلامي وبمبادئ الإسلام والسلفية. ومما يدل على هذه الاصالة للحركة الاصلاحية في الجزائر نضج أثار أفكار العلماء العاملين الاولين فيها. الشاعرين بقساوة الاستعمار وأعدائها، فثاروا ضد الظلم والجهل والفقر والفساد الخلقي.

وانطلاق من هذه الرؤية البعيدة ظهرت في الجزائر حركة اصلاحية شاملة كرد فعل عنيف لإصلاح الأوضاع الفاسدة التي سادت العالم الإسلامي، ووصلت به إلى حد الجمود والتخطيط للفكر الإسلامي أمام نهضة الغرب. (نور الدين ساطوم 1968)

وقد تمثل رد الفعل بادئ دي بدء في دعوات مختلفة كانت تدعو إلى أصول الشريعة الإسلامية الصحيحة والنيل منها ومن مصادرها الأولى، وذلك حتى يدرك أن الواجب يحتم عليه أن ينطلق من نفسه، ويجعل شقاوة في أي عمل اصلاحي يقوم به. قوله تعالى: «.. إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.. » سورة الرعد الآية 11

هكذا أدرك رجال الاصلاح الديني والاجتماعي في الجزائر تمام الادراك أن التحرر من الاستعمار إنما يجب أن يبدأ بتحرير النفوس من تلك التبعية والتقاليد الفاسدة والتقليد الاعمى.

وقد كانت هذه الدعوات عل اختلاف مظاهرها ومشاربها وطرقها تلتقي حول هدف واحد هو مقاومة الاحتلال الفرنسي بكل اشكاله وتصفية العقيدة الإسلامية من الشوائب العالقة بها ونشر الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر.

وقد قاد هذه الحركة في الجزائر رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إيمانا منهم بأن أي إصلاح ديني أو جهد سياسي للواقع الفاسد لا يكتب له النجاح ما لم يكن متجها أساسا إلى تربية الانسان روحا وعقلا وجسدا وبالتالي بناء ذاته عقيدة وأخلاقا.

وتتسم هذه الحركة بصفة الاستمرارية والامتداد للحركة الاصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي والمشرق العربي على يد المسلمين الاولين، ولعل أبرزها تلك التي نادى بها الامام الغزالي من خلال كتابه القيم ،إحياء علوم الدين، وابن تومرت، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وأخيرا جمال الدين الافغاني، ومحمد عبدو ورشيد رضا في المشرق العربي. (حنفي بن عيسى 1977)

وقد اعترف الابراهيمي بهذا التأثير على الحركة الاصلاحية الجزائرية وخص بالمدح زعيمين وهما: "الشيخ محمد عبدو، ورشيد رضا" فقال: "إن جمعية العلماء مدينة بالكثير لرضا ومجلة المنارة. وقد أكد بأن جهود الجمعية لها جدور عميقة في مبادئ وأعمال رضا". (أبوالقاسم سعدالله 1981)

أسس هؤلاء المصلحون الأوائل مدارس اصلاحية في كل المدن والقرى إدراكا منهم بدور المدرسة في بعث النهضة وإيقاظ الامة وحفظ اللغة والثقافة والدين من مكائد الاستعمار ورجال التنصير. وبرز دور جمعية العلماء في هذا النشاط وازدهرت الحركة الاصلاحية في جميع انحاء البلاد. وقد بلغ عدد مدارس جمعية العلماء عام 1943 حوالي 140 مدرسة تغطي مدن القطر وقراه. (البصائر عدد 65–31 جانفي 1949)

و من المعروف أن المدرسة قد لعبت دورا كبيرا وفعالا في بعث النهضة وروح الوطنية في الامة وحفظها من الدوبان و من الجهل والانحلال الاخلاقي فهي كما يقول الشيخ الابراهيمي: "جنة الدنيا والسجن نارها، والأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون، والأمة التي لا تصنع الحياة يُصنع لها الموت، والأمة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها"، إلى أن يقول: "وأن المدرسة هي طريق الحياة وطريق النجاة وطريق السعادة، وأن الوطن أمانة الإسلام في أعماقنا، ووديعة العرب في ذممنا فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع وأن نحفظ لسانه من الانحراف وأنه لا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي تبنيها الأمة بمالها وتحوطها برعايتها وتجعلها حصونا تقي أبناءها من الانحلال الديني والانهيار الخلقى وتحفظه من ترف الغناء وذل الفقر وتربيهم على الرجولة والقوة وتوحيد النزعات، وتصحيح الفطرة وتقويم الالسنة وتمكين الارادات والعزائم وتغرس الفضيلة في نفوسم وتصلح فيهم ما أفسده المنزل أو الشارع وتروضهم على حب الوطن وبناءه. (البصائر عدد 172 – 15 أكتوبر 1951)

من بين العلماء الذين كان لهم دور إصلاحي، الشيخ صالح بن مهنا القلي وقد نوه مالك بن نبي بدوره وأثره قائلا: "وإنه لمن الواجب علينا أن ننوه ببعض ما كان من أمر مناجاة الشيخ صالح بن مهنا... فإن صوت مناجاته كاد يوقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة 1898 ، والحق أن هذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين (الدراويش). (مالك بن نبي شروط النهضة 1984)

كلفته العزل من وظيفته ومصادرة مكتبته، كما لعب علماء ومصلحون آخرون الدور نفسه مثل الشيخ حمدان الونيسي أستاذ ابن باديس والابراهيمي والعقبي وعبد الحليم بن سماية ومحمد بن الخوجة وغيرهم.

إذا لم يكن ميلاد جمعية العلماء ميلادا للإصلاح كما يعتقد البعض بل سبقتها هذه الجهود التي كانت بمثابة الارهاص لعمل اصلاحي أكثر تنظيما وفاعلية ستنهض به نخبة من الشباب الجزائري من ذوي التكوين العربي الإسلامي.

وان المجتمع الجزائري ونخبته الاصلاحية لم يكونوا بمعزل عن التطوات الفكرية الحاصلة في المشرق العربي – بل بالعكس فإن حركة الاحتكاك الثقافي والحوار الفكري بين المغرب العربي والمشرق الإسلاميين كانا دائما من بين أهم المؤثرات التي لعبت دورا رائدا في التقدم الإسلامي. وعندما اطلق جمال الدين الافغاني فكرة الجامعة الإسلامية– وجدنا نخبة من المثقفين يتطلعون لهذه الفكرة وينظمون لتيارها، وهكذا كان الامر أيضا مع السلفية النهضوية مع محمد عبدو وتلميذه رشيد رضا.

فإرهاصات الفكرة الاصلاحية يمكن أن نتلمسها في جهود بعض العلماء الذين على أيديهم تتلمذ رواد العمل الاصلاحي المنظم. أنه قبل أن ترد على الجزائر أفكار السلفية النهضوية للأفغاني ومحمد عبدو – كان الشيخ عبد القدر المجاوي (1848–1914) قد بدأ يبث أفكاره الاصلاحية من خلال نشاطه الثقافي والتعليمي، فقد نشر كتابه إرشاد المتعلمين سنة 1877 يدعو فيه الجزائريين إلى محاربة الجهل والأخذ بأسباب العلم والحضارة وتقليد الغرب فيما لا يتعارض مع الدين. وكان ينادي بالإصلاح الاجتماعي والتعليم واليقظة. (أبو القاسم العدد 22–2007). وهو ما أثر في كثير من تلاميذه من الأئمة والمعلمين والعلماء على رأسهم المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة الذي كان نشاطه الديني والثقافي والتعليمي أثر بارز في جيل تلك المرحلة، فهذا مالك بن نبي يتحدث عن أثر دروس بعض الأساتذة كإبن العابد والشيخ عبد المجيد بن عبدالله بوجمعة وابن الموهوب في تشكيل نزعته الاصلاحية قائلا: "وكنا نجد شيء أكثر لدى الشيخ مولود بن موهوب لقد احتفظ الشيخ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسه في نفسه دراسته على يد معلمه (عبدالقادر مجاوي) وقد تولى نقل تلك الغرسة إلى الأجيال من المعلمين وكنت منهم، وقد اينعت ثمارها في الحركة الاصلاحية الناشئة في الجزائر". (مالك بن نبي 1984)

الأسس البنائية للمجتمع الجزائري:

1 – اللغة العربية:

اللغة أهم مقوم حضاري في كل مجتمع بشري إذ تعتبر عنصرا أساسيا في تحديد الهوية الثقافية و الحضارية لكل قومية أو وطنية.

و اللغة العربية عند جمعية العلماء بالإضافة الى كونها عنصرا أساسيا من الذاتية الجزائرية، لها مميزات دينية و ثقافية و سياسية، و تاريخية تزيد في أهميتها بالنسبة للمجتمع الجزائري و ذألك لارتباطه العضوي بالأبعاد التالية:

2 – البعد الديني:

فاللغة العربية هي لغة الإسلام فالشريعة الإسلامية و الفقه الإسلامي، و كتب السنة و القران كلها مدونة بها، فالعربية و الإسلام شيآن متلازمان حقيقية و واقعا لا تمكن الفصل بينهما و محاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين (البصائر 948،عدد41) الابراهيمي.

3 – البعد الجنسي:

فالشعب الجزائري مسلم عربي، سواء من حيث أصوله العربية الاصيلة أو من خلال حركة التعريب التي رافقت انتشار الإسلام بين لبربر، و بحكم الثقافة العربية التي هيمنت علي الشمال الأفريقي منذ الفتح الإسلامي بل أن كثير من رجال الحركة الاصلاحية السلفية يعتقدون أن العنصر البربري يرجع في أصوله البعيدة إلي العرب من المشرق، و إلي هذا يشير الشيخ عبد البشير الابراهيمي ي قوله : ان عروبة هذا الوطن جرت في مجاريها طبيعية ، مناسبة، لا يثبتها إكراه و لم يشنها عنف، و لم يؤثر فيها عامل دخيل، و لم يقم علي تحيل أو استغفال، و إنما هي الروح عرفت الروح والفطرة سايرت الفطرة، و العقل أعدى العقل و كأن الامم التي كانت تغطي هذه الارض من قبل الاتصال بالعرب.

كانت مهيأة للاتصال بالعرب أو كان وشائج من القربي كانت مخبأة في الزمن فظهرت لحينها و كانت نائمة في التاريخ فتنبهت لحينها (محمد البشير البراهيمي 1951) جريدة البصائر عدد أفريل 150.

فاللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، و من ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية، و لغة الجنس باعتبار أن الآمة الجزائرية عربية الجنس فالمحافظة عليما محافظة على جنسية و دين معا. البصائر جويلية 1947.

4 – البعد الوطني:

عملت الجمعية على ربط اللغة العربية المفطوم الوطنية. و أن الوطنية الصادقة تتجلى في إحياء اللغة العربية و خدمتها باعتبارها عامل اساسي في بناء الوحدة الوطنية، و التماسك الاجتماعي.

5 - البعد القومي:

فاللغة العربية هي أحد الروابط المتينة التي تشد الجزائر إلى فضائها الحضاري الانتماء القومي للامة العربية في المشرق و المغرب. هذه العروبة الاصيلة و العريقة في هذا الوطن هي التي صيرته وطنا واحدا' لم تفرقه الا، السياسة ، سياسة الاستعمار في عصوره الوسطى، سياسة الاستعمار في عهده الاخير، و هذه العروبة هي مسألة على كثرة المفرقات، و هي ملاكة على وفرة العوامل الهادمة، و هي رباطه الذي لا تنفصم ببقية أجزاء العروبة في المشرق. (محمد البشير البراهيمي 1951)

6 - البعد الثقافي:

كون اللغة العربية هي وعاء الفكر و التراث الانسجام الحضاري للجزائر عبر تاريخها العربي الإسلامي، فالدولة البربرية التي قامت بالجزائر كاللمقونية و الرستمية و الموحدية الصنهاجية و المريفية و الزيانية يقول الشيخ الابراهيمي : ليس لها من البربرية ألا التسمية العرفية و هي فيها عدا دلك عربية صميمة . (البصائر أبريل 1951).

و يجمع إبن باديس هذه الابعاد مقرونة باللغة العربية في قوله: رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الاغر و المستقبل السعيران الا هذا الحبل المتين، اللغة العربية لغة الدين لغة الجنس لغة القومية لغة الوطنية المحروسة. (البصائر جوان 1939).

7 - البعد الإسلامي:

يعتبر الإسلام مفهوما اساسيا من مقومات المجتمع الجزائري، و عنصرا أساسيا في بنائه و تكوينه التاريخي و الدين السلامي هو الدين الرسمي و الشعبي في شمال إفريقيا عامة منذ الفتح الإسلامي، و هو الفتح الوحيد الذي أصاب الجزائر و خلف فيها أثاره الظاهرة و الباطنة إلى اليوم (البصائر أكتوبر 1952).

فالإسلام بما له من خصائص روحانية و مبادئ سامية من العدل، و الرحمة و ملائمة الفطرة، له تأثير قوي على النفوس إذا استقر و تغلغل في أعماقها و قد اعتنقه البربر في شمال إفريقيا و أقبلوا على الدخول في الإسلام بصدور رحبة و قلوب راضية ... و لم يمكث الإسلام بينهم قليلا حتى جعل منهم جنودهم الأقوياء و أبطاله الغلابين (البصائر 1938).

و قد أصبح الإسلام منذ الفتح الإسلامي فاعلا أساسيا في المجتمع الجزائري على المستوى الفردي و الاجتماعي . واستطاع أن يشكل بعدا ثقافيا و حضاريا جديدا للشعب الجزائري. بإحداث تغيير جذري يكاد يقطع الصلة بالماضي السابق للفتح الإسلامي و يتجلى تأثير الإسلام في التركيبية النفسية و الاجتماعية الجديدة التي تمثلت في العنصر البشري الذي تشكل من العرب الفاتحين و البربر الذين تعربوا بحكم إسلامهم و صار الإسلام أساس العقيدة و العبادات

و السلوك الاجتماعي، و الاخلاق و التشريع و عنصرا أساسيا في الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية و صلة الفصل بين المشرق و العربي و المغرب، و قد لعب السلام الدور الأساسي في التماسك الاجتماعي و الوحدة الوطنية خلال فترة الاستعمار الفرنسي الذي دام 132 سنة اد حال دون الكيد الاستدماري الذي كان يعمل على تفكيك بنية المجتمع الجزائري و تهديد الوحدة الوطنية ،خاصة و أن الشعب الجزائري يتمتع بوحدة دينية و مذهبية في العقيدة و الفقه.

فالإسلام لذا لعب الدور الاساسي في التكوين التاريخي للشعب الجزائري صياغة حياته الاجتماعية و الثقافية والسياسية حيث ساهم الإسلام في عملية المزج و التوحيد بين العرب الحاملين لرسالة الإسلام، و البربر الذين أقدموا على اعتناقه في العقيدة و اللغة و الآداب و الاخلاق، و جعل منهم عنصرا عربيا مسلما مع غيرهم من العناصر الوافدة على البلاد حديثا، كالعنصر التركي، و الزنجي الإفريقي، امه الجزائر و أبوه الإسلام.

على حد تعبير ابن باديس)البصائر 1936) ؤ يعتبر اليهود أقدم عنصر بشري جزائري غير مسلم، غير أن هؤلاء اليهود ونسبة كبيرة منهم تجنسوا بالجنسية الفرنسية و اصبحوا عنصرا إفريقيا من الناحية القانونية بموجب مرسوم وزير الداخلية الفرنسي اليهودي كريميو الصادر في 24 أكتوبر 1870 و بذلك اندمج اليهود في العنصر الفرنسي و الاوربي الذي كان مستوطنا بالجزائر و أصبحوا في نظر الجزائريين عنصرا أجنبيا لا يختلف عن العنصر الفرنسي و الاوربي الدخيل.

8 - العنصر البشري:

بديهي أن وجود العنصر البشري شرط لوجود أي مجتمع إنساني، و لا بد لهذا العنصر البشري أن يتحدث اللغة والدين و الارض، و التاريخ و المصير الواحد و قد تتعدد الدماء و الاعراف ، و لكن ذلك لا يمنع من تكوين الشعب الواحد أو الامة الواحدة ، إذا تحقق الاتحاد في المقومات السابقة (الشهاب جوان 1936)

مع أن التكوين التاريخي يمر عبر مراحل زمنية كافية ضرورية لجعل تلك الدماء و الاعراف تمتزج و تنصهر فيها بنية و تتحد في المشاعر و الاحاسيس المشتركة.

و بذلك يتشكل كيان اجتماعي و اقتصادي و ثقافي و سياسي يطلق عليه مفهوم الشعب و في أدبيات جمعية العلماء نجد مفهوم الشعب مستعملا بوضوح تعبيرا عن البنية البحرية للمجتمع الجزائري (مبارك الميلي 1963)

ما هي العناصر العرقية المكونة للشعب الجزائري و كيف تشكلت و انصهرت عبر التاريخ؟

حسب أفكار علماء الاصلاح أن الشعب الجزائري تكون من انصهار السكان الامازيغ و العرب الفاتحين و مزج الإسلام بينهم و في هذا المجال يقول ابن باديس "إن أبناء يعرب و أبناء ما زيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا،

ثم ذابت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة و الرخاء و تؤلف بينهم من اليسر و العسر و توحدهم في السراء و الضراء حتي كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمة جزائرية و أبوه السلام . (من أثار ابن باديس 2007).

و يعتقد ابن باديس أن الامة الجزائرية كانت أمازيغية قبل إسلامها و أنها كانت من أشد الناس محافظة على الشخصية القومية، و هدا ما جعلها تصمد أمام سائر موجات الغزو التي اجتاحت الجزائر، و أن واحدا من هؤلاء الغزاة لم يستطع أن يخرجهم من أمازيغيتهم قبل الإسلام. و بعد عدة قرون من الزمان، أصبح الشعب الجزائري شعب له كل مقومات الشعوب المتماسكة الحية، يشعر بوحدته و يحافظ على كيانه و يرتبط برباط الدين و الوطن و اللغة و المصلحة، فلم تعد هناك الفوارق العنصرية تلعب أي دور في الحياة الجزائرية (أحمد توفيق المدني 1984).

و هناك عناصر اقلية امتزجت و انصهرت في بوتقة الشعب الجزائري، إضافة الى العنصر العربي و الأمازيغي التركي فهم يتمثلون فيما يلي:

العنصر التركي: و هم العنصر الدخيل الذي وفد الي الجزائر من الولايات العثمانية أنباء الحكم العثماني لها، ومعظمهم من الجنود العثمانيين الذين استقروا في الجزائر ثم ربطوا علاقات مصاهرة مع العائلات الجزائرية و امتزجوا بفضل هذه المصاهرة في العنصر العربي بحكم اتحادهم في العقيدة الإسلامية دون أي حواجز نفسية. او عرقية، خلال فترة الحكم العثماني للجزائر اندمجت هذه الفئة في الشعب الجزائري و تعربوا من حيث اللغة، و أقبلوا على العربية إقبالا عظيما حتى قل أن نجد بينهم من لا يحسنها قراءة و كتابة (المرجع السابق).

و قد ذاب أفراد هذا العنصر في العنصرين الرئيسيين فلم يعودوا يتميزون عنهم بأي شيء.

عنصر الزنوج:

و هي فئة قليلة تنتشر خصوصا في الجنوب الجزائري، و يعود أصلهم إلى بلاد السودان، و قد كان العرب و الاتراك يشترونهم من بلاد السودان كعبيد و يعاملونهم معاملة حسنة و يعتقونهم، و الكثير من النساء الزنجيات قد تصبح زوجة لسيدها و اعتنقت هذه الطائفة الإسلام و أصبحت من أحسن الناس إسلاما، غير أنها بقيت محافظة على العديد من التقاليد و العوائد الزنجية في الموسيقي و الرقص و الشعوذة.(أحمد توفيق المدني1963)

التاريخ الوطني:

أدرك رواد الحركة الاصلاحية السلفية مدى الاهمية للتاريخ الوطني و القومي الجزائري كمقوم أساسي من مقومات الشعب الجزائري، كما تنبه هؤلاء الى مدى خطورة التزييف و التحريف و الانكار الذي تعرض له التاريخ الجزائري القديم و الحديث على أيدى الفرنسيين بهدف قطع الصلة بين الشعب الجزائري و ماضيه، وقد اعتقد رجال الاصلاح أن الاستعمار

الفرنسي وضع مؤامرات مدبرة ضد التاريخ الجزائري لها برنامج يقضي على كل أثر يشير إلى ماضي الجزائر و تتمثل هذه الخطة في:

1) تهديم المدن العربية الجزائرية بقصورها و مساجدها و مدارسها و معاهدها و احلال المدن المبنية على الشاكلة الاوربية محلها.
2) استلاء الفرنسيين على كل الأثار المكتوبة و المتعلقة بتاريخ الجزائر.
3) دراسة الاثار المكتوبة و التركيز على الجوانب السلبية و السيئة منها، ثم تترجم و تنشر و تلقح بلقاح الاستعمار و تضاف إليها بعض النصوص المشوهة مما كتبه عراة المسيحيين عن الجزائر في العصور الوسطى.
4) الانكار التام للتاريخ الجزائري و الادعاء ان الجزائر ليس لها و لا لأهلها تاريخ يمكنها ان تفتخر به و تعتز به. (البصائر أكتوبر 1952).

و قد ظهرت بعض الكتابات التاريخية لمؤرخي المدرسة الاستعمارية، حاولت تحقيق الاهداف السابقة، فنجد هذه الكتب تروى عناية للفترة السابقة للإسلام. مشيدة بالحكم الروماني (السلم الروماني) و تتحدث عن فصل المسيحية والحط من شأن البربر .أما الفترة الإسلامية فهي عندهم فترة مظلمة، و خير ما فيها المقاومة البربرية للإسلام والآداب البربرية و الفلسفية الدينية البربرية. أما الدول التي كانت بالجزائر فهي إما فارسية كبني رستم، أو بربرية كالمرابطين والموحدين و الحماديين و الزيبانيين. فإذا وصلوا إلى العصر التركي، فنجدهم يركزون على قضايا منفصلة بعضها عن بعض ، كالقرصنة البحرية و بيع الرقيق و الغارات المسيحية و المراكز التجارية و منازعات الديوان و ذبح البايات. (البصائر أكتوبر 1952).

و إضافة الى هذا كانت الكتب التاريخية التي تدرس بمدارس القطر الجزائري (المدارس الفرنسية) تبتدأ بجملة "و كان تاريخ الجزائريين ليس الا تاريخ الفتوحات التي تكبدتها البلاد فقبل الفتح الفرنسي حكم البلاد كل من الفنيقيين و الرومانيين و الوندآليين و الإغريقيين، و العرب و الاتراك..(أحمد توفيق المدني1963).

لعل هذه الحملة العنيفة التي استهدفت التاريخ الجزائري الغربي الإسلامي خاصة جعلت بعض رواد الحركة الاصلاحية يقومون بجهد كبير في إعادة الاعتبار للتاريخ الوطني الجزائري، في الكتابات الرائدة. للشيوخ مبارك الميلي و أحمد توفيق المدني و عبد الرحمن الجيلالي.

و إضافة الى هذه الكتب كانت البصائر تنشر العديد من الدراسات و المقالات التي اهتمت بالتاريخ الجزائري.

من خلال تحليل هذه الدراسات تم استنتاج ما يلي:

1) توظيف التاريخ كسلاح فكرى فعال في المقاومة الثقافية ضد فرض الثقافة الاستعمارية العنصرية، و إحياء ماضي الجزائر الحافل بالبطولات و الامجاد . يعتبر نضالا وطنيا و رد فعل واع على إستدمار التاريخ الجزائري

من طرف الفرنسيين. و في هذا المجال يقول الشيخ ابن باديس :" إنما علينا أن نعرف تاريخنا، و من عرف تاريخه جدير بأن يتخذ لنفسه منزلة لائقة به في هذا الوجود. (البصائر جوان 1939).

2) ربط التاريخ الوطني الجزائري بفكرة الوجود التاريخي للشعب الجزائري و الدولة الجزائرية بحدودها الجغرافية و كل مظاهر السيادة قبل الاحتلال الفرنسي للجزائز و من مظاهر السيادة: مثل ضرب السكة و إعلان الحرب و عقد معاهدات السلام وقبول المعتمدين الديبلوماسيين و القنصليين الاجانب و إنشاء الاسطول دون تدخل إسطنبول.(أبو القاسم سعيداني 1998)

في حين يؤكد الشيخ مبارك الميلي أن الحدود الجغرافية للوطن الجزائري تكونت خلال العهد العثماني و ذلك من خلال تشكل الحدين الشرقي و الغربي و ذهب الى حد يجعل من الوطنية الجزائرية في بعدها الجغرافي عريقة في القدم موغلة في الماضي السحيق، حيث قال: " قل ما تجد وطنا (الجزائر) ذا حدود عريقة في القدم مثل الوطن الجزائري.(ألمباترك الميلي 1963).

3) ربط التاريخ الوطني الجزائري بمسار التاريخ الإسلامي العام للأمة الإسلامية و العربية فمعظم المقالات تذهب الى ابراز الخصائص المشتركة بين التاريخ الوطني الجزائري و تؤكد تشابه الاوضاع الاجتماعية الدينية والاقتصادية باعتبارها انعكاسا لثقافة واحدة و حضارة واحدة هي الثقافة و الحضارة الإسلاميتان.

التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي

إن التعليم الذي كان منتشراً في القطر الجزائري قبيل الاحتلال الفرنسي في عام 1830م – هو التعليم العربي الإسلامي الذي يقوم أساساً على الدراسات الدّينيّة واللّغويّة والأدبيّة وقليل من الدّراسات العلميّة. ومؤسساته هي الكتاتيب القرآنيّة والمساجد والزوايا التي كانت منتشرة في الجزائر انتشاراً كبيراً. (طاهر زرهوني1994).

أمّا التّعليم الحرفيّ والمهنيّ فلم تكن له مؤسسات خاصة به، وإنّما كان يؤخذ عن طريق الممارسة العمليّة للمهن المختلفة، حيث كان الصّغار يتعلّمونها من الكبار عن طريق التّقليد والمحاكاة والممارسة التّطبيقيّة، مع مهرة الصّناع والحرفيين، حتىّ يتقنونها ويصبحون بدورهم ماهرين فيها ومعلّمين لغيرهم وهكذا...

ويذكر المؤرّخون الذّين كتبوا عن التّعليم في الجزائر قبل الاحتلال أنّه كان منتشراً انتشاراً كبيراً في البلاد.

مع العلم أنّ الأميّة كانت ضئيلة جدًّا قبل أن يحلّ بأرضنا الطّاهرة الاحتلال الفرنسي. فقد شهد الرّحالة الألماني " فيلهلمشيمبر"، الذي زار الجزائر سنة 1832م على انتشار التعليم في بلادنا فقال: " لقد بحثت قصداً عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه، في حين وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا " . (أبي العيد دودو 1982).

– الكتاتيب القرآنيّة والزوايا:

كانت الزوايا تفتح أبوابها للصغار ليتلقّوا فيه دروس حول مواد دينية وغير دينية في المدن والأرياف، وكانت تساهم في تكوين الأجيال الصّاعدة وتحضّر الشباب قصد إرسال أحسنهم لإتمام الدّراسة في تونس أو المغرب الأقصى، وأمّا الكتاتيب القرآنيّة فكانت تعلّم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.

قدّرت هذه الكتاتيب والزّوايا سنة 1871 بعدد 2000 موزّعة على القطب الجزائري شمالا وجنوبا، فقامت بتعليم 28000 تلميذ تقريباً فكانت توجد في قسنطينة مثلاً 90 مدرسة تحتوي على 1400تلميذا سنة 1873 وسكّانها قدّروا بـــ 24000 نسمة في نفس السّنة حسب الإحصائيات الرّسميّة وكان نواحي تلمسان حوالي 40 زاوية وفي الجزائر العاصمة 100 مدرسة لتعليم القراءة والكتابة والحساب. ولذلك يظهر دور ومجهودات التي قامت به هذه الزوايا في سبيل تحفيظ

القرآن الكريم ونشر الثقافة العربية الإسلامية في الأوساط الشعبية، وهذا ما صرح به المحتلون في عدّة مناسبات قولهم: " فلولا هذه المراكز لأصبح الأطفال الجزائريين كلّهم معرّضين للجهل والأمية " (ط/ زرهوني).

–هذا ما أعلنت عنه اللّجنة المكلّفة 1891 من طرف المحلين الوطني الفرنسي بتحقيق حول التعليم في بلادنا، فقالت بأن هذا التعليم كان زوايا مسيرة من طرف أهل البلاد، يعلّم فيه تحفيظ القرآن وتفسير القرآن وقواعد اللّغة العربيّة ولم توجد مؤسسات أخرى لتعليم أبنائهم، فلعبت إذن هذه المؤسسات دوراً هاماً في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الثقافة العربية الإسلامية. (نفس المرجع).

يقول المؤرخ الفرنسي " موريس بولارد Mauris Paulard" في كتابه " – " تعليم الأهالي في الجزائر " كان في الجزائر في القرنيين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين – مراكز ثقافية باهرة ومكان فيها أساتذة متمكنون من علوم الفلسفة والفقه واللغة والأدب والنحو والطب والفلك، وكانت المدارس الكثيرة العدد منتشرة في أرجاء البلاد والتعليم ديني ومدني. (تركي رابح 1975).

ويعترف السّيد " أوجين كومبيسEugéne Comps" في تقرير له إلى مجلس الشيوخ الفرنسي بتاريخ 02 فبراير 1894م، بانتشار حركة التعليم وازدهارها في الجزائر وتقلصه بعده فيقول: " مما لا شك فيه أن التعليم في الجزائر خلال عام 1830كان أكثر انتشاراً وأحسن حالاً مما هو عليه الآن، الأمر الذي لم يرضي السلطات الفرنسية في الجزائر، فقد كانت هناك أكثر من ألفي مدرسة للتعليم الابتدائي والثانوي والعالي، كان يتولى التدريس فيه نخبة من الأساتذة الأكفاء، كما أن الطلاب كانوا من الشباب الناهض المتعطش للعلم والمعرفة، هذا فضلا عن مئات المساجد التي كانت تعنى بتلقين اللّغة العربية لطلابها ". (تركي رابح 1975).

ولقد كانت مدن: الجزائر العاصمة، وقسنطينة، وتلمسان، وبجاية، ومازونة مراكز لأكبر المعاهد والمؤسسات العلمية والتربوية في الجزائر قبل الاحتلال.

–ولقد لاحظ الجنرال " فيلارد Genera Philard " في عام 1834 أن العرب " الجزائريين " كانوا يتقنون القراءة والكتابة، وكانت توجد في كل قرية مدرستان " ابتدائيتان "، أمّا عن عدد المدارس فقد كان يناهز الألفي مدرسة، كما كانت توجد معاهد وجامعات في الجزائر العاصمة وقسنطينة ومازونة وتلمسا ووهران". (المرجع السابق).

– ويظهر أن الجنرال " فيلارد" كان يقصد بالجامعات المساجد الكبرى والزوايا المعروفة التي كانت مشهورة بالعلم والعلماء وكثرة الطلاب والمكتبات، حيث كانت تقوم بحركة نشيطة في نشر التعليم في كافة الأوساط الشعبية الجزائرية.

وقد أدت حركة انتشار التعليم وكثرة المعاهد والمؤسسات التعليمية في البلاد إلى هبوط نسبة الامية بين الجزائريين، مما دفع رجال المخابرات العسكرية الفرنسية إلى الاعتراف بأن نسبة الجزائريين الذين كان يتقنون القراءة والكتابة في السنوات الأولى للاحتلال تفوق نسبة الذين كانوا يحسنون القراءة والكتابة في جنود الجيش الفرنسي الذي احتل الجزائر، حيث كانت نسبة الأمية بينهم تبلغ 45%حيث أن معظم جنوده كانوا من سكان الريف الفرنسي الذين تنتشر الأمية بينهم، وبناء على ذلك يمكن القول أن نسبة الذين كان يعرفون القراءة والكتابة من الجزائريين في ذلك الوقت كانوا يزيدون عن 55% من جملة سكان القطر الجزائري.

– أهداف التعليم العربي الإسلامي قبل الاحتلال الجزائري:

كانت أهداف التعليم في هذه الفترة مشتقة من الأهداف العامة للتربية الإسلامية التي كانت منتشرة في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ويمكن تحديدها فيما يلي:

1–نشر التعليم بين المواطنين لمعرفة أمور دينهم معرفة جيدة.

2–اعداد رجال يتولون تسيير شؤون الدولة في مختلف المجالات.

3–طلب العلم حباً في العلم طبقاً لقوله تعالى: " يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

4–حفظ علوم الدين والعمل على تحسينه فهماً وتعليماً وتأليفاً. (تركي رابح).

5-الكمال الإنساني المتمثل في سعادة الدنيا والآخرة طبقا لروح الآية الكريمة: " وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا" صدق الله العظيم.

ويدخل فيه إعداد الفرد المسلم للحياة إعداداً جيداً كي يستطيع أن يكون مفيداً لنفسه ومفيداً لمجتمعه ومفيداً للإنسانية كلّها.

- مراحل التعليم:

لم تكن مراحل التعليم حسب المفهوم الحديث متميزة في الجزائر خلال القرنين 18، 19 كما عليه الحال الآن، وإنما كانت متداخلة بعضه بعضا وبصفة عامة كانت المرحلتان: الابتدائية والعالية وهما المرحلتان المتميزتان بعض الشيء، أما المرحلة الثانوية فقد كانت داخلة في المرحلة العالية.

ويمكنن بناء على ذلك تقسيم المراحل التعليمية إلى مرحلتين هما:

أولا: المرحلة الابتدائية:

وقد كان الأطفال فيه يزاولون تعليمهم في الغالب في الكتاتيب القرآنية التي يطلق عليها في لهجة العامة الجزائرية " لمسيد" وقد كانت منتشرة بكثرة في الجزائر بحيث كانت لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن، أو قرية من القرى في الريف، كما كانت " الزوايا " تساهم بدورها في نشر التعليم الابتدائي حيث كانت تشمل على نوعين من التعليم.

1-التعليم الابتدائي.

2-التعليم الثانوي والعالي.

وقد كان يوجد بمدينة قسنطينة وحدها عام 1837 وهو العام الذي دخل فيه الاحتلال الفرنسي إليها 79 كتاباً ومدرسة قرآنية يتردد عليها حوالي 1350 طفلا وكان يوجد بمدينة تلمسان في نفس العام 50 كتابا مع ملاحظة أن عدد سكانها كان يتراوح ما بين 1200و15000 نسمة فقط.

ثانيا: المرحلة الثانوية والعالية:

أمأ التعليم في المرحلتين الثانوية والعالية فقد كان يزاول في بعض المدارس التي بناها محبو العلم وانصاره من الحكام والأعيان ودوي البر والإحسان، مثل مدرسة " سيدي أيوب " ومدرسة " حسن باشا " في العاصمة ومدرسة " سيدي الكناني " ومدرسة " سيدي الأخضر " بقسنطينة ومدرسة "مازونة" في الغرب الجزائري ذات الشهرة البعيدة الصيف، ومدارس تلمسان، وبجاية وغيرها من المدارس الأخرى، كما كانت بعض الزوايا في بلاد ميزاب وجبال جرجرة والجنوب تنهض بالتعليم في هاتين المرحلتين. أما المساجد التي كانت تقوم بوظيفة التعليم إلى جانب الصلوات الخمس فقد كان عددها كبير جداً ويوجد في قسنطينة وحدها 35 مسجداً، وهناك بعض المساجد الكبرى وبعض الزوايا المشهورة قد تخصص في الدراسات العليا نذكر من بينها المساجد والزوايا التالية:

أ–في غرب الجزائر: الجامع الكبير بتلمسان، وجامع سيدي العريبي، وزاوية عائلة الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية المعروف.

ب–في العاصمة ونواحيها: زاوية القليعة، وزاوية مليانة، وزاوية ابن محي الدين، ثم زاوية بني سليمان، والجامع الأعظم.

جـ–في الشرق الجزائري: جامع سيدي الأخضر بقسنطينة (وهو الجامع الذي جعله ابن باديس مركزاً لحركته التربوية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها)، وزاوية سيدي عقبة رضي الله عنه بالقرب من مدينة بسكرة ثم زاوية ابن علي الشريف في جبال جرجرة وبعض مساجد وادي ميزاب بالصحراء.

يتضح لنا من خلال هذه النظرة التاريخية عن مراحل التعليم في الجزائر قبل الاحتلال أن الشعب الجزائري مان شغوفاً بالعلم، مقبلاً عليه اقبالاً كبيراً.

– المناهج وطرق التدريس:

كان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على تعليم القراءة والكتابة واتقانها تمهيدا لحفظ القرآن الكريم وتجويده ثم تعليم المبادئ الأساسية للحساب فإذا أتم التلميذ حذق واتقان هذه المواد فإنه ينتقل إلى التعليم في المرحلة الأخرى. أما في المرحلة الثانوية والعالية فإن الطلبة كانوا يدرسون علوماً متنوعة وكانت بصفة عامة تنقسم إلى قسمين:

1–علوم نقلية

2–علوم عقلية

فالعلوم النقلية كانت تشتمل على: التفسير والحديث والفقه وأصوله، نقلية لأنها سماوية وليست من عمل الإنسان وفكره وعقله، أما العلوم العقلية فقد كانت تشتمل على القواعد والبلاغة والمنطق، وعلوم التوحيد والفلسفة والحساب والبيئة وعلم الفلك والتاريخ، وقد سميت بهذا الاسم لأن الإنسان توصل إليها عن طريق عقله وتفكيره وجهده.

– وكان يقوم على الإشراف على التعليم العالي وتنظيمه، مجلس أعلى يتألف من المفتي المالكي، المفتي الحنفي، وكان هذا المجلس هو الذي يعين ناظر "التعليم العالي" الذي هو بمثابة مدير عام التعليم العالي في وزارات التربية والتعليم في بعض الدول الحديثة، وقد كان اختصاص هذا الناظر هو الاشراف على التعليم العالي وترشيح الأساتذة الذين يقومون بالتدريس في معاهده المختلفة في كل من العاصمة وتلمسان وقسنطينة ومازونة بعد عرضهم على "الداي" (رئيس الدولة) في العاصمة و "البابات" (حكام الأقاليم) في كل من قسنطينة ووهران، يمكننا القول بأن اختصاصات المجلس الأعلى للتعليم العالي تشبه اختصاصات المجلس الأعلى للجامعات والمعاهد العليا في الوقت الحاضر. (أحمد فؤاد الأهواني، التربية في الإسلام، المكتبة العامة، القاهرة، 1973).

كان التعليم ينظم فيشكل حلقات فيجلس الشيخ مستندا إلى إحدى عرصات الجامع أو المدرسة أو في مكان مرتفع ويدور حوله الطلبة غير مقيدين بالحضور على الشيخ معين، وإنما يختار كل واحد منهم الشيخ الذي يفضله والمادة العلمية التي يميل إليها. ولم تكن هناك مقررات محددة على الطلبة يدرسونها في كل عام وإنما كان الأستاذ يحدد للطلبة في كل يوم الدرس الذي سوف يتناولونه في اليوم الموالي، حتى يراجعوه في منازلهم قبل حضورهم للدرس كي يسهل عليهم فهمه واستيعابه.

وكانت المناهج الدراسية تحدد في شكل كتب فيقال طبقة الآجر ومية، طبقة القطر، وطبقة السعد، إلى آخره.

ولم تكن هناك امتحانات سنوية بالشكل المعروف لنا في الوقت الحاضر، وإنما كان الطلبة يواصلون دراستهم على من يشاؤون من الأساتذة، فإذا أنسى واحد منهم من نفسه المقدرة على الأستاذية فإنه يطلب من أستاذه أن يجيزه فيكلفه الأستاذ بإلقاء درس من كتاب أو علم يحدده له إمام الطلبة والتاريخ ويسأله منهم ما شاء من الأسئلة، فإذا نجح كتب له الأستاذ إجازة بالعلوم التي درسها ومقدرته في كل منها وعند ذلك يصبح الطالب أستاذ لغيره من الطلاب.

وبهذا يتضح لنا أنه لم تكن هناك معاهد خاصة لتكوين المعلمين مثل وقتنا الحالي، على غرار ما نعرفه في الوقت الحاضر من معاهد المعلمين والجامعات على اختلافها وأنها يتخرج المعلمون والأساتذة من نفس المعاهد المذكورة ويقومون في التدريس فيهها أو في غيرها من مثيلاتها.

ويلاحظ أن الجائر لم تعرف التعليم الحديث إلا بعد الاحتلال في عام 1830م حيث بدأت المدارس بالشكل العصري تظهر في الجزائر شيئا فشيئا.

– لقد كان " جول فيري Jules Ferry" وزير التربية والتعليم الفرنسي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر 1883 يرى أن المدرسة تعتبر سلاحاً ماضياً في التغلب على الروح الوطنية الجزائرية التي أدت إلى اشتعال الثروات المتوالية في وجه الاستعمار الفرنسي في الجزائر وجعلت الجزائر جحيما لا يطاق بالنسبة له.

ولذلك أصدر قانون 13 فبراير 1883م القاضي بتطبيق مجانية التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين وهو قتل الروح الوطنية التي رفضت الخضوع للاحتلال والعمل تدريجيا على فرنسة الجزائريين وإدماجهم في فرنسا بواسطة التعليم. (طاهر زرهوني1994).

إذن الفرنسيون عندما ينشرون التعليم ويؤسسون المدارس في الجزائر لا يهدفون إلى تثقيف الجزائريين لأن الثقافة تتيح لهم أفقا أوسع وتبصرهم بحالة وطنهم واستغلال المستعمر له وهذا ما لا يريدونه مطلقا، ولكنهم يقدمون للجزائريين تعليما سقيما يجعلهم أسهل اندماجا في فرنسا، وهذا هو مطمح الفرنسيين الأكبر لذلك نرى التعليم في الجزائر ينقسم إلى قسمين:

أ– تعليم راق وإجباري ومجاني لكافة أبناء الأوروبيين.

ب- تعليم هزيل ومنحط لفئة قليلة لا تتجاوز 10% في أحسن الأحوال لأبناء الجزائريين، بهدف تكوين أجراء، وعمال للعمل في مزارع الأوروبيين ومشاريع الاستعمار المختلفة وفي بعض الوظائف الإدارية الصغيرة.

ولكن سياسة فرنسة الجزائريين وإدماجهم في الوسط الفرنسي قد فشلت فشلا ذريعا في تحقيق أهدافها، ومما يدل على فشلها أنه منذ إصدار نابليون الثالث مشروعه في 14جويلية1865م القاضي بفتح باب التجنيس بالجنسية الفرنسية أمام الجزائريين، لم يقبل على طلب هذه الجنسية سوى عدد ضئيل جداً.

وقد قدر عدد المتجنسين حسب شروط القانون 4 فبراير 1919م الجديد حتى عام 1936 بسبعة ألاف شخص فقط من حوالي سبعة ملايين من الجزائريين.

أما الوسيلة التي اهتدت إليها فرنسا في هذا الشأن فهي المدرسة، وقد صرح بذلك وير التربية الفرنسي "ألفرد رامبو" قائلا: "لقد انتهى الغزو الأول للجزائر الذي تم بالسلاح في 1871م ويتطلب الغزو الثاني حمل الجزائريين على تقبل إدارتنا وفضائنا، أما الغزو الثالث فسيتم بالمدرسة" (الهادي الحسني 2004).

وتوالت تصريحات المسؤولين الفرنسيين، ومن تلك التصريحات ما أدلى به الوالي العام الفرنسي " جونار" وهو قوله: " إن المدرسة الفرنسية هي أساس سيطرتنا في الجزائر" وذلك بـ "خلق نخبة مثقفة قادرة على الاستجابة لأفكارنا، تساعدنا وتسهل لنا مخططاتنا " وهذه النخبة هي التي سماها الفرنسيون "خدام فرنسا الأوفياء". (الهادي الحسني)

فالتعليم الذي نشرته فرنسا في الجزائر كان وسيلة لتدعيم احتلالها وإطالته، وهو ما عبر عنه " الدوق دومال" بقوله: "إن فتح مدرسة أحسن من فيلق عسكري لإقرار الأمن". (الهادي الحسني، وحي البصائر، 2007).

لقد جلبت هذه المدرسة الفرنسية إلى الجزائر ما سماه الشيخ عبد الحميد بن باديس "الموت الفكري"، وما أطلق عليه مالك بن نبي "الأفكار القاتلة"، وهي أفكار لم يسلم منها ومن أثارها المدمرة، وسمومها القاتلة، إلا قليل من الجزائريين الذين مروا بتلك المدرسة الفرنسية.

تأثر عبد الحميد بن باديس بالمدرسة الإصلاحية التجديدية

قد جمع بين العلم والعمل به في المجالات الاجتماعية، السياسية، والتربوية والإسلامية للمجتمع الجزائري العربي المسلم. ومن هنا تنفرد شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس في تاريخ الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر وتاريخ الإصلاح الديني والاجتماعي في الجزائر وتاريخ النضال السياسي والوطني في الجزائر بخصال ثلاث هي:

اقتران التعليم بالتربية والعلم بالعمل به . والفكر بالممارسة في الميدان . وقد اجتمعت في شخصيته:

أولا: عبد الحميد بن باديس عالم سلفي ينتمي إلى مدرسة التجديد الإسلامي السلفية التي تعود إلى تراث الإمام أبي العباس أحمد بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية اللذين عاشا في آواخر القرن السابع، والنصف الأول من القرن الثامن الهجريين.

ومدرسة ابن تيمية وتلامذته القدماء، وكذلك تلاميذه المعاصرين أمثال الشيخ محمد عبد الوهاب في الجزيرة العربية . والشيخ محمد عبده في مصر والشيخ رشيد رضا، والإمام الشوكاني . ثم الشيخ عبد الحميد بن باديس وغيرهم، تقوم على مجموعة من الدعائم الأساسية يمكن اختصارها في أربعة دعائم وهي:

1. الرجوع إلى القرآن والسنة في كل شأن من شؤون الحياة، وإتباع السلف الصالح من صحابة النبي (ص)
2. محاربة البدع والمنكرات . مثل التمسح بالقبور، والاستعانة بغير الله كالأولياء والأضرحة إلى غير ذلك من مظاهر الشرك بالله إلى آخره.
3. الدعوة إلى ترك طريق الفلاسفة والمتكلمين، لأنها في نظر الإمام ابن تيمية لا تتفق مع روح الدعوة الإسلامية، ولذلك سميت دعوته "بالسلفية".
4. فتح باب الاجتهاد على مصراعيه أمام علماء المسلمين المتضلعين في الشريعة الإسلامية لمعالجة مشاكل المسلمين التي تحدثها تطورات الحياة ة إعلان الحرب على المقلدين والمتعصبين للمذاهب والآراء الأخرى (يوسف موسى1962).

يوسف موسى ـابن تيمية سلسلة أعلام العرب رقم 5 القاهرة 1962م

ثانيا: مجالات عمل مدرسة التجديد الإسلامي للمسلمين

وقد ركزت مدرسة التجديد الإسلامي عملها على ثلاثة أمور جوهرية لنهضة الإسلام والمسلمين نلخصها فيما يلي:

1. العمل على إحياء جذوة الدين الإسلامي في نفوس المسلمين حتى يعود الدين كما كان عليه في عصور الإسلام الأولى قوة دافعة للبذل والتضحية والجهاد والنهضة الشاملة للمسلمين.
2. العمل على إحياء اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم وبالتالي لغة الإسلام التي يجب بعثها ونشرها بين كافة المسلمين.

3. مكافحة الخرافات، والبدع والأفكار الشاذة والغريبة عن الدين الإسلامي ومحاربة كل لون من ألوان الشرك .كشرك الأولياء والأضرحة مع الله سبحانه وتعالى في طلب المنافع أو دفع المضار(علي سامي النشار 1966م).

ـوقد كان هدف مدرسة التجديد الإسلامي من هذا الاتجاه هو مواجهة وضعية المسلمين التي تدهورت تدهورا مريعا من الاعتقادات والأخلاق والسلوك الاجتماعي والعمران المدني .مما جعل أعداءهم يتربصون بهم من كل جانب، ثم يستعمرون في نهاية المطاف معظم أقطار العالم الإسلامي. **(علي سامي النشار 1966)**

ـتتميز شخصية عبد الحميد بن باديس:

1. أنه عالم عامل بعلمه.

2. أنه مربي إسلامي فريد من نوعه.

3. أنه داعية إسلامي متحمس وملتزم.

4. أن رجل إصلاح ينتمي إلى مدرسة التجديد الإسلامي.

انبعاث الحركة الوطنية الإصلاحية

لقد يبدو للحكام الاستعمار الفرنسي في الجزائر بعد أن بسطوا نفوذهم على كامل التراب الوطني في مطلع القرن العشرين أن الجزائر قد استسلمت لهم نهائيا، ولم يعد فيها من يفكر في أية مقاومة أو انتفاضة ضد السلطة الفرنسية، لم يكونوا يتصورون أن الضمير الوطني الجزائري مازال حيا يقظا، وأن الشعور بحقيقة الوطن ما يزال يهز نفوس الكثيرين، ويدفعها إلى البحث عن أساليب جديدة للمقاومة، وأن التفكير في الوسائل التي تمكن من خوض المعركة الفاصلة التي تؤدي إلى الخلاص من نكبة الاستعمار ما زال ينمو ويتوسع وينتشر عبر أرجاء البلاد، حتى ولو لم يظهر في شكل محدد.

كانت السلطة الاستعمارية وحكامها يتصورون أن الخطة التي رسموها للقضاء على الشخصية الجزائرية قد نجحت وأتت أكلها خاصة بعد أن أحكموا قبضتهم على المناطق التي اندلعت فيها نار المقاومة بشدة، واستمرت أكثر من ستين عاما من يوم الاحتلال. في تلك الفترة ظهر لهم أنهم بإضافة إلى انتصاراتهم العسكري الذي مكنهم من وضع أيديهم على كل شيء ـكسبوا انتصارا أخر وهو استمالة طائفة من المواطنين ذوي النفوس الضعيفة إلى صفوفهم أما البقية الباقية التي لم يتمكنوا من استمالتها وكسب تعاطفها فإنهم اصطنعوا أسلوبا آخر لرصد حركتها ،ومراقبة كل ما يصدر عنها، وأضافوا إلى ذلك تقييد حرية التنقل و المبالغة في تشديد المراقبة على مصادر التثقيف ونشر العلم، وهكذا بدأ لهم أن العقول الجزائرية التي اجتهدوا في ضرب الحصار عليها أصبحت مقيدة ومكبلة ومحاصرة لاتصل إليها الأفكار التي تنيرها أو تثيرها، ولا تصدر عنها الأفكار التي لا يريدون انتشارها ، ولكنهم نسوا وتناسوا أن العقل البشري لا يمكن سجنه أو محاصرته أو تجميد نشاطه، حتى ولو سجن صاحبه بل قد يكون السجن عاملا من عوامل اليقظة التي تفجر في الإنسان القدرات والمشاعر و الأحاسيس التي بها يثور عن الوضع، ويحاول مقاومته أو تغيره بشتى الطرق و الوسائل ، بل قد يشكل السجن أو الحصار حالة من حالات التي تدفع إلى المزيد من التفكير وتعميق التحليل، تحليل الأحداث لمعرفة أسبابها و النتائج التي تفضي إليها، ومن هنا يتبين أن الفكرة ليست دائما ترد على العقل من خارج العقل، أو تصل إليه جاهزة، ومن ثم يمكن اصطناع الحواجز التي تمنع وصولها إلى العقل، بل إن الفكرة قد تولد وتنبثق من داخل العقل نفسه نتيجة حاجة ضاغطة، أو معاناة داخلية وتأمل مركز في الأوضاع المحيطة، إذ العقل ليس جهازا يتلقى الأفكار ولا ينتجها، لأننا إذا قلنا بهذا نفينا عنه قدرته على التفكير، والبقاء المعرفي، وجردناه من القدرة على الاستنتاج والاستنباط وجعلناه عضوا عاجزا عن الفعل والإبداع وحكمنا عليه بالعقم، والحقيقة أن العقل قوة خلاقة تهدي الإنسان في مسالك الحياة، وتحدد له ما ينفع وما يضر، ويمكنه من استخلاص الحقائق من الشهادات والتجارب .....

- **التغلب على الحصار والحواجز**

إن تفاعل الإنسان مع الأفكار والاتصال بالتجارب الإنسانية المختلفة تكسبه ثراء فكريا، ونموا معرفيا، تزيدون قدرة عزيمته، وإذا كان اختراق الحواجز التي تحول دون الاتصال بروافد الفكر العربي الإسلامي أمرا ليس سهلا في ذلك الوقت، فإنه لم يكن مستحيلا كذلك فالرحلات إلى البقاع المقدسة في مواسم الحج كانت فرصة مناسبة لزيارة عدد من البلدان العربية والاتصال ببعض علمائها، والإطلاع على أحوال الإسلام فيها، والحركات الفكرية التي ظهرت في أعقاب النهضة، كما كانت عودة الجزائريين الذين أتموا دراستهم في الخارج (في الحجاز، ومصر، وسوريا، وتونس) عاملا من عوامل اليقظة الفكرية ونمو الوعي الديني والوطني وحتى الذين لم تمكنهم ظروفهم من الاطلاع المباشر على ما يجري خارج بلادهم، فإن هذا لم يمنعهم من استماع الأخبار التي تطلعهم على بعض مظاهر النهضة الفكرية و الحركة الإصلاحية التي بدأت رياحها تهب في كثير من الأقطار، ثم أن هذا الحصار الذي تعمدته الإدارة الفرنسية لم يمنع ذوي الفكر المستنير والإحساس الوطني من أن يركزوا تفكيرهم في المعاناة التي يعانيها شعبهم، وفي أوضاع بلادهم، ويتأملون الحالة التي وصلت إليها في مجال السياسي والثقافي و الاجتماعي، لاستخلاص الحقائق التي تجعلهم يتصورون الطريق الذي يجب سلوكه مع المستعمر، والأساليب التي يعتمدونها لإحداث الهزة النفسية التي توقظ الشعب، وتدفعه إلى الصمود في وجه المستعمر.

الفصل الثالث

أوضاع الجزائر

في فترة الاحتلال

الوضع السياسي للمجتمع الجزائري:

تمهيد:

تميزت الفترة التي شملتها هذا البحث (1931-1956) بأنها مرحلة تطور الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة , كما تعتبر من ناحية أخرى مرحلة شدة الصراع بين المحتل الذي كان يعمل بقوة على القضاء على (الشخصية الجزائرية) بمكوناتها و ابعادها السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لتحقيق أهدافه في فرنسة الجزائر و دمجها في المجتمع الفرنسي (تركي رابح 1975) و بين الامة الجزائرية التي وقفت بصلابة ضد اهداف الاحتلال .

ويلاحظ من ناحية السياسية في بداية هذه المرحلة وقوع حدثين هامين :

الأول :- هو احتفال فرنسا في 1930م بمرور قرن على احتلالها الجزائر .فقامت باحتفالات ضخمة في كل البلاد (محمد البشير الابراهيمي 1963)

الثاني :- هو نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتاريخ 05 ماي 1931- و قد كان لكلا الحدثين أثاره وانعكاساته عل تطور الحركة الوطنية و الحركة التعليمية في هذه الفترة .

_ احتفال فرنسا بمرور مائة عام عل احتلال الجزائر :

في سنة 1830 بلغ عمر الاحتلال الفرنسي في الجزائر مائة عام و قد اغتنمت فرنسا هذه المناسبة ، فقامت باحتفالات ضخمة في كل أنحاء الجزائر(محمد البشير الابراهيمي 1966) دعت اليها الدنيا كلها و ذلك ابتهاجا بهذه المناسبة التاريخية للاحتلال الفرنسي .

و قد كان هذا العمل مقصودا من الاحتلال بهدف تذكير الجزائريين بالهزائم التي منوا بها على يد هذا الجيش في معارك الاحتلال الاولى التي استمرت حوالي سبعين عاما(من 1830 الى 1900) و استشهد فيها مئات الالاف من الجزائريين رجالا و نساء دفاعا على حرية بلادهم و استقلالها .- حتى لا يفكروا في الثورة على الاحتلال في يوم من الايام . و في راي احد المؤرخين الجزائريين "ان احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم ارض الجزائر قد قدم القضية الجزائرية عشرين سنة على الاقل"(احمد توفيق المدني "1956 م).

من هذه كانت هذه الاحتفالات نقطة تحول في تاريخ الجزائر الحديث لأنها أيقظت من كان نائما ،و نبهت من كان غافلا ،فاحسن المفكرون في الجزائر بضرورة التكتل و العمل المثمر، و نشأت عن ذلك حركات سياسية اختلفت وسائلها واتحدت غايتها التي هي رفع الظلم و طلب الحرية (احمد طالب الايراهيمي1970).

- الحركات السياسية:

كان هناك عدد من الحركات السياسية من الجزائر و هي كالأتي :

1-"حركة نجم شمال افريقيا ":

و قد تأسست في باريس سنة 1926 على انقاض جمعية دينية كانت النواة الاولى التي قامت عليها حركة النجم و قد عاشت هده الحركة من عام 1926 حتى عام 1937 حيث قامت حكومة الاحتلال بحلها فخلفها في الميدان – حزب الشعب الجزائري – الذي يعتنق نفس مبادئها (محمد قنانش1972).

2_" حزب الشعب الجزائري ":

و قد تأسس في 11 مارس 1937 و هو الوارث الحقيقي لحركة نجم شمال افريقيا و قد كانت هاتان الحركتان تناديان باستقلال الجزائر التام في نطاق حضارتها العربية الاسلامية ،و لذلك لقيتا من الاحتلال اضطهادا عنيفا و عنتا شديدا بسبب مبادئها الثورية و تمسكهما بمقومات الشخصية الوطنية للجزائر .

3_ "حركة اتحاد المنتخبين الجزائريين":

و قد تأسست في عام 1930 و كانت تدعو الى دمج الجزائر في فرنسا مع المحافظة على الشخصية الاسلامية للجزائر فيما يتصل بقوانين الأحوال الشخصية الإسلامية .

4_ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

و قد تكونت في الخامس من ماي سنة 1931 وهي حركة عربية إسلامية إصلاحية تلتقي في أهدافها البعيدة من الناحية الوطنية مع "حركة نجم شمال إفريقيا" و "حزب الشعب الجزائري" في الدعوة إلى تحرير الجزائر ضمن نطاق الحضارة العربية الإسلامية و من الناحية الإصلاحية تلتقي مع مدرسة التجديد الإسلامي التي ظهرت في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر ....

5-المؤتمر الإسلامي سنة 1936:

و قد كان أول من فكر في عقده ،و دعا إليه في الجرائد الوطنية هو الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" صاحب مجلة الشهاب و رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (من عام1931 حتى عام1940) -محمد خير الدين البصائر55 نوفمبر 1948-.

و قد كان ابن باديس من المؤمنين بان «المرجع في شؤون الأمة هو الأمة نفسها و الواسطة لذلك هو المؤتمرات» مجلة الشهاب 1936.و كان الغرض من الدعوة إليه و انعقاده هو محاولة جمع صفوف قادة الأمة على اختلاف مشاربهم السياسية من اجل الاتفاق على الحد الأدنى من المطالب السياسية الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية التي يمكن لمختلف الاتجاهات السياسية في البلاد و الاتفاق عليها.

و قد انعقد في نادي «الترقي» في اليوم السابع من شهر جويلية1936و شاركت فيه" حركة اتحاد المنتخبين المسلمين الجزائريين "و الأعضاء الجزائريون في "الحزب الاشتراكي الفرنسي "و الأعضاء الجزائريون في "الحزب

الشيوعي"و"جمعية العلماء" و لم يختلف عن حضوره سوى حركة نجم شمال إفريقيا لأنه لم ينعقد على أساس المطالبة باستقلال الجزائر التام.

و قد أسفر عن جملة من المطالب تتلخص في:

_ المطالبة بإلغاء القوانين الاستثنائية الأهلية * توفيق المدني1963* المسلطة على الجزائريين منذ عام 1874.

_ ثم إجبارية التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين أسوة بأبناء الأوروبيين و حرية التعليم باللغة العربية و فصل الدين الإسلامي عن الدولة المحتلة ،و المحافظة عن الشخصية الإسلامية للجزائريين إلى غير ذلك من المطالب الاخرى التي تندرج جميعها في نطاق الإصلاحات ضمن الوضعية الاستعمارية للبلاد.(محمد البشير الإبراهيمي 1936)و قد عين المؤتمر وفدا دهب إلى باريس لعرض مطالبه على المسؤولين في حكومة فرنسا و لكنه بعد جهود كبيرة لم يحصل منهم على طائل-**تركي رابح1975-.**

و في اثناء الاجتماعات التي انعقدت لتحضير المؤتمر و تدارس قائمة الوفد و لائحة المطالب كان لابن باديس دور نشيط ابرز من خلاله براعة سياسية و بعد نظر فالعلماء الذين اختيروا للمساهمة في المؤتمر و في الاجتماعات التحضيرية يساهمون بصفاتهم الشخصية و لكن المطالب الخاصة التي قدمها ابن باديس إلى المؤتمر هي مطالب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أهم المطالب التي ألح ابن باديس على إدراجها ضمن قائمة المطالب هي :

_ ترسيم اللغة العربية قبل اللغة الفرنسية و التعامل مع صحافتها مثل الصحافة الفرنسية.

_ إعادة المساجد إلى المسلمين لإدارتها مع تخصيص ميزانية لها تتناسب مع قيمة الأوقاف التي سلبت منها.

_ تنظيم القضاء الإسلامي ووضع أحكام شرعية تحت إشراف هيئة متخصصة(من العلماء المسلمين الجزائريين).

_ تأسيس كلية لعلوم الدين و اللغة العربية.

بالإضافة إلى تأكيده على المطالب العامة المتمثلة خاصة في المحافظة على الشخصية الإسلامية و إلغاء كل القوانين الاستثنائية الجائرة التي تمس حرية الشخص و كرامته و تسئ إلى الوطن .

و هكذا تم الاتفاق على قائمة المطالب و سافر الوفد المشكل من مختلف الأحزاب باستثناء-حزب نجم شمال إفريقيا- الذي امتنع لانعدام المطلب.... الذي كان يراه و هو المطالبة باستقلال التام و لكنه مع ذلك بارك المبادرة عن طريق رئيسه غير انه عاب على المؤتمرين إدراجهم مسالة إلحاق الجزائر بفرنسا. و هذه هي النقطة التي انتقد بعض الناس من اجلها مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذا المؤتمر لان الإلحاق حاصل و لكنه لم يكن برضى الجزائريين أما أن نطالب به فهذا هو الشيء غير مقبول.

و من النقاط التي لم يوافق عليها زعيم (النجم) التمثيل البرلماني لأنه يرى أن الأسلم هو المطالبة ببرلمان جزائري خاص و منتخب من سكان الجزائر بلا تمييز.

على اي حال سافر الوفد و قدم المطالب و اجرى عدة اتصالات و لقاءات مع المسؤولين و تقابل مع رئيس الحكومة (بلوم) و مع الكثير من الوزراء منهم وزير الدفاع (دلادي) من اليمين المتطرف الذي كانت مقابلته جافة ورده على المطالب سخيفا.« أعلن صراحة معارضته الشديدة للمطالب ،مادام الجزائريون متمسكين بشخصيتهم الإسلامية»(تركي راع 1981).

و هكذا رجع الوفد صفر اليدين، و لا يحصل على شيء ما عدا الوعود التي تنبأ ابن باديس في شانها بأنها مجرد وعود.

لان المعمرين في الجزائر كانوا يضغطون على حكومات فرنسا حتى لا تستجيب لأي مطلب من المطالب ،و قد تم لهم ما أرادوا ، فالوعود التي لوح بها بعض المسؤولين في حكومة (الواجهة الشعبية) لم يتحقق منها شيء مثلها مثل الوعود السابقة.

6_ "حركة احباب البيان و الحرية "1945:

و قد نشأت حركة احباب البيان و الحرية في بداية عام 1945 قرب نهاية الحرب العالمية الثانية من اتحاد الحركات السابقة فأصبحت تكون جبهة وطنية حقيقية تضم المثقفين "جماعة النخبة" و" حزب الشعب "و "الكشافة" و" الشباب" و"جمعية العلماء" و غيرها من المنظمات و الشخصيات الوطنية .

و لكن هذه الحركة لم تعش طويلا ، فقد وقع حلها من طرف ادارة الاحتلال بعد حوادث 8 ماي 1945- و لم تمض بضعة اشهر فقط على تكوينها.و في 1946 ظهر حزبان جديدان حلا محل "حركة احباب البيان و الحرية ".

_ الحزب الاول هو حزب الاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري 1946 بزعامة فرحات عباس.

_الحزب الثاني هو :"حركة الانتصار للحريات الديموقراطية "1946 بزعامة احمد مصالي الحاج.

و يلتقي هذان الحزبان مع "جمعة العلماء المسلمين الجزائريين" في مبدا المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الروحية و الفكرية و اللغوية و لكنهما من الناحية السياسية يختلفان في طريقة الحصول على الاستقلال للجزائر.

فالاتحاد الديموقراطي للبيان الجزائري ،يطالب بتكوين جمهورية جزائرية تتمتع بالحكم الذاتي و لكنها تسير نحو الاستقلال التام على مراحل .

اما حركة الانتصار للحريات الديموقراطية فهي تطالب باستقلال الجزائر التام في الحال و تكوين جمهورية جزائرية لها كيانها الدولي الكامل (فرحات عباس).

7- جبهة التحرير الوطني الجزائرية 1954:

في بداية الخمسينات من هذا القرن امن جميع الوطنين الجزائريين بان الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لتحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي الذي لا يفهم الا لغة واحدة هي لغة القوة.

و ذلك بعد فشل كل الاحزاب السياسية في حمل فرنسا على التزحزح قيد أنملة عن سياستها الرامية الى ابقاء الجزائر ترزح تحت نير احتلالها الى الابد.

و هكذا برزت الى الوجود منظمة " جبهة التحرير الوطني الجزائرية في سنة 1954- و قد قام بتكوينها مجموعة من الرجال الثوريين الذين المهم ما وصلت اليه حالة الجزائر بعد احتلال دام قرنا و ربع قرن فصمموا على وضع حد لها عن طريق اشعال الثورة المسلحة الشاملة في وجه الاحتلال الفرنسي .

و قد ضمت "جبهة التحرير" في صفوفها كل العناصر الحية و الثورية في البلاد بقطع النظر عن انتماءاتهم الحزبية السابقة . و هي التي اشعلت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 م.وقادتها بنجاح طوال ما يقرب من ثماني سنوات حتى قضت على النظام الاستعماري في الجزائر و اجبرت فرنسا على الاعتراف باستقلال الجزائر التام في عام 1962م .

و قد اشتهرت ثورة الفاتح من نوفمبر1954 في المحافل الدولية بأنها ثورة "المليون شهيد".

و لا تزال "جبهة التحرير الوطني الجزائرية" تواصل قيادة الثورة في عهد الاستقلال في ميدان البناء و التشييد و استرجاع مقومات الشخصية الجزائرية بنفس الروح و العزيمة التى قادت بهما الثورة المسلحة ضد الاحتلال من عام 1954 حتى عام 1962 من اجل الاستقلال.

_ الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

إن الاستعمار كما يصفه احد المفكرين هو أفظع تخريب أصاب –التاريخ**مالك بن نبي1986 **- و يتفق مع هذا الرأي الكثير من الباحثين و الدارسين فهم يؤكدون على الطابع التحطيمي و التفكيكي (عدي الهواري 1983) الذي مارسته السياسة الاستعمارية في الجزائر على الأبنية الاجتماعية و الاقتصادية بما اثر سلبا على توازن المجتمع الجزائري .

لقد كان دور الاستعمار في الميدان الاجتماعي و الاقتصادي خطيرا لانه هدم المقومات الأساسية التى يبني عليها أي توازن اجتماعي . ففي البدء عمد على السيطرة الاقتصادية بكافة أشكالها بما أدى بالمساس بالقوانين التي تحكم اقتصاد المجتمع الجزائري ما قبل الكولونيالي، و هو في أساسه اقتصاد زراعي رعوي يعتمد في الريف على ملكية القبائل الجماعية للأرض و على مبادئ التضامن الاجتماعي ، و في المدنية على بعض الصناعات الحرفية و الأعمال التجارية ، و عندما فكك تدريجيا بنية هذا الاقتصاد بغرض دمجه في اقتصاده الرأسمالي بدأت دعائم المجتمع الجزائري تتهشم ليتحول و يندمج في عجلة الانتاج الرأسمالي** ابو القاسم سعد الله 2007**

و يمكن أن نبين هنا بعض الأساليب العنيفة لغرض أحلال بني اجتماعية اقتصادية غريبة عن البني و المؤسسات الأصلية القائمة، و محاولات استبدال مجتمع كامل بمجتمع آخر .

1-2- مصادرة الأراضي:

تفننت مصالح الاستعمار الفرنسي في سياسة نهب الأرض الجزائرية من أيدي الشعب و انتهجت أساليب متعددة منها :

أ- نزع الأراضي والاستلاء عليها باسم القانون حيث أصدرت جملة من القرارات و المراسيم و القوانين لمصادرة الأراضي الجزائرية.

ب-تفتيت الملكية الجماعية الخاصة بالقبيلة والعرش

ت-تفتيت البنية الاجتماعية ** انفصال الفرد عن العرش او القبيلة

ث-انتشار البطالة وبروز ظاهرة النزوح والهجرة

ج- التحقير العرقى والتميز العنصرى

ح- دمج وتذويب الجزائريين فى الثقافة الفرنسية ** فى رتبة بشرية منحطة ** ابو القاسم سعد الله 2007

خ- نشر الفقر و الجهل والامية و اوساط شعبية فى وسط المجتمع الجزائرى

د- استعمال مبدأ المصلحة العامة الذي تعددت أوجهه (مد الطرق، إقامة الجسور المراكز العسكرية...).

ذ- نقل ملكية الأرض الى المستوطنين و دعمها ب:

-إلغاء الحواجز الجمركية جانفي1851 م.

-إنشاء بنك الجزائر اوت 1851 م.

- فتح البورصة افريل1852 م.

- انطلاق السكك الحديدية لربط سهل متيجة بميناء الجزائر 1857 م.

- تأسيس الشركات الزراعية حيث نشطت حوالي 51 شركة.

- إنشاء الهيئات الفلاحية المتخصصة:

- الشركة الزراعية للاحتياط 1833.
- شركة قطاعات التطويرات الريفية 1846.
- الشركة الأهلية للاحتياط1893.

_" اكتسى احتلال الجزائر صبغة عسكرية استيطانية، و كان من دوافعه الرئيسية الإخضاع الحضاري التي تمتزج فيه النزعة الصليبية ، بالاستعلاء العنصري، و قد استهدفت إبادة الشعب الجزائري و تشريده و تحويل الجزائر إلى مستوطنة أوروبية،و لذلك قد مسحت كل الرموز السيادة الوطنية و حتى الوجود التاريخي للجزائر شعبا و دولة،و أزيلت كل المظاهر السيادة مثل الحكومة و العلم الوطني و مقومات الشخصيات الوطنية مثل اللغة،الدين و الجنسية"(سعد الله أبو القاسم 2007).

لقد جاء فى تقرير ** لجنة لسيكو نيار ما يلى :

ـ" لقد وضعنا أيدينا على أموال الوقف الموجهة للصرف على التعليم و الاعمال الخيرية، و قضينا على مدارس كانت موجودة ،و شتتنا مجامع العلماء ،لقد انتشر الظلام في كل مكان حللنا فيه، لقد جعلنا المجتمع الإسلامي أكثر توحشا و بربرية أكثر مما كان عليه قبل أن يعرفنا..."(لجنة لاسيكونيار).

سياسة الاستيطان :

باحتلال مدينة الجزائر 05جويلية1830م بدأ قادة الاستعمار الفرنسي في البحث عن آلية تمكنهم من ترسيخ وجودهم ، و تأسيس قاعدة إقليمية و إدارية تساعدهم على السيطرة المنظمة عسكريا و مدنيا.

–اعتمدت سلطات الاستعمار الفرنسي آلية أخطر من الحملات العسكرية تمثلت في تشجيع الهجرة و الاستيطان لإرساء قاعدة ديموغرافية تكون سندا للقوة العسكرية ، مما يسهل عملية تدمير البنية الإجتماعية و الإقتصادية و الثقافية للمجتمع الجزائري .

وإذا كانت سياسة الإستيطان مقننة طبقا للقوانين التي وصعها الحكم العسكري بين 1830–1870–ألا ان مرحلة الحكم المدني دعمت هذه السياسة بقوة و قدمت اكبر مساعدة للمستوطنين من خلال قوانين و برامج مسطرة لتوسيع نطاق الإستيطان و ترجيح كفة المستوطنين على كفة الجزائريين و بلغ مجموع ما سلم للمستوطنين من أراضي بين 1871و1908م حوالي 1139823 هـ و إرتفع الرقم سنة 1934م ألى 2462537 هـ.

خاطب الماريشال "كلوزيل" يوم 10أوت1835مالمستوطنين بمناسبة تعيينه واليا عاما بما يلي :" لكم ان تنشئوا من المزارع ما تشاؤون و لكم أن تستولوا عليها في المناطق التي نحتلها و كونوا على يقين باننا سنحميكم بكل ما نملك من قوة بالصبر و المثابرة، سوف يعيش هنا شعب جديد و سوف يكبر و يزيد بأسرع مما كبر و زاد الشعب الذي عبر المحيط الأطلسي و إستقر في أمريكا من بضعة قرون "الماريشال كلوزيل 10أوت1835م.

أسس لافيجري في الجزائر عدة جمعيات تنصير منها :(الأباء البيض) ، (الأخوات البيض)، (الاخوة البيض المسلحين) و(إخوان الصحراء المسلحين) "مؤسسة القديس أوغسطين" –و قد اصاب أستاذنا أبو القاسم سعد الله عندما سمي أعضاء هذه الجمعيات "جنود الكاردينال لافيجري" و كانت مهمة هذه الجمعيات هي فتنة الجزائريين في عقيدتهم و ردهم عن دينهم مستغلة في ذلك المجاعات و الامراض التي تسبب فيها الفرنسيون بسبب سياستهم.

كتب لافيجري يوما:" علينا أن نخلص هذا الشعب من قرآنه وعلينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير الذي شب عليها أجدادهم فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقصى الصحراء.(محمد الهادي الحسني 2004)

«القوانين الداعمة لمصادرة الأراضي الجزائرية»

الرقم	القرارات	مضمونها
01	قرار سبتمبر 1830	_ مصادرة أراضي المسلمين المنحدرين من أصول تركية
02	قرار أكتوبر 1840	_ خاص بالأوقاف و العقارات التي لم تثبت ملكيتها بعقد صريح و تسجيلها في المصالح العقارية الفرنسية تصبح نابعة لأملاك الدولة الفرنسية و الأرض التي لا يطبق أصحابها هذه التعليمة تعتبر مهملة من حق الدولة الفرنسية الاستيلاء عليها.
03	قرار أكتوبر 1845	_يجرد القانون كل من شارك في المقاومة أو رفع السلاح أو اتخذ موقفا عدائيا من الفرنسيين و أعوانهم أو مساعد أعداءهم من قريب أو بعيد من أرضه.
04	قانون 21 جويلية 1846	_ينص على مصادرة الأرض البور و أراضي العرش التي تخلى عنها أصحابها مهما كانت الأسباب.
05	مرسوم 23افريل 1863 (الصيناتوسكونلست)	_يهدف إلى تحديد أراضي العرض و تقسيمها الى دواوير، ثم توزيعها إلى ملكيات فردية بين سكان كل دوار ، و تحويل طابع الملكية الجماعية إلى الفردية. _ إن مرسوم ثبت شرعية نهب و اغتصاب الأراضي التي سلبت من الجزائريين قبل هذا التاريخ.
06	قانون وارنبية 26جويلية 1873	_جاء مكملا لمرسوم الأرض و أبرز ما جاء فيه، إلغاء حق الشفعة، و تطبيق القوانين الفرنسية على التعامل في بيع الأرض و إبعاد الفضاء الإسلامي نهائيا عن معاملات العقار.
07	قوانين الغابات منه: - قانون جويلية 1874 - قانون 1885 - قانون فبراير 1903	_ جاءت قوانين الغابات المدعمة بإجراءات صارمة تجعل الغابات الجزائرية ملكا للدولة الفرنسية لا يحق الاقتراب منها و حتى احتراقها بفعل الطبيعة أو بفعل مصالح الاحتلال يغرم الجزائريون بدعوى الفعل أو الإهمال او التسبب في الحرائق.

_ ولاحظ خبير بالحياة الاقتصادية 1954 بان 11% من اليد العاملة المسلمة بينما 42% للكولون في الأعمال الصناعية .ثم إن 92%من الأنشطة الصناعية و التجارية في أيدي الأوروبيين (ابو القاسم سعد الله 2007).

اما فى ميدان التوظيف فهناك 19% من الموظفين في القطاعات الإقتصادية كانوا مسلمين.
لاحظ الباحثون إن طفلا واحدا مسلما من كل 10أطفال كان يذهب الى المدرسة اما الامية فقد بلغة 94 %عند الرجال المسلمين و98% عند النساء المسلمات ** المرجع السابق **

الوضع الثقافي و الديني في الجزائر

تبدو عناصر الخطة الاستعمارية في اتجاه إخضاع المجتمع الجزائري ، مرحلية و متكاملة ، فبعد ان تمت تصفية البناء التحتي (التفقير في المجال الاجتماعي و الاقتصادي) بدا الاستعمار معركته الثانية لتصفية البناء الفوقي و ذلك بالتأثير على القيم الروحية و الرموز الثقافية (التجهيل في المجال الثقافي) مسترشدا بالقاعدة التالية التي يشرحها الأب لندمان :" ليس ثمة مثال في تاريخ العالم لشعب اندمج في شعب آخر، أي أصبح متجانسا معه دون ان يكون قد تم التغلب عليه أولا في عقائده الدينية و حضارته ، فعندما وصل المساس بالهياكل الاقتصادية و الاجتماعية إلى درجة كبيرة من العمق ، ضعفت القدرة على المقاومة و عند ذلك فقط بدا التدخل الأجنبي يتغلغل في المجال الثقافي لتكتمل أبعاد السيطرة.

لقد كانت الفترة الممتدة من 1830 _1880 فترة فرض السيادة العسكرية و الإدارية و محاولة تثبيت الوجود الاستعماري بالقوة. و قد تميزت بالدفاع المسلح من الكيان الجزائري من خلال المقاومة الشعبية، إلا أن هذه الأخيرة أخفقت بسبب عوامل كثيرة رغم طول المدة و جسامة التضحيات... و كانت أخر ثورة كبرى هددت هذا الوجود في الشمال هي ثورة 1871، و قد تم القضاء عليها بعنف شديد مما أفسح المجال بعد 40 سنة من العمل العسكري لكي يلجا الاستعمار إلى أساليب أكثر فعالية لضمان ديمومة سيطرته ،فهنا بدا العمل على الجبهة الثقافية باعتبارها اخطر جبهة لحسم المعركة .

و هو ما عبر عنه الفريد راهبوا الذي كان وزيرا للتعليم عام 1897 قائلا :(كان الغزو الاول قد تم بالسلاح و انتهى مع 1871 بانتزاع السلاح من بلاد القبائل ... و يتمثل الغزو الثاني في حمل الأهالي على أن يقبلوا بإدارتنا و بعدالتنا و سوف يتحقق الغزو الثالث عن طريق المدرسة ، إذ يجب أن نضمن السيطرة للغتنا و أن تدخل في أذهان المسلمين الفكرة التي تحملها من فرنسا و دورها في العالم ، و ان تحل محل الجهل و الأفكار المسبقة المنغلقة المفاهيم المدققة للعالم الأوروبي) محمد الميلي 2005.

_ إن عملية التفكيك للبنى الاجتماعية و الاقتصادية توازن منذ البداية مع عملية تفكيك و تحطيم الأسس التي تقوم عليها البنية الثقافية (الأوقاف) و هو ما سهل بعد ذلك إتمام عملية الترسيخ الاستعماري من خلال محاولات تأسيس و تشكيل مجال ثقافي جديد خادم للمشروع الاستعماري عندما استقرت الجبهة العسكرية بعد1880،فنحن إذا أمام عمليتان

عملية هدم و أضعاف للكيان الثقافي الأصيل و عملية أخرى هي التأسيس لنسق ثقافي جديد تكون الغلبة فيه للقيم الخادمة للاستعمار الاستيطاني و قد ارتكزت ميكانيزمات هذا العمل على مجموعة الأساليب نذكر من بينها:

1. إنهاء الوظيفة الاجتماعية و الثقافية لمؤسسة الأوقاف
2. تدهور أماكن العبادة و المعالم الإسلامية
3. تدهور منظومة التكافل الاجتماعي
4. تهميش دور مؤسسة القضاء الإسلامي
5. القضاء على المرجعية الدينية
6. القضاء على اللغة العربية
7. القضاء على القيم الأخلاقية للمجتمع

_ الضعاف اللغة العربية : لأنها حاملة للإسلام و ثقافته بإبطال وظيفتها الاجتماعية و استبعادها التدريجي من إدارة مختلف مجالات الحياة العامة فبعد أن كانت هي لغة التعليم و القضاء و التعامل اليومي جرى حصرها في حدود ضيقة هي حدود أداء بعض الشعائر الدينية ، ثم عملت الإدارة الاستعمارية على مزاحمتها باللهجات المحلية و الدارجة لتحقيق هدف الفرنسة فيما بعد.

وقد تم محاربتها بقرار وزير المعارف الفرنسي في 8مارس 1938 الذي اعتبر فيه العربية لغة أجنبية في الجزائر يمنع تعليمها في المدارس.

و قبل ذلك عرف مشروع محاصرة و أضعاف اللغة العربية مراحل متتالية ففي ديسمبر 1904 اصدر الحاكم العام الفرنسي قرارا يمنع فيه أي معلم جزائري من فتح مدرسة لتعليم العربية دون الحصول على رخصة من الإدارة. مشروطة في حالة القبول باقتصار التعليم على تحفيظ القران من دون التعرض لشرح آياته و خاصة تلك التي تتحدث عن الجهاد مع الولاء العام للإدارة

و الخضوع لأوامرها .رغم أن دستور 1947 اعترف رسميا باللغة العربية إلا أن الاهتمام بها بقي هامشيا حتى اندلاع الثورة التحريرية.

_ فالبيئة الثقافية الجزائرية عانت كثيرا مثلما عانت الطبقات الاجتماعية هي الاخرى، اثر عمليات الاحتلال و الغزو الفرنسي لمناطق البلاد ، و بأساليب مختلفة. فالطبقة المثقفة الوطنية و البورجوازية كادت أن تختفي تحت ضربات لمؤسسات الاستعمارية و سياسات الحكم في الجزائر طيلة فترة القرن التاسع عشر و هي الطبقة التي حوت العلماء و القضاة و رجال الإفتاء و الأئمة و المعلمين و زعماء الدين و التجار.

فالسياسة الاستعمارية " جففت الجزائر من طبقتها الوسطى التي كان من الممكن أن تلعب دورا حاسما في الاحتفاظ بالكيان الوطني و القيم الثقافية و الوجود السياسي للجزائر "(أبو القاسم سعد الله 1969)

فاللغة العربية، كمقوم من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية حوربت بمختلف الأساليب و المضايقات الإدارية ، و كان الهدف من هذه الحرب التي شنها الاحتلال الفرنسي ." على اللغة العربية طوال القرن و ثلث ، هو القضاء عليها تمهيدا للقضاء على الثقافة العربية الإسلامية ،و بالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية.(تركي رابح 1975).

فالثقافة العربية الإسلامية التي تعتبر ثقافة المجتمع الجزائري عبر المراحل التاريخية السابقة هي مقوم أساسي للشخصية الجزائرية سواء بكونها ترتكز على الثقافة العربية التي تشكل اللغة العربية إطارها الصحيح، و هي اللغة التي تميزت بتاريخ قديم متصل الحلقات أو بكونها ثقافة سايرت الحضارة و نظمها و ساهمت في الإنتاج الثقافي في ميادين الأدب و الفلسفة و العلوم عموما في عصور الازدهار الفكري للعرب أو بكونها ثقافة ذات تراث فكري خصب متاثرا اشد التأثر بالقران و الدين و الشريعة الإسلامية التي تعتبر محك المجتمع و أساس ما كان يلقن ويدرس في حلقات و أطوار التعليم المختلفة.(تركي رابح1975).

و هذه الجذور الثقافية العميقة في المجتمع الجزائري تكونت في الأساس و تاريخيا – قبل الاحتلال– خلال الفترة العثمانية و استمرت في النهوض من بعد نتيجة الدور الذي قامت به المؤسسات الثقافية و التربوية في ربوع الجزائر كالمساجد و المدارس و الكتاتيب و الزوايا التي قامت بمهمة التعليم مشرفة على تلاميذها و طلابها

و مدرسيها فكانت " اكبر مؤسسة تغدي هذه المؤسسات الثقافية هي الأوقاف – الحبوس –"حلوش عبد القادر 1975" التي كان من أغراضها توفير العناية بالمساجد و المدارس و المعاهد و الزوايا . و إلى جانب هذه المؤسسات الثقافية التي تكلفت بقضية تعليم المجتمع و تثقيفه ،" يدين هذا التعليم كذلك لجهود الأفراد و العائلات ، لان بعض العثمانيين كأشخاص و الجزائريين اشتركوا على السواء في تأسيس المدارس و الاعتناء بها ، و كان هؤلاء يهتمون ببناء المدارس و المساجد بدوافع دينية و لخدمة العلم و لتخليد أسمائهم أحيانا أخرى "(حلوش عبد القادر 1975)

وفقا للقانون 30 أكتوبر 1886 و مرسوم 06 ديسمبر 1887 تم إخضاع المدارس القرآنية إلى رقابة و تفتيش شديدين من قبل السلطات الاستعمارية الفرنسية و تخص هذه الرقابة بالدرجة الأولى الاتجاه الإسلامي (المرجع السابق) و كانت المادة 48من مرسوم 1892قد أخضعت المدارس الخاصة الحرة الإسلامية لرقابة و تفتيش السلطات المبينة في المادة 9 من قانون 1886 و مرسوم 1887م

و تتمثل هذه السلطات في إشراف البلديات على هذه المدارس ذات التعليم الحر و مراقبة مدرسيها لمحاولة معرفة الانتماء السياسي للقائمين على هذه المدارس. إن كثيرا من هؤلاء كان ينتمي إلى طرق دينية يعتبرها الاستعمار ذات طابع سياسي مناهض لوجوده و بقائه في الجزائر. فكثيرا ما قامت الطرق الدينية نفسها بإعلان الثورة على الاستعمار.

بل أن الأمير عبد القادر الذي قاد الثورة الشعبية ضد الاحتلال كان ابن زعيم و منتمي إلى طريقة دينية ، الطريقة القادرية ،و إلى جانب ذلك قامت ثورات أولاد سيدي الشيخ عام 1864،و ثورة الشيخ الحداد عام 1871 و الشيخ بوعمامة عام 1881 م.

و مما لا شك فيه أن هذه البيئة الثقافية الدينية و الجو العلمي الذي عرفته الجزائر قد تأثرت ملامحها بما خلفه الإسلاف من علوم و تراث أدبي و ديني و لغوي و فكري(ابو القاسم سعد الله 1981).

حتى يتحقق هذا الاستعمار الفرنسي للجزائر العربية كان السعي الحثيث و العنيف لسحق قومية الجزائريين العربية ونزع هويتهم المتميزة و هي العروبة و الإسلام طالما كان هذا الإسلام محافظا على عروبتهم و مغايرتهم للفرنسيين... فسعوا إلى فرنسة الجزائر لغويا بإحلال الفرنسية محل العربية و كتبوا بأحد التقارير التي وضعت سنة 1847 ما يلي :"إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها و العمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي التي تقوم مقام العربية ، و هذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا وتمثيلهم بنا ، و إدماجهم فينا ، و جعلهم فرنسيين !"(محمد عمارة 1986)

_ و لقد صنع الفرنسيون كل ما خطر ببال مستعمر استيطاني غاشم لتحقيق هذه الأهداف فأغلقوا ، يوم احتلوا البلاد ، أكثر من ألف مدرسة و بعد قرن و ربع قرن من احتلالهم "سنة 1954 م وعندما قامت الثورة المسلحة ضدهم كانت الأمية في الجزائر 91%...أما الذين كانوا يقرؤون العربية فلم يزد تعدادهم عن 200.000 تعلمت أغلبيتهم في المدارس التي أقامها التيار القومي العربي كحركة التجديد و الإصلاح كي يقاوم بها أهداف الاستعمار !..."المرجع السابق .

و لكن الاستعمار ، قرر ان يقضي على الأنشطة التعليمية و الثقافية التي كانت مزدهرة قبل سنة 1830 م الشيء الذي اعترف به بعض الكتاب و المؤرخين الفرنسيين أنفسهم منهم(مارسالامبيرت)

Marcel Emeri و دوماس Dumas و تورين Turrinفكان للتعليم مكانة مرموقة حاول الاستعمار أن يحطمها ليؤسس تعليما خاصا يتماشى مع أهدافه السياسية الاستعمارية . و حرمان أبناء الجزائر من التعليم و محاربته للغة العربية و الدين الإسلامي و العمل على محو الشخصية الجزائرية قوميا و تعليميا و إسلاميا و جغرافيا .

ان تذكر المراحل التي سطرها الاستعمار الغاشم للتعليم ابتداءا من 1830 لطمس الهوية الجزائرية و القضاء عليها عن طريق المدارس المخصصة لأهل البلاد .فشرع في تنفيذ هذه الخطة عند تطبيق القوانين المتعلقة بالتعليم العمومي الفرنسي بموجب المرسوم المؤرخ في 03 -02-1883 في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة .

فقد ذكر في هذا الصدد الدكتور محمد عمارة :" كانت فرنسا قد شرعت في احتلال الجزائر 1830 و أخذت في تثبيت استعمارها لها لكنه لم يكن احتلالا كغيره من أشكال الاحتلال ...

و لم يكن استعمارا كالذي شهدته و شهده كثير من البلاد في أسيا و إفريقيا .

فهو لم يقف عند اغتصاب المستعمر الدولة و الإدارة والحرية و الأرض و الثروة التي كانت للجزائريين على ارض وطنهم ، و إنما ذهب المستعمر الفرنسي فاراد سحق الهوية القومية للشعب ، و إلغاء عروبتهم ، لأنها رمز مغايرتهم للفرنسيين ،و هو قد أراد ان يكونوا فرنسيين ، حتى يكون وطنهم ليس مجرد مستعمرة فرنسية و إنما الامتداد الإفريقي للوطن الفرنسي عبر البحر المتوسط ... كما ذهب هذا المستعمر ، أيضا ، الى مسح الإسلام ، حتى يزيل طابعه القومي العربي في البيئة العربية الجزائرية ، و ينزع منه عوامل المقاومة فيتحول من شوكة بحلق الاستعمار و الى قيد يثقل خط المناضلين في سبيل الحرية و الاستقلال "(تحديات لها تاريخ 1982محمد عمارة)

قد صرح الشيخمحمد البشير الابراهيمي نائب رئيس الجمعية في خطاب رسمي أمام الجمعية العامة 1933" ان جمعيتكم تسعى إلى تحقيق غايتين نبيلتين ، إحياء مجد الدين الإسلامي و مجد اللغة العربية –الشهاب اوت1933.

_ المعروف تاريخيا ان دور المدرسة الفرنسية كان أساسيا في تكوين فئة من "المتمدرسين "

تربت تربية فرنسية خالصة و في محيط و بيئة فرنسية بعيدة عن واقعها (حلوش عبد القادر 1975) لم تنل من ثقافتها العربية الإسلامية إلا النذر القليل الشيء الذي جعلها لا تميز بين ثقافتها و ثقافة المستعمر . هكذا عملت هذه المؤسسة التعليمية لخلق" نخبة" مثقفة جزائرية و تهيئتها تكون قادرة على نشر افكار التقدم الفرنسي

و فضائه" بصفتها برجوازية محافظة ترتبط بفرنسا أكثر فأكثر و تميز الطريق المتبع تحت السيطرة الفرنسية

"(أبو القاسم سعد الله 1975)

_ إن المدرسة الفرنسية كانت تبحث في هذا الاتجاه على إقناع الجزائريين بكافة الوسائل بعظمة و قوة فرنسا _ خوفا من تحول التيار الوطني ضدها فوضعت الغاية التي هدفت

إليها " إن الهدف المنشود ليس تكوين موظفين خاصين و لا تحضير مدرسين للتعليم العمومي و إنما لتكوين رجال يساعدوننا على تحويل المجتمع العربي وفق متطلبات حضارتنا "

نورين، ايفون، المجابهات الثقافية .

و نلاحظ في الغالب كان التعليم المنتشر في مختلف أنحاء الجزائر هو التعليم العربي الإسلامي الذي استمر في تأدية وظائفه. و تشير الإحصاءات 1871 كان عدد الزوايا بمؤسساتها الدينية و الثقافية تقترب من الألفي زاوية تشرف على تعليم و تثقيف حوالي 28000 تلميذ من أبناء السكان كما كانت هذه المدارس تكون و تحضر الطلاب للالتحاق بالمعاهد المشهورة مثل : جامع الزيتونة في تونس ، و جامع القرويين في مدينة فاس ، و أحيانا أخرى إلى جوامع المشرق العربي في مصر و سوريا و الحجاز .

و يشير مفكري الاستعمار الفرنسي الى كلمات تحدد هدف الاستعمار و من بينهم الكاتب الصهيوني (ماكس نوردو) يقول :" ان شمال إفريقيا سيكون مهجرا و مستوطنا للشعوب الأوروبية ... و اما سكانه الأصليون فسيدفعون نحو

الجنوب ، إلى الصحراء الكبرى إلى ان يفنوا هناك " و أضاف قائلا :" و حتى يتحقق هذا الاستعمار الاستيطاني للمستعمرين الفرنسيين بالجزائر العربية.

رفض المعمرون إنشاء إي تعليم لفائدة أبناء الجزائر لأنهم كانوا يرون أن التعليم من العوامل التي تدفع السكان للمطالبة بحقوقهم الشرعية و من السلاح الأقوى في مكافحة الاستعمار ، و انعدام ثقة الجزائريين في كل عملية أتت من السلطة الفرنسية و التصريحات المتناقضة للمسؤولين الفرنسيين حول تعليم الجزائريين.

كان المعمرين يتساءلون هل من فائدة الاستعمار أن يعلموا الجزائريين أم كلهم أم بعضهم ؟ بالعربية أم بالفرنسية أو اللغتين؟ هل يعمم عليهم أم لا؟ أو يطبق على البعض فقط لصالح المعمرين الفرنسيين؟ كانت هذه التساؤلات كلها تخالج أذهان المعمرين في الجزائر و المسؤولين بفرنسا .

"لان المدرسة كما قيل في البصائر أكتوبر 1951، هي جنة الدنيا و السجن هو تاريخها و الأمة التي لا تبني المدارس تبنى لها السجون " الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .

_ انتهت الحرب العالمية الثانية بانهزام النازية فانتظر الشعب الجزائري و بدون جدوى تحقيق ما وعد به ، و ثار على الاستعمار مرة أخرى في ماي 1945 و طلب إلغاء" قانون الجزائر" في 1947/09/20 الذي نص في مادته 7_5 على " أن اللغة العربية تعتبر كلغة من لغات الاتحاد الفرنسي و إن تعليمها سينظم على جميع المستويات "

فقد صدر قانون مؤرخ في 8 مارس 1938 يمنع التعليم العربي الحر و يهدد بالغرامة و السجن، المعلمين الأحرار لأنهم وصفوا النهضة العربية الإسلامية بأنها حركة متشددة و عملوا كل ما في وسعهم لتعويض لغة القران الكريم بلغتهم. و هذا ما صرح به سنة 1934 المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون:" أن اللغة الفرنسية أصبحت أداة للفكر الإسلامي لا في الناحية السياسية فحسب بل و في الناحية الدينية " و هذا ما تتمناه مستشرقون آخرون بتأييد من فئة غير مسؤولة من العرب قصد تبديل الحروف العربية بالحروف اللاتينية كما فعل الزعيم التركي مصطفى كامل 1880- 1934 هذه المحاولات فشلت لأنها دفعت الجزائريين على ترك لغتهم و حضارتهم العربية الإسلامية و تاريخهم المجيد

_الم يقل الإمام مصطفى بن الكبابطي عندما حول مسجد كتشاوة إلى كاتدرائية :" لئن تحولت العبادة في مساجدنا ، فان ربه لن يتحول في قلوبنا ؟"(الهادي الحسني 2004)

_الم يقل الإمام عبد الحميد بن باديس لأحد إخوانه العلماء عندما اخبره بنيته في الخروج من الجزائر " إن خروجك يا فلان أو خروجي يكتبه الله فرارا من الزحف "

و أما في ميدان اللغة العربية ،فيكفي أن نعلم أن حرب فرنسا لها بلغت درجة أن عامل عمالة وهران أعطى رخصة لمعلم ، لا يعادي فرنسا ، لكي يعلم اللغة العربية ، مشترطا عليه أن لا يعلم أكثر من تلميذين (رخصة رقم 41 بتاريخ 27_04_1915م .أرشيف ولاية وهران ،علبة رقم 4064)- الهادي الحسني ص 292

_ نبا قانون 08مارس 1938 المعروف باسم قانون شوطان – وزير الداخلية الفرنسي ، الذي ينص على أن اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية ، يحرم تعليمها و تعلمها ؟ المرجع السابق.

_ ذلك أن احد علمائهم في علم التربية ، و هو بييرمورلانP.MOURLAN برر سياسة فرنسا لتجهيل الجزائريين ، و" توحيشهم " و منعهم من التعلم بأنهم " عرق غير قابل للتربية " فهل سمع الناس ، أو قرؤوا، أن أحدا من علماء التربية ، أو غيرهم ، قديما أو حديثا، قال عن شعب من الشعوب بأنه غير قابل للتربية و التعليم ؟ و يقول هذا البييرPIERRE"(و معناه الصخرة أو الحجرة) ذلك الكلام غير المعقول ، و غير العلمي ،و غير المنطقي ، و هو يعلم أن ديكارت ،الذي يفتخر به الفرنسيين ، يقول أن اعدل قسمة بين البشر _ بمن فيهم الجزائريين– هي العقل ، فالناس جميعا، أسودهم، و أحمرهم ،و أبيضهم،و أصغرهم متساوون في العقل. و بمقولته تلك، يظن ذلك "البيير" بانه خائن ،خائن العلم ،الذي يدعيه، و خائن لفيلسوفه الكبير ديكارت، الذي ينتسب إليه، و يفتخر به.

لقد عمل (لافيجري و فوكو) و غيرهما على" تخليصنا و تحريرنا من قرآننا " و أنفقوا في سبيل ذلك أموالا طائلة واوقاتا هائلة و لكنها كانت عليهم في نهاية حسرة حيث بقي الجزائريون متمسكين بالقرآن الكريم معتصمين بدينهم القويم مهديين برسولهم الرؤوف الرحيم.

و هاهي الجزائر المسلمة ،تضع لافيجري مرة أخرى فتقييم القرآن الكريم و تعرض محبتهم دار القرآن الكريم و المسجد الأعظم حيث يتلى القرآن الكريم و يعبد منول القرآن الكريم و سيبقى القرآن في الجزائر و لو كفر الكافرون و كاد الكائدون و مكر الماكرون و إن جنود القرآن لجنود لافيجري لغالبون.

المقاومة السياسية و الفكرية:

إن تجربة المقاومة السياسية بدأها حمدان خوجة وزملاؤه في الثلاثينيات (أبو القاسم سعد الله 2007) فكانت لجنة المغاربة أول حركة سياسية بعد توقيع معاهدة الاستسلام **05** جويليةو**1830** وما أقدمت عليه سلطات الاحتلال من إجرام في مدينة الجزائر وضواحيها (المرجع السابق)، فكانت نشاطات الحركة تتمثل في:

- توجيه نداءات وعرائض إلى السلطات الفرنسية بالجزائر وبفرنسا تطالبها فيها باحترام مضمون معاهدة الاستسلام (علي مراد 2007)
- المطالبة بالجلاء السريع للجيش الفرنسي وبلجنة تحقيق في المظالم و المجازر المرتكبة في حق الجزائر والجزائريين، وعلى إثر تجربة لجنة المغاربة بدأت معالم الوعي السياسي والفكري والاصلاحي تنتشر في الجزائر، تجلّت في اتجاهين:

الاتجاه	من أبرز شخصياته	مطالبه
اتجاه المحافظين	عبد القادر المجاوي ، عبد الحميد بن سماية، المولود بن الموهوب، حمدان لونيسي، عمر بن قدور، سعيد بن زكري، عمر راسم، وهم من ذوي الثقافة العربية الإسلامية.	دعوا إلى معارضة: الفكر الغربي وتجنيس الجزائريين والتجنيد الاجباري وجميع المخططات التي تهدف إلى تغيير المجتمع الجزائري تغييرا جذريا، كما دعوا إلى الإبقاء على: النظم الإسلامية، التعليم العربي، القيم العربية الإسلامية.
اتجاه النخبة	ابن التهامي، أحمد بن اسماعيل، بوضربة، وهم ممن تمكنوا من الثقافة الفرنسية أغلبهم مترجمين، محامين، صيادلة وأطباء.	دعوتهم تتركز على: التجنيس والادماج والحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية "مسلم فرنسي".

المصدر: (علي مراد 2007)

- **الوسائل و الأساليب:**

انفتح طريق الاتصال بين الجزائر والعالمين العربي والإسلامي، فكانت الجزائر والمجلات تصل إلى الجزائر من المغرب الأقصى وتونس ومصر عن طريق المهاجرين أو بواسطة الحجاج العائدين من البقاع المقدسة، ومن فرنسا نفسها عن طريق العمال، وأبرز هذه المجلات:

- **العروة الوثقى:** (جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده) ومجلة المنار "رشيد رضا"، بدأ أثر هذه الجرائد والمجلات في كسر الجمود الفكري وإيقاظ الضمير العربي الإسلامي في الجزائر، ومن أهم الجرائد الجزائرية:

الجريدة	مؤسسها	تاريخ تأسيسها	توجهاتها
جريدة الجزائر	عمر راسم	**1908م**	أوقفتها السلطات الفرنسية بعد صدور عددين منها ثم عادت إلى الصدور في **1911 م** "التوعية-التثقيف- التعليم- إطلاع الجزائريين على ما يجري في الخارج".
جريدة الفاروق	عمر بن قدور	**1913م**	متأثرة بجريدتين العروة الوثقى والمنار شعارها " قلمي لساني. ثلاثة بفؤادي: ديني ووجداني، وحب بلادي."

شهدت الجزائر حركة فكرية نشطة حيث انجذب اهتمام المثقفين الجزائريين في هذا الجيل نحو التاريخ العربي الإسلامي بوجه عام وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص وهو الاهتمام الذي يعتبر بمثابة رد فعل على سياسة الاحتلال التعليمية والثقافية التي كانت تسعى إلى استئصال المجتمع الجزائري وفصله عن جدوره من جهة والتأكيد من جهة أخرى على وجود الشخصية الجزائرية بمقوماتها العربية الإسلامية عبر تاريخ أصالة هذه الشخصية في الماضي واستمراريتها في الحاضر والمستقبل من جهةُ ثانية **(د. جمال قنان1983)**.

- إن أبرز ما تمخضت عنه الحرب بالنسبة للجزائريين ذوي الاتجاه العربي الإسلامي، تلك النهضة الفكرية والاجتماعية التي بدأت مع بداية أول حركة إصلاحية في الجزائر عام **1925م**، فإن للأثر الذي تركته هذه الحركة في الجزائر كان من الأصالة والعمق أن جعل الجزائريين يستردون شخصيتهم الأصيلة، ويقومون نتيجة لذلك، بالثورة التحريرية سنة **1954م**. وكان من الشمول والإحاطة أن مس كل نواحي الحياة، ثقافيا واجتماعيا وسياسيا.
- ومن هنا اقترنت نهضة الأمة الثقافية في الجزائر بالحركة الإصلاحية **(أبو القاسم سعد الله-الحركة الوطنية ج ح-1976)**

لأن الذين قاموا بها تخرجوا من المعاهد العربية والإسلامية كالزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بمصر، والقرويين بفاس، وقلّة قليلة تعلّمت بالحجاز، هؤلاء جميعا تشربوا مبادئ العبدوية الإصلاحية وآمنوا بها، وتأثروا بالنهضة المشرقية وخاصة النهضة المصرية ـ تُحسب عاملا فعالا في بعث تلك الحركة وامدادها بالزاد الروحي، وعن هذا يذكر محمد السعيد الزاهري أحد زعماء هذه الحركة ـ"وكل حركة دينية أو أدبية في مصر لها صداها القوي في المغرب العربي، فللأستاذ الشيخ محمد عبده المصري أنصار ومؤيدون، وفكرة الإصلاح الإسلامي التي كان يدعو إليها، أصبحت اليوم في الجزائر مذهبا اجتماعيا يعتنقه الكثرة الكثيفة من الناس. **(محمد السعيد الزاهري 1936)**.

فإن أول ما قامت به هذه النخبة المثقفة، أن نشرت الصحف العربية، وكان أبرزها جريدة "المنتقد" التي برزت إلى الوجود في عام **1925** فإليها يرجع الفضل في توجيه المواهب المتفتحة. واستطاعت أن توحد خطى الطبقة المثقفة نحو هدف واحد، وهو العمل في سبيل إحياء الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، وتشجيع تعليم اللغة العربية ونشرها بكل الوسائل وخدمة الثقافة العربية الإسلامية، ونشرها في الأوساط الجزائرية بمختلف الأساليب. **(علي مراد 2007)**

التربية و التعليم في فترة الاحتلال

لم يكن الإحتلال الفرنسي في بداية احتلاله الجزائر مشغولا بأمرآخر الا شُغله بتوطيد أركان وجوده في الجزائر، فاعتمد على قوة السلاح في مختلف مراحل احتلاله، ومن أجل ذلك لم يتعرض في سنواته الأولى من الإحتلال لحركة التربية والتعليم، ومع ذلك فقد اتخذ في هذا الشأن قرارا كان له الأثر السيء على التعليم العربي " الحر " على المدى البعيد.

وقد تمثل هذا القرار في **(** قرار وضع اليد على الأوقاف الإسلامية، الذي أصدره الجنرال **" دي بورمون**في 08 سبتمبر 1830م **" بولارد موريس"**. ثم أصدر قادة الاحتلال قراراً آخر مكملا للقرار الأول في 07 ديسمبر 1830م**)** ينّص " على حق التصرف

في الأملاك الدينية بالتأجير أو الكراء " المرجع السابق.

والتعليم في الجزائر في تلك الفترة كان يعتمد اعتماداً كليا على الأوقاف التي كانت مصدر تكفل بالمؤسسات التعليمية (المكاتب –

الزوايا – المساجد) التي كانت تفتح أبوابها للصغار لأخذ العلم في شتى مواد التعليم المعروفة حينئذ من علوم عقلية ونقلية سواء

في المدن والأرياف، وكانت هذه الزوايا تخرج الشبان المؤهلين لمواصلة التعليم ويرسلون الى تونس أو المغرب الأقصى – فاعتبرها الاستعمار مراكز لبث التشويش على بقائه في الجزائر و محركا للثورة ضده.

ومما لاشك فيه أن الاحتلال أدرك ما تمثله هذه المؤسسات التعليمية على بقائه وعلى إدماج الجزائريين وفرنستهم وتنصيرهم فقد عمل

ما يعجز الشيطان عن التفكير فيه من ضرب لمقاومات هذه الأمة من عربية وإسلام حتى يسهل عليه بلعها وقد وصف جهود هذه المؤسسات كالأتي:

- فلولا هذه المراكز لأصبح الأطفال الجزائريون كلهم معرضون للجهل والأمية، هذا ما أعلنته اللجنة المكلفة سنة 1891م من طرف المجلس الوطني الفرنسي بتحقيق حول التعليم في الجزائر. (تركي رابح 1984م)

- فقد التفت المحتل لهذا الجانب الحيوي في حياة الأمة والمقوم الأساسي لوجودها فوجه إليه كل سهام كيده و حقده ليضرب به في

أساسه فقد أصدر مرسوما في 13 فبراير 1883م ينظم فيه أمور التعليم في الجزائر، فجعل المحتل التعليم فرنسيا خالصا في اللغة

والمنهاج والتوجيه العام ، وأنشأت فرنسا نوعين من المدارس أحدهما خاص بأبناء الأوروبيين المستوطنين في الجزائر، والأخر خاص بأبناء الجزائريين، وجعلت التعليم فيهما معاً باللغة الفرنسية.

- لم يبقى شيء يخفى من سياسة المحتل فقد تبين ما وراء الستار واتضح الهدف من سياسة الفرنسة و الإدماج والتنصير ولم يجد المحتل ميداناً خصباً صالحاً لزراعة هذه السياسة الإستئصالية أفضل من حقل التربية و التعليم.

أهداف التعليم في فترة الاحتلال الفرنسي

سياسة الفرنسة:

عملت السلطات الاستعمارية منذ احتلالها الجزائر على إحلال اللغة الفرنسية و ثقافتها محل اللغة العربية و ثقافتها ،وإضفاء الصيغة الفرنسية على البلاد، و قطع كل الروابط التي تربط الجزائر بثقافتها و بلغتها و تاريخها و انتهائها الحضاري .

تمثلت السياسة الاستعمارية في هذا المجال في :

_ إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع –المعاملات السياسية و الإدارية و العسكرية القضائية والتعاملات الاجتماعية المختلفة –.

_ إصدار وزير الداخلية الفرنسي قرارا بموجبه اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية بالجزائر لا يجوز تعليمها في مدارس حكومية أو شعبية إلا على أساس اعتبارها لغة أجنبية

_ القضاء على جميع مراكز التعليم و الثقافة العربية (المدارس الرسمية و الزوايا و المعاهد و الكتاتيب) عبر الجزائر وتهديم الآثار الإسلامية

_ فرنسة المحيط بكتابة اسماء الشوارع و الأحياء و تسمية المدن و القرى الجديدة بأسماء شخصيات فرنسية أكثرها من القادة العسكريين الذين ساهموا في إخضاع الجزائر بالاحتلال الفرنسي تخليدا لذكراهم و افتخارا بهم و إذلالا للجزائريين و هزيمتهم نفسيا من جهة ثانية

_ محاولة تشويه تاريخ الجزائر بقصد إحداث الشك حول انتمائها و من ثمة انحصر اهتمام علماء الآثار و التاريخ الفرنسي في البحث عن تاريخ الجزائر في الفترة الرومانية محاولين إقناع الجزائريين بان بلادهم رومانية في ماضيها فرنسية في حاضرها و مستقبلها

_ تدريس جغرافيا و تاريخ فرنسا على أنهما جغرافيا و تاريخ الجزائر

_ الاهتمام بالدراسات الاجتماعية و الانتروبولوجية لخدمة الأهداف الاستعمارية

_ حرق المؤلفات و المخططات و الوثائق التي لها علاقة بالثقافة العربية الجزائرية

_ تجنيد وسائل الإعلام المختلفة : كتاب_ صحافة_ إذاعة_ بينما حركة الاستشراق في ظل هذه السياسة ستنشأ الأجيال الصاعدة نشأة ممسوحة في كل شيء و مقطوعة عن جدورها الأصلية فتكون بذلك أسهل للانقياد للسياسة الفرنسية و أكثر قابلية لنتائجها.

" إننا في أي بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج حضارتها ما قبل الإسلام و لسنا نطمع بطبيعة الحال أن يرتد المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام و لكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام و تلك الحضارات ...

(عبد القادر ماضي 1987م) ، و جاء في تقرير سنة 1849م :" لا ننسى إن لغتنا هي اللغة الحاكمة فان قضاءنا المدني و الجزائي و العقابي يصدر أحكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة فان أهم الأمور التي يجب أن نعتني بها قبل كل شيء هو السعي وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة و عامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم و تمثيلهم و إدماجهم فينا و جعلهم فرنسيين..."(ساطع الحصري 1984).

سياسة التنصير في الجزائر

لقد عملت سلطات الإحتلال منذ دخولها عاصمة البلاد على إنتهاج سياسة الإبادة الروحية للشعب الجزائري ، و تتجلى مظاهر هذه السياسة و أهدافها في :

-الإستلاء على الأوقاف الإسلامية بمختلف أنواعها بموجب قرار كلوزيل 12-07-1830م، و قرار 1844م ، القاضي بحق السلطة الفرنسية في بيع أملاك الحبوس و الاوقاف.

-تحويل المؤسسات الدينية من مساجد و مدارس و معاهد و زوايا الى كنائس و ثكنات عسكرية و مخازن للسلاح و الغلال و استطبلات للحيوانات ..إلخ

-إنشاء أسقفية الجزائر 08أوت1838م برئاسة "أنطوان ديبيش" ثم الكاردينال "لافيجري"1866م الذي أنشأ سنة 1869م جمعية الاباء البيض مركزها الحراش بهدف تنصير الجزائر و إفريقيا.

-تشجيع الإرساليات التبشيرية و البعثات التنصيرية و كذا بناء المؤسسات الدينية المسيحية واليهودية على حساب المؤسسات الإسلامية حيث تم بناء ما يربو على 327 كنيسة،54 معبدا لليهود.

-إنتهاج سياسة هدم المؤسسات الإسلامية أثر كل مقاومة أو بإسم القانون للمصلحة العامة لشق طريق أو بناء مساكن أو إدارة أوتوسيع المؤسسات الحكومية .

-نفي و إبعاد العلماء و رجال الدين من امثال "محمد محمد العنابي" ،"مصطفى الكبابطي".

-إخضاع القضاء الإسلامي الى القانون الفرنسي

-إخضاع كل النشاطات الدينية و المبادرات الخيرية لرخصة المسبقة لمعرفة مصدر الأموال و طريقة صرفها. -إلحاق شؤون العبادة الإسلامية بإدارة الإحتلال و إسنادها الى موظفين في أدنى السلم الإداري تحت رقابة القيادة العسكرية

-إعتبار الحج من أسباب التعصب الديني و عدمالطاعة و لذلك يجب إخضاعه لرخصة مسبقة و بيان بمصدر الاموال.

–ربط الدين الإسلامي بالإدارة الإسلامية سياسة في الوقت الذي طبقت سياسة فصل الدين عن الدولة بالنسبة للمسيحية و اليهودية.

1_ سياسة الادماج:

هدفت السياسة الاستعمارية منذ بداية الاحتلال الى اذابة الجزائر في الكيان الفرنسي و انهاء وجودها ككيان مستقل بكل مقوماته و ذلك بدمجها في فرنسا سياسيا و اداريا و ثقافيا و روحيا و لغويا. و تجلت مظاهر ذلك في:

_ اتخاذ الاجراءات القانونية التي تسمح بادماج الجزائر في فرنسا و جعلها جزءا لا يتجزا منها.

_ منع السكان الجزائريين من الحصول على حقوقهم السياسية و الاقتصادية .

_ دعم المعمرين ماليا لبناء المستوطنات في جميع انحاء الجزائر.

_ منح الجنسية الجزائرية ليهود الجزائر بموجب مرسوم كريميو24_10_1870م

_ منح الجنسية الفرنسية للاوروبيين المقيمين بالجزائر بموجب قانون1889م

_ الاستلاء على الاراضي الخصبة لصالح الجالية الاوربية المقيمة بالجزائر و تمكينها من زمام الحكم لغرض نفوذها على الجزائريين و التحكم فيهم، و قد ساعدها في تنفيذ مخططاتها اليهود المتجنسون.

فهذا المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) يقول :«ان الجزائريين المسلمين كانوا من الناحية القانونية رعايا فرنسيين منذ 1865–1934 و ليسوا مواطنين » و لم يعطيهم القانون حق ارسال نواب عنهم الى البرلمان الفرنسي الا سنة1944 اما دستور سبتمبر1947 المعروف بقانون الجزائر فقد منحهم المواطنة الفرنسية الكاملة مغ ابقائهم على احوالهم الشخصية الاسلامية(أبو القاسم سعد الله 2007).

المراسيم و القوانين الداعمة لسياسة الإدماج

القانون	مضمونه
مرسوم22 جوان1834(سعد الله)	_ ينص على اعتبار الجزائر جزء من الممتلكات الفرنسية.
مرسوم 04مارس1848	_ ينص على ان الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا.
قانون14جويلية1865(سعد الله)	_ ينص على اعتبار المسلمين الجزائريين رعايا فرنسيين ليس لهم الحق المواطنة الفرنسية إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية الإسلامية.
مرسوم08_10_1870	_ توسيع الحكم المدني إلى جميع المناطق العسكرية.
مرسوم 24_10_1870(سعد الله)	_ أصبحت الجزائر بموجبه تشكل 03 مقاطعات فرنسية و القوانين الفرنسية تطبق على الجزائريين المسلمين.
مرسوم24_12_1870	_ يسمح للمستوطنين الأوربيين بتوسيع نفوذهم إلى المناطق التي يسكنها الجزائريين وإلغاء المكاتب العربية في المناطق الخاصة بالحكم المدني
مرسوم29_03_1871	_ تعيين حاكم عام مدني في الجزائر خاضع لسلطة وزير الداخلية الفرنسي
قانون23_03_1882	_ الخاص بإنشاء دفاتر الحالة المدنية للمسلمين
مرسوم 31_01_1912 مرسوم03_02_1912	_ تجنيد الشبان الجزائريين الذين تتراوح أعمارهم بين19و20 سنة
قانون 19_12_1900	بمقتضى هذا القانون أصبحت الجزائر مستقلة ماليا و عندها مجلس من المندوبين يمثلون مصالح أربع شرائح اجتماعية متميزة تمثل المستوطنون ملاك الأراضي (24مقعد) المستوطنون بدون أراضي (24مقعد) الجزائريون الناطقون بالعربية (15مقعد) الجزائريون الناطقون بالقبائلية(06مقاعد)
مرسوم 19_09_1912	_ السماح للشبان الجزائريين الذين يؤدون الخدمة العسكرية بان يشاركوا الانتخابات المحلية و الحصول على مناصب عمل بعد الانتهاء من الخدمة العسكرية
مرسوم 13_01_1914	_ ينص على رفع المستشارين العامين المسلمين في البلدية من الربع الى الثلث أي يرتفع العدد من 06الى10
مرسوم 07_09_1916	_ ينص على تجنيد جميع الجزائريين الذين ولدوا بعد عام1890 و عدم السماح لهم بالحصول على الإعفاء

- دعاة الإندماج:

-دعاة الإندماج في الجزائر (فرحات عباس) في عام 1936م كتب مقالا باللغة الفرنسية في إحدى الجرائد في الجزائر انكر فيه وجود الشخصية الجزائرية في التاريخ رد عليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس في مجلة الشهاب ردا مفحما أسكته به و ذهب هذا الرد مثلا في تاريخ الجزائر الحديث .

يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس :"إننا نحن فتشنا في صحف التاريخو فتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الإسلامية المسلمة متكونة ، موجودة-كما تكونت ووجدت كل امم الدنيا و لهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال و لها وحدتها الدينيةو اللغوية و لها ثقافتها الخاصة و عوائدها و أخلاقهابما فيها من حسن و قبيح شأن كل امة في الدنيا ثم إن هذه الامة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عنصرها و في دينها لا تريد ان تندمج و لها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة" (مجلة الشهاب افريل 1936)

و يمكن القول لايتصور مستقبل آخر للجزائر خارج نطاق العروبة و الإسلام، فالإسلام هو الذي تبنى عليه كل مقومات الاساسية للشخصية الجزائرية و هو يشكل مانعا حصينا لهذه الشخصية العربية الإسلاميةضد كل تهديد سواء كان داخليا او خارجيا و لذلك بدلت جمعية العلماءجهودا كبيرة في سبيل تطهيره من البدع و الشعوذة و الخرافات و الضلالات التي ألحقها به بعض المتطفلين على الدين مثل "رجال الطرقية" في مختلف العصور و العمل على إحياء جذوره في النفوس حتى يصبح الإسلام كما كان في العصور الإسلامية الأولى قوة دافعة للجزائريين الى النضال من اجل تحرير بلادهم من الإستعمار الفرنسي .

-ففي عام1938م ألقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس خطابا جامعا المحتفلين بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم بقسنطينة تحت عنوان : الإسلام دين الحياة ختمه بالجزء التالي:

قال: إنني أعاهدكم على انني اقضى بياضي على العربية و الاسلام كما قضيت سوادي عليهما و إنها لواجبات و أنني سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن و لغة الإسلام و القرآن هذا لكم عهدي به و أطلب منكم شيئا واحدا و هو ان تموتوا على الإسلام و لغة الإسلام والقرآن (الشهاب عدد جويلية1938م).

أما فيما يخص اللغة العربية فيقول : "إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين و خدم العلم و خدم الإنسان هو الذي نتحدث به و عن محاسنه منذ زمان و نعمل لإحيائه منذ سنين فليحقق الله أمانينا(جريدة البصائر عدد 171الصادرة : 22 جويلية1938م.

و صدق الاخ الدكتور أحمد ابن نعماني القائل :

إنما الأمم (اللغات) ما بقيت ... فإن همو ذهبت (الغاتهم) ذهبوا.

الحركة التنصيرية

لعب التنصير دورا هاما في التوسع الأوروبي ، وخاصة بعد الإكتشافات الجغرافية في القرون الوسطى ، فقد ساهم عدد كبير من الفرق الدينية المبشرة من القارة الأوروبية ، وعمل على بث النفوذ العلمي و الديني و الإقتصادي خارج هذه القارة .

و قد وجدت هذه الفرق الدينية الميادين فسيحة لنشاطها التبشيري بالمساعدات المادية و المعنوية التي كانت تتلقاها من الحكومات ذات النظم المختلفة .وغالبا ما كانت هذه الحكومة تعتمد على رجال الدين لما يمتازون به من طرق و اساليب خاصة في بث نفوذ الحكومة التي أيدتها و أمدتها بالإمكانيات الضرورية لنشاطها و بهذا يمكن لنا أن نقول بأن هذه الفرق كانت بمثابة اليد العلوى في التوسع الإستعماري عامة .

و قد بدأ التبشير عند نهاية العصور الوسطى ، حيث سعت كل من إسبانيا و البرتغال إلى ربط هذا النشاط الديني بمصالحها الخاصة اثناء حملاتها الإستكشافية للعالم المجهول (خديجة بقطاش2007) و يرى القائمون على التبشير أن الباعث الاول على نشاطهم هذا هو القضاء على الاديان غير النصرانية و إنقاظ الشعوب البدائية من تأخرها ، بإدخالها في إطار الحضارة الحضارة العالمية المسيحية ، من أجل هذا وجب القيام بالتبشير عند الشعوب ، و العمل على تنصيرها تنصيرا تاما يجعلها تلتحق بركب الشعوب المتقدمة . وبناء على هذا ، يبدوا لنا أن الهدف الحقيقي في نظرهم هو هدف حضاري يستند الى تعاليم المسيحية لكن الحقيقة غير ذلك إذ يربط اغلب المبشرين و المفكرين بين التبشير و الإستعمار يرون ان لا تناقض ما دام الإحتلال يرمي إلى نفس الهدف يقصده التبشير ألا و هو إنقاذ الأمم من حالة التخلف .

و قد صرح النائب الفرنسي ، فرناند نجيران قائلا: إن المبشر يعمل من اجل إزدهار الفكرة الإستعمارية للبلاد التي ينصرها، و ذلك برفع المعنويات الروحية و الأخلاقية للأهالي ... وإن النشاط التبشيري و النشاط الإستعماري شيئان متلازمان ، لأن الهدف الاسمى للإحتلال هو التقدم الروحي و الاخلاقي للمستعمرين .

و على هذا الأساس يعتبر التنصير من المقاصد الأولى التي يرمي إليها الإحتلال ، و قد الحت على ذلك المواثيق و من بينها ميثاق جمعية المائة شريك أو جمعية فرنسا الجديدة الذي يرى في التنصير وسيلة اساسية للنشاط التوسعي عبر العالم ، ندرك من هذا أن التبشير و التوسع الاوروبي كانا يسيران جنبا إلى جنب ، و يرميان إلى نفس الهدف ، فالبحث عن المراكز الإستراتيجية كان مطمع الإمبراطوريات غالبا ما كان نشر المسيحية وسيلته، و المحاولات التوسعية كانت تنجح عادة بنشر الدين.(خديجة بقطاش 2007)

يذكر ج لاتوسين الحاكم العام الفرنسي بالهند الصينية : أن المبسرين الفرنسيين مهدوا و فتحوا أبواب القارة الأسيوية للنفوذ الفرنسي ، فقد سبق وجود المبشرين بالهند الصينية إحتلال فرنسا لها بمائة سنة بمساعيهم و نشاطاتهم إستطاعت فرنسا أن تتحكم في هذه المنطقة من العالم .

و لكي يتمكن المبشرون من بث نفوذهم الديني و القياسي عملوا على ترجمة الإنجيل الى 350 لغة بدافع إنشاء و تطوير الكنائس المحلية و تكوين رجال دين محليين لها . وقد كون المبشرون طرقا فعالة وناجعة في نشاطهم بالمستعمرات و إستعملوا وسائل لجلب السكان إليهم ، تمثلت في التعليم و الأعمال الخيرية و العلاج للمرض و فتح المستشفيات و المستوصفات، و دور الأطفال اليتامى و غيرها .

فالتعليم في نظرهم كان غرضا لتنصير لأنه حسب هنري : يعتبر واسطة الى تحقيق غاية فقط ، هذه الغاية هي قيادة الناس الى المسيح و تعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسحيين .

العلاج و التطبيب كان وسيلة هامة لديهم ، فهم يقولون : حيث تجد بشرا، تجد ألاما ، و حيث تكون الالام ، و حيث تكون الحاجة الى الطبيب ، فهناك فرصة مناسبة للتبشير . و للوصول الى غاياتهم استعملوا الأعمال الخيرية و هي في نظرهم بمثابة السلاح الاول الذي بواسطته يدخلون إلى قلوب الناس ليتركو فيه أثارا أبدية .

و تجلت هذه الأعمال في العطف على اليتامى و المشردين و البؤساء و مساعدة الفقراء و المساكين إلخ...

و نفس هذه الوسائل إستعملها المبشرون الفرنسيون و بذلوا فيها جهدا كبيرا لجذب السكان إليهم بعد الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م .فالعامل الديني في الإحتلال نلمسه من الدور الذي لعبه رجال الدين في الحملة ، ولا يمكن ان ننسى تشجيع و مساعدة الوزراء لذالك، فقد عبر كليمون تونير وزير الحربية في تقريره للملك شارل العاشر يوم 14 اكتوبر 1877م عن أماله في تنصير الجزائر كما يلي : يمكن لنا في المستقبل ان نكون سعداء و نحن نمدن الاهالي و نجعلهم مسحيين (خديجة بقطاش2007) ، و في اواخر ماي 1830 طبع الجنرال دوبورمونDe Bourmont قائد الحملة منشورا باللغة العربية ذكر فيه بأن الحملة تستهدف القضاء على الداي و وعد السكان بقوله : ....سنضمن إحترام أموالكم و كل أملاككم و دينكم المقدس . و يبدو ان هذا التصريح لا يخدم رجال الدين ولا الهدف الذي جاءت به الحملة في نظرهم و لهذا قبل بالنقد و الرفض .

الحركة التنصيرية في الجزائر

إن الغاية الحقيقيةو الأولى في رأي القائمين على التبشير ، إنما هو القضاء على الاديان غير النصرانية وصولا الى استعباد أتباعها . و نلاحظ ان الصراع بين المبشرين و الاديان غير النصرانية ، ليس صراعا دينيا ، بل هو صراع الغاية منه هو السيطرة السياسية و الإقتصادية .

فالتبشير له علاقة وطيدة بالإستعمار في الجزائر ، بحيث استخدم كوسيلة لتدعيم النفوذ الفرنسي بأرضنا .

فالحركة التبشيرية التي توقفت في القرن الثامن عشر في فرنسا بسبب احداث الثورة الفرنسية و ما تلاها من نتائج (خديجة بقطاش2007) .

قد عادت لتظهر من جديد في القرن التاسع عشر ، بعد ان عرفت الكنيسة نشاطا كبيرا لتلعب دورها في احتلال الجزائر ، و التوسع الإستعماري بشكل عام في القارة الإفريقية .

و ان تأسيس فرقة الاباء البيض عام 1868م من طرف لافيجري و كان هدفها هو تنصير و خدمة الديانة المسيحية (الهادي الحسني 2004م) و جاء لافيجري الى بلادنا سنة 1868م ليتولى منصب كاردينال الجزائر (الهادي الحسني 2004) .

و قد أسس لافيجري في الجزائر عدة جمعيات تنصيرية منها: الأباء البيض ، الأخوات البيض ، الإخوة البيض المسلحين ،و إخوان الصحراء المسلحين و مؤسسة القديس أوغسطين .

و قد أطلق أستاذنا سعد الله أبو القاسم إسما على اعضاء هذه الجمعيات جنود الكاردينال لافيجري ، وكانت مهمة هذه الجمعيات هي فتنة الجزائريين في عقيدتهم وردهم عن دينهم مستغلة من ذلك المجاعات و الأمراض التي يتسبب فيها الفرنسيون بسياستهم .

كتب لافيجري يوما :علينا أن نخلص هذا الشعب و نحرره من قرآنه و علينا ان نعتني بالأطفال ، لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الإنجيل ، أو طردهم غلى أقصى الصحراء .(وحي البصائر – الهادي الحسني 2004)

لقد عمل لافيجري و غيره على تخليصنا و تحريرنا من قرآننا ، و انفقوا في سبيل ذلك أموالا طائلة ، وأوقاتا هائلة ، ولكنها كانت عليهم في النهاية حسرة ، حيث بقى الجزائريون متمسكين بالقرآن الكريم معتصمين بدينهم القديم مهتدين برسولهم الرؤوف الرحيم صلى الله عليه و سلم .

و كانت المقاومات الشعبية للإحتلال و رجال التبشير بالمرصاد و نذكر منها ثورة المقراني و الشيخ الحداد عام (1871) التي كانت من أسباب إندلاعها الجهود التبشيرية في بلاد القبائل و بعض المناطق الاخرى .

إن عودة الكنيسة الى نشاطها السياسي ، وانتعاش الفرق الدينية المبشرة ن وإنعكاس هذا الوضع على الحملة الفرنسية ضد الجزائر عام 1830م التي إمتازت بروح الصليبية و هو عدم إحترام السلطة الفرنسية لإتفاقية 5 جويلية 1830م ، وخاصة البند الخامس منه الذي يقضي بإحترام الديانة الإسلامية و ممتلكاتها ، و ذلك بإصدار قرار 07 ديسمبر 1830م ، و قد استهدف الإستلاء على المؤسسات الدينية دون احترام المشاعر الدينية للسكان ، و قد اعتبر هذا القرار مسا بالشؤون الدينية و خطوة أولى لمحو التراث الإسلامي بالجزائر .

و قد ظهرت بعض المحاولات التبشيرية الفردية الأولى ،ولقيت تشجيعا من بعض المسؤولين الفرنسيين في بداية الإحتلال بالإضافة الى تأسيس اسقفية الجزائر عام 1838م في عهد لويس فليب الذي إعتمد على الدين إعتمادا كبيرا في اعماله ، ونشير هنا الىالنشاط التبشيري للأسقفيين: – ديبيش و بافي – و قد إستعملا في ذلك الخدمات الخيرية ، معتقدين أن لا نفوذ في الجزائر دون تنصير سكانها ، و قد إمتاز موقف السلطة الفرنسية بباريس من هذا النشاط بالتناقض ،و التذبذب ففي الوقت الذي كانت تعارض التبشير مخافة انتفاضة السكان ، فإن بغض مسؤوليها في الجزائر كثيرا ما كانوا يسكتون عن التصرفات التبشيرية التي كان يقوم بها رجال الدين بل كانوا كثيرا ما يشجعونها في كثير من المناسبات و المواقف .

إن ظاهرة المجاعة التي حدثت بالجزائر في عامي 1867م–1868م و التي كانت من نتائجها إستغلال الكاردينال لافيجري الأوضاع الصعبة لفتح باب التبشير على مصرعيه و ذلك بتبنيه لعدد من الأطفال المرضى و المشردين و اليتامى و تنصيرهم ، و إنشائه الفرق العربية المسيحية بسهل العطاف ، الأمر الذي أدى إلى نشوب صراع بينه و بين الجينرالماكمهون الذي كان يخشى عواقب التبشير و قد إستطاع لافيجري أن يفرض نفوذه و إنتهى الصراع بإنتصار لافيجري على خصمه و ذلك بتأييد السلطة الفرنسية بباريس للتبشير بالجزائر (خديجة بقطلش2007) .

و كانت بداية ظهور الحركة التبشيرية في بلاد القبائل بالخصوص و ظهرت فكرة خرافية عن خرافة القبائل المسيحية التي كونها دعاة التبشير من عسكريين و رجال الدين و سياسة ،و قد كانت هذه الخرافة بمثابة تمهيد للكاردينال لافيجري الذي ركز جهوده على هذه المنطقة بعد تأسيس فرقة الاياس البيض التبشيرية بالجزائر و بعد ان حظي بتأييد الأميرال دوغيدون و غيره من المسؤولين بالجزائر غير ان هذه الجهود فشلت فشلا ذريعا لتمسك السكان بالدين الإسلامي .

التنصير و الفرنسة : إستمرت عملية إضعاف و هدم الكيان التقليدي الجزائري متواصلة بقصد إتمام الترسيخ الإستعماري ، وتوازن معها عملية مقابلة و متممة هي التأسيس لنسق ثقافي جديد خادم للإستعمار الإستطاني و كتب لافيجري يوما :" علينا أن نخلص هذا الشعب من قرآنه و علينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لتنشئتهم على مبادئ غير الذي شب عليها أجدادهم فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم إلى أقصى الصحراء " ، كان هدف العملية الأولى هو إخضاع بقوة السلاح ، أما هدف العملية الثانية فإنه إتجه إلى إخضاع النفوس ، و لكن بسلاح أكثر كفاءة و فعالية هو سلاح الثقافة و التعليم (سعد الله2007) ، لهذا السبب إعتبر بعضهم أن تحقيق الإستعمار لنفوذه بالقوة و العنف هو حل مؤقت ، لأن الحل الدائم هو ان يسعى لبسط نفوذه على المستعمرين بإدماجهم في منظومته الثقافية و الدينية بطرق سلمية ، وسيلته المستخدمة في ذلك فهي الكنيسة و المدارس .

الكنيسة : إن الخلفية الدينية للحملة الفرنسية على المجتمع الجزائري بدأت واضحة منذ البداية إلا أنها أخذت بعد ذلك طابعا أكثر إنغراسا و تغلغلا حيث إعتبر منظرو الإستعمار أن ديمومة الحظور الإستعماري مرهون بالعمل على إحتواء المجتمع الجزائري ثقافيا و دينيا و لغويا ، وقد عبر عن ذلك بصراحة أحد أعمدة التبشير في الجزائر شارل ديفوكوcharles de faucault (1858-1916) حيث قال : " إن لم ينتصر المسلمون في مملكتنا الإستعمارية بالتدرج و الليونة ... و إذا لم تصر تلك الشعوب فرنسية ...فإنها ستخرجنا حتما من بلادها ، فالوسيلة الوحيدة التي تصيرهم بها فرنسيين هي أن يصبحوا مسيحين"(محمد الصالح الهرماسي2001) .

فالمدخل الإستراتيجي الفعال لتحقيق النفاذ و التغلغل الإستعماري : الفرنسة هي التنصير ، لذالك نلاحظ سعيا فرنسيا حثيثا و مبكرا إتجاه تدعيم عمليات تمسيح الجزائريين ، فقد توالت محاولات نشر المسيحية بين عموم الجزائريين منذ لويس بافيهL.PAVY الى انطواتدوبوش الى الكاردينال لافيجري ، هؤلاء المبشرين الذين رفعوا شعار إعادة السكان البربر الى حضارة أجدادهم ، و إستعادة ما اسموه الكنيسة الإفريقية كما كانت قبل الفتح الإسلامي .

إلا أن المرحلة التي عرفت نشاطا تبشيريا كبيرا هي تلك الممتدة بين (1867-1892) و هي فترة تعرض فيها المجتمع الجزائري للعديد من المشاكل و صعوبات و خاصة مجاعات و الفقر كما بلغت فيها ايضا عملية التحطيم المبرمج لابنيته الأصلية و هو ما جعل عملية التنصير أمرا ميسورا من الناحية العملية.(الطاهر العمري2004)

في هذه الفترة الحرجة تولى الكاردينالmonseigneur la vigerie()لافيجري مهمة إدارة شؤون الديانة المسيحية بالجزائر ، فكان اكبر شخصية سيطرت على النشاط التبشيري منطلقا في ذلك من قناعة دينية عبر عنها بقوله :" إن رسالتنا هي ان نعمل على إعادة السكان البربر الى حضارتنا و التي كانت حضارة أجدادهم "(سعد الله1992) ، مستغلا في ذلك ظروف الجزائريين الإقتصادية و المادية الصعبة ، أسس لافيجري للعمل التبشيري في الجزائر نشاط

مثير تمثل في : إنشاء ملاجئ للأيتام و الفقراء و تكوينه لمؤسسة القديس أغسطش و مؤسسات جمعية الأباء البيض les péres blancsو الأخوات البيضles sœurs blanches و جمعية الإخوة المسلحين في الصحراء les fréres armés du saharaو هي مؤسسات صار لها قبل نهاية القرن مراكز في زواوة و ورقلة و المنيعة و ميزاب (سعد الله).غير أن أهم منطقة تركز فيها هذا النشاط التبشيري و بشكل مكثف هي منطقة القبائل لإعتبارات عديدة حاول ترويج لها أنصار ما أطلق عليه أجيريوالخرافة القبائلية منها أن السكان البربر الذين يسكنون ذا الإقليم هم مجموعة أثنية متميزة ، و أنهم من حيث الأصول غاليون و رومان ، و أنهم معادون بطبيعتهم للعرب وأن اسلامهم أسلام شكلي و سطحي و أن عقيدتهم الأصلية هي المسيحية و بالتالي ينبغي العمل على إسترجاعها.

تبعا لذلك إتجه النشاط التبشيري الى فتح الإرساليات التبشيرية و بناء الكنائس و توجيه جهودها نحو العمل الخيري (الصحي – التعليمي)لإجتذاب السكان و النفاذ الى القلوب ، ليسهل غرس العقيدة المسيحية و هكذا لم يفته القرن 19 حتى بلغ عدد الكنائس بهذه المنطقة وحدها 30 كنيسة و 17 مدرسة تبشيرية يدرس بها 2158 طفلا يعلمهم 34 راهبا و 50 راهبة من جمعية الأباء و الأخوات البيض (سعيد ورش2000) .

و على الرغم من المقاومة و الرفض التي أبداهما سكان منطقة القبائل للمشروع التنصيري إلا أن جهود التنصير لم تكن فاشلة على المستوى الإستراتيجي ، لأنها أدت الى إنتاج بعض النخبات المثقفة المتعاطفة مع التوجهات الفرنسية و المثابرة في تكوينها الثقافي و الفكري ببعض رواسب هذا المشروع .

المدرسة : لما كان الغزو الاهم سيتحقق عن طريق المدرسة حسب تعبير وزير التعليم ألفريد رامبو فإن مخطط تصفية الجهاز التعليمي التقليدي بإعتباره أداة للممانعة الثقافية و منفذا لتشكيل الهوية الحضارية قد انطلق منذ البداية بتطبيق أسس هذا الجهاز المادية و الإجتماعية ، حتى يبقى الطريق بعدها ممهدا أمام تأسيس نسق تعليمي جديد تكون مهمته الاساسية خدمة المصالح الإستعمارية و ترسيخ قيم الغالب الثقافية و الحضارية و إعادة تكييف الإنسان و إخضاعه كما أخضعت الارض .

لقد كان تعلم الجزائريين حسب (عبد القادر جغلول) ضرورة بالنسبة للحكم الإستعماري لأنه يمثل إتمام عملية ترسيخ الإستعماري بغزو الأدمغة غير أنه ينبغي الإشارة هنا الى أن تعليم الأهالي قد اختلف من مرحلة الى اخرى ، و ذلك تبعا للظروف التي مرت بها تجربة الإحتلال في الجزائر ، و إذا كان التعليم الموجه لأبناء الكولون قد ظل يتطور كما و نوعا فإن حالة تعليم الأهالي لم ترق الى مستوى المطلوب، بل ظل تعليما محدودا كما و كيفا هدفه تكوين متعاملين يلبون احتياجات الإدارة الفرنسية.

جدول يبين نسب المتمدرسين من الأوربيين و الجزائريين في بداية القرن العشرين

السنة	الجنسية	عدد المتمدرسين	النسبة
1900	أوروبيين	78531من93571	84
	جزائريون	24568من633190	3.84
1920	أوروبيين	32979	72.73
	جزائريون	45341	4.45
1924	أروبيين	47801	94.34
	جزائريون	50668	7.78

المصدر : عمار هلال أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962) .

و رغم إصلاحات جو فيري J-Ferry1883 التي أقرت مبادئ إلزامية و مجانية التعليم بقي بالنسبة للاهالي شيئا بعيد المنال و ذلك لسببين أساسيين اولهما : هو المقاومة و المقاطعة أو الحذر الذي أبداه الإباء إتجاه التعليم الفرنسي لان الإنسلاك فيه كان يعد في تلك الفترة نوعا من الخيانة فقد بقيت مدارس الإستعمار على قلتها و الى بدايات القرن العشرين تشكو ندرة روادها بسبب ما إستقر في أذهان الجزائريين من الخوف على ابنائهم من هذا الوسط الجديد و ما يمكن ان يزرعه في نفوسهم من قيم فرنسة و تمسيح ، أما السبب الثاني فهو مقاومة الكولون لتعميم تعليم الاهالي الجزائريين لأن تعليمهم برأيهم هو تهديد لمصالح الإستعمار الإستطاني و تعليمهم يعني تنويرهم و توعيتهم و هذا لا يعني شيئا سوى التسليم في البلاد.

الوسائل التي اعتمدتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية في الجزائر

بعد أن عجزت قوة السلاح الاستعماري أن تغير النفوس وتطبعها بطابع الفرنسية وتقلبها من إسلامها الى النصرانية وبالتالي إدماجها في الثقافة الفرنسية.

أخذ الاستعمار طرقا أخرى لتطبيق سياسته المعتمدة على محو شخصية الأمة الجزائرية، وذلك بتخطيط سياسة تعليمية لتحقيق أهدافه المنشودة.

فقد اتخذ المحتل من المدرسة وسيلة هامة لتجريد الأمة من مقومات شخصيتها العربية الإسلامية وحملهم على تشرب روح العظمة الفرنسية، ومن الوسائل التي اعتمدت فرنسا لتحقيق أهداف سياستها التربوية.

1- محاربة اللغة العربية

فقد أصدرت إدارة الاحتلال قراراً وزارياً يقضي بمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر، واعتبرتها لغة أجنبية، فقد قرر وزير داخلية فرنسا " شوطان " (في 08 مارس 1938م) اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، لا يجوز تعليمها في معاهد التعليم سواء حكومية أو شعبية حرة، كمدارس التعليم العربي " الحر " إلا على أساس ترخيص خاص من إدارة الاحتلال. (تركي رابح 1984)

- فرنسة التعليم في مرحلة التعليم الابتدائي واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية
- تقسيم اللغة العربية الى لغات ثلاث:

1- لغة عامية لا تصلح للتعليم.

2- لغة فصحى و اعتبارها لغة ميتة كاليونانية.

3- عربية حديثة وهي لغة أجنبية لذلك يجب أبعادها من برامج التعليم.

2- محاربة الدين الإسلامي

لأن الإسلام مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية رأت فيه فرنسا العدو اللذوذ، وأنه لا تقوم لها قائمة ما بقي الإسلام في هذه الأرض يمدُّ أهلها بقوة روحية لا تنهزم وان انهزموا أمامها عسكرياً من أجل ذلك حاربت الزوايا التي كانت تفتح أبوبها للصغار الذين يتلقون فيها تحفيظ القرآن وعلوم الدينية واللغة في الأرياف والمدن.

- ومن الوسائل التي حاربت بها فرنسا الدين الإسلامي إنشاؤها المدارس الدينية المسيحية التي تأسست ابتداء من عام 1878م والهدف منها تجريد الشعب من ثوب العربية والدين وقد أقيمت خصوصاً في بلاد القبائل الكبرى، وكانت مسيّرة من قبل الآباء البيض.
- وقد أسس الاحتلال ما يسمى بالمدارس العربية الفرنسية يدّرس فيها معلمان، فرنسي يدرس الفرنسية والثاني جزائري مسلم يدرس اللغة العربية و الدين فكان مستوى تلاميذها ضعيفاً و عددها قليلاً جداً.

موقف الاستعمار من التعليم العربي الحر

من الوسائل التي اتخذها الاحتلال في محاربته التعليم العربي الحر، اتخاذه قوانين تمنع تعليم العربية ففي 24 ديسمبر 1904م صدر قانون فرنسي في الجزائر يحذر على أي جزائري ان يفتح أو يتولى ادارة مدرسة عربية أو كُتاب لتعليم القرآن الكريمإلا بترخيص خاص من عامل العمالة (المحافظ) في المناطق الشمالية التي تخضع للحكم المدني أو الحاكم العسكري في المناطق الجنوبية التي تخضع للحكم العسكري. (تركي رابح 1981م)

وإذا ما سمح الاحتلال برخصة لتعليم اللغة العربية فلا يتم ذلك إلا بشروط وهي كالأتي:

1- اقتصار التعليم في المدرسة أو الكتاب على حفظ القرآن.

2- عدم التعرض الى تفسير الآيات القرآنية و خاصة (الجهاد – الاستبداد – الظلم).

3- استبعاد دراسة تاريخ الجزائر و التاريخ الإسلامي و جغرافية الجزائر.

4- استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه.

5- عدم تدريس المواد العلمية والرياضية. (المرجع السابق)

وقد استغل المحتل هذا القانون فاتخذه سلاحا يشهره في وجه العاملين في حقل التربية والتعليم العربي، فيسارع الى إغلاق المدارس و الكتاتيب كلما لاح له خطر .

وقد زُجّ بكثير من المعلمين المدارس العربية الحرة في السجون مع اللصوص والمجرمين.

- التعليم في عهد الاحتلال الفرنسي بالجزائر

المراحل التي مر بها التعليم الفرنسي في الجزائر 1830م

- **المرحلة الأولى في 1830م – 1870م**

تتميز هذه المرحلة بعدم وجود سياسة ثابتة لنشر التعليم أو عدم نشره في الجزائر فقد كان أبناء الجزائر يتعلمون في الكتاتيب القرآنية والمساجد والمدارس والزوايا التي سلمت من غارات العدو على الطريقة التي كانت سائدة في الجزائر قبل الاحتلال.

أما أبناء الأوروبيين فقد كانوا يتعلمون في المدارس القليلة التي أنشئت لهم حيث وجدت جالية أوربية كثيرة العدد.

وقد كانت أول مدرسة فرنسية ابتدائية أنشئت لتعليم أبناء الجزائر هي المدرسة الفرنسية الإسلامية التي أنشئت في مدينة الجزائر في عام 1836م ثم أعقبتها في مختلف فترات عدة مدارس أنشئت في مدينة " البليدة " و " وهران " و " قسنطينة " و " عنابة " و " مستغانم " أي في المدن التي تم إخضاعها للاحتلال.

وقد بلغ مجموع تلاميذ هذه المدارس في عام 1850م – 646 – تلميذاً غير أن التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين لم يشرع فيه بصورة منظمة إلا في عام 1850م حيث صدر مرسوم 14 جويلية 1850م الذي نص على إنشاء عدد من المدارس لتعليم أبناء الجزائريين، وفي عهد الإمبراطور " نابليون " الثالث (1852م – 1870م) زاد عدد هذه المدارس زيادة ملحوظة حيث بلغ مجموع في نهاية الإمبراطورية سنة 1870م (36) مدرسة ابتدائية وذلك بعد مرور أربعين عاماً على دخول الاحتلال الى الجزائر ليرتفع عدد تلاميذها من 646 تلميذاً الى 13000 تلميذاً.

والمعروف أن نابليون الثالث كان ينادي بسياسة المملكة العربية في الجزائر، وقد حاول أن يحور السياسة الفرنسية في الجزائر تحويراً اساسيا حتى تتماشى مع هذه السياسة التي أعلنتها في بيان عام 1863م بعد زيارته للجزائر قبل ذلك بسنوات قلائل حيث قال: "إن الجزائر ليست بلاد مستعمرة بالمعنى العام والمفهوم من هذه الكلمة بل هي مملكة عربية، ثم قال: وأنا أعتبر نفسي إمبراطورا على العرب بقدر ما أنا إمبراطورا على الفرنسيين وأريد أن استفيد من شجاعة العرب وشهامتهم على أن أستغل فقرهم و بؤسهم. وقد كان من نتائج هذه السياسة زيادة الاهتمام بتعليم الجزائريين وزيادة عدد المدارس الخاصة بهم الى حد ما."

– كانت فرنسا قد شرعت في احتلال الجزائر سنة 1830م وأخذت في تثبيت استغلالها لها، لكنه يختلف عن أشكال الاحتلال.... فهو لم يقف عند اغتصاب النعم الدولة والإدارة والحرية والأرض و الثروة التي كانت للجزائريين على أرض وطنهم .

وإنما ذهب المستعمر الفرنسي الى سحق الهوية للشعب و إلغاء عروبتهم، لأنها رمز مغاير للفرنسيين، و قد أراد أن يكونوا أفرادا فرنسيين، حتى يكون وطنهم ليس مجرد مستعمرة فرنسية، وانما الإمتداد الإفريقي للوطن الفرنسي عبر البحر المتوسط كما ذهب هذا المستعمر أيضا الى مسح الإسلام، حيث يزيل طابعه العربي في البيئة الجزائرية، وينزع منه عوامل المقاومة.. (محمد عمارة 1982م

وكتب بأحد التقارير التي وضعت سنة 1847م أن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها. والعمل الجبار الذي يتحتم علينا إنجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي الى أن تقوم مقام العربية. وهذا هو السبيل الأسلم إلينا وتمثيلهم بنا، وإدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين. (محمد عمارة – 1966م).

فعلاوة على التخريب و التهديم والظلم والعدوان أثناء تطبيق سياسة الأرض المحروقة ضد الشعب الجزائري، قرر أن يقض على الأنشطة التعليمية والثقافية التي كانت مزدهرة قبل سنة 1830م – لأنهم كانوا يرون أن التعليم من العوامل التي تدفع السكان للمطالبة بحقوقهم الشرعية ومن السلاح الأقوى في مكافحة الاستعمار.

إن أول من تنبه فيها الى خط التعليم في المدرسة الفرنسية الشيطانية، على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية هو مفتي الجزائر الشيخ مصطفى ابن محمد الكبابطي، الذي رفض تعليمة وزير الحربية الفرنسي المؤرخة في 24 أكتوبر

1842م المتعلقة بتعليم الأطفال الجزائريين اللغة الفرنسية، وقد كلف هذا الموقف الشيخ ابن الكبابطي العزل من منصب الإفتاء، والنفي الى خارج الجزائر حيث توفي بمدينة الإسكندرية عام 1861م.

لقد برر المفتي رفضه في رسالة وجهها الى السلطات الفرنسية بقوله: (وقد لاحظت أن أغلب من يعرف الفرنسية كانوا في أغلب الأحيان مخمورين ولا يؤدون الصلاة ولا يصومون). ولم يراهن الشيخ ابن الكبابطي الفرنسيين أو يتق بهم، بل صرح في رسالته بأنه: " أول من يعارض أي إجراء يشغل الأطفال عن تعلم القرآن واعترض على أي تعليم إلا التعيلم العربي". (أبو القاسم سعد الله 1982م)

وسبب تشدد المفتي في رفضه تعليم الفرنسية للجزائريين وهو يعلم أن الإسلام يعتبر اللغات أية من آيات الله ويعلم لأثر القائل: " من تعلم لغة قوم أمن مكرهم، ويعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أحد أتباعه بتعلم لغة اليهود (العبرية).

إن الجواب ببساطة هو أن المفتي بعد أن عاش تحت الاحتلال الفرنسي اثنتي عشرة سنة، أدرك هدف فرنسا في الجزائر وهو تنصيرها و فرنستها، وتيقن أن إحدى وسائل تحقيق ذلك الهدف هو التعليم الفرنسي.

وإن هذا التعليم كما يقول الإمام الإبراهيمي "ملقح بمادة الاستعمار وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص "المرجع السابق

وقد قال الإمام مصطفى بن الكبابطي عندما حُوّل مسجد كتشاوة الى كاتدرائية: " لئن تحولت العبادة في مساجدنا، فإن ربه لن يتحول في قلوبنا " (الهادي الحسني 2004)

بالإضافة الى ذلك فرنسا تحارب اللغة العربية بإصدار قانون خاص، هو قانون 08 مارس 1938م المعروف باسم قانون شودان، وزير الداخلية الفرنسي الذي ينّص على أن اللغة العربية في الجزائر لغة أجنبية، يُحرم تعليمها و تعلمها .

ولذلك كانت الأمية منتشرة بين الجزائريين انتشاراً كبيراً بحيث لا تقل عن 95 % في صفوف الرجال وما يقارب 99% في صفوف النساء. (مجلة الأصالة العدد الثاني – ماي 1971م الجزائر)

وقد اعترف المسؤولون الفرنسيون أنفسهم بضالة نشر التعليم بين أطفال الجزائر، تعللوا لذلك بعلل واهية كعدم توفر المعلمين أو المخصصات المالية أو الأبنية المدرسية وغيرها من العلل الأخرى. والمثال التالي يوضح ذلك .

– ففي عام 1944م قدم مدير أكاديمية الجزائر تقريراً عاماً عن التعليم في الجزائر الى لجنة الإصلاحات الإسلامية جاء فيه قوله : بأن عدد الأطفال الجزائريين الذين يتلقون دراستهم في 699 مدرسة تشتمل على 1908 قسماً دراسياً، أما عدد الأطفال الفرنسيين الذين يتلقون العلم في الفترة المذكورة فيبلغ 200ألف طفل يتلقون دراستهم في 1400 مدرسة تشتمل على 4200 قسماً دراسياً، هذا مع العلم بأن عدد السكان الجزائريين كان يقدر بحوالي 8 ملايين نسمة وعدد الأوروبيين يقدر بحوالي 800ألف نسمة، وان نسبة الأطفال المتعلمين بين أبناء الأوروبيين هي 100 % بينما لا تتجاوز هذه النسبة بين أبناء الجزائريين سوى 8 %فقط (تركي رابح 1975م)

وبالجملة فإن حظ الفرنسيين من التعليم في المدارس الابتدائية يقابل 4.5 أمثال حظ الجزائريين منها، وتبين توضيح ذلك في النسب التالية:

- ففي المدارس الابتدائية العالية يمثل الفرنسيون ثمانية أضعاف حظ الجزائريين.
- وفي المدارس المهنية يمثلون 15 مرة من حظ الجزائريين منها.
- وفي المدارس الثانوية يمثلون 36 مرة من حظ الجزائريين.
- أما في الجامعة فيمثل الفرنسيون 192 مرة من حظ الجزائريين.

وقد قدر المبلغ المالي الذي خصص في الميزانية العامة في الجزائر لإدارة الأمن العام (الشرطة الخاصة بمكافحة الحركات الوطنية الجزائرية) بمبلغ مليار فرنك فرنسي سنة 1947م بينما لم يخصص لتعليم الجزائريين سوى 80 مليون فرنك فقط.

قد عانت الجزائر جغرافية و ذاكرة و إنسانا و بيئة من آثار المستعمر السلبية بصفة مباشرة لمدة أربعة أجيال، مست كل جوانب الحياة فساداً وتشويهاً و تحريفاً.

جاءت بمشروع استعماري استبطائي دائم والمتمثل في إيجاد وطن جديد لفرنسا جديدة بأساليب اقطاعية العصور الوسطى و لتحقيق ذلك واقعيا عملت على جهتين تواطنية بشرية باستعمال القوة العسكرية.

وتمكين الدخيل من العنصر الأوروبي البديل، ليحل محل الأصيل وبذلك فتحت باب الهجرة البشرية للاستبطان والتمكين، والثانية قانونية بسن التشريعات والمراسيم لتحويل الجزائر أرضا فرنسية جنسية مشكلا و مضمونا، شرعت في ذلك تجسيداً وعملا 113سنة أي من 1834م الى 1947م.

وأصدرت قوانين الإلحاق والجزئية وذلك يجعل الجزائر جزءاً لا يتجزأ من فرنسا.

أما في مجال التربية والتعليم:

عرفت حركة التعليم في الجزائر نهضة ملحوظة من حيث عدد الطلاب والعلماء والمؤسسات عبر العصور ما قبل الاحتلال، فكانت تعد بالآلاف في كل الجهات، فمثلا: مدن العاصمة و قسنطينة و عنابة كان بها 604 مدرسة ابتدائية ولم يبق بعد 1840م إلا 61 مدرسة موزعة على الشكل التالي:16 مدرسة بالعاصمة و 30 مدرسة بقسنطينة و 15 مدرسة بعنابة.

و تبين الإحصائيات الى أي مدى وصلت سياسة الاستعمار في محاربة التعليم بالنسبة للأصيل في الوقت الذي كان فيه الدخيل يتمتع بكل الحقوق التربوية التعليمية التي تفوق في الكثير من الأحيان نظائرها في موطنهم الأصلي بأوروبا وفرنسا مما تقدم تتبين أهداف السياسة الاستعمار في كل مجال التربية والتعليم وهي:

1- ربط الجزائر بفرنسا حاضراً و مستقبلاً لتجسيد مبدأ الجزائر فرنسية

2- محاربة التعليم ونشر الأمية

3- إبقاء المجتمع الأصيل على هامش الحضري للمجتمع الدخيل

4- محاربة الدين الإسلامي و نذكر ما ورد عن أحد المسئولين الفرنسيين قوله في سنة 1832م:

" إن أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر اله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال بأنها قد ضاعت من الإسلام الى الأبد " (تركي رابح 1975م)

5- محاربة تعليم اللغة العربية (قرار وزير الداخلية شوطان عام 1838م- والذي ينص على أن اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ولا يجوز تعليمها إلا بترخيص خاص.(عبد القادر علوش 1981م)

6- القضاء على الشخصية الجزائرية

7- محاولة تشويه تاريخ الجزائر عبر العصور والتركيز على رومانيته في القديم وفرنسيته في الحاضر.

قرار هذا الأخير أن يقضي على الأنشطة التعليمية والثقافية التي كانت مزدهرة قبل سنة 1830م – الشيء الذي اعترف به بعض الكتاب والمؤرخين الفرنسيين أنفسهم منهم:

- مارسال امريت marcel emerit و دوماس Domas و تورين turrin

فكانت للتعليم في ذلك الوقت مكانة مرموقة حاول الاستعمار أن يحطمها ليؤسس تعليما بسكان البلاد، لكن صعوبات اعترضت طريقه نذكر منها:

- رفض المعمرون إنشاء أي تعليم لفائدة أبناء الجزائر لأنهم كانوا يرون أن التعليم من العوامل التي تدفع السكان للمطالبة بحقوقهم الشرعية ومن السلاح الأقوى في مكافحة الاستعمار.

- انعدام ثقة الجزائريين في كل عملية أتت من السلطة الفرنسية والتصريحات المتناقضة للمسؤليين الفرنسيين والنزاعات القائمة بينهم حول تعليم الجزائريين.

كان المعمرون يتساءلون هل من فائدة الاستعمار أن يعلموا الجزائريين أم لا، كلهم أم بعضهم؟ بالعربية أم الفرنسية أو اللغتين؟

هل يعمم عليهم أم لا؟ أو يطبق على البعض فقط لصالح المعمرين الفرنسيين؟

كانت هذه التساؤلات كلها تخالج أذهان المعمرين في الجزائر والمسؤولين بفرنسا. marcel emerit 1960

الهياكل التعليمية للجزائريين قبل 1880

- الكتاتيب القرآنية والزوايا

كانت الزوايا تفتح أبوبها للصغار ليتلقوا فيها دروس حول مواد دينية في المدن و الأرياف وكانت تساهم في تكوين الأجيال الصاعدة و تحضرهم قصد ارسال أحسنهم لإتمام الدراسة في تونس أو المغرب الأقصى. وأما الكتاتيب القرآنية فكانت تعلم القراءة و الكتابة و القرآن الكريم وكانت تعتبر هي كذلك كمراكز تشويش ضد الاستعمار.

قدرت هذه الكتاتيب والزوايا سنة 1871م بعدد 2000 موزعة عبر القطر الجزائري شمالا و جنوبا فقامت بتعليم 28000 تلميذاً تقريباً فكانت توجد في قسنطينة مثلا 90 مدرسة تحتوي على 1400 تلميذاً سنة 1873م وسكانها قدروا ب 24000 نسمة في نفس السنة حسب الإحصائيات الرسمية وكان في نواحي تلمسان حوالي 40 زاوية وفي الجزائر العاصمة 100 مدرسة لتعليم القراءة والكتابة والحساب.

ولذلك يظهر أنه من الصعب أن يجحد المجهود الذي قامت به هذه الزوايا في سبيل تحفيظ القرآن الكريم و نشر الثقافة العربية الإسلامية في ظروف كان يهيمن عليها الاستبداد.
ونلاحظ فلولا هذه المراكز لأصبح أطفال الجزائريين كلهم معرضين للجهل و الأمية، هذا ما أعلنت عليه اللجنة المكلفة سنة 1891م من طرف المجلس الوطني الفرنسي للتحقيق حول التعليم في بلادنا.

فقالت بأن هذا التعليم كان في زوايا مسيرة من طرف أهل البلاد، يُعلّم فيها تحفيظ وتفسير القرآن الكريم و قواعد اللغة العربية ولم توجد مؤسسات أخرى لتعليم أبنائهم، فلعبت هذه المراكز دوراً هاماً في تحفيظ القرآن الكريم واللغة العربية.

- المدارس الدينية المسيحية

تأسست ابتداء من سنة 1878م- مدارس يسيرها مسيحيون ولم يعرقل أحد سيرها، لتقوم مقام المدارس الرسمية، فتحت أبوابها للتلاميذ المسلمين في بعض المناطق الجزائرية كالقبائل الكبرى حيث سجل فيها 21 مدرسة مسيرة من طرف الآباء البيض يدرس فيها 1039 تلميذا، من البيض و أولاد سيدي الشيخ و ورقلة قصد التمسيح وتجريد بعض النواحي من ثوب العربية و الدين، وكان في الحقيقة لا يخلوا من الطابع التبشيري و التمسيحي و السياسي، تشجيعا من طرف السلطات الاستعمارية عكس ما كان يشاهد بالنسبة لتعليم القرآن و المبادئ الإسلامية و اللغة العربية لأبناء الشعب ينتمي الى حضارة عريقة عربية إسلامية في وقت كان معروفاً بالاضطهاد السياسي والديني.

- المدارس الحكومية الثلاث

وحتى تتمكن سلطات الاحتلال من إبعاد الجزائريين عن تعليم كتاب الله وتحفيظه في الزوايا التي كان الاستعمار يراها خطراً عليه، ومن تكوين أعوان في خدمته وخدمة أهدافه، أنشئت ثلاث مدارس حكومية بموجب مرسوم مؤرخ في 1850/09/30، كانت هذه المدارس المشيدة في تلمسان و قسنطينة و مدية أولا وحوّلت الى العاصمة ثانيا سنة 1850م تهدف الى تكوين مرشحين الى الوظائف الدينية القضائية والتعليمية و الإدارية، أصبحت مركز وطنية و رغم أنف مؤسسيه يكوّن فيها رجال الغد لغزو العدو بلغته و ثقافته فحصل الاستعمار عن طريق هذه المدارس الثلاث نتائج معكوسة كان لم يتوقعها أبداً فالتحق العديد من طلابها بصفوف جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة.

- المدارس المسماة بالعربية و الفرنسية

أسست بموجب المرسوم المؤرخ في 1850/07/14 أربعون مدرسة ابتدائية لا أكثر، تحتوي كل واحدة منها في غالب الأحيان على قسم واحد فبنيت في فترة دامت 24 سنة تقريبا من 1850م الى 1873م أي أقل من مدرستين كل سنة الشيء الذي يدل على عدم اهتمام المسئولين الفرنسيين لصالح المواطنين الجزائريين خلاف إدعاءاتهم المتكررة الباطلة الكاذبة ثم أغلق معظمها اثر حوادث 1871م لأسباب سياسية وانتقاماً من الشعب الجزائري، ثم ألغيت نهائيا سنة 1883م أي السنة التي أحدثت فيها القوانين الفرنسية المتعلقة بإجبارية التعليم العمومي المجاني فكان عدد المسجلين في التعليم الابتدائي في نفس السنة ضئيلا جداً لا يتعدى 4095 تلميذاً بعد احتلال دام أكثر من نصف قرن.

و كأن هذه التدابير غير كافية لأخذ الثأر من الشعب فأعلن المعمرون سنة 1880م بأنه يحق ان يستفيد الأطفال من تعليم مدرسة وضعت لأشخاص متقدمين ينتمون الى حضارة لا لأشخاص بائسين متأخرين حاربوهم وشاركوا في ثورات نظمت ضدهم.

فقرر الشعب الجزائري الإضراب عن هذه المدرسة الفرنسية وعدم تسجيل أبنائه فيها لأنها لا ترمي الى تحقيق أهدافه و لا تلاءم تقاليده بل العكس فهي تحارب الحضارة العربية الإسلامية و تقصد فرنسة و تمسيح أفلاذ أكبادنا.

- المرحلة الثانية في 1882 و 1892

ظهرت نزعة لتوسيع التعليم لفائدة الجزائريين، انطلاقة جديدة ابتداء من سنة 1883م و لهذا الصدد شكلت لجنة من مجلس الشيوخ الفرنسي ترأسه «جول فيري »1832م – 1893م المعروف بأفكاره التوسعية و مؤسس المدرسة الفرنسية العلمانية اللاتينية المجانية، كلفت سنة 1891م بدراسة القضايا الجزائرية السياسية و التعليمية وليتسنى تكذيب وبكل سهولة تصريحات الفرنسيين في ذلك الوقت حول الجهود المبذولة من طرفهم لاحظ إحصائياتهم الرسمية التي تتعلق بعدد التلاميذ الجزائريين المسجلين في مدارسهم الابتدائية.

أعداد التلاميذ الجزائريين المسجلين في التعليم الابتدائي

جدول رقم (1)

السنة	عدد التلاميذ الجزائريين
1882م	3172
1883م	4095
1887م	9064
1891م	11347
1892م	12263
1896م	19885

ورغم الفرق الشاسع والتمييز الواضح بين هذه الفئة وتلك استرعت نسبة المسجلين الفرنسيين اهتمام مسئوليهم في ذلك الوقت و أحدثت قلقا في وسطهم واعتقدوا أنها سيئة تنتقل وجوبا من 84% الى 100% لفائدة أبنائهم إما بالنسبة للجزائريين فاعترفوا بأن عدد المسجلين ضئيل، كما اعترفوا باكتظاظ الأقسام التي كانت تحتوي على أكثر من 50 تلميذا للقسم الواحد، فلم يطرأ جديد على هذه الوضعية طوال سنوات عديدة وبقيت نسبة الجزائريين المئوية تتراوح ما بين 3% و 4% من الذين كان لهم صف في الدراسة، أما التعليم الثانوي فكان لا ينتمي إليه إلا أبناء عملاء الاستعمار و المحظوظين.

نلاحظ أن إجبارية التعليم المزعومة و المقررة سنة 1883م لتطبيق على الأطفال الجزائريين كانت غير مطبقة، بل كانت محاربة من طرف المعمرين بوسائل نذكر منها ما يلي:

قلة المعلمين: كان المعلمون الفرنسيون لا يعينون إلا بالمناطق الشمالية خوفا على أنفسهم من العزلة وبعد المسافة وكان عدد المعلمين الجزائريين قليلا جداً وهذا ما يوضحه الجدول.

جدول رقم (2)

السنة	المعلمون الجزائريون	المعلمات الجزائريات	المجموع
1887م	150	06	156
1891م	125	02	127
1892م	113	00	113
1893م	103	05	108
1894م	132	06	138
1895م	150	08	158
1896م	150	06	156

كان عدد المعلمات و المعلمين الجزائريين يقدر ب 156 سنة 1887م وبقي على نفس العدد في ظرف 10 سنوات أي سنة 1896م وانخفض من 156 سنة 1887م الى 108م سنة 1893م ونرى أنهم لم يكلفوا أبداً بإدارة المدارس لأنهم كان يعتبرون غير أهل في نظر المعمرين.

انتقل العدد من 4095 تلميذاً سنة 1883م الى 12263 تلميذاً سنة 1892م أي في ظرف عشر سنوات، تزايد العدد أقل من ألف تلميذ سنويا في التعليم الابتدائي الشيء الذي يبطل مزاعم المعمرين و أعوانهم في ذلك الوقت.

وبعد صدور المرسوم المؤرخ في 1883/02/13م والمتعلق بإجبارية التعليم الفرنسي، وإيجاد الأحكام التطبيقية في الميدان الجزائري كانت كما يلي:

- عدد الأطفال ذكوراً وإناثاً الذين في سن الدراسة من 6 الى 13 سنة 359 – 535
- عدد المسجلين ذكوراً وإناثاً في المدارس الابتدائية 10631
- النسبة المئوية 2% أي كان طفلان مسجلين من مئة والباقي في الشوارع وهذا بدون شك من باب التضليل والتجهيل والشيء الذي لا يخطر ببال، كان المعمرون في ذلك الوقت يملؤون المدارس القليلة العدد بأطفال غير مسجلين فيها، بمناسبة زيارات وفود برلمانية بغية إخفاء الحقيقة المرّة و مغالطة الرأي العام.

أما في الأيام العادية فكانت الأقسام تبقى تقريبا فارغة مهجورة حتى من طرف المسيحيين أنفسهم، لأن الدروس التي ألقيت عليهم كانت تظهر لأوليائهم غريبة من القيم العربية الإسلامية فأصبحت نسبة انتساب التلاميذ ضئيلة جداً وخاصة إذ اخترناها بنسبة التلاميذ الفرنسيين الذين كانوا يتردون إليها في أواخر القرن 19

الجنسية	عدد الأطفال في سن الدراسة	عدد المسجلين	النسبة
جزائرية	633190	24565	%3.84
فرنسية	93501	78531	%84

لعدد تلاميذ فرنسيين أقل من عدد الجزائريين في سن الدراسة نلاحظ عدد المسجلين الفرنسيين يفوق بأكثر من ثلاث أضعاف المسجلين الجزائريين.

و حتى نكون على علم مرة أخرى بفداحة النقص في تعليم أبنائنا فعلينا ان نقارن بين الميزانيات المحددة للتلاميذ الجزائريين والتلاميذ الفرنسيين فكانت المقارنة بالفرنك الفرنسي القديم كما يلي:

جدول رقم (3)

السنة	ميزانية تعليم الجزائريين	ميزانية تعليم الفرنسيين
1907م	1.555.000	7.013.000
1918م	2.171.000	8.579.000
1920م	6.991.000	32.979.000
1928م	21.003.000	84.344.000

كانت الإعتمادات الموضوعة لتعليم الجزائريين لا تساوي إلا ربع أو خمس الإعتمادات المقررة لتعليم الفرنسيين. (الطاهر زرهوني

التعليم الابتدائي

السنة	الجنسية	البنات	البنون	المجموع
1920م	جزائرية	3454	37786	41240
	فرنسية	31472	32696	64168
1928م	جزائرية	3603	51873	55476
	فرنسية	33655	32820	66475

التعليم الثانوي

السنة	الجنسية	البنات	البنون	المجموع
1920م	جزائرية	40	405	445
	فرنسية	1764	4345	6110
1928م	جزائرية	85	778	863
	فرنسية	3533	7316	10869

التعليم العالي

السنة	الجزائريون	الفرنسيون	المجموع
1920م	47	1282	1329
1930م	93	1967	2060
1938م	94	2138	2232

نلاحظ أن عدد الطلبة الجزائريين لم يرتفع إلاّ بواحد أي من 93 الى 94 في ظرف تسعة سنوات.

فبعد الاحتفال بمرور قرن على الاحتلال الفرنسي المدعم بسياسة استبدادية، تبين عند الجميع أن تربية النشء تحتاج الى رعاية مستمرة ودعم أقصى من قبل الشعب كله وأن العلم هو السلاح الأقوى في مكافحة الاستعمار بكل أنواعه، و كما قال عبد الحميد بن باديس « لن يصلح المسلمون إلا إذا صلح علماؤهم، لأنهم بمثابة القلب للأمة، ولم يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ».

وفي هذا الصدد قرر علماء جزائريون ونخبة من المثقفين خريجي جامعات في بلدان شقيقة أن ينشؤوا مدارس في الجزائر وينظموا فيها تعليما عربيا حرا و تكوين الأجيال الصاعدة و إذا كان الوعي بكل ما يهم مستقبل البلاد لأن المدرسة كما قيل (في البصائر عدد 172 السنة الرابعة 19 أكتوبر 1951م) "هي جنة الدنيا والسجون هو نارها والأمة التي لا تبني المدارس تُبنى لها السجون. "

فذكر الشيخ الإبراهيمي في مشكلة العروبة في الجزائر يقول: جاء الدور الثاني لجمعية العلماء وهو دور التربية الإسلامية والتعليم العربي الابتدائي الحر المحافظ على مبادئ العربية و آدابها و مبادئ التاريخ الإسلامي والتربية الإسلامية الصالحة و جاء معه الصراع العنيف مع السلطات الاستعمارية و قوانين الجائرة، استعدت الجمعية بالإيمان والعزيمة وتجاهل القوانين الاستعمارية و توظيف النفوس على المكروه الذي يصيبها في تعليم الدين و العربية.

فشرعت السلطة الاستعمارية من جديد اضطهاد الشعب و اعتقاله وتسجينه و تعذيبه و تحشده و تهجره و ترحيله و تقتيله أفرادا و جماعة و تخريب كل ما يكتسبه وتهديمه.....، فأغلقت المدارس الحرة و سجن معلموها و شرّد تلاميذها و بقي معظمهم محرومين من تعليم المدارس العمومية ما عدا عدداً قليلا منهم في المدن الكبرى فمن بين 460.000 طفل وطفلة، في سن الدراسة مثلا لم يسجل منهم إلا 104.000 سنة 1958م أي سنة تطبيق مخطط قسنطينة الذي وضع لأسباب سياسية معروفة وباسم إجبارية التعليم العمومي فكانت النسبة المئوية تقدر ب 22.7% من الذكور و 18.2% من الإناث، بناء على المعطيات الديموغرافية الرسمية، أما على مستوى التعليم الثانوي و في الولايات القديمة فكان عدد التلاميذ الجزائريين المسجلين سنة 1958م ضئيلا كما يظهر في الجدول الأتي مقارنة بالفرنسية.

الولايات	الجزائريون المسجلون		مجموع الجزائريين	الفرنسيون المسجلون		مجموع الفرنسيين	المجموع الكلي
	البنون	البنات		البنون	البنات		
وهران	700	223	923	5460	4219	9697	10602
مستغانم	333	81	414	915	114	1059	1473
تلمسان	753	219	972	321	338	659	1631
تيارت	99	21	120	225	125	350	470
المجموع	1885	544	2429	6921	4826	11747	14176

الخلاصة:

كان التعليم مزدهراً قبل الاحتلال الفرنسي و كانت لغة التعليم في جميع المستويات هي اللغة العربية التي أزيحت تدريجيا عن ميدان التعليم عندما قامت المدرسة الفرنسية فأصبحت اللغة الفرنسية وحدها هي موضوع الدرس وأداء الدرس في المدرسة.

ولا ننسى بعد تصريح الكاردينال لا فيجري (1825م – 1892م) وهو يقول سنة 1869م علينا أن نخلص هذا الشعب من قرآنه و علينا أن نعتني على الأقل بالأطفال لنشأتهم على مبادئ غير التي شبّ عليها أجدادهم، فإن واجب فرنسا تعليمهم الإنجيل أو طردهم الى أقصى الصحراء بعيدين عن العالم المتحضر.

ولقد أتى الاستعمار الفرنسي الفاتح بالجزائر خيّل له انه نجح في سحق الهوية القومية للجزائر العربية..... و اللغة العربية قد غدت من المحرمات.... والطابع العربي الإسلامي أصبح محظوراً... لقد أعلن الكاردينال لا فيجري في احتفالهم بمرور قرن على بدء احتلالهم للجزائر: إن هذا الهلال بالجزائر قد غير وأن عهد الصليب قد بدء وأنه سيستمر الى الأبد، وان علينا ان نجعل أرض الجزائر مهداً للدولة المسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها " الإنجيل ".

(بقطاش خديجة 2007)

كتب ابن باديس « إن الجزائر بلد عربي... و من ذا الذي يفكر في إنكار هذه الحقيقة؟ وهي أرض إسلامية أصيلة » و أضاف قائلا « إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت... بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، ولا نريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة (محمد عمارة 1982م)

ففي هذه الفترة كانت المدرسة الفرنسية تتطور نحو استكمال صيغتها الإدماجية بإلغاء التعليم الفرنسي الخاص بالجزائريين وتعويضه بتعليم فرنسي محض، فانبثقت حركة التعليم العربي الحر، وأخذت ترسم وجها جديداً للمدرسة الجزائرية فتنتشر مدارس التعليم العربي في كل أرجاء الجزائر و أرسلت بعثات طلابية الى البلاد الشقيقة و الصديقة طالبة العلم والمعرفة.

- المرحلة الثالثة من 1893م الى 1914م

تتميز هذه المرحلة في أن التعليم فيها لم يتعرض لنكسة التقهقر الى الوراء، كما حدث بعد عام 1870م

وتوضح الإحصاءات الرسمية لسنوات التعليم في الفترة ما بين عام 1893م وعام 1914م، أن هناك زيادة في عدد المدارس والأقسام وكذلك عدد التلاميذ والجدول التالي يوضح ذلك.

تطور عدد المدارس و عدد الأقسام و عدد التلاميذ بين الفترة 1893-1914			
السنة الدراسية	عدد المدارس	عدد الأقسام	عدد التلاميذ
1893م	138	244	13439
1894م	163	273	16794
1895م	178	353	20264
1896م	182	360	21525
1897م	187	392	22468
1898م	199	412	23468
1899م	221	447	24124
1900م	221	460	24565
1901م	221	472	25586
1902م	235	486	25951
1903م	242	504	27448
1904م	242	516	28431
1905م	222	-؟	-؟
1906م	256	539	31391
1907م	272	575	32517
1908م	299	640	36013
1909م	316	667	68336
1910م	362	727	40778
1911م	390	766	42614
1912م	433	885	44779
1913م	468	888	46437
1914م	-	-	48750

- تركي رابح - 1975م

نلاحظ أن هناك زيادة محسوسة في عدد المدارس و الأقسام والتلاميذ إلا أنها زيادة لا تفي بالغرض المطلوب أبداً فقد بلغ عدد التلاميذ في المرحلة الابتدائية مثلا في عام 1906م (31391 تلميذاً) من جهة السكان الذين بلغ عددهم حسب إحصاء عام 1906م (4.477.788) نسمة وهذه نسبة تافهة جداً لأنها تقل عن عشرة في المائة من عدد الأطفال الذين هم في سن الدراسة في هذه المرحلة، هذا كله بعد مرور 75 عاما على وجود الاحتلال في الجزائر

وهناك ملاحظتان على الجدول المذكور:

– الأولى هي أن عدد التلاميذ كان في سنة 1900م بعدد 24565 تلميذاً فقط أي بعد مرور سبعين عاما على الإحتلال الفرنسي للجزائر أي أقل من 25 ألف تلميذ

– أما الملاحظة الثانية فهي أن النسبة العامة لعدد الأقسام تساوي قسمين اثنين لكل مدرسة وأن معدل زيادة التلاميذ السنوي كان عبارة عن 1650 تلميذاً في العام وهي نسبة ضعيفة للغاية بالنسبة للزيادة الحاصلة في عدد السكان سنوياً وهي تقدر بعشرات الآلاف، وهذه أشار تدل على الإهمال المتعمد لتعليم الجزائريين، وهذه حقيقة مؤكدة لأن هناك من الناس يعتقدون بأن فرنسا كانت تقوم ببعثة حضارية في الجزائر و أن الجزائريين قد استفادوا من هذه البعثة.

في الجدول التالي الذي يبين القروض التي كانت تدفع لتعليم أبناء الجزائريين مقارنة بالقروض التي تدفع لتعليم أبناء الأوروبيين تشرح بوضوح سياسة فرنسا في تجهيل الجزائريين بدل تعليمهم

قروض التعليم (بالفرنك) في الجزائر عام 1902م – 1908م

السنة	التعليم العام للأوروبيين	التعليم العام للجزائريين
1902م	5081823	1389274
1903م	5558978	1179165
1904م	5732003	1299424
1905م	7847368	1314234
1906م	8189749	1385064
1907م	8955390	1549464
1908م	9923368	1617639

وقد جاءت مطالبة الجزائريين بالتوسع في فتح المدارس لتعليم أبنائهم كنتيجة للرأي العام الذي ظهر في مختلف الأوساط الجزائرية، وشعور المواطنين بأن العلم هو السلاح الفعال في الرقي الاجتماعي والتقدم الحضاري من ناحية وفي سرعة

الحصول على الحقوق الوطنية المهضومة من ناحية أخرى. وقد لبت السلطات الفرنسية الى حد ما رغبة الجزائريين في فتح مدارس جديدة لتعليم أبنائهم ولكنها رفضت رفضاً باتاً تلبية الرغبة الثانية وهي إدخال اللغة العربية بصفة رسمية في البرامج الدراسية الى جانب اللغة الفرنسية والعلوم الأخرى. ولهذا نلاحظ زيادة عدد الجزائريين في المدارس العامة زيادة مضطربة خلال عشرين عاماً وهي الفترة الممتدة بين الحربين العالميتين، والجدول التالي يوضح هذا التطور في عدد التلاميذ

السنة الدراسية	عدد التلاميذ	السنة الدراسية	عدد التلاميذ
1920م	42269	1930م	66637
1921م	43831	1931م	71578
1922م	48750	1932م	71593
1923م	51040	1933م	85998
1924م	54150	1934م	87458
1925م	54581	1935م	93433
1926م	57641	1936م	102812
1927م	60683	1937م	106305
1928م	60765	1938م	111750
1929م	62908	1939م	114117

المرجع السابق

يتضح من هذا الجدول أن مجموع التلاميذ الجزائريين قفز من 42269 تلميذاً سنة 1920م الى 114117 تلميذاً في عام 1939م،وهذا يعني أن الزيادة السنوية في عدد التلاميذ كانت بمعدل 3600 تلميذ في العام الواحد. نلاحظ أن هذه الزيادة كانت ضئيلة جدا بالنسبة لعدد السكان الذي قدر بنحو سبعة ملايين نسمة قبل الحرب العالمية الثانية وتدل الإحصاءات الرسمية أن عدد السكان كان يزيد في هذه الفترة بمعدل 150 ألف نسمة في العام، في حين أن زيادة الأطفال المتمدرسين تبلغ 3600 تلميذاً فقط وهي زيادة ضعيفة.

التعليم التقني و الفلاحي أثناء الاحتلال

كان التعليم المهني في حالة يرثى لها على غرار القطاعات الأخرى في عهد الاستعمار وكان يهدف أساسا الى تلقين معلومات للأهالي في مصانع تمكنهم من القيام بأعمال أكثرها يدوية لصالح المعمر

فأسست سنة 1866م مدرسة للصناعات التقليدية في « فورنا بوليون» سجل فيها خمسون تلميذاً، ثم تقرر إحداث مراكز مهنية طبقا لأحكام المرسوم الفرنسي المؤرخ في 16 أكتوبر 1892م تابعة « المدارس الأهالي » يدرس فيها معلمون فرنسيون من خرجين الفرع الخاص لدار المعلمين بالجزائر العاصمة، وبعد فترة تدريبية ميدانية، ثم فتحت مراكز أخرى مماثلة سنة 1896م بغرداية و وهران و قسنطينة ، و سنة 1900م يتلمسان و المدية و سنة 1904م بسيدي مبارك أي ثمانية مراكز في المجموع وفي ظرف 12 سنة مفتوحة لثلاثمائة تلميذ فقط ثم ارتفع عددها الى أربعة وعشرين مركزاً ل 1200 تلميذاً سنة 1914م

و أما المراكز المفتوحة للبنات لنسيج الزرابي فكانت ملحقة سنة 1914م بمدارس الأماكن التالية: القليعة ، وهران ، والجزائر قسنطينة و ايت هاشم و شلاله و ندرومة و الشلف و بجاية. فبعد أن كان هذا التعليم تحت وصاية الوزارة الفرنسية للتجارة والصناعة، أصبح سنة 1920م ملحقا بوزارة التربية لتحضير شهادة الكفاءة المهنية في 48 اختصاصا و 551 مرشحا في 11 اختصاصا للأهلية التقنية فتقرر بعد ذلك بموجب الأميرية المؤرخ في 20 أوت 1958م وابتداء من نفس السنة تسجيل 35550 تلميذا سنويا في التعليم التقني منهم 3000 في التعليم المهني

كلما نظمت سنة 1959م – 1960م دروس لتكوين مساعدات اجتماعية ليمارسن نشاطهن في النواحي الريفية.
جدول تطوير أعداد التعليم المهني

السنة	المجموع	الإناث		الذكور	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة
1945	الإحصائيات	غير		متوفرة	
1946					
1947					
1948					
1948					
1950					
1951					
1952					
1953					
1954					
1955	5487	1750	31.9	5487	68.1
1956	3929	2164	55.1	3921	44.9
1957	5906	2008	43	5906	66
1958	8848	3087	34.9	8848	65.5
1959	10880	3971	36.5	10880	63.5
1960	14281	5069	35.5	14281	64.5
1961	17073	5224	30.6	17073	69.4

المصدر: المجاهد 24 مايو 1985م

أعداد تلاميذ التكوين الفلاحي

المعهد	الأعداد و النسبة			
	جزائريون		أوروبيون	
معهد الفلاحة بالجزائر	صفر		73	%100
المدرسة الجهوية بسيدي بلعباس	3	%4.00	72	%96
مدارس الفلاحة بسكيكدة–عين تموشنت–قالمة	26	%20.15	103	%79.84
مراكز التكوين الفلاحي	43	%79.62	11	%20.37
مدارس التسيير الفلاحي	5	%4,13	116	95.86%
المجموع	77	%16.99	376	%83

المصدر: المجاهد 24 مايو 1985م

أعداد المسجلين في معاهد التكوين التقني سنة 1959م

المعهد	العدد
معهد دار البيضاء	2
المدرسة الصناعية دلس	7
مجموع المدارس التقنية بالعاصمة	260
الفروع التقنية في مدارس التعليم الحديث	2

المصدر: الطاهر زرهوني 1994م

ملاحظة : إ ن هذه الأرقام تبين عجزا فادحا في التعليم وقت الاستعمار و تبين أن هذا القطاع مسخرا لأغراضه المختلفة و نستطيع القول بأن مراكز التكوين لم تفتح قصد تكوين عمال مؤهلين بسطاء الا في سنة 1939 كان هدفها تكوين عمال مؤهلين لخدمة المعمرين في غالب الأحيان.

تذبذب سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر

فقد كانت سياسة فرنسا إزاء تعليم أبناء الجزائر متذبذبة بين فكرتين متعارضتين:

1- الفكرة الأولى:

تنادي بعدم تعليم أبناء الجزائر بتاتا في المدارس الفرنسية خوفا من أنهم قد يتمردون على الاحتلال الفرنسي في مستقبل الأيام وقد كان المستوطنون الأوروبيون في الجزائر من أنصار هذه الفكرة والمتحمسين لها.

2- الفكرة الثانية:

فهي تناصر تعليم أبناء الجزائريين و تنظر الى هذا الموضوع من زاوية أخرى، وهي أن تصبح المدارس و النظم التعليمية الفرنسية في الجزائر و تمجيد الثقافة الفرنسية و الحضارة الفرنسية والعادات و التقاليد الفرنسية و بالمقابل تحضير كل ما يتصل بالثقافة العربية الإسلامية والحضارة العربية الإسلامية وبذلك يتحقق التنصير و الفرنسية (تركي رابح 1984م)

وقد استقر رأي سياسة الاستعمار على الفكرة الأخيرة و بالجملة فقد كانت أهداف فرنسا التعليمية في الجزائر ترمي الى تحقيق هدفين التاليين في وقت واحد تقريبا وهما:

1- التنصير (تنصير الجزائريين)
2- الفرنسة (جعل لسان الجزائريين فرنسيا) ومعنى هذا هو إحلال الديانة المسيحية في الجزائر محل الديانة الإسلامية و إحلال اللغة الفرنسية في التخاطب و المعاملات محل اللغة العربية.

و تمشيا مع هذه السياسة صدر في عام 1904م قانون فرنسي ينص على عدم السماح لأي جزائري بأن يتولى إدارة مدرسة لتعليم اللغة العربية و الدين الإسلامي، إلا اذا تحصل مسبقا على رخصة خاصة من الولاية أو الحاكم العسكري في مناطق الجنوب ويحذر هذا القانون كل جزائري يفتح مدرسة عربية دون ترخيص خاص بذالك إما بغرامة إما بالحبس أو بهما معا، أما إذا سمح له بفتح مدرسة عربية فإنه يشترط عليه ما يلي:

1- اقتصار التعليم في المدرسة على تحفيظ القرآن الكريم وحده.
2- عدم التعرض الى تفسير القرآن الكريم وخاصة الآيات التي تحض على الجهاد.
3- استبعاد دراسة التاريخ الجزائري الإسلامي العربي وجغرافية الجزائر و العالم العربي.
4- عدم تدريس الأدب العربي و فنونه.

هذه باختصار هي وضعية الجزائر في العصر بدأ فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس جهاده في عام 1913م من أجل المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية وهي العروبة و الإسلام (المتمثلة في الثقافة العربية الإسلامية). والطريق الذي أختاره ابن باديس لمقاومة هذه السياسة تتمثل في تأثير بوصية الإمام محمد عبده الذي زار الجزائر و تونس في صيف 1903م و أوصى فيها رجال الفكر الإسلامي بترك الاشتغال بالسياسة و التفرغ للتربية و التعليم و الإصلاح الديني والاجتماعي، وفعلا امن ابن باديس بمهنة الفكر الإصلاحية وعمل في مجال التربية بأوسع معانيها، أي التربية الدينية والأخلاقية، والسياسية و العلمية للأمة، والعمل بكل جد على المحافظة على اللغة العربية ومحاولة تحرير الفكر الإسلامي بالجزائر من خرافات و أضاليل رجال الطورقية و المشعوذين و المتعاونين مع الاستعمار تمهيدا لتحرير البلاد من الاحتلال لذلك اتجه الى التربية و التعليم لتكوين الأجيال الصاعدة وكان يبث فيها أفكاره السياسية والاجتماعية و الإصلاحية.

ومهما يكن من أمر فقد ظلت الزوايا الى عام 1891م هي المراكز الرئيسية التي يمكن للأطفال الجزائريين أن يتلقوا فيها التعليم العربي الديني، و قد سجل هذه الملاحظة تقرير لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي حضرت الى الجزائر في عام 1891م للإطلاع على أحوال الجزائريين، و بعد جولتهم في الجزائر كتب أحد أعضائهم وهو مستشار الدولة الفرنسية السيد (ليون بيكي –léonbeki) يقول: أن التعليم في الجزائر الآن (1891م) قائم تحت إشراف الأهالي أنفسهم و الزاوية حيث يتعلم فيها التلاميذ القرآن وتفسيره ، هي المؤسسة التعليمية الوحيدة في المستعمرة.

و هناك عامل أخر أثر بدوره في تقلص حركة التعليم العربي في الجزائر بعد الاحتلال ألا هو الحروب الكثيرة التي وقعت في الجزائر طيلة أكثر من نصف قرن بين الجزائريين المدافعين عن حرية بلادهم من ناحيتهم، وبين جيوش الاحتلال الغازية من ناحية أخرى فقد استشهد عدد كبير من حملة الثقافة العربية الإسلامية الذين كانوا يقودون الثورة في الغالب ضد الاحتلال في تلك الحروب أما البقية الناجية من حملة الثقافة العربية الإسلامية قد اضطر عدد كبير منهم الى الهجرة خارج الجزائر، حيث توجهوا إما الى تونس أو المغرب، او تركيا أو أقطار المشرق العربي.

مما أدى الى فقر البلاد من العناصر المتنورة التي كان من الممكن أن تبعث النهضة التربوية و العلمية فيها ونحافظ على الثقافة العربية من الاضمحلال.

قال السيد " موريس كومبس " يصف حالة التعليم العربي قبل نهاية القرن التاسع عشر في تقرير قدمه الى مجلس الشيوخ الفرنسي في 02 فبراير 1894م هذا نصه:

كان التعليم العالي في أرض الجزائر يشمل جمهورا غفيرا من الناس المتعطشين للعلم والمعرفة، يجلسون حول شيوخ علماء محترمين لا يتلقون منهم علوم الشريعة و قوانينها فحسب، بل يتلقون أيضا علوم الرياضيات و الأدب و البيئة، فكان نتيجة انتصار التعليم وعدم اضمحلاله (البصائر العدد 175- 1935م)

غايات السياسية التعليمية لفرنسا في الجزائر

كانت فرنسا في سياستها التعليمية في فترة الاحتلال ترمي الى تحقيق سياسته الفرنسية، و الاندماج و التجنيس على الجزائريين لضمان بقاءها في الجزائر. ولما عجزت عن فرض هذه السياسة بواسطة القوانين ألحقت بمقتضاها الجزائر بها، و اعتبرتها جزءا منها جعلت من التعليم وسيلتها الأساسية لتحقيق هذه الغاية الشريرة. إن الذي جعل التعليم الخاص بالجزائريين فرنسيا مائة في المائة في المرحلة الابتدائية و فرنسا 99% في المرحلتين الثانوية والعالية، لم يكن يهدف من وراء ذلك الى تثقيف الجزائريين و رفع مستواهم العلمي و الحضاري أبدا بل كان همه الأكبر هو إدماجهم في المجتمع الفرنسي وفرض الفرنسية و الاندماج و التجنيس عليهم، وقد جعل من المدرسة وسيلة لتجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية الإسلامية تدريجيا وقد ظهر هذا جليا في تصريحات سياسة الاستعمار الفرنسي.

قد كتب السيد " برنارد Bernard " مدير مدرسة المعلمين في الجزائر يرد على قرارات مؤتمر المستوطنين الأوروبيين الذي انعقد بالجزائر في 29 مارس 1908م والتي تداولا فيها بضرورة إلغاء التعليم الابتدائي الخاص بالجزائريين في قولهم: " لما كان تعليم الوطنيين يؤدي بالجزائر الى خطر محقق سواء من الناحية الاقتصادية أو من ناحية التعمير الفرنسي، فإن الرغبة تميل الى إلغاء التعليم الابتدائي " (تركي رابح 1975م)

كتب يوضح خطر هذا الاتجاه و أهداف فرنسا من نشر هذا التعليم الفرنسي بين الجزائريين

" ليس من الكرم أو الجود في شيء أن تنشر الجامعة العلم في القبائل " الأمازيغ " بل دعونا نقول كلمة صريحة مدوية ان ذلك في مصلحة فرنسا وحدها وهو ما نضعه نصب أعيننا، وقد يضفى ذلك على تعليمنا طابعا خاصا ويساعد مدرسينا على تطبيق طرقهم و وسائلهم الخاصة، كما يضفي على برامجنا طابعها الخاص، إنه لمن الأهمية أن نبث في أذهان الأهالي فكرة رفيعة ونقية عن وطننا بتلقين تلاميذتنا دروسا تناسب مع أعمارهم و ليس من شك في أن مركزنا سيكون أقوى تدعيما لو استطعنا أن ندع الأهالي يفكرون من تلقاء أنفسهم أو بمحض إرادتهم، و يقولون فيما بينهم ألا ما أقوى و أكرم هؤلاء الفرنسيين أنهم أحسن ما نود أن يكون عليه أساتذتنا، ليس أداة تجديد خلقي فحسب بل هي على وجه الخصوص أداة سلطة و سلطان، و وسيلة نفوذ و سيطرة و ستخلق من رعايانا عضدا مفيدا جدا وساعدا قويا لفرنسا "

إن الهدف من تعليم الجزائريين هو العمل على حملهم على تشرب روح العظمة الفرنسية وخلق ساعد قوي منهم لفرنسا وبالتالي إدماجهم في شعبها وحملهم على التجنيس لجنسيتها، وليس رفع مستواهم الذهني و الفكري والاجتماعي والحضاري و الثقافي، ومما يؤكد الفرنسية الاندماج في سياسة فرنسا التعليمية أن اللغة العربية ليس لها وجود في

التعليم الابتدائي الذي تتكون فيه شخصية المواطن تكوينيا قوميا، وأن تاريخ الجزائر و جغرافيتها مثلا يدرسان لأبناء الجزائر مدة ثلاث أسابيع طوال سنوات المرحلة الابتدائية، من حيث التوقيت الزمني الدراسي، بينما تاريخ فرنسا و جغرافيتها يدرسان طوال سنوات هذه المرحلة حتى يحفظ الأطفال الجزائريون عن ظهر قلب أسماء القرى و المدن و الجبال و الأنهار الفرنسية بينما يجهلون جغرافية بلادهم جهلا يكاد يكون مطلقاً، هذه هي السياسة التي كانت توجه للتعليم في الجزائر، الفرنسية و الاندماج والقضاء على الشخصية الجزائرية وقتل الروح الوطنية في أبناء الجزائر حتى لا يفكرون في يوم من الأيام بالثورة على الاحتلال لتحرير بلادهم.

فاندلعت ثورة 1954م المجيدة و نبذ أبنائنا المحليين في المدارس الحكومية لا تفوق 15% للذين هم في سن الدراسة. وقام المعمرون بتنظيم حملات تستهدف مكافحة الثقافة العربية الإسلامية بتجميد أحكام قانونهم المؤرخ في سنة 1947م، وإلغاء استعمال اللغة العربية كلغة رسمية ثانية في المحاكم و المصالح التابعة للحالة المدنية و إدارة الشؤون الأهلية بالجنوب وإغلاق المدارس الحرة التي كانت في نظرهم مراكز ضد فرنسا تلقن مبادئ الحضارة العربية الإسلامية وتبث الوطنية وتطلب من الشعب التسلح بالإيمان وبالحديد والنار و بالعلم و العمل لمكافحة الاستعمار و إجلائه من أرضنا الطيبة. فمنع المعمرون أيضا نشر و بيع الجرائد و المجلات و الكتب المكتوبة بالغة العربية فأصبحت اللغة العربية من جديد غريبة في وطنها اثر هذه الإجراءات الجائرة.

أما على مستوى التعليم الابتدائي فكانت لا تدرس إلا في مؤسسات حكومية قليلة جداً توجد في الأحياء المسماة بالعربية لمدة ساعتين أو ثلاث في الأسبوع و ألحوا بشدة على إبقاء برامج اللغة العربية الموضوعة سنة 1945م لا يدخل عليها أي تعديل قبل استشارة المجلس الأعلى الفرنسي للتربية الوطنية، ورفضوا رفضا باتاً تعليمها كمادة إجبارية في مدارس الجزائر في الوقت الذي كما قالوا منحت بلادنا بقانون 1947م وهذا ليس بجديد، فقد صدر قانون مؤرخ في 08 مارس 1938م يمنع العليم العربي الحر و يهدد بالغرامة و السجن، المعلمين الأحرار لأنهم وصفوا النهضة العربية الإسلامية بأنها حركة متشددة وعملوا كل ما في وسعهم لتعويض لغة القرآن الكريم بلغتهم، وهذا ما صرح به سنة 1934م المستشرق الفرنسي **لويس ماسينيون 1883م.** « إن اللغة الفرنسية أصبحت أداة للفكر الإسلامي لا في ناحية السياسة فحسب بل وفي الناحية الدينية » (الطاهر زرهوني1994)

وهذا ما سماه مستشرقون آخرون بتأييد من فئة غير مسئولة عن العرب قصد تبديل الحروف العربية بالحروف اللاتينية كما فعل الزعيم التركي مصطفى كمال (1880م – 1998م). ثم قال للجمعية الآن بل للأمة الجزائرية أكثر من 150 مدرسة ابتدائية حرّة رغم الاستعمار الفرنسي ليتردد عليها أكثر من 50 ألف تلميذ من أبناء الأمة الجزائرية بنين و بنات يدرسون مبادئ لغتهم و أدابهم و أصول دينهم و تاريخ قومهم، ثم شيّدت الجمعية معهداً ثانويا كخطوة أولى للتعليم الثانوي عمرته بألف تلميذ. المرجع السابق

رحم الله شيوخنا الأفاضل ونسأل الله أن يجعل خير خلف لخير سلف على هذه الجهود الجبارة و النتائج المرضية للغاية التي حصلوا عليها في بضعة سنين فقط. وحققوا نهضة تعليمية عربية حقة ورغم الصعوبات والمشاكل العديدة التي اصطنعها الاستعمار الفرنسي نذكر منها اجبار الجمعية على طلب رخص عديدة قبل تأسيس المدارس التابعة لها وصعوبة تمويل المشاريع المقررة لأن قدرة الأمة محدودة لمحاربة الحكومة الاستعمارية ومعارضة المعمرين وأعوانهم.

وطلب الغاء قانون الجزائر المؤرخ في (1947/09/20م) الذي نّص في مادته 57 على أن اللغة العربية تعتبر كلغة من اللغات الإتحاد الفرنسي و أن تعليمها سينظم على جميع المستويات (الطاهر زرهوني)

الفترة ما بين 1954م – 1962م

و واصلت جمعية العلماء بكل مساعيها و أعمالها و أقوالها مسايرة لرغبة الأمة وانقاد ما يمكن إنقاذه من مليون طفل عربي مسلم.... تشييد مدارس أخرى، وارسال الى المشرق العربي مئات من الطلبة الجزائريين للدراسة على نفقة الدولة المستقلة في انتظار تأسيس كلية للأدب العربي في الجزائر التي كان علماؤنا يتمنونها لطلابنا.

_السياسة الاستعمارية في الجزائر

_القضاء على الشخصية الجزائرية

ان الاحتلال الفرنسي قد بنى سياسته في الجزائر على ابعاد شملت الارض و الانسان معا، شملت عناصر الهوية والشخصية الوطنية و في مقدمتها الدين و اللغة العربية و التاريخ و الحضارة الانسانية. تجلت مظاهر السياسة الاستعمارية و اهدافها في

النظام السياسي و الإداري الفرنسي في الجزائر :

الحق الدستور الفرنسي بتاريخ 04_11_1848م في مادته 109الحاق الجزائر بفرنسا "الجزائر جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي" ثم جاء قرار 09_12_1848 ليقسم الجزائر إلى 3 مقاطعات :

قسنطينة _ الجزائر _ وهران. ويقول " لقد وضعنا أيدينا على أموال الوقف الموجهة للصرف على التعليم و الاعمال الخيرية، و قضينا على مدارس كانت موجودة، و شتتنا مجامع العلماء ،لقد أطبق الظلام في كل مكان حللنا فيه، لقد جعلنا المجتمع الإسلامي أكثر توحشا و بربرية أكثر مما كان غليه قبل أن يعرفنا..."(لجنة لاسيكونيار).

" إن عهد الهلال في الجزائر قد ولى و قبر و إن عهد الصليب قد بدا و انه يستمر الى الأبد ..و أن علينا أن نجعل ارض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدينة منبع وحيها من الإنجيل (الكاردينال لافيجري) (بقطاش خديجة 2007).

يدافع ابن باديس عن مقومات الشخصية الجزائرية و يعالج نفس الموضوع في مقال أخر تحت عنوان:(ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان) فيقول:

" إن أبناء العرب و أبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا ثم دانت تلك القرون تمزج ما بينهما في الشدة و الرخاء و تؤلف بينهم في العسر و اليسر و توحدهم في السراء و الضراء حتى كونت منهم خلال أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا امه الجزائر و ابوه الإسلام " الشهاب 1939.

و بناء على ذلك فان الشخصية الجزائرية هي شخصية عربية إسلامية و تعتبر جزا لا يتجزأ من الشخصية القومية للأمة العربية و قد كونت كما قلنا من امتزاج عنصري الامازيغ و العرب طوال أربعة عشر قرنا بحيث نتج عنه عنصر جزائري جديد امة الجزائر و أبوه الإسلام و بذلك تحددت مقومات الشخصية الجزائرية و تبلورت في المقومات التالية:

1_ اللغة العربية

2_ الدين الإسلامي

3_التاريخ العربي الإسلامي للجزائر

4_ الثقافة الغربية الإسلامية

5_الوطن الجزائري

اللغة العربية كما يقول ابن باديس:" الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد و حاضرها.و مستقبلها السعيد و هي لغة الدين و الجنسية و القومية و لغة الوطنية المغروسة "مجلة الشهاب 122م 13عدد فبراير سنة1939 ص 605.

و يقول الشيخ الإبراهيمي بشرح مكانة اللغة العربية في تكوين الشخصية الجزائرية " اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية و من ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية و لهذه اللغة على الآمة الجزائرية" الشعب الجزائري"حقان أكيدان: كل منهما يقتضي وجوب تعلمها فكيف إذا اجتمعا حق من حيث أنها لغة دين الآمة بحكم إن الآمة مسلمة و حق أنها لغة جنسها بحكم إن الأمة عربية الجنس ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية و دين معا –عيون البصائر 1963-".

_ الدين الإسلامي:

والدين الإسلامي في الجزائر يعتبر مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية وذلك رغم إختلاف الباحثين في كون الدين من مقومات الشخصية الوطنية والقومية للجماعة

التاريخ العربي الإسلامي للجزائر:

يعتبر مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية لأنه هو الذي كون ضمير الشعب الجزائري وجعل الجزائريين كافة يرتبطون بذكريات هذا التاريخ وأحداثه سواء السارة منها أو الحزينة فجميعهم يعتزون مثلا بعمر أبن الخطاب وأبي بكر الصديق وطارق ابن زياد وابن خلدون والأمير عبد القادر الجزائري والحميد ابن باديس وحمد عبدو وجمال الدين الأفغاني وغيرهم من رجالات العروبة والإسلام .

_ الثقافة العربية الإسلامية: هي ثقافة المجتمع الجزائري الوطنية و القومية لذلك فهي مقوم اساسي للشخصية الجزائرية و لهذه الثقافة خصائصها المميزة التي تتمثل :

_إنها ثقافة عربية

_ إنها التراث الفكري للأمة

_ إن لهذه الثقافة آدابها و فنونها و أثارها

_ ثقافة محررة لأنها وسيلة لتحرير الشعوب.

الوطن الجزائري:

هو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الأكبر يمثل المقوم الخامس في بناء الشخصية الجزائرية

يقول الشيخ ابن باديس في تحليل عاطفة حب الجزائريين لوطنهم:" إننا نحب الإنسانية و نعتبرها كلا و نحب وطننا و نعتبره منها جزءا و نحب من يجب الإنسانية و يخدمها و يبغض من بغضها و يظلمها و بالأحرى نحب من يحب وطننا و يخدمه و يبغض من يبغضه و يضلمه فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري و تحبيب بنيه فيه و

نخلص لكل من يخلص له و نناؤه كل من يناؤئه من بنيه و غير بنيه "جريدة "المنتقد" العدد الأول السنة الأولى قسنطينة02جويلية سنة1925 ص1.

كتب الرحالة الألماني –فيلهم شيمبرا– حين زار الجزائر سنة1931 م فقال :"لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة و الكتابة غير أنني لم اعثر عليه بينما الأمية في جنوب أوربا تكاد تعم كل السكان ".

صورة للمرآة ضحية الإستعمار :

قصة للكاتب(عبد المجيد الشافعي) تحت عنوان "سوزان" التي يقدم فيها صورة من صور ضحايا الإستعمار ،حيث يصور فتاة جزائرية أرغمتها الظروف الاجتماعية و الاقتصادية الى دخول مدرسة الراهبات المسيحية لتنال قسطا من التعليم يسمح لها بمواجهة مصاعب الحياة ، إلا أن التعليم المسيحي حولها من فتاة مسلمة الى فتاة مسيحية ، مستغلين في ذلك فقرها و فقدان أسرتها ليحولوها الى راهبة، و تنتهي القصة بموتها فينقش على قبرها "هنا تنام القديسة سوزان، عائشة كانت"(عمار زعموش 2005)

محاربة التنصير :

أما محاربة جمعية العلماء لرجال التنصير المسيحي –الذين كانوا يعتبرون في الجزائر و غيرها من البلاد العربية الإسلامية خلال القرون18–19–20–طابورا خامسا لخدمة الإستعمار و أهدافه الخبيثة في البلاد فتتجلى في النهضة العلمية و الثقافية والدينية التي بثتها في الشعب الجزائري عن طريق النوادي التي كونتها في مختلف المدن الجزائرية

و عن طريق الجمعيات و عن طريق المساجد الحرة و المدارس الحرة التي انشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلف مناطق البلاد بالإضافة البالمقالات الدينية و الاخلاقية والوطنية التي كانت تنشر في جريدة المنتقد الشهاب ثم في مجلة الشهاب الشهرية و في جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي السنة–الشريعة–و الصراط السوي والبصائر و كل هذا النشاط الإسلامي و العربي قد تظافر جميعه على إحباط السوي

نشاط رجال التنصير المسيحي الذين كان الإستعمار يدعمهم ماديا و إداريا و أمنيا بقصد تنصير ابناء و بنات الجزائريين و مما يدل على فشل اعمال المنصرين المسيحيين في الجزائر ما ذكره الدكتور(غوستافلوبون) العالم الفرنسي المعروف في كتابه المشهور (روح السياسة) حيث ذكر واقعة تدل على فشل أعمال المنصرين المسيحيين في الجزائر و هي أن الكاردينال لافيجري قائد حملة تنصير أبناء و بنات الجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي

–قد جمع أربعة الاف طفل يتيم جزائري و قام بتربيتهم تربية مسيحية منذ الصغر في مدارس مسيحية و لكن معظمهم رجع الى الإسلام بعد أن بلغوا سن الرشد و تنبهوا الى انأباءهم و أجدادهم كانوا مسلمين جزائريين.

-ألم يقل الإمام مصطفى الكبابطي عندما حول مسجد كتشاوه الى كاتدرائية :" لئن تحولت العبادة في مساجدنا فإن ربه لن يتحول في قلوبنا"(الهادي الحسني2004).

-ألم يقل الإمام عبد الحميد ابن باديس لاحد إخوانه العلماء عندما أخبره بنيته في الخروج من الجزائر "إن خروجك يا فلان أو خروجي يكتبه الله فرارا من الزحف"(أثار عبد الحميد ابن باديس ج 4/ 2007).

التعليم العربي "الحر"

إن حركة نشر التعليم العربي الحر كانت مظهرا من أهم مظاهر اليقظة الشعبية الوطنية و دليل على نمو الوعي الوطني لدى الجزائريين على اختلاف مشاربهم السياسية ، بوجوب الخروج من وضعية التأخر الفكري و الثقافي بكل وسيلة ممكنة (تركي رابح 1975) لذلك نجد المطالبة بنشر التعليم العربي الحر أصبح الشغل الشاغل للجميع و المطلب الذي تتفق عليه و تناضل في سبيله كل المنظمات الوطنية باعتباره الوسيلة الفعالة لخروج البلاد من حالة التخلف الذي تتخبط فيه بسبب سياسة المحتل الرامية الى حرمان أبناء الشعب من التعليم ، ومحاربته اللغة العربية والثقافة الاسلامية و القضاء على الشخصية الجزائرية(قرار 08مارس1938) يحارب التعليم العربي الحر والانبعاث الاسلامي في الجزائر و لاحظ ان هذا التعليم قائم على كاهل الشعب ، وانه لا يتعدى التعليم الابتدائي و له برنامج بسيط يشمل اللغة العربية و قواعدها وبعض الجغرافيا و التاريخ الاسلامي ثم ان الاطفال الذين يتلقونه هم الذين تركتهم المدرسة الفرنسية في الشارع فإذا تخرجوا منه فإنه ليس لهم وظيفة تنتظرهم ، بل حتى الذين واصلوا الدراسة بعده في المعاهد الاسلامية خارج الوطن و عادوا بشهادات ليس لهم مكان في الوظيفة .(أبو القاسم سعد الله ج 10- 2007) و لاحظ بوزوز ان الحاكم العام عندئذ (شوطان) قد منع تدريس التاريخ و الجغرافيا و الحساب في المدارس العربية الحرة و هناك اضطهادات للمدارس الحرة و معلميها بدعوى عدم استظهار رخصة او عدم ملاءمة المكان للدراسة المرجع السابق.

مميزات التعليم العربي الحر:

يتميز التعليم العربي الحر بأنه ذو طابع ديني و لغوي في الغالب ، مع شيء من التاريخ والجغرافيا ، و العلوم ، والرياضيات و هو عربي في لغته ، قومي في مناهجه و فلسفته ، وطني في أغراضه و أهدافه (تركي رابح 1975) .

وقد نشأ قبل الحرب العالمية الاولى بقليل ، ولكنه تطور بشكل ملحوظ في هذه الفترة بفضل الجهود التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد تكوينها في ماي 1931. التي تعتبر أهم منظمة وطنية تأسست و أشرفت على نشر و تطوير التعليم العربي الحر خلال هذه الفترة (1931-1951) .

حالة التعليم العربي الحر قبل تأسيس الجمعية :

كان التعليم العربي الحر محدود الانتشار و كان كل فرد أو هيئة لها مدرسة أو كتّاب تعلم بطريقة و منهج يختلفان في معظم الاحيان عن طريقة و منهج غيرها من الافراد أو الهيئات الاخرى و لو كان الجميع تضمهم مدينة واحدة أو قرية واحدة (المرجع السابق).

و كما اختلفت المناهج وطرق التعليم اختلفت الكتب المدرسية كذلك هناك بعض المدارس تختار لطلبتها كتبا قديمة معقدة لاتتماشى مع قدرات التلاميذ و لا تربي ملكة علمية ، ولا تبعث في نفس التلميذ نشاطا بل تنفره من التعليم و كان بعضها يختار لتلاميذه كتبا حديثة تساعد المتعلم على الفهم والاستيعاب و تبعث في نفسه النشاط و الحيوية و ترغبه على الاقبال على التعلم .

وفضلا عن ذلك كله فقد كان هذا التعليم قاصرا على الذكور وحدهم ولا يشمل البنات ، فقد كانت البنت الجزائرية ،محرومة من دراسة لغتها و مبادئ دينها قبل عام 1931 باعتبار ان خروجها للتعليم في المدارس مختلطة غير مستساغ في نظر المجتمع ، وفي نفس الوقت لم تنشأ مدارس خاصة بالبنات يتعلمن فيها مثل الذكور و كان التعليم المدرسي بوجه عام على حالة سيئة تربويا إذ لم يزل على الطريقة المقتصرة على تعليم القراءة والكتابة و تحفيظ القران كله أو بعضه بكمية ناقصة جدا(البصائر عدد 71 جوان 1937).

ومما يدل على عقم الطريقة التي يسير بها التعليم العربي الحر التي لا تراعي طبيعة المتعلم وحاجاته ، ولا تعنى بتوجيه تفكيره و لا تعده ليكون عضوا عاملا لنفسه و خدمة مجتمعه . وكانت ادارة الاحتلال راضية عن حالة المدارس و تعمل على المحافظة عليها وتعتبرها دليلا على ما تتحلى به من تسامح ديني ، وثقافي ن مع الجزائريين ، لأن وضعيتها في الواقع لا تخدم اللغة العربية ، والدين الاسلامي ، والثقافة العربية الاسلامية و تنفر الجزائريين المثقفين من ارسال ابناءهم للتعلم فيها .

وكانت ادارة الاحتلال تحارب المدارس الحديثة التي تنشئها جمعية العلماء و تخنق حريتها

و تعمل على اغلاقها و تلاحق اساتذتها و المشرفين عليها بمختلف الاتهامات بقصد القضاء عليها ، لأنها تخدم المتعلم و المجتمع .في منهجها و طرائقها و فلسفتها التربوية

التعليم العربي الحر في رأي البشير الابراهيمي

حيث يقول : فالأمة تريد من التعليم العربي الحكومي الذي يحقق للعربية صفة "الرسمية" ان يكون تعليما كاملا في جميع مراحله ,يبنى على أساس صحيح في المرحلة الابتدائية , وصحة الأساس تكون بالمعلم الكفء , الكتاب الوافي والبرنامج الكافي , ثم ينتقل –صحيحا– في الدرجتين الثانوية والعليا.

والأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه ,لاتعليما يحمل جراثيم الفناء , وتحمله نذر الموت .

والأمة تريد تعليما عربيا عليه طابعها, وفيه أثر يديها وله مالها من الروح وعليه ما عليه من سمات.

ان هذه الأمة تعتقد وتموت على إعتقادها أن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني , وشرط في بقائها ,وقد التقى الكفاح في سبيلها الدين والسياسة , فلم يختلف لهما فيه رأي , ولم يفترق لهما قصد , وماهذا القرار بالذي يشفي من مرض, أو يوفي بغرض .

– فهذا مرسوم ثامن مارس 1938 القاضي بحظر تدريس اللغة العربية في الجزائر بإذن مسبق تمنحه السلطات الاستعمارية سواء عليه في ذلك أن يكون ذلك التعليم في صورة دروس وعظية تلقى في المساجد, وفي صورة دروس تقليدية تلقن في المدارس. هؤلاء المعلمون يحشرون في السجون حشرا.

هم وأولئك التلاميذ كانت تزجرهم زجرا, وتنهرهم وترهبهم إرهابا , وتضايقهم في كل وجه من الطريق , وتحت أي حال يريدونه , تحليلا وتطلعا , فكم كان شقاء أولئك المعلمين بالاستعمار الفرنسي بالجزائر غراء؟(عيون البصائر 1963)

وجاء في مقال للسيد فرحات عباس النائب البلدي والعمالي والمالي في (لانتانت) يوم 10مارس 1939م

"قانون 8مارس ضربة قتالة للدين الاسلامي "

هذا القانون الذي يجعل التعليم العربي كالخيال ,وهو ضربة قتالة للدين الاسلامي .

(آثار الامام عبد الحميد بن باديس ج 6)

ولقد اهتزت له الجزائر ايما اهتزاز وارتفعت أصوات الاحتجاج والاستنكار من جميع جهات القطر ,وشاركت في ذلك جمعيات من قدماء المحاربين وهيئات أخرى وبلديات عديدة , وتناولته النيابة العمالية بقسنطينة ووهران , ورفعت فيه النيابة المالية تقريرا بإجماع النواب في جلسة 15 جوان 1958م.

وتوالت الاحتجاجات حتى اضطرت الولاية العامة الى النشر ذلك في الصحف والاذاعة وما ردد في الاحتجاجات .

ووقف فيه الاستاذ الأمين العمودي في جريدته "لاديفانس" موقفه الحازم الصريح والشريف

أما في أنحاء العالم العربي والإسلامي فقد تناقلته صحيفة النبأ وتلقته بغاية الاستقباح والاستنكار .(المرجع السابق).

–خاطب الشيخ الابراهيمي المعلمين – الى أبنائنا المعلمين الاحرار :

ثم أحرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلاميذكم من الأقوال , منطبقا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال , فإن الناشئ الصغير مرهف الحس ,طلعة الى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها ولا ينالها اهتمامكم , وإنه قوي الادراك للمعايب والكاملات , فإذا زينتم له الصدق فكونوا صادقين , وإذا أحسنتم له الصبر فكونوا صابرين , واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل , وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحكم من قبل أن يكون متغلغلا في أرواحكم فهو لا محالة ناضل حائل , وأن كل سحر تنقشونه لاستنزالهم غير الصدق فهو باطل , ألا إن رأس مال التلميذ هو ماياخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة , أما ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة .

أوصيكم بتقوى الله فهي العدة في الشدائد , والعون في الملمات وهي مهبط الروح والطمأنينة , وهي منزل الصبر والسكينة , وهي مبعث القوة واليقين , وهي معراج السمو الى السماء ,وهي التي تثبت الأقدام في المزالق , وتربط على القلوب في الفتن .

وأوصيكم بحسن العشرة مع بعضكم إذا إجتمعتم , وبحفظ العهد والغيب لبعضكم اذا افترقتم , إن العامة التي ائتمنتكم على تربية أبنائها تنظر الى أعمالكم بالمرآة المكبرة , فالصغيرة من أعمالكم تعدها كبيرة , والخافقة من أقوالكم تسمعها جهيرة , فاحذروا ثم احذروا.

أي أبنائي ان هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم , والرحمة بكم و والاهتمام بشؤونكم , وما تنبت منه الحبال , وتنوء بحمله الجبال , وهو يرثي لحالكم من الغربة والحاح الأزمات ويود بقطع وتبنيه اذا ازيحت عليكم ,ورقع بالسداد خالكم , ولكنكم جنود , ومتى طمع الجندي في رفاهية العيش ؟واسود ,ومتى عاش الاسد على التدليل ؟وهو يشعر ان التدليل تذليل .

انكم –ياأبنائي – رجال حركة , فلا تشينوها بالسكون ،وأبطال معركة, فلا يكن منكم الا الهوينا اركون.

وانكم رجال جمعية العلماء , فشرفوا جمعية العلماء . (عيون البصائر 1963)

بناء المدارس

والاهم انما تتفاضل وتتعالى بالبناء للخير والمتعة والجمال والقوة , وماعدا هذه الأربعة فهو فضول عابث لا يدخل قصد العقلاء , وقد بنى أسلافنا لكل أولئك مجتمعة ومتفرقة , بنوا المساجد مظهرا للخير , وشيدوا المدارس مظهرا للمنفعة , وأعلو الحصون مظهرا للقوة وسمكوا القصور مظهرا للجمال , فضموا أطراف الفخر وجمعوا حواشي المجد , وحازوا آفاق الكمال , وقادوا الحياة بزمام , وأنشأوا بذلك كله للحضارة الانسانية الشاملة نموذجا من المدينة الفاضلة التي تخيلها حكماء اليونان , ولم يحققها ساسة اليونان , وانما حققها من ساد بالعدل , وقادوا بالعقل , وأولئك آبنائي .(عيون البصائر 1963)

–اللغة العربية–(محمد البشير الابراهيمي) :

اللغة "لغة الامة هي ترجمان أفكارها , وخزانة أسرارها , والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية –زيادة على ذلك القدر المشترك–

انها حافظة دينها , ومصححة عقائدها , ومدونة أحكامها , وأنها الصلة بينها وبين ربها , تدعوه بها وتعترف , وتبوء بها اليه فهي الصناعة فيما تقترف , وتؤدي بها حقوقه , فهي لذلك نشيد عليها الضاءة , وما تود ان لها لغات الدنيا و زخرفت بالآداب , وفاضت بالمعارف , وسهلت سبل الحياة , وكشفت عن مكونات العلم , اما أخذت بشيء من تلك اللغات فذلك وسيلة الى الكمال , في أسباب الحياة الدنيا ,اما الكمال الروحاني , والتهام الانساني , فإنها لاتنشده ولا تجده الا في لغتها التي تكون من تسلسلها الفكري والعقلي , وهي لغة العرب , ذلك لأن لغة العرب ,قطعة من وجود العرب , وميزة من ميزات العرب , ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة , فاذا حافظ الزنجي على رطانته , ولم يبغ بها بديلا , وحافظ الصيني زمزمته , فلم يرضى عنها تحويلا , فالعربي اولى بذلك واحق , لان لغته

تجمع من خصائص البيان مالا يوجد جزء منه في لغة الزنج أو لغة الصين , ولأن لغته كانت –في وقت ما– ناقلة فلسفات الشرق وفنونه الى الغرب –وكانت في وقت ما –هادية العقل الغربي الضال الى موارد الحكمة .

في الشرق او كانت في جميع الاوقات مستودع آداب الشرق وملتقى تياراته الفكرية ,ومازلت صالحة لذلك ,لولا غبار من الاهمال علاها وعاق من الأبناء قلاها , وضيم من لغات الأقوياء المفروضة دخل عليها , وهي قبل وبعد كل شيء , حاضنة الاسلام , ودليله الى العقول ورائده الى الأفكار , دخلت به الى الهند والصين , وقطعت بها البحار والخلوات, وفيها من عناصر البقاء ومؤهلات الخلود ما يرشحها للسيطرة والتمكن , فقد احترشتها الرطنات من كل جانب , ودخلت عليها دخائل العجمة واللكنة ,فما نال كل ذلك منها نيلا ,وأن لغة يصير اقل ما اصاب اللغة العربية من عقوق ابنائها و حرب اعدائها لحقيقة بالاندثار و الفناء و لكنها لغة العرب و الامة الجزائرية من اولى الشعوب العربية لهذه اللغة و اكثرهم برا بها و تمجدا و اعتزازا بها و أقواها شبها بها في الشدة على العدادين و الصبر على المكاره . و الثبات على المقاومة فالعربية غالبت في هذا الوطن عدة لغات , فلم تهن و لم تغلب , و الامة الجزائرية ناهضت عدة استعمارات روحية و مادية فلم تخذل ولم تخذل

جاهدت هذه الامة في سبيل لغتها جهادا متواصلا , كان من ثمرات النصر فيه هذه النهضة التعليمية التي ولدت الكتاب والشعراء والخطباء و الوعاظ و هي نهضة لم تعتمد الامة فيها الا على ما في نفسها من حبوبة موروثة , لم تلتمس فيها عونا من اجنبي , بل لم تلق من الاجنبي الا المعارضة الحادة في المطالبة بمظهر سياسي وطني كلغتها و هي ان تكون رسمية في المدارس التعليمية و الامة تريد تعليما عربيا يساير العصر و قوته ونظامه , لا تعليما يحمل جراثيم الفناء

دعوة إلى توحيد برامج التعليم

وجه الدعوة الأستاذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي دعوة إلى توحيد منهاج التربية وبرامج التعليم قائلا: " لا يتم هذا على وجهه المثمر إلا بتوحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم ولا يتم توحيد المنهاج والبرنامج إلا بتوحيد الإدارة، ولا يتم توحيد الإدارة إلا بتوحيد الإشراف العام، درجات متلازمة سبقتنا بها الأمم التي بنت حياتها على تجربة النافع والأخذ بالأنفع، فقطعت الأشواط البعيدة في الزمن القريب.

وهذه هي المعاني التي دعتنا إلى جمع المدارس العربية تحت إدارة واحدة، وإشراف واحد، وإلى حشر المعلمين تحت لواء واحد، لعلمنا أن توحيد الغايات لا يأتي إلا بتوحيد الوسائل.

اثنان يجب توحيدهما وإصلاحهما بحزم وشجاعة وإخلاص، وإلا كنا جانين على النهضة ومستقبلها، غاشين للأمة في أطفالها وشبابها، متسببين لها في خسارة رأس مالها الضخم، واثنتان هما:

–هيئات المدارس، وهيئات الكشافة ...(عيون البصائر 1951)

محاربة تعليم اللغة العربية:

في هذا الصدد يقول الشيخ محمد البشير الابراهيمي

– اللغة العربية هي لغة الاسلام الرسمية و من ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية و لهذه اللغة على الامة الجزائرية حقان اكيدان : كل منها يقتضي وجوب تعلمها , فكيف اذا اجتمعا , حق من حيث انها لغة دين الامة ,| بحكم ان الامة مسلمة و حق من حيث انها لغة جنسها , يحكم ان الامة عربية الجنس , ففي المحافظة عليها محافظة على

جنسية ودين معا ,ومن هنا نشأ مانراه من حرص متأصل في هذه الأمة على تعلم اللغة العربية ,وما نراه من سخط عميق على القرارات والقوانين التي تعرقل تعليمه ,وذلك كله لأنها مفتاح الدين ,أو جزء من الدين . وجمعية العلماء التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية,قد أقامت 15عاما تطالب في غير ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني . ومازالت تصارع العوارض الحائلة , وهي عوارض القرارات الادارية والقوانين الموضوعة لخنق العربية وقتلها . فجاءت في مجموعها لا تستند على منطق ولا نظر سديد , وانما تستند على القوة أولا , و على الحيلة ثانيا , وعلى العنصرية البغيضة ثالثا.

ان جمعية العلماء .باسم الأمة الجزائرية المسلمة عموما , تطالب الحكومة الاستعمارية في الحاح – بإلغاء جميع القرارات القديمة المتعلقة بالتعليم العربي , واستبدال قانون موحد عادل بها .

وجمعية العلماء ترى ان التعليم العربي الذي تسعى لحريته وترقيته هو جزء من التعليم العام الذي هو وسيلة التثقيف, والتثقيف هو اشرف مقاصد الحكومات الرشيدة فما بال الحكومة الاستعمارية تعاكس وتضع العراقيل في طريق التثقيف مع أنها عاجزة –باعترافها عن تعميمه و نشره ؟ أليست تلك المعاكسات كلها لأن التعليم عربي اسلامي ؟

اليست النتيجة المنطقية أن تلك المعاكسات كلها حرب على الاسلام والعربية ؟ (محمد الميلي –2007).

وخلاصة رأي جمعية العلماء في التعليم العربي, انه اصبح ضرورة من ضرورات الأمة , وان القرارات المتعلقة به كلها ترمي الى التضييق عليه وقتله وان تنفيذها موكول الى عمال ينولونه بالعرض والهوى , وقد كثرت هذه القرارات وملحقاتها وشروحه .

وان الامة فهمت هذا فأصبحت لا تثق بوعد ,ولاتطمئن الى سكوت, حتى تلغى القرارات وتتلاقى الأمة والحكومة على قرار واحد معقول ,لاينفرد بوضعه عقل واحد من العقول .

_وصدق الأستاذ أحمد بن نعمان القائل :

انما الامم (اللغات) مابقيت...فإن هموا ذهبت (لغاتهم) ذهبوا

صلاح التعليم اساس الاصلاح :

قال رسول الله (ص):" انما بعثت معلما "رواه مسلم لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ن فإنما العلماء من الامة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله و إذا فسد فسد الجسد كله .

وصلاح المسلمين انما هو بفقههم الاسلامي و عملهم به ، وإنما يصل اليهم هذا على يد علماءهم ، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم و ابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون .فإذا اردنا اصلاح المسلمين فلنصلح علماؤهم .

و لن يصلح العلماء إلا اذا صلح تعليمهم فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته و ما يستقبل من عمله لنفسه و غيره فإذا اردنا ان نصلح العلماء فلنصلح التعليم ونعنى بالتعليم ، التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماءالاسلام يأخذ عنه الناس دينهم و يقتدون به فيه – الشهاب 10 أكتوبر 1934 (اثار الامام عبد الحميد بن باديس ج 4 – 2007)

إن فرنسا عندما نظمت أمور التعليم الابتدائي في الجزائر طبقا لمرسوم 13 فبراير 1883 جعلته فرنسيا خالصا في اللغة، والمناهج، والتوجيه العام، وأنشأت نوعين من المدارس، أحدهما خاص بأبناء الأوربيين المستوطنين في الجزائر(بوعمران الشيخ 1972).

والآخر خاص بأبناء الجزائريين، وجعلت التعليم فيهما معا باللغة الفرنسية، وكان هدفها من ذلك هو إبعاد اللغة العربية وثقافتها من برنامج المدارس الابتدائية في الجزائر طبقا لسياسة فرنسة الجزائريين.

أما في المدارس الثانوية فهي وإن كانت تشمل الجزائريين والأوربيين فإن اللغة العربية كانت تعتبر لغة اختيارية، وبناء على ذلك فإن التعليم في عهد الاحتلال كان كما وصفه بعض الباحثين بقوله: " كان التعليم أيام الحكومة الفرنسية استعماريا بحتا لا يعترف باللغة العربية ولا يقيم لوجودها أي حساب، فاللغة الفرنسية هي وحدها لغة التدريس في كل مراحل التعليم" (أحمد توفيق المدني 1963).

وبهذا انحصر وجود الثقافة العربية في الكتاتيب القرآنية، وفي الزوايا وبعض المساجد، ثم في مدارس التعليم العربي "الحرّ" الشعبية طوال فترة وجود الاحتلال في الجزائر.

ونظرا لخطورة اللغة في بناء الشخصية الوطنية باعتبارها "روح الأمة" بحيث يكون القضاء عليها بمثابة القضاء على ذاتية الأمة " لأن الشخصية في مجموعها نتاج ثقافي (محمد لبيب النجيحي 1926) / نظرا لكل ذلك شنّ الاستعمار الفرنسي حربا على اللغة العربية والثقافة العربية، وأغلق في وجهها مدارس التعليم التي أنشأها لتعليم أبناء الجزائر (تركي رابح 1975).

نص النسخة:

(مشروع قانون المدارس الابتدائية الحرة والمدارس الدينية في الجزائر)

_رئيس مجلس الوزراء :

"تبعا لتقرير من وزير التعليم الوطني .وبناء على راي وزير الداخلية وبناء على قانون 23اوت 1898 ,وقوانين 23اكتوبر و21 فيفري 1936 المتعلقة بالولاية على الجزائر ,وإدارتها العليا.

وبناء على قانون 18 جانفي 1887 الخاص بتنظيم التعليم العام .

وبناء على قانون 18 أكتوبر 1892 الخاص بتعليم الاهالي الجزائريين الابتدائي العام الحر.

وبناء على المادة 29 من قانون 27 سبتمبر 1907 التي تشرح تنفيذ القانون والتي تحدد شروط تنفيذ قوانين الفصل بين الدولة والكنيسة في الجزائر , وشروط مزاولة الاعمال الدينية العامة.

وبناء على قانون لجنة التحرير القومي الفرنسي , بتاريخ 06 أوت 1943 الخاص بفتح المدارس الحرة الاسلامية ذات الصبغة الدينية .

وبناء على قانون 27 نوفمبر 1944 الخاص بسير التعليم الحر في الجزائر , وبعد سماع المجلس الدولي الاستشاري وبايعاز من الوالي العام على الجزائر يقرر....الخ

هذا سجل واف للقوانين والقرارات المشتبكة حول مسألة واحدة , وهي التعليم العربي في الجزائر وهي كما ترى من الكثرة بحيث اصبح القانون الأصلي معها كثوب الفقير , كله رقع , وكله خروق ...

رد عن السياسة الاستعمارية :

و جمعية العلماء تقول لهؤلاء مجتمعين

تجمعتم من كل اوب وبلدة : على واحد و لازلتم قرن واحد . ثم نقول لكل فريق على انفراد ما يلجم فاه , وان لم يردعه عن هواه ,

تقول للاستعمار : انه لا يصدقك حلبة الجمعية إلا الجمعية , لان دينه يأبى عليه الكذب والرياء والنفاق , وهي الأقاليم الثلاثة التي يقوم عليه الاستعمار :

إن جمعية العلماء اشرف من أن تعمل لغير مبدئها , وأن تسخر مواهبها في خدمة الغير كائنا من كان , ولو كانت فاعلة للانت لترغيبك وترهيبك .

(يا حضرة الاستعمار) ان جمعية العلماء تعمل للاسلام باصلاح عقائده , وتفهيم حقائقه , واحياء آدابه وتاريخه , وتطالبك باستقلال فضائه . وتسمى عدوانك على الاسلام ولسانه ومعابده وفضائه , عدوانا بصريح اللفظ .

وتطالبك بحرية التعليم العربي .

وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والاسلام مجتمعين في وطن , وتعمل لاحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها , في الموطن العربي وبين قوم من العرب ..وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا .

وتعمل لتمكين اخوة الاسلام العامة بين المسلمين كلهم.

وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي , لان ذلك طريق الى خدمة اللغة و الآداب

فإذا كانت هذه الأعمال تعد _في فهمك ونظرك_ سياسة , فنحن سياسيون في العلانية لا في السر , وبالصراحة لا بالجمجمة .

إننا بعد كل هذا اننا على الحقيقة لا على التوسع والتخيل , ونعده من واجبات الاسلام التي لا تخرج من عهدتنا الا باواشه على وجهها الصحيح الكامل .ولتعلم أننا نفهم الاسلام على حقيقته , فنحن مع الاسلام و لاننا مسلمون , ولتعلم ان تلك الأعمال تزيدنا مع جلال العلم جلال العمل .

لتعلم انه ما دام الاسلام عقيدة و شعائر , و قرآنا , و حديثا , و قبلة واحدة ,فالمسلمون كلهم أمة واحدة , و ما دامت اللغة العربية لسانا و بيانا و ترجمانا , فالعرب كلهم أمة واحدة , كل ذلك كما أراد القدر المقدور و الطبيعة المطبوعة , و الأعراف المتواصلة , و الأرحام المتشابكة فلا إسلام جزائري كما تريد و لا عنصرية بربرية كما تشاء .

و لتعلم – أخرى ما تعلم – ان زمنا كنت تسلط فيه المسلم على المسلم ليقتله بفي سبيلك , و قد انقضى و أنه لا يعود (من أثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ج1).

– و نظرا لأهمية التعليم العربي الذي أولته الجمعية عناية كبيرة فقد عقدت في سبتمبر 1937 مؤتمرا للأساتذة و معلمي المدارس العربية الحرة بنادي الترقي بهدف تبادل الأراء بخصوص التعليم في المدارس و المساجد و النظر في

اساليبه و نظمه من أجل الوصول إلى توحيد المناهج و طرق التدريس الخاصة بالتعليم العربي "الحر" في المدارس الخاضعة لجمعية العلماء.(عيون البصائر 1963)

و قد طلبت الجمعية من الاساتذة و المعلمين تقديم أرائهم و إقتراحاتهم وفقا لخطبة الجمعية في الاصلاح و النهوض بالمجتمع . و الحق أن جهود جمعية العلماء في ميدان التعليم كانت إمتداد ا طبيعيا لجهود زعيمها الأول إبن باديس الذي بدأها في عام 1913 إلا أن نطاق هذه الجهود إتسع في ظل الجمعية حتى شمل الجزائر من أدناها إلى أقصاها بعد أن كان لي عهد إبن باديس مقصورا على قسنطينة و بعض المدن القليلة فقط , و قد تقاسم قادة الجمعية الرئيسيون العمل فيها بينهم منذ السنوات الأولى من عقد الثلاثينات . فأختص إبن باديس بقسنطينة في نشر العلم و دفع حركة التعليم العربي بخطوات سريعة إلى الأمام – و تكوين الاساتذة – و توفير المعلمين و الكتب و الوعاظ و المرشدين إلى غير ذلك من التجهيزات الخاصة بالتعليم . أما الشيخ الطيب العقبي فتكفل بالعاصمة –و تكفل الشيخ محمد البشير الابراهيمي بالغرب الجزائري و إتخذ من تلمسان مقرا لحركته , و كانت مهمة هؤلاء الزعماء مهمة تربوية – و تهذيبية – و تعليمية على أن يكون العمل منسقا بينهم , و بين أعضاء الجمعية و أنصارها في مختلف جهات القطر , و قد استطاعت جمعية العلماء أن تحقق نجاحا خلال فترة وجيزة من الزمن في ميدان التربية و التعليم نالت به إعجاب أصدقائها و أحدثت الرعب في نفوس أعدائها و خصومها ...

إن التعليم العربي الحر كما لاحظنا كان مقصورا على التعليم الابتدائي، غير أنه يمكن القول أن هناك ما يشبه التعليم الثانوي الحر أيضا، وهذا النوع كانت تقوم به بعض الزوايا مثل زاوية الهامل وزاوية اليلولي، وزاوية ابن الحملاوي ومعهد الحياة في ميزاب ومساجد الجنوب عموما، فهذه المؤسسات كانت تعلم العلوم الإسلامية والفقه وعلوم اللغة ومختلف المواد المكملة لثقافة عربية إسلامية متينة. أبو القاسم سعد الله، ج10، 2007

و في هذا المجال نشير الى أن معهد عبد الحميد بن باديس الذي أسسته جمعية العلماء بقسنطينة قد اصبح فرعا من فروع جامع الزيتونة يحتذي حذوى في البرنامج و الشيوخ كانت امتحانات المعهد تجري بحضور لجنة زيتونية هي التي تعتمد النتائج. و يحق لطلبة المعهد بعد ذلك الالتحاق بجامع الزيتونة اذا أرادوا. و نفس الاجراءات خضع لها أيضا المعهد الكتاني و طلبته بقسنطينة. و قد بلغ الذين كانوا يزاولون تعليمهم في الزوايا و المعاهد نحو ثلاثة ألاف طالب (المرجع السابق)

معلمو جمعية العلماء :

كان معلمو المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء يعانون مختلف المشاكل لأنهم هدف لاضطهادالاستعمار وقمعه . فقد كانوا يتعرضون للحبس والتغريم والمحاكمة كالمجرمين , وكانوا يحبسون مع هؤلاء حتى أنه في مجلس واحد , (الشيخ الابراهيمي–1963)

ينادي المنادي على المتهم بالسرقة وبفتح مدرسة بدون رخصة يوم الجمعة بطريقة يقصد بها الاهانة والاذلال .(المنار 24, أكتوبر 1952).

ففي مغنية مثلا مدرسة ابتدائية حرة اسمها – التقدم تعرضت لمهاجمة الشرطة التي جاءت تبحث وتعتقل عددا من التلاميذ بحجةانهم لم يراعوا الظروف عند محاكمتهم أو مدير المدرسة قد اعطاهم مناشير يعلقونها على الجدران , وهاجموا التلاميذ المعتقلين وسنهم التي كانت تتراوح بين ست وعشر سنوات .كانت هذه المدرسة قد بدأت التعليم سنة 1949 وبعد ثلاث سنوات طلب من القائمين عليها رخصة فتحها. (أبو القاسم سعد الله 2007)

وكما أن السلطات الفرنسية في مستغانم اعتقلت الشيخ عز الدين المعلم في المدرسة الحرة وأودعته السجن أربع سنوات بدعوى أنه قد علم التلاميذ أناشيد ثورية .وقد علقت الجريدة على ذلك بقولها انه على كل حال لم يدع الى حمل السلاح وانما كان يعلمهم تعاليم الاسلام وان ما حدث لهذا المعلم يمثل صورة صادقة لما يجري في الجزائر وطن العروبة والاسلام .

كما اعتقل الشيخ الزروقي احد معلمي المدرسة الحرة بمستغانم لأنه كان يعلم الاطفال الاناشيد ايضا .وحكم عليه بأربع سنوات سجنا وبغرامة مالية قدرت ب 250,000 فرنك (المنار 28 نوفمبر 1952م) ومن جهة أخرى أغلقت السلطات الفرنسية مدرسة بلفور الحرة الواقعة بضاحية الجزائر في العاصمة بعد عامين من فتحها .وكان اغلاقها قد تم بناء على امر صادر من الوالي العام نفسه , وحجته في ذلك هي إن المدرسة لا تملك رخصة قانونية .
(المنار 28 مارس 1952م)
تلك نماذج فقط لما كان يحدث لمعلمي المدارس الحرة لجمعية العلماء والمقصود بالمعاملة السيئة التي يخضع لها المعلمون هو منع مقنع لتعليم اللغة العربية وقمع واضح لتيار الوعي الوطني حتى لا يتجذر في الشباب فيستيقظ ويعمل على طلب حرية واستقلال بلاده (ابو القاسم سعد الله 2007) .

– اضطهاد المعلمين في التعليم العربي "الحر"
وبعد ان أصبحت مسألة حرمان المعلمين من رخص التعليم سياسة ثابتة للاحتلال اعتبر المعلمون انفسهم مجندين في معركة قومية , من أجل المحافظة على اللغة العربية وثقافتها , والدين الاسلامي ومساجده , وصاروا يعلمون سواء حصلوا على رخص التعليم من ادارة الاحتلال أم لم يحصلوا عليه .
–فقد قام الاحتلال بحملات اعتقالات واسعة للمعلمين وتقديمهم للمحاكم الزجرية بدعوى انهم ينتهكون القوانين لانهم يعلمون بدون رخصة .(البصائر عدد 151–فبراير 1939).
وقد بلغ عدد قضايا محاكمات المعلمين التابعين لجمعية العلماء بتهمة تعليم اللغة العربية والدين الاسلامي بدون رخصة خلال العام الدراسي (1948–1949) 27 قضية حكم عليهم بالتغريم و ثلاثة منهم بالتغريم والحبس .وفي واحدة منها بالسجن والتغريم المضاعف .
وقد استؤنفت عدة قضايا منها امام المحاكم العليا في باريس فأخذت أحكام محاكم الجزائر في جميعها ولم تنقض منها حكما واحدا . (البصائر عدد 104 جانفي 1950)

وكتب الاستاذ مصطفى سعد الجيجلي احد أساتذة التعليم العربي الحر مقالا في جريدة (البصائر) يشكو من الظلم و اضطهاد الاحتلال على المعلمين الأحرار جاء فيها ما يلي :

في هذا الوقت , وقت التقدم والنهوض , وفي هذا العصر عصر النور , والمدنية , و الحضارة , وفي هذا الجو الذي تتسم فيه الشعوب نسيم الحرية وتتمتع بالاستقلال يساق المعلم " الحر " ويحاكم مع أصحاب الاجرام , فقد كان يوم 04 جانفي 1950م يوما مشهودا في قضية مدير مدرسة (ايغيل) الاستاذ محمد شرفة الأكحل بدعوى انه معلم بدون رخصة ." (البصائر عدد 104 جانفي 1950م)

وكتبت "البصائر " في نفس الموضوع فقالت:" لم تكتف الادارة الاستعمارية في حوزة أقبو بمحاكمة الاستاذ محمد الطاهر الاطرش المعلم بمدرسة "ايغيلايلف" واصدار الحكم عليه بتغريم 12,000 فرنك بتهمة " فتح مدرسة قرآنية بدون رخصة " بل تعدت ذلك الى دور جديد من أدوار الاضطهاد والتنكيل –اضطهاد العربية وعلوم الدين , والتنكيل بمعلمين الاصلاح ".

ثم قالت : "هناك أمام محاكم ذراع الميزان وتيزي وزو , وبجاية , قضايا أخرى من هذا القبيل "

(البصائر عدد 294 –26 نوفمبر 1954)

والواقع أن محاربة المعلمين , واضطهادهم , واهانتهم قد بدأت منذ سنوات قبل صدور قانون 08 مارس 1938م.

ففي عام 1933كتب عبد الحميد بن باديس في جريدة (الصراط السوي) مقالا تحت عنوان " بعد عشرين سنة من التعليم نسأل هل عندك رخصة ؟" (آثار عبد الحميد بن باديس ج 4)

شكا فيه من أنه استدعى الى الكتابة العامة لعامل عمالة قسنطينة (المحافظ) من أجل سؤاله من أنه يعلم بدون رخصة , مع أنه حاصل بالفعل على هذه الرخصة منذ بدأ التعليم في الجامع الأخضر , وسيدي قموش , وأن الادارة تعلم أنه يعلم برخصة رسمية منها , , أنه يقوم بالتعليم متطوعا (في سبيل الله) بدون مقابل

.(تركي رابح 1974)

–وقد قابل المعلمون " الأحرار "والمنظمات الوطنية القائمة بالتعليم العربي "الحر" وعلى رأسه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضغوط الاحتلال بروح من التحدي والصمود تثير الاعجاب . وفي ذلك يقول محمد البشير الابراهيمي :

"بدأت دعوة المعلمين الى المحاكم ونحن نقدر أنها ستعم ,وأن اول قطرة مطر , وان الاحكام ستكون بالغرام فالسجن , ولكننا ندخل هذه المحاكم برؤوس مرفوعة , وسنتلقى هذه الاحكام بنفوس مطمئنة بالإيمان , وسندخل السجون بأعين قريرة , وسنلتقي بإخواننا المجرمين في مجالس الاحكام ,ومقاعد الاتهام , وحسبنا شرفا ان يكون ذلك في سبيل ديننا ولغتنا , وحسبنا فكرا ان تكون التهمة " فتح مدرسة دينية او قرآنية بدون رخصة ".(البصائر عدد 64 جانفي 1948م)

وحسب الاستعمار الديمقراطية ان يحاكم معلمي العربية والاسلام ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على التعليم كما يحاكم المجرمين ويسجنهم على الاجرام في محكمة واحدة وسجن واحد " (المرجع السابق)

-اغلاق المدارس العربية "الحرة " :

لم تتوقف الحرب التي شنها المحتل على التعليم العربي " الحر " وانما تعدى الامر الى محاربة المدارس " الحرة " التي بناها الشعب الجزائري بعرق جبينه , ومن تبرعاته بقصد تعليم أبنائه المحرومين من تعلم لغتهم ودينهم وقد تمثلت حرب الاحتلال للمدارس الحرة في الامر بإغلاقها بعد سحب رخصة التعليم التي منحت له بالفعلوفقد كان المحتل يوافق على اقامة المدرسة ويسمح لها بالتعليم ولكنه عندما يرى نجاحها في اداء رسالتها التربوية والقومية -يشرع في حبك المؤامرات لها كي يسحب منها الرخصة وبالتالي يأمر بإغلاقها وبذلك يتشرد التلاميذ وتذهب جهود المواطنين التي بذلوها في تشييد المدرسة هدرا مما يحدث ألما في النفوس ,وغضبا في الصدور وحقدا متأججا على الاحتلالفقد كانت معظم المدارس الوطنية تغلق بعد قليل من افتتاحها رسميا للتعليم ويسجن معلموها , ويشرد تلامذتها وتحاكم الجمعية التي انشأتها وكل ذلك بهدف واحد هو عرقلة التعليم العربي , وتخويف المنظمات القائمة به , ومن هنا توالت عملية " تعطيل المدارس العربية الحرة " سواء نهائيا أو لأجل قد يطول وقد يقصر وكثرت القضايا المرفوعة في المحاكم الاستعمارية ضد المدارس العربية الحرة.

مثل : -مدرسة " دار الحديث " التي أسستها جمعية العلماء في مدينة تلمسان سنة 1937م وبدأت الدراسة فيها للأطفال الصغار بالنهار , ودروس الوعظ والارشاد للكبار بالليل , وكان يديرها ويقوم بالتدريس فيها نائب رئيس جمعية العلماء الأستاذ محمد البشير الابراهيمي يساعده مجموعة من المعلمين الاحرار , وما ان بدأت تباشر عملها وظهر الاقبال عليها من المواطنين كبارا وصغارا حتى هال الامر ادارة الاحتلال في المنطقة فقامت بتعطيلها في شهر جانفي 1938م . ولم يمض على افتتاحها سوى ثلاثة اشهر فقط.

وقد آثار قرار تعطيلها غضبا شعبيا كبيرا صورته لنا جريدة " البصائر " قالت : من المصائب (الاستثنائية) على هذه الأمة ان القوانين تفرض عليها ان تفرح بمقدار , وان تحزن بمقدار " .

ثم تقول : " لقد اجتمع الوجبات (موجب الفرح وموجب الحزن) حول " مدرسة دار الحديث " فتحناها في 27 سبتمبر 1937م .فاحتشد في تلمسان عشرون الفا من أبناء هذه الأمة في حفلة ضاحكة يعلوها جلال العلم , وتجمعها جامعة الابتهاج بأعظم معهد علمي ديني شيد بأموال الأمة في الجزائر الحديثة -وفي أول جانفي صدر قرار بإغلاقها بعد فتحها بث البصائر عدد 100 -فبراير 1938م)

وقد كثر اغلاق مدارس التعليم العربي "الحر " بصفة خاصة بعد صدور قانون 8 مارس 1938م . فقد وجد حكام الأقاليم الجزائرية الفرنسيون فيه وسيلة لمحاربة مدارس التعليم العربي وتعطيلها عن أداء رسالتها .

وكتبت" البصائر " تشكو من الاعتداء على المدارس وتعطيلها فقالت : " بلغنا اغلاق مدرسة وهران , ومدرسة و نادي (بريكة) ونعيد القول بأن هذه المدارس المحاربة هي مكاتب (مدارس) عربية ابتدائية تلقن القرآن , وتعلم مبادئ لسانية ودينية , فاغلاقها ليس لنشرها ثقافة مزاحمة لثقافة فرنسا . أو معاكسة لها , لأنها من أثار هذه اليقظة الناشئة عن حركة جمعية العلماء " (المصدر: البصائر عدد 157- مارس1939 م.)

و يلاحظ أن موقف الاحتلال من مدارس التعليم العربي "الحر" ليس إداريا فحسب , و لكنه سياسي بالدرجة الأولى فهولا يغلق المدرسة لأنها لم تستوف الشروط الصحية الازمة , أو لوقوعها في أماكن غير صالحة لتجمع التلاميذ أو غيرها من الأمور الفنية الأخرى , ولكنه يغلقها نكاية في اللغة العربية , و حقدا على الإسلام و حربا على الثقافة

العربية الإسلامية التي وقفت عقبة في طريق سياسته الرامية إلى محو الشخصية الوطنية الجزائرية حتى و لو استوفت المدرسة كل الشروط الازمة مثل مدرسة << دار الحديث >>

وقد واجه الشعب الجزائري هذه الحرب التي سلطها الاحتلال على مدارس التعليم العربي " الحر" بروح عالية من التحدي و الصمود , و كان كلما أغلقت الإدارة مدرسة عربية, قام بتأسيس مدرسة أخرى او عدد من المدارس بدلها.

و قد وجه رئيس جمعية العلماء خطابا مفتوحا إلى رئيس جمهورية فرنسا بمناسبة زيارته للجزائر سنة1949 جاء فيه : << و التعليم العربي في هذا الوطن الغالي (الجزائر) جريمة يعاقب به المجرم من التغريم , و تغريب السجن ومدارسه تعاني من التضييق و التعطيل ألوانا , متجدداه , و رجاله عرضة في كل حين للمحاكمات في المحاكم الجمهورية التي تتسم باسمكم و المحاكمات على التعليم , جارية على قدم و ساق >> (عيون البصائر 1963)

– و يحتج سكان جبل الأوراس في شرق البلاد من أنحكم الحاكم منطقتهم الفرنسي قد أصدر أمرا بإغلاق جميع الكتاتيب القرآنية الموجودة في منطقتهم مرة واحدة بحيث أصبح أوراس الذي يقطنه أكثر من ستين ألف نسمة من المسلمين الجزائريين لا يوجد فيه كتاب قرآني واحد للتعليم (البصائر عدد 128 ماي 1938)

– و قد اعترف الكتاب الفرنسيون بعد قيام الثورة في الجزائر 1954.

عند تحليلهم لأسبابها و دوافعها بما قامت به إدارة الاحتلال من محاربة المدارس العربية , و إغلاقها بدون سبب وجيه , ووضع معلميها تحت مراقبة الشرطة و اعتقالهم (مارسيل اجبتو 1959)

– كما اعترف وفد فرنسي زار الجزائر قبل قيام الثورة بعدة اشهر 1954 بجناية الاحتلال ضد التعليم العربي حيث أعلن رئيسه ميزان قائلا :<< لقد خرجنا بحقيقة لا غبار عليها ألا و هي أن الدولة الفرنسية تعمل على قتل اللغة العربية و على تحطيم الدين الإسلامي و على تجهيل الامة , و العلماء (جمعية العلماء) يعملون على خط مناقض للخط الحكومي , فهم يقومون بالجهود المحمودة لإحياء الإسلام و تطهيره من الخرافات , و نشر اللغة العربية و رفع الأمية عن الأمة غير مبالين بالعقبات ووسائل الزجر و التنكيل >> (المصدر : البصائر عدد 270 ماي 1954)

– تعطيل النوادي الوطنية :

– تعتبر النوادي من مؤسسات التعليم العربي الحر – لأن جمعية العلماء تعتبر مثلا << النوادي الاسلامية التي تؤسسها أو تشرف عليها هي نمط بين المدرسة و بين المسجد , لأن هناك طائفة كبيرة من شباب الأمة لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم دعوة الدين و العلم الا في تلك النوادي >> . (البصائر عدد10– جويلية 1947)

و من هنا لم تسلم هي الاخرى من محاربة الإحتلال . لأنها لعبت دورا هاما في تهذيب الشباب , و توجيههم توجيها عربيا إسلاميا , عن طريق نشاطاتها الثقافية و الدينية و الإجتماعية و الرياضية . وما يلغى فيها من محاضرات و دروس و ما يعقد فيها من ندوات , و إجتماعات , و مؤتمرات و قد كانت النوادي تعتمد في بقائها و أداء رسالتها في التوعية و التربية و التثقيف العام على الإشتراكات التي يدفعها أعضاؤها من ناحية , و على حصيلة بيع المشروبات لروادها من ناحية أخرى , و من مجموع هذه و تلك كانت تصرف على أوجه نشاطاتها الثقافية , و الإجتماعية و كما كانت النوادي تخصص جزءا هاما من إرادتها سنويا لمساعدة المدارس التي تقع في ناحيتها على تأدية رسالتها في نشر

التعليم العربي و الثقافة العربية الإسلامية و قد إنزعج الاحتلال للدور الذي تلعبه النوادي الوطنية في حياة الشباب الجزائري و تثقيفها سياسيا ,و اجتماعيا و وطنيا فبادر الى محاربتها هي الأخرى كما حارب المدارس العربية حتى يقضي على نشاطها الحيوي و من أجل تحقيق ذلك أصدر في بداية عام 1938 قرارا بتوقيع وزير الداخلية فرنسا يحظر فيه على النوادي التي تبيع المشروبات المباحة داخلها إلا بترخيص من إدارة الإحتلال . التي ترفض منح للنوادي في معظم الأحيان , و كان الهدف من هذا القرار هو أن تضعف النوادي ماديا , و بالتالي تعجز عن مواصلة رسالتها في التربية و التوجيه العام للشباب , و قد ترتب على القرار المذكور إن وجدت النوادي نفسها بالفعل عاجزة عن تدبير النفقات اللازمة لنشاطاتها الثقافية و غيرها , لأنها حرمت من أهم مصادر تمويلها الذي كانت تحصل منه على إيراد كبير و هو بيع المشروبات لروادها و شيئا فشيئا هجرها هؤلاء الرواد لعدم وجود ما يجذبهم إليها و ما يحببهم فيها و لذلك اعتبرت جمعية العلماء << ذلك القرار في غايته ملحقا بالقرارات المشروعة للتصنيف على التعليم العربي >> (البصائر العدد السابق)

و هناك هدف اخر كان الإحتلال يرمي إليه من وراء تعطيل النوادي , زيادة على محاربة اللغة العربية و الثقافة العربية الإسلامية و هو مناهضة الحركة الإصلاحية التي تقودها جمعية العلماء و و هي حركة تهدف إلى محاربة الخرافات و الشعوذة و تطهير الدين مما لحق به , من بدع , ضلالات , كما تهدف فيما تهدف إليه الى تحرير الجزائر من الإحتلال في نطاق شخصيتها العربية الإسلامية – عكس ما يهدف إليه الإحتلال و هو ربط الجزائر بفرنسا ربطا دائما عن طريق فرنستها و دمجها في فرنسا , و الإحتلال عندما يعاكس النوادي و يحاول تعطيلها عن طريق القرارات الإدارية يعلم بصفة أكيدة أن << النوادي الوطنية >> ليست محلات اجتماع عادية وإنما هي ملئ لكل القائمين بالحركة (الإصلاحية و التعليمية) إذ في النوادي تؤسس الجمعيات , وترسم الخطط لمصلحة الأمة وتقرر الأعمال الهامة لتشييد الحركة .

–منع العلماء من التدريس في المساجد :

وكما تعرضت المدارس العربية " الحرة " والنوادي الوطنية للاضطهاد والاغلاق من الاحتلال لم تسلم المساجد , التي أنشأها الشعب لأداء الشعائر الدينية هي الأخرى من الاضطهاد , والاغلاق والتضييق .

ومن ذلك على سبيل المثال ان بريفي (المحافظ) الجزائر العاصمة وعمالتها الفرنسي أصدر في 16 فبراير 1933 م منشورا هاجم فيه العلماء المصلحين الوطنيين الذين اتخذوا من المساجد منابر للوعظ والارشاد ,وتعليم المواطنين أمور الدين بطريقة حية وأسلوب يتلاءم مع تطورات العصر ,(جريدة الشريعة) العدد الأول جويلية 1933

وقد هاجم المحافظ المذكور في منشوره الرسمي بصفة خاصة " جمعية العلماء " التي تقود النهضة العلمية والدينية في الجزائر واعتبر اعضائها مشوشين يعملون لمصلحة الجامعة العربية . والجامعة الاسلامية . ثم أردف منشوره بقرار مؤرخ في 18 فبراير من نفس العام – حرم فيه المساجد الاسلامية على رجال الجمعية ,ومنعهم من التدريس فيها او عقد حلقات الوعظ والارشاد بها,(المرجع السابق)

وقام الكاتب العام لعمالة الجزائر بدوره يحل الجمعية الدينية الاسلامية في عاصمة الجزائر بتاريخ 27 فبراير 1933 .وكون بدلها جمعية دينية أخرى اختيار أعضائها من بعض أعوان الادارة وتولى هو رئاستها , وأصبح اسم الجمعية الجديد " الجمعية الدينية الاسلامية " برئاسة مسيو "ميشال "وكان هذا القرار : –تكوين الجمعية بهذه الصورة المزرية , وبرأسها رجل مسيحي كاثوليكي مهزلة المهازل –في محاربة عقيدة الجزائريين , وانتهاك مقدساتهم .

ونجد الاعتداء على المساجد الحرة التي كونها الشعب من تبوء الخاصة يتكرر في معظم جهات الجزائر , من ذلك على سبيل المثال ما وقع على المسجد "قنزات " من اعتداء من طرف اعوان الشرطة .

وقد احتج عليه ابن باديس لدى عامل عمالة قسنطينة كالآتي :

"يوم الجمعة 22أكتوبر 1937م ,بينما كان احد الشباب المثقفين الشيخ الفضيل الورتلاني يفسر آية من آيات كتاب الله أمام جميع غفير من مسلمي القرية المذكورة (قنزات) اذ دخل عليهم في المسجد أعوان السلطة وأهانوهم واعتدوا عليهم , منتهكين حرمة الأماكن المقدسة الى اخرى .

وقد قام صراع كبير بين جمعية العلماء وبين الاحتلال وهو تحرير المساجد من سيطرة الاحتلال , واعادتها الى الجماعة الاسلامية تتولى أمورها بحسب قواعد الشرع الاسلامي بدون عوائق من الادارة الاحتلال (عيون البصائر 1963م).

فالتعليم والمسجد صنوان في الاسلام كما يقول ابن باديس :

" من يوم ظهر الاسلام , فما بنى النبي صلى الله عليه وسلم يوم استقر في دار الاسلام بيته حتى بنى المسجد ولما بنى المسجد , كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم اصحابه , فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة فكما انه لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم " (البصائر عدد 85 نوفمبر 1937).

وعندما تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي 1830م قام صفوة من أئمة المساجد وعلمائها بقيادة جميع المجاهدين في سبيل الدفاع عن كرامة الوطن ومقدساته . وعلى رأس هؤلاء المجاهدين الأمير عبد القادر الذي اعلن الجهاد من مسجد المبايعة في مدينه " معسكر " ولذلك عندما استتب الأمر للاحتلال في الجزائر وتمكن من اخماد جدوة الكفاح عمد الى

الاستلاء عليها , وقام بوضعها جميعا تحت تصرفه , وعمل على هدم معظمها – وحول بعضها الى كنائس , وحول البعض الآخر الى متاجر ومخازن حتى يقضي على دورها الفعال في قيادة حركة الجهاد ضده .

–وفي نهضة الجزائر الحديثة قام المسجد بدور كبير في نشر العلم وبعث الثقافة العربية الاسلامية , وبمهمة التوجيه والقيادة الفكرية . وتعليم النشوء الجزائري القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وتاريخ الاسلام وحضارته , واللغة العربية وآدابها و كان قرار منع العلماء المصلحين من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من التدريس في المساجد الاسلامية بالجزائر صدمة عنيفة للعلماء من ناحية ولحركة التعليم العربي " الحر" بصفة عامة من ناحية اخرى وقد كان العلماء يصرون على ضرورة فتح المساجد الاسلامية في وجوههم من أجل القيام بدروس الوعظ والارشاد للكبار ليلا , وبدروس العلوم اللغوية والدينية للطلبة نهارا .

لآنه حق من حقوق الدين والوطن عليهم خصوصا وهم يقومون بالتعليم متطوعين ولا يكلفون الاحتلال اية أعباء مادية نظير قيامه بالتعليم .

وكان المحتل بتمسك بقرارات منع العلماء من التعليم في المساجد, بهدف الحد من نشر التعليم العربي الاسلامي – ولذلك قامت معركة كبيرة بين المحتل وجمعية العلماء المسلمين حول تحرير المساجد من الاحتلال الفرنسي .

وقد تقدمت جمعية العلماء في نوفمبر 1933 بطلب رسمي من الوالي العام الفرنسي على الجزائر بخصوص حرية التعليم في المساجد جاء فيما يلي :

" بما أن المساجد كانت في القطر الجزائري مفتوحة في وجوه العلماء للوعظ والارشاد , وتعليم مبادئ الدين الاسلامي , وبما أن هذه الحالة بقيت بعد الاحتلال على ما كانت عليه قبله , ولم يقع فيها تغيير مدة قرن كامل , وبما أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم غاياتها الوعظ والارشاد , وأن القيام بها لا يكون إلا في المساجد وبما أن قرار عامل عمالة الجزائر أحدث اضطرابا شديدا في أفكار المسلمين الذين اعتبروه مسا بحريتهم الدينية " (جريدة الصراط السوي العدد 11 عام 1933م)".

وفي عام 1949م رفعت شكوى في خطاب مفتوح الى رئيس جمهورية أن تخصص تعطيل المساجد الاسلامية وحرمات العلماء من التدريس فيها جاء فيها مايلي :

" والتعليم الديني في هذا الوطن المسلم معطل بتعطيل المساجد ومئات الآلاف من شباب المسلمين تتشوق الى تعليم دينها , ولكن مساجدهم الموقوفة لذلك مغلقة في وجوههم والدين الاسلامي وتعلمه وتعليمه حق طبيعي وضروري لتسعة ملايين من المسلمين ولكنهم محرومون منه " (محمد البشير الابراهيمي عيون البصائر 1963م)

–وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين واصلت عملها حتى استطاعت ان تحدث في البلاد نهضة عربية اسلامية واسعة النطاق , كانت الركيزة الاسلامية التي استندت إليها الحركة الوطنية في تحرير البلاد من الاحتلال في نطاق حضارتها العربية الاسلامية – كما كانت العامل الاساسي في فشل سياسة الفرنسة , والتنصير والادماج التي سار عليها الاحتلال في الجزائر طول قرن ونصف قرن.

مطالب جمعية العلماء المتعلقة بالتعليم العربي الحر:

تتمثل هذه المطالب فيما يلي:

1- الغاء جميع القرارات الخاصة بالتعليم الغاء صريحا

2- اصدار قانون صريح يقرر حرية التعليم العربي و عدم تغييره بشيء

3- منح الحرية لجمعية العلماء و الجمعيات المحلية الأخرى حرية مطلقة لانشاء المدارس في جميع أنحاء البلاد.

4- على الجمعيات اعلام الادارة باسم المدرسة و موقعها و اسماء المعلمين فيها

5- يتضمن القانون ضمانات كافية مقنعة في عدم تعطيل المدارس العربية لأسباب سياسية أو غيرها من الاعتبارات، لأن تعطيل المدارس في نتيجته يعتبر عقوبة للمتعلمين و هذا ظلم لهم.

6- كما لا تتدخل الادارة الفرنسية في اختيار المعلمين و في وضع البرامج التعليمية و لا في اختيار الكتب المدرسية.

7- على جمعية العلماء و الجمعيات المحلية الأخرى أن تخضع للمراقبة العامة في دائرة قوانين المراقبة و التفتيش الرسمي. المصدر: التقرير الذي قدمه مجلس ادارة جمعية العلماء 1944 للحكومة الفرنسية في المسائل الثلاثة المساجد- التعليم- القضاء المطبعة الجزائرية الاسلامية- بدون تاريخ قسنطينة

- الدور التربوي للشيخ محمد البشير الابراهيمي :

لقد تعلم أ ن الإبراهيمي انتصب للتدريس و هو في ريعان الشباب و لعل انصرافه إلى مهنة تعليم اللغة العربية و بعض أدابها في الجزائر و المشرق , ثم تدريس للفقه و الأصول , ثم تفسيره للقرآن الكريم , و تقرير للأصول ... جعل منه مربيا يحكم المهنة أولا , و لكن بحكم كوامن نفسية ايضا ثانيا . فقد كان يهوي هذه المهنة حتى التفاني , و يعطف على أهلها حتى التضحية و الشيخ الابراهيمي ظل الأب و المربي لجيل بأسره دون أن ينازعه في هذه الأبوية أحد ؟ (عبد المالك مرتا ض 1984).

أن هذه الأبوية كانت قائمة فيه بالمعنى الاستعلاء المشبوب بالتعجرف و إنما كانت قائمة في نفسه , و جاثمة في جوانحه , لأنها عنصر طبيعي يشكل جزءا من كيانه الروحي, ذلك بأن الابراهيمي كان يحب جيل المعلمية الأحرار الذين كانوا ينشرون اللغة العربية و يناضلون من أجل تعليمها للنشء الصاعد , كما كان المعلمون يسلمون له بهذه

الأبوية النـي كـانوا يعتبرونها خاصـية من خصـائص الشخصـية التـي ترعرعت معـه , و ترسخت فيـه , و ترسبت فـي أعماقه ,منذ رحلته الى المشرق العربي ...

انتصب هناك لتدريس اللغة العربية و أدابها بالمدرسة السلطانية بدمشق حيث مكث مدرسا بها طوال أربع سنوات ظل خلالها الأستاذ الناجح و المعلم المرموق . بدمشق بإعتراف أحد أبرز تلامذته في تلك المدرسة يومئذ و هو الدكتور جميل صليبا.... و إذا علمنا بأنه تبوأ كرسي الاستاذية في هذه المدرسة العليا و سنه لم تتجاوز 26 سنة.

و من العوامل الخارجية التي جعلت الشيخ الإبراهيمي رائدا للمربيين في الجزائر فيكون في طبقتهم الأولى , إنه كان مقتنعا بأن الشعب الجزائري لا يرقى و ينجو من شر شقاوته و لا يسعد و يجاوزسوء مصير محنته , غلا غذا اخلد الى العلم و تعلق بالتعلم تعلق الظمئ بالماء الزلال . فيفضي من اجل ذلك الى الرقي , رقي الشعب و تطوره .

لقد إنصبت معظم جهوده و توجيهاته على التعليم و إصلاح برامجه , و تطوير طرائقه , و علمنة مواده و تقديمه إلى الناشئة في حلة جديدة تبهرهم و تفتنهم فلا ينفرون منها بل يتعلقون بها تعلقا شديدا.

كان يحرص أشد الحرص على أن يقدم إليهم المادة التعليمية في صورة طبق لذيذ الطعم , إن تناولوا منه شيئا لم يشكوا هزالا و لا تسمما .

و يقال أن الشيخ الإبراهيمي كان يلقي بعض دروس بالحرم النبوي في حضرة يوسف النبهاني الذي كان معتكفا بالحرم النبوي هو أيضا , قد أعجب يوما بتحليل الشيخ الإبراهيمي في معرض حديثه عن السيرة النبوية , و قد أجاز الشيخ النبهاني الفتى الذي رفض هذه الإجازة منه هو أيضا قائلا : انا شاب هاجرت لأستزيد علما و أستفيد من أمثالكم ما يكلني منه , و مأرى عملكم هذا إلا تزهيدا آلنا في العلم , ماذا يفيدني أن أروي مؤلفاتك و أنا لم أستفد منك مسألة من العلم فسكت .....المرجع السابق

حقيقة أن الشيخ الإبراهيمي كان مربيا أولا , و متطور الرؤية الى التربية حديثها ثانيا , إلا على هدى من قراءتنا لأثار الشيخ , و يتجسد هنا الرأي مثل :

1- إنشاء مدارس للتعليم العربي

2- إنتقاد مناهج الزيتونة و طرق تدريس أساتذتها

3- التعليم العربي في الجزائر و موقف الإستعمار منه

و لعل اعظم هذه المدارس إطلاقا , و أعماقها أثرا ,إنما هي مدرسة دار الحديث بتلمسان التي كان له في إنجازها اليد الطولى , و قد سجل التاريخ بأن هذه المدرسة أصبحت تخرج المثقفين و أولي الاذواق الرفيعة في نشرت منابع الأدب العربي في أنقى صورة وأرقى اساليبه , و أعذب بيانه , و لقد كان تأسيسها فعل واسع في حفظ اللغة العربية و انتشار

إستعمالها الفصيح في الغرب الجزائري كلهو لا يبرح الكرسي الذي كان الشيخ الإبراهيمي يلقي من عليه دروسه و مواعظة مختلفا به في تلك المدرسة إلى يومنا هذا ... إعترافا بفضله الدثر , و تقديرا لعلمه الثرى.

و يتضح لنا من خلال احصائية نشرتها جريدة " البصائر " الصادرة في 1947/10/13.أن عدد المدارس العلمانية كان لا يجاوز يومئذ إحدى وتسعين(91)في حين أنه أصبح في سنة 1950– 126 مدرسة حرة عربية و لقد يدل هذا على أن العلماء المصلحين , بقيادة الشيخ الإبراهيمي , كانوا يؤسسون أكثر من عشر مدارس عربية في سنة عبر التراب الوطني , على الرغم من تضييقات الاستعمار, و على الرغم من ضيق ذات اليد , و إنعدام الظهير و ندرة النصير . و يعني ذلك أن سياسة الشيخ الفكرية كانت تعول على التعليم و نشر المعرفة بين الناشئة , و تحقيق الذات الوطنية و الشخصية الجزائرية . (عيون البصائر 1963)

– و فريق فقهوا الدين – دين الله عز و جل – و صدقوا ما عاهدوا الله عليه و لم يخونوا أماناتهم , فوقفوا الى جانب شعبهم في مأساته , و حفظوا له خصائصه من الذوبان , وثبتوا له مقوماته الحضارية التي استرد بها سيادته , وسترجع بفضله الإستقلال و من هذا الفريق الشيخ الإبراهيمي – رضى الله عنه وأرضاه – الذي ما أن إستكمل تحصيله العلمي حتى عاد الى وطنه , ليضع علمه و جهوده في خدمة شعبه , و ليقود جهاده النصارى و صراعة الفكري ضد الفرنسية .

كان في مقدوره أن يعيش دنياه منعما , و أن ينال منها نصيبا موقورا لما أتاه الله من بسطة في العلم و الشجار في المعرفة , كان في استطاعته أن يبقى مكرما في مكة بالقرب من البيت المعمور , و أن يتدبر طيبة الطيبة بجوار خير الخلق كلهم , و أن يستقر معززا بدمشق , أو أن يستوطن القاهرة و يجوز في أزهارها مكانا عاليا , أوان يقيم بتونس أو المغرب قريبا من مسقط رأسه , و لكنه رفض ذلك كله , و فضل الأوجه إلى الجزائر, ليحي مواتاها و يبعثها من مرقدها , و يزيل ظلمهم و دليلكم , رغم معرفته بما كان ينتظره من معاناة , و ما سيلاقيه من أذى مادي و معنوي على يد الفرنسيين , الذين لا يترددون في البطش بمن يقف من طريق مخططهم الإدماجي التنصير.

و قد جاء في مقال للشيخ عبد الحميد بن باديس , تحت عنوان : محاربة القرآن و تعذيب السكان نقتطف منه ما يلي :

" بعد كتابتي ما تقدم و رجوعي إليه بالتصحيح وجدت نفسي قد نسيت أن أذكر لكم أهم مسألة يجب الاعتناء بها وهي مسألة التعليم الديني عندنا فقد أمر منصرف الحوز بأغلاق جميع الكتاتيب القرآنية و نفذ ذلك حراس الدواوير فأصبح أوراس الذي يضم ما يزيد على ستين ألفا من السكان لا يوجد فيه مكتب مفتوح للتعليم "

فإليك يا الله ما منصف المظلومين من الظالمين نرفع شكوانا و إليكم يا من أنتم المسؤولون عن هذه المظالم من أولكم إلى أخركم نرفع احتجاجنا و حسبنا الله و نعم الوكيل. (عبد الحميد بن باديسالبصائر العدد 128–26 أوت 1938م)

–كانت مواقف علماء الجزائر من الوجود الفرنسي ببلادهم 1962/1830 ومن خطة الفرنسيين لتنصيرها وفرنستها مختلفة ويمكن تقسيمهم الى أربعة أقسام :

1–فريق منهم لم يستطيعوا صبرا على محنة بلادهم ,فغدروها الى البلدان العربية والاسلامية , هؤلاء ان لم ينفعوا بلادهم فقد خدموا إخوانهم المسلمين في البلدان التي استغربوا بها .

2– وفريق انعزلوا عن الناس , وابتعدوا عن المجتمع , وراحوا يتفرجون على محنة وطنهم ويتحسرون على مأساة شعبهم , هؤلاء العلماء كمثل الغصن المشلول من الجسد , يراه الناس ولا يحسنون أثره .

3–وفريق غلبت عليهم شقوتهم , وضلوا عن علم , وهلكوا عن بينة , فانسلخوا من آيات الله التي أتاهم , واشتروا بها ثمنا قليلا , وخانوا الله ورسوله والمؤمنين , وتحيزوا الى الفرنسيين الذين اتخذوهم سخريا ضد شعبهم , ووطنهم , ودينهم .

4– وفريق فقهوا دين الله عز وجل , وصدقوا ما عاهدوا الله عليه , ولم يخونوا أماناتهم , فوقفوا الى جانب شعبهم في مأساته, وحفظوا له خصائصه من الذوبان , وثبتوا له مقوماته الحضارية التي استرد بها سيادته, واسترجع بفضله استقلاله . أمثال عبد الحميد بن باديس والشيخ الابراهيمي والعربي الشيب والطيب العقبي والامية العمودي .

المرجع آثار الشيخ الإبراهيمي– الجزء الثالث "عبد الله البصائر"

–وتحدث الامام عن سياسة القمع والارهاب الفرنسية بالجزائر و فكشف دسائسها وصور قطائعها , وفضح وسائلها ,في عدة مقالات , كتبت إثر "الاعتقالات للمئات من شباب الأمة "بعد اكتشاف مصالح الأمن الفرنسية في مارس 1950– المنظمة الخاصة – وهي منظمة سرية , أنشئت سنة 1947, لتدريب الشبان الجزائريين على الأعمال العسكرية استعدادا لإعلان الجهاد من أجل تحرير البلاد.

وقد أنهى الامام هذه المقالات بتأكيد ما دعا إليه سنة 1936من "أن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع الا غلابا"

فقال مخاطبا الشعب الجزائري :" ان القوم – الفرنسيين – لايدينون الا بالقوة و فأطلبه بأسبابها , وأنه من أبوابها , وأقوى اسبابها العلم , وأوسع أبوابها العمل , فخذهما بقوة تعش لمبدا وتمت شهيدا " (آثار البشير الابراهيمي 2007)

–وتناولت هذه المقالات قضية التعليم العربي ومعاملة الدولة الفرنسية له ولأصحابه وكشف الامام في هذه المقالات فيه الفرنسيين و وهي أنهم يريدون تجريد الجزائريين من وطنهم الفكري "كما سلبوهم " وطنهم الجغرافي وكما يريدون سلبهم وتجريدهم من وطنهم الروحي "

من أجل ذلك جعل الامام التعليم العربي شغله الشاغل , وهمه الدائم و وكان يعتبره قضية حياة , لابقاء للشعب الجزائري الا به. – المرجع السابق –

يقول محمد البشير الإبراهيمي: "أما الرأي الشجاع العاقل الموزون بميزان العدل والحق... فهو نجمع، ونصمم، ونعتمد على أنفسنا ونتوكل على ربنا، ونتعلم ديننا ولغتنا، وكل ما يخدمهما من علوم، وفنون، ومن البدايات إلى النهايات، لأن

ذلك ألزم لحياتنا ووجودنا من الطعام والشراب. ولا نبالي بمخلوق يقف في الطريق، ولا بحقود يغص من حقده بالريق" (البصائر أفريل 1949).وفعلا قد نجح التعليم العربي الحر نجاحا ملحوظا في إحياء الأمة وتاريخها، ومحاربة سياسة التشويه والتزوير، وكانت المناهج التعليمية تركز على أربعة عناصر هي: اللغة العربية – الدين الإسلامي – والتاريخ العربي الإسلامي للجزائر والوطن العربي، وجغرافية الجزائر والوطن العربي وهي المواد التي تكوّن الشخصية الوطنية للجزائريين. وقد تم تأليف كتب لمادة التاريخ من طرف أساتذة الجمعية منهم: أحمد توفيق المدني (كتاب الجزائر 1930)، ومبارك الميلي (تاريخ الجزائر في القديم والحديث 1929)، وعبد الرحمن الجيلالي (تاريخ الجزائر العام)، وأبو القاسم الحفناوي (تعريف الخلاف برجال السلف 1950).

الفصل الرابع

تأسيس جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين

نشأة جمعية العلماء

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

تمهيد:

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين , من أهم المنظمات الوطنية التي قاومت بصلابة للمحافظة عن مقومات الشخصية الجزائرية ,و قاومت نشاط هيئات التنصير المسيحي , التي كانت تعمل على تنصير الجزائريين بمثابرة , عن طريق جرائدها , ومدارسها و نواديها , و مساجدها , التي أنشأتها عبر البلاد , التي تقوم بتوجيه الشعب الجزائري توجيها عربيا إسلاميا , يتفق مع مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية . و بذلك ساهمت مساهمة كبيرة في القضاء نهائيا على سياسة التجنيس والإدماج ,و الفرنسة و التنصير التي كانت إدارة الاحتلال و رجال التنصير المسيحيون

يعملون على فرضها على الجزائريين منذ احتلالهم للبلاد عام 1830م و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي حركة اصلاحية من جهة و لكنها من جهة اخرى ,تعتبر حركة قومية جزائرية , تطالب الجزائر بالمحافظة على صيغتها الإسلامية العربية , كانت تناضل في السر و العلانية في سبيل تربية الشعب و تنظيمه كي ينهض لمقاومة الاحتلال , من اجل تحرير الجزائر و ضمها الى العالم العربي (تركي رابح 1975)

– يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (من عام 1940 إلى عام 1956) في عرض حديثه عن نضالها المتعدد الجوانب ." جمعية العلماء , هي التي حققت للجزائري نسبه العربي الصريح, بريئا من شوائب الأقران و الهجنة , و أحيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه , و في لسانه شعور الكرامة للغته , وفي ضميره شعور الارتباط بين ثلاثة مقومات : الجنس, اللغة و الوطن" (البصائر عدد 2 سنة 1947)

فكرة –نشأة جمعية العلماء–

يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله:

" زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس – وأنا بمدينة سطيف أقوم بعمل علمي– زيارة مستعجلة في سنة اربع وعشرون ميلادية فيما أذكر – وأخبرني بموجب الزيارة في أول جلسة و هو أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم (الإخاء العلمي) يكون مركزها العام في مدينة قسنطينة العاصمة العلمية، وتكون خاصة بعمالتها، تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم، وتقارب مفاهيمهم في التعليم والتفكير، وتكون صلة تعارف بينهم، ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء."

ويضيف الشيخ الإبراهيمي: " وذهب يقص علي من فوائدها ما لم انكره ذوقا وإحساسا وإن كنت استبعدته عملا و واقعا لاعتبارات ذهبت بذهاب وقتها."

" ولم يزل كلامه يقنعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أخي – وتنازعنا الحديثة في منافع هذه الجمعية، وتكشفت لنا عن فوائد لا تحصى، وأذكر أني عددت من فوائدها إيقاف الطلبة عند حدودهم و درجات تحصيلهم حتى لا يغروا و لا يغتروا...الخ وفي تلك الجلسة عهد إلي الأخ الأستاذ أن أضع قانونها الأساسي فوضعته في ليلة وقرأته عليه في صباحها. فاغتبط به أيما اغتباط– وودعني راجعا إلى قسنطينة. وعلى تذليل عقبات يتوقف على تذليلها نجاح المشروع وعلى ترجمة القانون الأساسي وتقديمه للحكومة، ثم دعوة العلماء إلى الاجتماع."

جمعية العلماء عقيدة:

من الأعمال ما يموت الفشل فيه أجدى من النجاح وهذا ما شاهدناه في تأسيس جمعية الإخاء العلمي فقد فشلنا في تأسيسها ظاهرا وفيما يبدو للناس ولكن تلك المحاولات لم تذهب بلا أثر في المجتمعات العلمية الجزائرية حتى كان من نتائجها بعد أعوام– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(المرجع السابق) التي تهدف إلى جمع القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم لتتعاون على خدمة الدين الإسلامي واللغة العربية والنهوض بالأمة الجزائرية.

ومن الحق أن نقول أن أكثر الفضل في تنبيه ذلك الشعور في الأمة يرجع إلى ما كان يبثه رجال الإصلاح الديني فرادى بين الأمة، فلم يمض إلا قليل من الزمن حتى غمر الأمة شعور عام بلزوم إصلاح عام يشمل الدين والعلم والاجتماع، و رأت نهج الإصلاح في هذه المقومات الثلاث واضحا فكانت دواعيه أسبق وأسبابه أوثق، وأصبحت فكرة تأسيس جمعية من علماء الأمة لتشرف على هذا الإصلاح وتتولى تخطيط مناهجه عقيدة راسخة مستولية على عقول العوام والخواص، وأصبحت بواعث تأسيسها صادرة من الأمة لا من العلماء وحدهم، فانقاد الجميع أمة وعلماء إلى تأسيس هذا المشروع العظيم " (آثار الشيخ الإبراهيمي ج1)

إنشاء جمعية العلماء

يعود فضل المبادرة في إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (للمثقفين ذوي التكوين الزيتوني أو المشرقي) و لابن باديس وترتقي إلى سنة 1924، في هذا التاريخ اتصل ابن باديس بأصدقائه وزملائه بقسنطينة و ضواحيها لإقناعهم بفائدة إنشاء جمعية تدعى " الأخوة الفكرية" تكون غايتها توحيد المثقفين الجزائريين وتمكينهم من التعارف على أحسن وجه وتنسيق جهودهم في مجال التعليم العربي الحر وتوحيد منهجهم الديني.

بعد عدة أشهر، أنشأ ابن باديس صحيفته الأولى المسماة " المنتقذ" ثم "الشهاب" في نوفمبر 1925 وكله أمل في أن يحقق التقارب بين المثقفين المسلمين الجزائريين أصحاب النزعة الإصلاحية.

في العدد الثالث من الشهاب (26 نوفمبر 1925) وجه [نداء إلى العلماء الإصلاحيين] ص 5 يشكل بالقوة شهادة ميلاد جمعية العلماء المقبلة.

فيما يلي الفقرات الأساسية لهذا النداء:

"أيها السادة العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف والاتحاد وشرط النجاح فهلموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام والرجوع إلى أصلي الكتاب والسنة وما كان عليه في عهد القرون الثلاثة."

" إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يحب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولا من عدد كاف شرعنا في التأسيس و الله ولي التوفيق"

و أثار نشر هذا النداء ردود أفعال إيجابية، كما أخذت الإنضمامات تتزايد يوما بعد يوم إلى إدارة الشهاب، فخلال مدة سنة استجاب لاقتراح ابن باديس جل العناصر ذات الاتجاه الإصلاحي، وأول انضمام كان للشيخ الطيب العقبي، ثم مولود حفيظي (ذوي التكوين الأزهري)ثم مبارك الميلي.

وكل عضو من هؤلاء كان يأتي بدعمه المعنوي لابن باديس فضلا عن اقتراحاته حول الكيفية التي بمقتضاها يمكن تكوين الحزب الديني والغايات التي يمكن أن تناط به. وهكذا أصبح " الحزب الديني" الذي دعا إليه ابن باديس الموضوع الأساسي للمقالات المنشورة في الشهاب، و وجد الرأي العام الإسلامي نفسه منخرطا فيه.

كما أصبح تكوين تجمع ذي طابع إسلامي في الجزائر، له غايات دينية وثقافية، الشغل الشاغل للمثقفين المسلمين الجزائريين الواعين خلال السنوات من 1925 إلى 1930.

كان هناك إذا في الوعي الشعبي نفسه، و كذا في التراث الإسلامي، شروط النجاح الأساسية للمبادرة الباديسية، بالإضافة إلى الظروف التاريخية وبعض العناصر الأخرى الخارجية كانت أيضا مواتية لإنشاء حزب إسلامي في الجزائر ما بين 1925 و 1931.

أخذ المسلمون الجزائريون في الاستئناس بمختلف المؤسسات والأحزاب الأوروبية حينئذ كيف لا يتطلعون هم أيضا، تحت غطاء الدين إلى تكوين تشكيلية من شأنها أن تدهش الإدارة من حيث أهميتها الاجتماعية وقيمتها الشعبية؟ إن تأثيرات رجال الإصلاح ذات مصدر تونسي والثاني مشرقي في المصدر، كان جل الإصلاحيين خريجي الزيتونة المتأثرين بالحياة الفكرية لتونس وفي مقدمتها جمعية الخلدونية.

ونسجل في الأخير بأن الإصلاحيين الجزائريين كانوا متأثرين جدا بدعاية " المنار" وبأنهم كانوا يقدرون آراء رشيد رضا حق قدرها، الذي كان يلح على ضرورة أن يؤسس الإصلاحيين " حزبا إسلاميا معتدلا"، فكانت الاستجابة لندائه ولكنه كان يحلم في بناء " حزب إسلامي إصلاحي" يشمل جميع البلدان العربية الإسلامية".

شكل عمر إسماعيل بالعاصمة لجنة تحضيرية قصد جمع ردود أفعال المثقفين الجزائريين، أثر نشر إعلانه في الشهاب.

كانت لهذه اللجنة مهمة أخرى تمثلت في إحصاء المثقفين المسلمين الجزائريين الذين يمكنهم المساهمة في جمعية العلماء المقبلة.

بعد التفاصيل، تمت الدعوة إلى عقد جمعية عامة قانونية في نادي الترقي (العاصمة) يوم الثلاثاء 17 ذو الحجة 1349/ 05 ماي 1931. ضمت هذه الجمعية اثنين وستين شخصا قدم خمسون آخرون اعتذاراتهم عن الحضور.

في اليوم الأول من الاجتماع، تبنت الجمعية العامة قوانين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعينت لجنة مديرة من ثلاثة عشر شخصا (دون تحديد المهام) فيما يلي تشكيلة هذه اللجنة المديرة الأولى للجمعية:

عبد الحميد بن باديس، رئيسا.

محمد البشير الإبراهيمي، نائب الرئيس.

الأمين العمودي، أمينا عاما.

الطيب العقبي، أمينا عاما مساعدا.

أمبارك الميلي، أمين المالية.

إبراهيم بيوض، أمين المالية المساعد.

بالإضافة إلى سبعة مساعدين.

أعضاء المستشارين:

المولود الحافظي.

الطيب المهاجي.

مولاي بن شريف.

السعيد البحري.

حسن الطرابلسي.

عبد القادر القاسم.

محمد الفضيل الورثلاني. (آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس ج 4 سنة 2007)

ونظرا لكون أغلب أعضاء المجالس يتواجدون بعيدا عن العاصمة بحكم ظروفهم السكنية، تقرر تعيين لجنة دائمة يكون أفرادها ممن يقيمون بالعاصمة ، تتألف من خمسة أعضاء تكون على اتصال دائما برئيس الجمعية بقسنطينة، وتتولى التنسيق بين الأعضاء –وتحفظ الوثائق– وتضبط الميزانية، وتحضر للاجتماعات الدورية للمجلس الإداري، وقد شكلت على الوجه الآتي:

عمر إسماعيل، رئيسا.

محمد المهدي، كاتبا.

أيت سي أحمد عبد العزيز، أمينا للعمال.

محمد الزميلي، عضوا.

الحاج عمر العنق، عضوا.

شهد العام الثاني من تأسيس الجمعية بداية ميلادها الحقيقي ومساهمتها في الحركة الإصلاحية في بلادنا، فقد كان هذا العام 1932 حدا فاصلا بين عهدين، ومرحلة انتقال من الفوضى والاضطرابات إلى التنظيم والعمل الدقيق، فقد خابت مؤامرات أعداء المصلحين، ورد الله كبرهم، وتأسس المجلس الثاني من رجال جمعت بينهم الرغبة الصادقة في الإصلاح والتعاون على البر والتقوى، لم يدخروا جهدا في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله على أيديهم خيرا كبيرا للعباد والبلاد.

وقد ضم المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العام الثاني الأسماء الآتية:

ابن باديس، رئيسا.

البشير الإبراهيمي، نائبا.

محمد الأمين العمودي، كاتبا عاما.

العربي التبسي، نائبه.

مبارك الميلي، أمين عام.

أبو اليقظان، نائبه.

الأعضاء المستشارون:

الطيب العقبي.

السعيد الزاهري.

محمد خير الدين.

علي أبو الخيار.

يحيى حمودي.

قدور الحلوي.

عبد القادر بن زيان.

لجنة العمل الدائمة:

أبو يعلا الزواوي، رئيسا.

رودوس محمود، كاتبا.

محمد بن مرابط، أمين المال.

رشيد بطحوش، مستشارا.

محمد بن الباي، مستشارا.

وحتى يسهل الإشراف على متابعة العمل الإصلاحي، وتنشيط العمل التربوي، الذي يقدم في المدارس الحرة، التي بدأت تنتشر في أرجاء البلاد –كلف الإمام عبد الحميد بن باديس باقتراح من الجمعية– الشيخ الطيب العقبي بأنه يتولى

الإشراف على العاصمة، وكلف الشيخ البشير الإبراهيمي بأنه يتولى العمل بالجهة الغربية من البلاد انطلاقا من تلمسان، وأبقي بقسنطينة وما جاورها تحت إشرافه شخصيا، وهكذا تقاسم العمل في القطر كله.

وتنفيذا للقانون الأساسي للجمعية تم إحداث فروع لها " شعب" في جهات مختلفة من أنحاء البلاد، واستمر الجهد التعليمي والإصلاحي رغم العراقيل.

– في الصف الاول : جلوسا ، من اليمين الى اليسار : محمد السعيد الزاهري ، العربي التبسي ، البشير الابراهيمي ، محمد ابراهيم الكتاني (من المغرب ضيفا) ، عبد الحميد بن باديس ، الطيب العقبي ، عبد القادر بن زيان ، مبارك الميلي .
– في الصف الثاني وقوفا : محمد العيد آل خليفة ، فرحات الدراجي ، باعزيز بن عمر ، مصطفى حلوش ، محمد خير الدين علي الخياري ، ابو اليقظان . ، اخذت هذه الصورة بنادي الترقي حوالي 1934 .

عوامل تطور و تأثير الحركة الإصلاحية

أ–العوامل الداخلية:

1–السياسة الاستعمارية:

–استمرار الاستعمار الفرنسي العسكري للجزائر ، و القضاء على السيادة الوطنية بموجب القوانين الصادرة لهذا الغرض

–حرب الإبادة التي شنتها السلطات الاستعمارية على الشعب الجزائري و استمرار سياسة التمييز العنصري.

–النظام الفرنسي الذي جعل من طبقة المستوطنين طبقة من سلطة لها كل الحقوق و الامتيازات و حق الانتماء للجزائر ، بينما جعل الجزائري الحقيقي مسخرا لخدمة هذه الطبقة.

–سياسة محو الشخصية الجزائرية بمحاربة مقوماتها من دين و لغة و تاريخ وحضارة.

–قانون التجنيد الإجباري الذي فرض على الجزائريين و سيقوا بموجبه إلى حروب استعمارية ليس لهم من ورائها إلا الموت.

2–توسع نشاط الفكر الإصلاحي :

منذ الاحتلال حاول رجال الفكر الإصلاحي العمل على جبهتين :

–جبهة الدفاع عن مقومات الأمة .

–جبهة الدفاع ضد السياسة الاستعمارية و انعكاستها الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية(تحسين ظروف أوضاع الجزائريين).

ب–العوامل الخارجية :

ظهرت الى الأفق مؤثرات فكرية ساهمت بقسط كبير في توجيه الروح الوطنية الجزائرية.

–حركات الإصلاح الديني و الجامعة الإسلامية التي تزعمها في المشرق العربي جمال الدين الأفغان و تبناها الشيخان محمد عبده و رشيد رضا و التي وصل تأثيرها الى الجزائريين خاصة من خلال الجرائد (العروة الوثقى و المنار و المؤيد و اللواء ...) و التي كانت تدخل من باريس و من خلال مواسم الحج أو عن طريق المهاجرين الجزائريين مشرقا و مغربا و كان لزيارة الشيخ محمد عبده للجزائر دورها البارز.(1903)

–دور الهجرة الجزائرية سواء في المشرق أو فرنسا و تأثير المهاجرين في الأوضاع السائدة السياسية و الفكرية والثقافية و الاجتماعية.

–عودة أبناء الجزائر من الخارج ،الدارسين في المشرق أمثال : محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب العقبي ، العربي التبسي –أو المجندين في الحرب العالمية الأولى كعمال أو جنود هؤلاء تطلعوا الى فكرة الإصلاح الشامل سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و ثقافيا و هكذا تبلورت الاتجاهات السياسية و الإصلاحية التي كانت نشطة قبل الحرب العالمية الأولى لتصبح أحزابا و جمعيات ببرامج تهدف الى تغيير أوضاع المجتمع الجزائري بمطالب محددة (سياسية ، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية).

–يقول الإمام محمد البشير الإبراهيمي :

كان من تدابير الأقدار الإلاهية للجزائر و من المخبئات الغيوب لها ، أن يرد إلي بعد استقراري بالمدينة المنورة أخي و رفيقي في الجهاد الشيخ عبد الحميد بن باديس أعلم علماء الشمال الإفريقي و باقي النهضات العلمية و الأدبية و الاجتماعية و السياسية للجزائر ... كنا نؤدي فريضة صلاة العشاء كل ليلة في المسجد النبوي ، و نخرج الى منزلي فنسهر الى آخر الليل...كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدابير للوسائل التي تنهض بها الجزائر ، ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت صورا ذهنية تتراءئ في مخيلتها ... و يشهد الله على ان تلك الليالي من

سنة 1913م هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود الا في سنة 1931م.(الدكتور عبد الحميد زوزو تاريخ الاستعمار و التحرر في إفريقيا و أسيا).

"إن الاستعمار الفرنسي في الجزائر صليبي النزعة فهو منذ احتلاله مدينة الجزائر عمل على محو الإسلام لأنه دين سماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به سيادة العالم و على محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام و على محو العروبة لأنها دعامة الإسلام و قد استعمل جميع الوسائل المؤيدة الى ذلك..." محمد البشير الإبراهيمي.

إن الكثير من الكتاب يربطون ميلاد الحركة الإصلاحية في الجزائر بهذا التاريخ (أي1931م) إلا أننا لا نتفق مع هذا الرأي لأن جمعية العلماء لم يكن وجودها طفريا ، و لم تكن في حقيقة الامر سوى ذلك الرافد التنظيمي و الحركي الذي تجمعت عنده تلك الجهود الفردية التي إنطلقت منذ أواخر القرن التاسع عشر ،و تكتفت في العشرينيات في القرن العشرين فارهاصات الفكرة الإصلاحية إذ يمكن أن نلتمسها في جهود بعض العلماء الذين على أيديهم تتلمذ رواد العمل الإصلاحي المنظم.

أنه قبل أن ترد على الجزائر افكار السلفية النهضوية للافغاني و محمد عبده كان الشيخ عبد القادر المجاوي (1914-1948) قد بدأ يبث أفكاره الإصلاحية من خلال نشاطه الثقافي و التعليمي،فقد نشر كتابه إرشاد المتعلمين سنة 1877م يدعو فيه الجزائريين الى محاربة الجهل و الأخذ بأسباب العلم والحضارة و تقليد الغرب فيه لا يتعارض مع الدين و كان ينادي بالإصلاح الاجتماعي و التعليم واليقظة.(سعد الله1992م).

و هو ما أثر في كثير من تلاميذه من الأئمة و المدرسين و العلماء و على رأسهم المولود بن الموهوب مفتي قسنطينة الذي كان لنشاطه الديني و الثقافي و التعليمي أثر بارز في جيل تلك المرحلة فنجد مالك بن النبي يتحدث عن أثر دروس بعض الأساتذة كإبن العابد و الشيخ عبد المجيد بن عبد الله بوجمعة و ابن الموهوب في تشكيل نزعته الإصلاحية قائلا: " و كنا نجد شيئا أكثر لدى الشيخ المولود ابن الموهوب ... لقد إحتفظ الشيخ في ذهنه بذلك الأثر الذي غرسه في نفسه دراسته على يد معلمه عبد القادر المجاوي و قد تولى هو نقل تلك الغرسة الى الأجيال من المدرسين و كنت منهم و قد أينعت ثمارها في الحركة الإصلاحية الناشئة في الجزائر "(مالك ابن النبي).

من بين العلماء الذين كان لهم أيضا دور إصلاحي مهم الشيخ صالح بن مهنا القلي و قد نوه ذلك ابن النبي بدوره و أثره قائلا: و إنه لمن الواجب علينا ان ننوه ببعض ما كان من أمر مفاجاة الشيخ صالح بن مهنا ...فإن صوت مفاجأته كاد يقظ أهل قسنطينة كلها حوالي سنة1898م و الحق أن بهذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين ، إذ أنه قام قومة نباركة ضد الخرافيين كلفته العزل عن وظيفته و مصادرة مكتبته . كما لعب العلماء و المصلحون أخرون الدور نفسه مثل الشيخ حمدان الونيسي أستاذ ابن باديس و الإبراهيمي و العقبي و عبد الحليم ابن سماية و محمد بن خوجة و غيرهم.

إذا لم يكن ميلاد جمعية العلماء ميلادا للإصلاح كما قد يعتقد البعض بل سبقتها هذه الجهود التي كانت بمثابة الإرهاص لعمل إصلاحي أكثر تنظيما و فعالية ستنهض به نخبة الشباب الجزائري من ذوي التكوين العربي الإسلامي.

و عندما نؤكد على جهود الإصلاح ذات صبغة المحلية فإن هذا لا يعني أن المجتمع الجزائري و نخبته الإصلاحية كانوا بمعزل عن التطورات الفكرية الحاصلة في المشرق العربي بل بالعكس فإن حركة الإحتكاك الثقافي و الحوار الفكري بين المغرب لعربي و المشرق الإسلاميين كان دائما من بين أهم المؤثرات التي لعبت دورا رائدا في التقدم الإسلامي وكان لهما أثرهما على الرغم من الحصار و سياسة الفصل التي مارسها الإستعمار الفرنسي على الجزائريين فعندما ظهرت الحركة الوهابية وجدت لها في منطقة المغرب العربي صدى واسعاو عندما اطلق جمال الدين الافغاني فكرة الجامعة الإسلامية وجدنا أيضا نخبة من المثقفين يتطلعون لهذه الفكرة و ينضمون لتيارها و هكذا كان الأمر أيضا مع السلفية النهوضية مع محمد عبده و تلميذه رشيد رضافي هذا الصدد يكاد يجمع دارسو تلك المرحلة من الكتاب مع الاثر الواضح الذي تركته الفكرة الإصلاحية القادمة من المشرق نحو المغرب العربي فاجابري يؤكد على انه كان ل" زيارة محمد عبده لتونس عام 1883م و وصول الأعداد الاولى من مجلة المنار التي أصبح لها صدى واسع في الأوساط العلمية المغربية و الجزائرية تأثير عميق في اوساط النخبة المثقفة الإصلاحية.

–إذن وصلت الفكرة الإصلاحية في طبعتها المشرقية من خلال عدة منافذ عبر الطلبة الذين سافروا الى الشرق و عملوا أو درسوا هناك ثم عادوا الى الجزائر و قد تأثروا بالأفكار الإصلاحية و عبر الصحافة رغم التشديد الإستعماري على كل ماهو مكتوب الا أن أعداد مجلة المنار و بعض الصحف التونسية النتأثرة بالفكرة الإصلاحية كانت تصل الى الجزائر و تطلع عليها النخبة الإصلاحية غير أن البعض إعتبر أن الجزائريين إكتشفوا الابعاد الحقيقية للإتجاه الإصلاحي الجديد بعد زيارة محمد عبده سنة 1993 للجزائر إذ كان لها مفعولها في تدعيم الفكرة الإصلاحية ثم إنطلاقها بنفس جديد .

حيث بدأ العمل الإصلاحي يتوسع في المدن الجزائرية مستفيدا من ديناميكية الأفكار و الأساليب الجديدة في النضال و التنظيم و التعبئة فبدأ تأسيس المدارس و المساجد الحرة و إنشاء الصحف و النوادي الثقافية ... و توسعت مساحة الوسائط التي تبث لفكرة الإصلاحية حتى تحولت الى تيار شعبي له مؤيدوه و مناصروه.

و إذا كان الجهد الإصلاحي في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر قد تجمع حول بعض رموزه التقليدين فإنه بعد الحرب العالمية الأولى سيتجمع لاحول رموز جدد " العلماء الشباب " على رأسهم إبن باديس فقد أنهى دراسته في الزيتونة عام 1911م و عاد الى قسنطينة حاملا لمشروع إصلاحي بدأه بالتعليم و الوعظ و بعد رحلة الحج سنة 1914م عاد و إستقر بتونس طيلة فترة الحرب العالمية الأولى و هناك إحتك بالمناخ الإصلاحي و الوطني و بالأوساط العلمية الزيتونية غير أن إبن باديس عاد الى قسنطينة ليباشر من جديد عمله الإصلاحي بالإضافة الى

التعليم و الوعظ استحدث وسيلة جديدة لنشر أفكاره حول الإصلاح فأسس جريدة المنتقد و الشهاب (احمد حماني 1984).

و عندما إنتهى العقد االثاني من العشرينيات كان العمل الإصلاحي قد خطا خطوات واسعة جعلت إبن باديس تحت تأثير مجموعة من العوامل يقتنع بضرورة الدعوة لتوحيد الجهود و الإنتقال نحو العمل الجماعي أكثر تنظيما و فعالية و هكذا و بعد سلسلة من الحوارات عبر الشهاب و اللقاءات إنطلقت منذ سنة 1924 م تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931م .

و كحركة منجذبة نحو تغيير المجتمع أختارت الجمعية الناشئة العمل على تغيير المحيط الثقافي و الفكري الجزائري منطلقت من قناعة عبر عنها الشيخ إبن باديس بقوله : "إننا إخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصيرة و تمسكا بما هو مناسب لفطرتنا و تربيتنا من نصح و إرشاد و بث الخير و الثبات على وجه واحد و السير في خط مستقيم و ما كنا لنجد هذا كله الا فيما تفرغنا له من خدمة العلم و الدين و في خدمتهما أعظم خدمة ، و أنفعها للإنسانية عامة و لو أردنا أن ندخل الميدان السياسي لدخلناه جهرا و لضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا و تضحياتنا و لقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها و كان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها و أن نبلغ من نفوسها الى أقصى غايات تأثير عليها فإن مما نعمله و لا يخفى على غيرنا ان القائد الذي يقول للأمة إنك مظلومة في حقوقك و إنني أريد إيصالك اليها لا يجد منها من يقول لها إنك ضالة عن أصول دينك و أنني أريد هدايتك فذلك تلبية كلها و هذا يقاومه معظمها أو شطرها و هذا كله نعلمه و لكننا أخترنا ما اخترنا لما ذكرنا و بينا و إننا فيما إخترناه بإذن الله لماضون و عليه متوكلون (أثار الإمام عبد الحميد ابن باديس) فالجمعية أنشأ أن تكون حزبا سياسيا بل إختارت العمل الثقافي الديني كمدخل لتعبئة المجتمع ضد المشروع الثقافي الإستعماري و سيلته فتح المراكز الثقافية و المدارس الحرة للتعليم أبناء الجزائريين.(عيون البصائر 1963)

أهداف جمعية العلماء :

لقد كان ابن باديس و رفاقه أعضاء جمعية العلماء ، من الحصافة بمكان ، حيث ابدوا أشياء و اضمروا اخرى، مكتفين في تصريحاتهم الرسمية بإعلان الدعوة إلى الإصلاح الديني و التعليمي حذرا.فقد جاء على لسان رئيسها:إن الجمعية يجب ان لا تكون إلا جمعية هداية و إرشاد، لترقية الشعب من وهنت الجهل و السقوط الأخلاقي، إلى أوج العلم و مكارم الأخلاق ،في نطاق دينها الذهبي و بهداية نبييها الأمي ، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، عليه و اله الصلاة و السلام، و لا يجوز بحال أن يكون لها بالسياسة و كل ما يتصل بالسياسة أدنى اتصال ، بعيدة عن التفريق و اسباب التفريق ....

و يضيف ابن باديس قائلا :(ان المسلمين هم السواد الأعظم في وطنهم ،فإذا تثقفوا بالعلم ، و تحلوا بالآداب، و اشربوا حب العمل ، و انبعثت فيهم روح النشاط ، كان منهم كل خير لهذا الوطن و سكانه على العموم ، بما يسر بالحاكم و المحكوم).

و يختصر لنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي مهمة الجمعية بقوله:(ان المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأدائها ، و هي السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم و الدين ، هي أقوم الطرق و أمثلها و أوفقها لمزاج الأمة).

و الحقيقة إن جمعية العلماء المسلمين ، أدركت بوضوح ان العلة في بقاء الاستعمار جاثما على صدر الأمة دهرا طويلا ، تكمن في ما يسمى بالقابلية للاستعمار ، و التي مردها إلى ما طرا على الشعب من انحراف في عقيدته و فكره و إن العلاج الصحيح يتمثل في إزالة تلك العلة من أساسها، و هو ما يعبر عنها لأستاذ مالك بن نبي رحمه الله بقوله :(إن القضية عندنا منوطة أولا بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته).أو كما قال احد الصالحين:(أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم). و ذلك مصداقا لقول الحق تبارك و تعالى:(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد:11

و يمكننا القول: بان الجمعية ركزت في مراحلها الأولى على الأهداف التالية:

إصلاح عقيدة الشعب الجزائري ، و تنقيتها من الخرافات و البدع ، و تطهيرها من مظاهر التخاذل و التواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة.

محاربة الجهل بتثقيف العقول، و الرجوع بها إلى القران و السنة الصحيحة، عن طريق التربية و التعليم.

المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير و الفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال.

و الشيء الذي تجدر الإشارة إليه في هذا المجال ، هو انه رغم أن الفصل الثالث من القانون الأساسي للجمعية، يحذر معليها الخوض في المسائل السياسية، إلا أن هذه الأخيرة قد تركت لأعضائها كامل الحرية للخوض في السياسة، بصفتهم الشخصية لا بوصفهم أعضاء فيها ، حفاظا على كيان الجمعية و استمرار مسيرتها.

<u>أراء الفرنسيين:</u>

هناك أحزاب فرنسية تعارض كل أجراء يحاول أن يحسن وضعية التعليم ... و هناك حملات ضد تثقيف الجزائريين .

معتقدين ان التعليم يسبب التمرد في أوساط الأهالي و ان" العدو المتعلم و المثقف اخطر من العدو الجاهل و الفلاح الأمي ينحني امام قبعة ضباط فرنسا "

فكان المستعمر يسعى لتثبيت الجهل و الفقر و الأمية في الجزائر و منع أطفالنا من أي تعليم كان ليتصرفوا في شؤونهم كما يشاؤون ، و منهم من كان يفضل تحفيظ القران الكريم لهم في المدارس الفرنسية لا في الزوايا و منهم من كان يريد أن يتوصل إلى إدماجهم و فرنستهم عن طريق المدرسة الفرنسية .و لكن سكان البلاد مبعدون كل البعد عن قضاياهم المصيرية.

فوجد هؤلاء المتنازعون حلا وسطا حول التعليم في الجزائر وضع برنامج خاص لأبنائنا لا تشمل جميع العلوم و الفنون و لا تاريخ بلادنا لأنه من الأفيد في التربية هو غرس الأخلاق الحميدة و تزويد الأطفال بالأسلحة اللائقة لاستعمالها غدا ضد مكانة الاستعمار .

فتقرر اثر ذلك وضع تعليم يقتصر أساسا على القراءة و الكتابة كما أورده سنة 1891 نائب وهران في البرلمان الفرنسي :" ان تعليم القراءة و الكتابة لأهل البلد يعتبر من الأشياء الكمالية و التعليم ، يجعلهم في درجة لا تليق بهم "زرهوني طاهر 1993" هذا يتطابق مع تصريح مفتش سطيف للتعليم الابتدائي سنة1897م. –انه لا حاجة إلى وضع تعليم شامل للجزائريين الصغار لأننا لا نود أن يصبحوا علماء متعطلين مرتبين في درجة لا يستحقونها لان المناصب المرموقة محجوزة كلها للفرنسيين ،لا غير– "المرجع السابق.

و كان للتعليم الخاص بهم طابع عملي أو زراعي ليوفر بكثرة اليد العاملة التي يحتاج إليه المعمرون – حسب اعتقاد السلطة الاستعمارية– إذن التعليم كان له طابع سياسي يهدف الى أن نعود أطفالنا على الخوف من المعمر و الخضوع له بدون قيد و لا شرط والى تجريدهم من دينهم و عروبتهم و يبقى معظمهم بعد مغادرتهم المدرسة شبه أميين أما المعمرون فكانوا يحاربون اللغة العربية لأنها مفتاح الدين و التاريخ و الحضارة العربية الإسلامية ،فأصبحت مطرودة من عقر دارها و ضد إرادة أبنائها و لم تدرس إلا في المدارس الحكومية الثلاث التي أسست سنة 1851 في " التكميلية العربية "التي أنجزت بالعاصمة سنة 1857 و تكميلية أخرى بقسنطينة سنة1865 لتعاكس نشاطات جامع الزيتونة بتونس و جامع القرويين بفاس و جامع الأزهر بالقاهرة .

_ اكتفى بما جاء بقلم الشيخ الإمام البشير الإبراهيمي في العدد 07 الصادر سنة 1947م في مجلة البصائر حيث كتب:" جاء الاستعمار الفرنسي الى هذا الوطن كما تجئ الأمراض الوافدة تحمل الموت . و أسباب الموت ،و الاستعمار سم يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح ،و هو في هذا الوطن قد أدار قوانينه على نسخ الأحكام الإسلامية ،و عبث بحرمة المعابد، و حارب الإيمان بالإلحاد، و الفضائل بحماية الرذائل، و التعليم بإفشاء الأمية"– مجلة البصائر محمد البشير الإبراهيمي 1947 –

الصراع بين جمعية العلماء و إدارة الاحتلال الفرنسي:

الصعوبات التي واجهتها الجمعية من الطرف الجزائري:

الصعوبات التي واجهها العلماء هو اصطدامهم بالمرابطين واصطدموا أيضا بخريجي المدارس الفرنسية وبالنواب، فالأولون كانوا ينظرون إلى العلماء على أنهم رجال دين أكثر منهم رجال ثقافة و المعارف أن معظم العلماء كانوا من فقراء الريف والمدن، وأن معظمهم قد وهب حياته تلميذا وطالبا في زاوية من زوايا البلاد وانتهى به المطاف إلى الزيتونة أو القرويين أو الأزهر، فهكذا كانت ثقافة العلماء في الحقيقة ثقافة تقليدية دينية في أساسها، ولم تكن فكرة الإصلاح، في نظر الخصوم، سوى قشرة رقيقة لا تستطيع أن تخفي ما وراءها من ركام التقاليد وضيق الأفق والتعصب الديني، أما المتطرفون من خريجي المدارس الفرنسية (النخبة) فقد كانوا ينظرون إلى ثقافتهم على أنها هي ثقافة العصر، وإن الحياة تقضي الأخذ بأسباب الحضارة الحديثة وتقليد الفرنسيين ولو بواسطة الاندماج والتجنس، ولذلك وقع التصادم أحيانا وإن كان التصادم أقل وقعا من التصادم الذي حدث بين المرابطين والمصلحين. (مسعود فلوسي 1984)

أما النواب فقد وقف منهم العلماء موقفا متقلبا فهم مرة يتحالفون معهم، ويعتبروهم ممثلي الأمة ويستنجدون بهم إذا ما ضيقت السلطات الفرنسية الخناق عليهم، ومرة كانوا يهاجمون وينظرون إليهم بسخرية لكونهم ينتقدون التأثير الفرنسي، وينتقدونهم نقدا لاذعا بدعوى أنهم يجرون في البداية وراء أصوات الناخبين، بالإضافة إلى بعض النواب كانوا محافظين إصلاحيين جاء بهم الفرنسيون لكرسي النيابة اعترافا بخدماتهم، أو كسبا لأنصارهم نيابية و نحو ذلك و هؤلاء كانوا بطبعهم ضد العلماء المصلحين، وقد وقف أحد هؤلاء سنة 1932 في مجلس الوفود ال وقدم لائحة تطالب الإدارة الفرنسية في الجزائر بمنع العلماء من القيام بالوعظ والإرشاد في المساجد وقصد الأماكن الدينية على رجال الدين الذين عينتهم السلطة فقط. وهذه اللائحة كانت تمهيدا لمنشور ميشال البغيض سنة 1933. (عبد النور حاجي 1981)

الصعوبات التي واجهتها الجمعية من الطرف الفرنسي:

الحقيقة التي لا سبيل إلى نكرانها هي أن مجهودات الجمعية كانت منصبة في معظمها على الجانب التربوي والتعليمي والإصلاحي لخلق قاعدة صلبة وأجيال مرتبطة بتاريخها وأصالتها، وقد كانت السلطات الاستعمارية هي الوحيدة التي تعلم الخطر الذي يشكله نشاط الجمعية رغم مظاهره البسيطة. (المرجع السابق)

ولم يكن عجيبا أن تفطن السلطة الاستعمارية للأهداف الحقيقية للجمعية فتقوم باعتقال أعضائها أو إغلاق مدارسها أو أنديتها أو حصونها الثقافية، ودشنت سلطات الاحتلال كل ذلك بمنشور ميشال الذي ألزم إدارة المخابرات الفرنسية بمراقبة علماء الجمعية –صدر المنشور في 16 أفريل 1933 أي بعد قيام الجمعية بعامين– فعلى سبيل المثال أغلقت سلطات الاحتلال مدرسة دار الحديث بتلمسان، وكذلك مدارس الجمعية في قسنطينة ووهران كما أن المساجد التابعة للجمعية قد انتهكت مثل مسجد قنزات، وكما منعت علماء الجمعية من الخطابة في المساجد. فقد أصدر وزير الداخلية

الفرنسي في شهر مارس 1935 قرارا يقضي بقمع الدعاية المضادة للسيادة الفرنسية في الجزائر وخاصة عن طريق الصحافة والخطابة التي تقوم بها عناصر الجمعية، وفي 8 مارس 1938 صدر قرارا من الإدارة الفرنسية بعدم جواز افتتاح المدارس العربية التابعة للجمعية وقد وصف عباس فرحات هذا القرار: "بأنه ضربة قاتلة للدين الإسلامي"، وفي نفس السنة أصدر الوالي العام في الجزائر منشورا إلى رؤساء الأقاليم يقضي بإلقاء القبض وسجن كل طالب ينتسب إلى جمعية العلماء أو قيامه بالدعاية لأفكارها ولعل أخطر القرارات في محاربة نشاط الجمعية كان قرار عرقلة التعليم العربي الحر الصادر في 8 مارس 1938، وكذلك اعتقال الشيخ الإبراهيمي لرفضه تأييد فرنسا ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية وكذلك فرض الإقامة الجبرية على الشيخ ابن باديس نفسه لذات السبب، كما سجن من زعماء الجمعية لنفس السبب الأمين العمودي وفرحات الدراجي، كما عطلت جريدة الشريعة والسنة المحمدية وكما تم إيقاف جريدتي البصائر والشهاب سنة 1939 وهما جريدتان تابعتان للجمعية.

ومن خصوم جمعية العلماء البارزين أيضا رجال التبشير المسيحيين. والعلماء كانوا يعرفون دور الكنيسة في الجزائر حيث كانت رفيقة جيش الاحتلال منذ اللحظة الأولى وكانت تبارك تحويل المساجد إلى كنائس، وكان رجالها يقدمون الخدمات الجليلة إلى الإدارة الاستعمارية بما لديهم من كفاءة لغوية وعلمية وفنية، وكان العلماء يذكرون ما قامت به الكنيسة في تنصير لأطفال المسلمين أثناء مجاعة سنوات 1867-1869 ودور الكاردينال لافيجري ورجاله (الآباء البيض) في المس بكرامة المسلمين والتشكيك في دينهم وقيمه ومحاولة تمسيح الجزائريين بفتح المراكز في القرى النائية في الجبال والصحاري، وهم لا ينسون دور المستشرقين الفرنسيين في الجزائر حيث كانوا دائما ضد العربية والإسلام ومع التسلط الاستعماري والغزو الحضاري.

دور جمعية العلماء في مواجهة المشروع الاستعماري في الجزائر

أولا : محاربة التنصير :

أما محاربة جمعية العلماء لرجال التنصير المسيحي –الذين كانوا يعتبرون في الجزائر و غيرها من البلاد العربية الإسلامية خلال القرون18-19-20–طابورا خامسا لخدمة الإستعمار و أهدافه الخبيثة في البلاد فتتجلى في النهضة العلمية و الثقافية والدينية التي بثتها في الشعب الجزائري عن طريق النوادي التي كونتها في مختلف المدن الجزائرية و عن طريق الجمعيات و عن طريق المساجد الحرة و المدارس الحرة التي انشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلف مناطق البلاد بالإضافة الى المقالات الدينية و الاخلاقية والوطنية التي كانت تنشر في جريدة المنتقد و الشهاب ثم في مجلة الشهاب الشهرية و في جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي السنة–الشريعة–و الصراط السوي و البصائر و كل هذا النشاط الإسلامي و العربي قد تظافر جميعه على إحباط نشاط رجال التنصير المسيحي الذين كان الإستعمار يدعمهم ماديا و إداريا و أمنيا بقصد تنصير أبناء و بنات الجزائريين و مما يدل على فشل اعمال المنصرين المسحيين في الجزائر ما ذكره الدكتور غوستاف لوبون العالم الفرنسي المعروف في كتابه المشهور (روح

السياسة) حيث ذكر واقعة تدل على فشل أعمال المنصرين المسيحيين في الجزائر و هي أن الكاردينال لافيجري قائد حملة تنصير أبناء و بنات الجزائر في القرن التاسع عشر الميلادي

–قد جمع أربعة الاف طفل يتيم جزائري و قام بتربيتهم تربية مسيحية منذ الصغر في مدارس مسيحية و لكن معظمهم رجع الى الإسلام بعد أن بلغوا سن الرشد و تنبهوا الى ان أ باءهم و أجدادهم كانوا مسلمين جزائريين." (وعلي محمد الطاهر 1989).

–ألم يقل الإمام مصطفى الكبابطي عندما حول مسجد كتشاوه الى كاتدرائية :" لئن تحولت العبادة في مساجدنا فإن ربه لن يتحول في قلوبنا"(الهادي الحسني2004).

–ألم يقل الإمام عبد الحميد ابن باديس لاحد إخوانه العلماء عندما أخبره بنيته في الخروج من الجزائر "إن خروجك يا فلان أو خروجي يكتبه الله فرارا من الزحف"(أثار عبد الحميد ابن باديس الجزء الرابع).

–دعاة الإندماج : من دعاة الإندماج في الجزائر (فرحات عباس) في عام 1936م كتب مقالا باللغة الفرنسية في إحدى الجرائد في الجزائر انكر فيه وجود الشخصية الجزائرية في التاريخ رد عليه الشيخ عبد الحميد ابن باديس في مجلة الشهاب ردا مفحما أسكته به و ذهب هذا الرد مثلا في تاريخ الجزائر الحديث(تركي رابح 1975).

يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس :"إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ و فتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الإسلامية المسلمة متكونة ، موجودة–كما تكونت ووجدت كل امم الدنيا و لهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال و لها وحدتها الدينية و اللغوية و لها ثقافتها الخاصة و عوائدها و أخلاقه ابما فيها من حسن و قبيح شأن كل امة في الدنيا ثم إن هذه الامة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و في أخلاقها و في عنصرها و في دينها لا تريد ان تندمج و لها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة" (مجلة الشهاب أفريل 1936) .

و يمكن القول لا يتصور مستقبل آخر للجزائر خارج نطاق العروبة و الإسلام، فالإسلام هو الذي تبنى عليه كل مقومات الاساسية للشخصية الجزائرية و هو يشكل مانعا حصينا لهذه الشخصية العربية الإسلامية ضد كل تهديد سواء كان داخليا او خارجيا و لذلك بذلت جمعية العلماء جهودا كبيرة في سبيل تطهيره من البدع و الشعوذة و الخرافات و الضلالات التي ألحقها به بعض المتطفلين على الدين مثل "رجال الطرقية" في مختلف العصور و العمل على إحياء جذوره في النفوس حتى يصبح الإسلام كما كان في العصور الإسلامية الأولى قوة دافعة للجزائريين الى النضال من اجل تحرير بلادهم من الإستعمار الفرنسي (أثار عبد الحميد بن باديس ج4–2007).

–ففي عام1938م ألقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس خطابا جامعا المحتفلين بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم بقسنطينة تحت عنوان : الإسلام دين الحياة ختمه بالجزء التالي:

قال: إنني أعاهدكم على انني اقضى بياضي على العربية و الاسلام كما قضيت سوادي عليهما و إنها لواجبات و أنني سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن و لغة الإسلام و القرآن هذا لكم عهدي به

و أطلب منكم شيئا واحدا و هو ان تموتوا على الإسلام و لغة الإسلام والقرآن (الشهاب جويلية1938م).

أما فيما يخص اللغة العربية فيقول : "إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين و خدم العلم و خدم الإنسان هو الذي نتحدث به و عن محاسنه منذ زمان و نعمل لإحيائه منذ سنين فليحقق الله أمانينا(البصائر 1938م.)

و صدق الاخ الدكتور أحمد ابن نعماني القائل :

إنما الأمم (اللغات) ما بقيت ... فإن هم ذهبت (الغاتهم) ذهبوا.

ثانيا: البعد الثقافي في الحملة الفرنسية على الجزائر

لقد عمل الاستعمار منذ أول يوم دخل فيه الجزائر على استخدام الأسلحة الأشد فتكا لتحقيق البقاء له في هذه البلاد وضمان استمرار سيطرته عليها، الا وهو سلاح الثقافة والفكر ودليل ذلك، أن الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكن مجرد حملة عسكريين محترفين يؤدون مهمة عسكرية صرفة وينتهي دورهم عند ذلك، بل كانت حملة شارك فيها العسكريون جنبا إلى جنب مع رجال الدين ورجال العلم والفكر. ولا شك أن البعد الصليبي الحاقد كان أكثر العوامل الدينية والثقافية دفعا إلى شن الحملة الفرنسية على الجزائر، كان احتلالها بمثابة راس الحربة التي أريد بها تمزيق وحدة المسلمين في إطار الغارة الصليبية الشاملة على العالم الإسلامي بعد ثبوت انهيار الرجل المريض وهو الدولة العثمانية التي كانت تحمي الوجود الإسلامي وتمثله في البحر الأبيض المتوسط، وقد ظهر ذلك من خلال الروح الصليبية التي صحبت الحملة، والتي لخصها شارل العاشر الذي أمر باحتلال الجزائر، وقرر مبررا عمله ذاك: "إن العمل الذي سأقوم به لترضية شرف فرنسا سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية جمعاء".

ويؤكد ذلك أيضا تصريح أحد مساعدي الماريشال بيجو مباشرة بعد دخول قوات الاحتلال إلى الجزائر، وذلك حين أعلن قائلا: "إن آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي حدود عشرين عاما لن يكون للجزائر من إله غير المسيح". كما تجسد ذلك ميدانيا من خلال الاستيلاء على المؤسسات الدينية في الجزائر مباشرة بعد الاحتلال، وضم ممتلكات الأوقاف التي كانت تمولها، وتوجيه بعض هذه المؤسسات نحو ما يخدم أغراضهم في تشويه الإسلام ونشر المسيحية، وتحويل بعضها الاخر إلى مستودعات ومستشفيات وكنائس، ومن ذلك تحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة بداية من شهر ديسمبر سنة 1841م، حيث أصبح منذ ذلك الحين يسمى كتدرائية الجزائر (أثار عبد الحميد بن باديس ج1).

ثالثا: مخطط الاستعمار في تحقيق مشروعه الثقافي

1- محاربة الإسلام:

لقد كانت محاربة العقيدة الإسلامية، وإنهاء تأثيرها على حياة الفرد والمجتمع الجزائري، هدفا أساسا عمل الاستعمار الفرنسي على تحقيقه، لأنه كان يدرك أن بقاءه في الجزائر واستمرار سيطرته عليها مرهون بمدى تمكنه من فك الارتباط بين الفرد الجزائري وعقيدته الإسلامية، فهو كان يعرف أن هذه العقيدة هي التي ظلت تستحث الشعب الجزائري على الثورة ضد المحتل والعمل على تحرير البلاد من سيطرتهم، منذ الفتح الإسلامي إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي لذلك لم يتردد الاستعمار الفرنسي منذ البدايات الأولى لاحتلاله الجزائر، في توجيه سهام الهدم إلى العقيدة الإسلامية في نفوس الجزائريين بغرض إسقاط هيبتها والحد من تأثيرها، وقد عمل على تحقيق ذلك من خلال عدة جبهات:

أ-جبهة المزاحمة: و تتمثل في إطلاق العنان للمبشرين و المنصرين للعمل على تنصير أكبر عدد ممكن من الجزائريين و حملهم على الإرتداد عن عقيدتهم الإسلامية، وذلك بإستعمال كل وسائل الإغراء و الترغيب التي أتيحت لهم.(تركي رابح1981).

ب-جبهة الإلغاء و التفريغ : بتشجيع الإلحاد و التمكين لعوامله في النفوس ، فقد قنع الإستعمار بالإلحاد يصدر من الفرد الجزائري إذا عجز عن إستصدار التنصر منه.

2- محاربة اللغة العربية :

لم يكن الإستعمار الفرنسي غافلا عن دور اللغة العربية في حياة الجزائريين ، بإعتبارها الوسيلة الى فقه الدين و معرفة أحكامه و الإطلاع على تعاليمه،و لكي يتم له فصل المسلمين الجزائريين عن دينهم، كان لابد من فصلهم عن وسيلتهم لتعلم الدين وتطبيقه و هي اللغة العربية...لذالك لم يتوان الإستعمار منذ البداية في إعلان الحرب على اللغة العربية، من خلال العمل على غلق الكتاتيب القرآنية و مكافحة التعليم العربي و التضييق على كل ما من شأنه أن يبقي على اللغة العربية و يحافظ على وجودها..و في المقابل ألزم الإستعمار المدارس بتعليم اللغة الفرنسية و العمل على ترسيخها على ألسنة الجزائريين.

3- تحريف التاريخ و طمس الهوية الحضارية الجزائرية:

عمل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله الى الجزائر على طمس التاريخ الجزائري الحافل، وحرص " على نسيان الشعب الجزائري لأمجاده، و على تصوره للحقائق مقلوبة أو مشبوهة، حتى تضعف فيه ملكة التأسي ثم تموت"، و لذالك كان يحارب "التاريخ الإسلامي و التاريخ العربي و الأداب العربية من أساسها"، "لما يعلمه من تأثير التاريخ و الآداب في إحياء الشعوب، خصوصا التاريخ العامر بالمفاخر المملوء بالمأثر، كتاريخ الإسلام عموما و تاريخ العرب بوجه خاص

."و من جهة ثانية، حاول الإستعمار تزييف التاريخ و قلب الحقائق، من خلال نشر دعاية تقول: بأن الجزائريون منحدرون من نفس الأصل الذي ينحدر منه الفرنسيون، و أنهم جميعا أحفاد للغاليين، و لذلك فإن الجزائريين فرنسيون في الحقيقة، وما عليهم إلا أن يقتنعوا بهذه الدعوى و يحرصون على الإخلاص لفرنسا و ذوبان فيها و نسيان ما سوى ذلك من أفكار و قيم ومفاهيم.

رابعا: قيام المصلحين بمحاولة إصلاح الوضع بجهود فردية:

إن الوضعية التي إنتهى إليها الحال الشعب الجزائري في بداية القرن العشرون قد آلمت بعض أبنائه المخلصين الذين تهيأ لهم أن الإحتفاظ بهويتهم الحضارية و النهل من منابع الثقافة الإسلامية والعربية، بما أتيح لهم من تحصيل علمي في كبريات حواضر العلوم الإسلامية في البلاد العربية ممثلة في تونس و مصر و الحجاز والشام ، وما شاهدوا من إنحطاط وتوتر الجزائريين في ظل الإحتلال الفرنسي ، مما جعلهم يفكرون في العمل على إنتشال الشعب الجزائري من هذا الوضع المهين الذي وضعته فيه سياسة الإستعمار الفرنسي، خاصة بعدما أخفقت كل جهود المقاومة المسلحة، التي تكسرت بفعل قوة جحافل الإستعمار و عتاده الحربي المتطور الفتاك ، وكذا بفعل تشتت هذه الجهود و عدم توحدها ، وقد كان لمجموعة من رجال الإصلاح في الجزائر جهود حثيثة للحفاظ على الشخصية الوطنية للشعب و الفرد الجزائري، و لكنها كانت جهود فردية مشتة لم يتح لها أن تؤتي أكلها في واقع المجتمع الجزائري ، و إن تركت بعض التأثير و مهدت الطريق لما جاء من بعد و نعني بذلك جهود كل من الشيخ صالح بن مهنا القسنطيني ، و الشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ عبد الحليم بن سماية

و الشيخ المولود بن الموهوب ، وغيرهم من رجال الإصلاح إلا أن التأثير الأكبر و الإنتشار الأعظم إنما كان لجهود لفيف من العلماء جاؤوا بعد هؤلاء و تولوا مهمة إصلاح المجتمع الجزائري، وأول هؤلاء هو الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله، الذي باشر على إثر عودته بشهادة التطويع من جامع الزيتونة بتونس مهمة التعليم المسجدي بمدينة قسنطينة، فكان يعلم الصغار و الكبار إبتداءا من صلاة الفجر و إنتهاءا بعد صلاة العشاء فوجا بعد فوج، وقد إستطاع في مدة وجيزة أن يعلم و يربي عشرات من الشباب و يوجههم لخدمة العمل الإصلاحي و الثاني هو الإمام محمد البشير الإبراهيمي الذي عاد الى الجزائر و إستقر بمدينة سطيف، أين باشر هو الآخر العمل التربوي و التعليمي، محققا من النتائج قريبا من تلك التي حققها إبن باديس في قسنطينة ويصف الإبراهيمي عمله الثقافي الذي أنجزه بعد عودته من المشرق العربي، معضدا بهما كان يقوم به أخوه الإمام إبن باديس في مدينة قسنطينة، فيقول" بدأت أولا بعقد الندوات العلمية للطلبة، و الدروس الدينية للجماعات القليلة، فلما تهيأت الفرصة إنتقلت إلى إلقاء الدروس المنظمة للتلامذة الملازمين، ثم تدرجت لإلقاء المحاضرات التاريخية و العلمية على الجماهير الحاشدة في المدن العامرة و القرى، و إلقاء درس في الوعظ و الإرشاد الديني كل جمعة في بلد، ثم لما تم إستعداد الجمهور الذي هزته صيحاتي العلمية ، أسست مدرسة صغيرة لتنشئة طائفة من الشبان نشأة خاصة و تمرينهم على الخطابة و الكتابة وقيادة الجماهير بعد تزويدهم بالغذاء الضروري من العلم ."في تلك الفترة أيضا عاد جماعة آخرون من علماء الجزائر الذين كانوا مهاجرين في المشرق العربي لطلب العلم،و منهم الشيخ الطيب العقبي، الذي بدأ نشاطه الفكري و التربوي بمدينة

بسكرة ، حيث إتخذ من مساجد المدينة منابر يبث منها أفكاره ، فإلتف حوله جماعة من الأدباء المصلحين يؤازرونه في مهمته.

وكانت طريقة العقبي في الدعوة الإصلاحية هي نفس طريقة إبن باديس و الإبراهيمي ، حيث يقوم تدريسه على العلوم الشرعية و علوم اللغة العربية، وكان وعظه يهتدي بالقرآن و الحديث، و لكن المجال الذي إشتهر به و ذاع صيته فيه هو الخطابة."و كان هناك أيضا الشيخ مبارك بن محمد الميلي الذي كان من أوائل التلاميذ الذي نهلوا العلم على يدي الإمام إبن باديس و إنتقلوا الى تونس لتحصيل العلم في جامع الزيتونة، حيث ما إن عاد الى الجزائر حتى أوفده الإمام إبن باديس الى مدينة الأغواط مربيا و معلما وداعيا الى الإصلاح. وهناك بدأ نشاطه وأمضى مدة ثماني سنوات كون وربى خلالها عددا كبيرا من طلبة العلم الذين اصبحوا بعد ذلك طليعة النهضة بهذه المنطقة و كالك الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي الذي ما إن عاد من المشرق العربي حتى باشر هو الآخر نشاطه الإصلاحي متخذا من مدينة تبسة مركزا له و منطلقا من مسجد صغير يسمى مسجد أبي سعيد و قد وصف الأستاذ محمد (علي دبوز) رحمه الله منهج الشيخ العربي التبسي في دروسه و أثر تلك الدروس في واقع المجتمع فقال: "كان درس الشيخ للعامة بعد صلاة العشاء فيسرع الناس من متاجرهم و منازلهم و من المقاهي لصلاة الجماعة و سماع الدرس فيمتلئ بهم المسجد و كانت دروس الشيخ في التفسير و الحديث يختار آية قرآنية تناسب موضوعه أو حديثا نبويا فيفسرها تفسيرا بارعا يخلب ألباب السامعين فيريهم حكمة القرآن و معانيه السامية..ثم يتسرب الى الأمراض الإجتماعية في دروسه فيشرحها و يبين أسبابها و عواقبها الوخيمة في الدنيا و الآخرة.

الوسائل التي وظفتها الجمعية في المواجهة الثقافية

1-الدروس الدينية في المساجد و المحاضرات العامة في النوادي :

حرص علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على إقامة الدروس الدينية في المساجد الحرة، وإلقاء المحاضرات المتنوعة الإجتماعية والتاريخية ذات التوجه الوطني في النوادي التي أسستها الجمعية عبر مختلف مناطق التراب الوطني .. وقد كان القصد من وراء هذه الدروس والمحاضرات التعريف بالإسلام الصحيح و مكافحة الإلحاد و التنصير التي كانت الجهات الإستعمارية ذائبة في نشره و ترسيخه في واقع المجتمع الجزائري و تعريف الإنسان الجزائري بحقيقة هويته الحضارية ورصيده التاريخي والثقافي يذكرون بكتاب الله " وقد اتبع العلماء في المساجد طريقة السلف في الوعظ والإرشاد ويقومون بشرحه وإجلاء العبر منه وبالصحيح من السنة يوضحونه وينشرونه وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم العملية والقولية ثم سيرة الصحابة وهديهم ثم السيرة النبوية في أقوالهم وأفعالهم وقد كان أسلوب العلماء في التعليم الديني هو الإهتمام بالمعنى و النفوذ الى صميمه من أقرب سبيل يؤدي إليه وبيان الطرق العلمية التطبيقية، وتجنب النزاعات والخلافات وكل ما يبعد عن تصور المعنى المقصود ."(عيون البصائر1963م).

2-العناية بالتربية والتعليم:

إهتمت الجمعية منذ تأسيسها بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر، وكانت أول المدارس التي أسستها : مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالجزائر ومدرسة تهذيب البنين بمدينة تبسة كما قامت الجمعية بفتح عشرات المدارس الإبتدائية الحرة لأبناء الشعب الجزائري والذين لم يترددوا في الإلتحاق بها وكانت هذه المدارس الناشئة تعلم مبادئ العربية وآدابها ومبادئ التاريخ الإسلامي والتربية الإسلامية الصالحة وكان إفتتاح هذه المدارس وإنتشارها عبر التراب الوطني يتم بإنتظام وتسارع حتى إنه في عام 1944م وحده إفتتحت الجمعية أزيد من سبعين مدرسة وقد بلغ عدد مدارس جمعية العلماء أكثر من مائة وخمسين مدرسة إبتدائية حرة يتردد عليها أكثر من خمسين ألف تلميذ من أبناء الامة الجزائرية، بنين و بنات يدرسون مبادئ لغتهم وأدابها و أصول دينهم وتاريخ قومهم على برنامج يجمع ضروريات العلم وإيجابيات التربية الإسلامية القومية الصحيحة وقد تخرج منها ..عشرات الألاف هذا إضافة إلى معهد إبن باديس الثانوي الذي أسسته الجمعية سنة 1947م وتخرج منه على مدى سنوات نشاطه المئات من الطلبة الذين صاروا بعد ذلك من إطارات الدولة الجزائرية بعد الإستقلال وقد حرصت الجمعية على أن تتسم البرامج التعليمية والكتب والطرق المعتمدة في مدارسها بالتجديد ورفض التقليد والجمود، فكانت تنتقي الكتب المقررة في المواد الدراسية إنتقاء دقيقا فتختار ما هو أقرب إلى الإفادة وتساعد على تحصيل الملكة العلمية وتتجنب الكتب الجامدة المعقدة التي تساعد على التفتح ذهنيا و تبعث في نفوس الدارسين نشاطا، وتختار للمطالعة في مختلف العلوم الكتب الحية السهلة" وكانت العلوم التي تدرس للناشئة والطلبة في المدارس ومساجد الجمعية تتمثل في العلوم الشرعية واللغوية وهي: العقيدة، التفسير، الحديث، الفقه، الآداب ، المواعظ، التجويد، أصول الفقه، المنطق، النحو، الصرف، البلاغة، المحفوظات، المطالعة، الإنشاء، الحساب ،الجغرافيا، التاريخ."

3-الإتصال المباشر بجماهير الشعب:

حرص علماء الجمعية، الى جانب جهودهم التربوية و الصحافية والثقافية على إتصال المباشر بعامة أفراد الشعب الجزائري و الإحتكاك بهم و مخالطتهم من خلال رحلات و جولات تقودهم الى مختلف المدن و القرى وكانوا يلقون عليهم الخطب والمحاضرات الدينية والسياسية والإجتماعية التي كانت تدور حول جمعية العلماء ومقاصدها وأعمالها ومنافع الامة منها، مع التذكير بالله والتنبيه على مصالح الدنيا والآخرة والتحريض على التأخي و التأزر وحسن الجوار والمعاملة ،وقد كان أكثر علماء الجمعية حرصا على هذا النوع من النشاط هو الإمام إبن باديس رحمه الله، ويصف أحد تلاميذه، وهو الأستاذ محمد الغسيري رحمه الله نشاط الإمام الدائب في هذا المجال فيقول : " كان الأستاذ الرئيس لا يغفل جانب الشعب الكادح والمنتشر في أصقاع الوطن تزيد مساحته عن مليونين و ثلاثمائة ألف كم مربع وتتباعد مدنه بمسافات كبيرة يكلف السفر إليها في غالب الأحيان أكثر من 511كلم بين مدينة ومدينة ، ومع ذلك و في يوم الخميس من كل أسبوع على الساعة الحادية عشر صباحا وبعد إنتهاء إلقاء آخر درس له في اليوم الأخير من الأسبوع يسارع إلى القطار ليركبه الى مدينة الجزائر أو وهران أو تلمسان أو بسكرة أو بجاية أو سطيف وغيرها من أمهات المدن الجزائرية وما أكثرها فيصل إليها ليلا أو صباح غد باكر وبعد صلاة الجمعة في أحد مساجد جمعية العلماء

يلقي درسه في المسجد أو في أحد نوادي المدينة وبعد المحاضرة يقفل راجعا إلى قسنطينة فما أن يحل صباح الغد حتى يكون قد قطع المسافة بين تلمسان وقسنطينة بالقطار وذلك ليفتتح دروس الصباح يوم السبت في الجامع الأخضر بل أن علماء الجمعية كانوا يزورون في المناسبات المختلفة العمال الجزائريين في فرنسا، لتفقد أحوالهم ودراسة ما يتعرضهم من مشكلات والإشراف على إستيعابهم تربية وتعليم لهم ولأبنائهم وقد تخصص لهذا الغرض من رجال الجمعية إثنان من كبار التلاميذ الإمام إبن باديس وهما الفضيل الورتلاني والسعيد صالحي.(بورنان محمد سعيد 2012).

من مواقف جمعية العلماء الإهتمام بالجالية الجزائر في فرنسا

لم يقتصر دور جمعية العلماء التربوي والتعليمي داخل الوطن فحسب، بل رافق أبناء الجزائر الذين هاجروا الى فرنسا حيث يشكلون جالية كبيرة.

فقد إنتبهت الجمعية الى الأخطار المحدقة بأولئك المهاجرين المعرضين لخطر الذوبان في الحضارة الأوروبية والإبتعاد عن أصول دينهم ،فأرسلت إليهم المعلمين والوعاظ والمرشدين، وأسست النوادي والمدارس لتعليم أبنائهم، وقد كانت جهود الجمعية في هذا الميدان تدورعلى محاور ثلاث:

1)-احداث مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار.

2)-دروس الوعظ والإرشاد الديني في المساجد العامة.

3)-تنظيم محاضرات في التهذيب وشؤون الحياة العامة في النوادي .(عاشوري قمعون2012).

وكان إهتمام الجمعية هو حماية إسلام هؤلاء من الضياع وأن تتولى تربية النشء الجديد قبل أن تلتهمه الحياة الفرنسية، ولهذا بحثت عن رجل كفء يقوم بالمهمة فلم تجد أكفأ من الفضيل الورتلاثي للقيام بهذه المهمة الشاقة التي تتطلب إيمانا بالقضية وإخلاصا لها ، ورغبة في الإصلاح والتغيير.

نزل الفضيل الورتلاني بفرنسا سنة 1936م مبعوثا عن الجمعية وأقام في باريس، وبدأ نشاطه المكثف بهمة عالية، وإتصل بالعمال والطلبة الجزائريين بفرنسا، وأخذ في إنشاء النوادي لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ومحاربة الرذيلة والإنحلال الأخلاقي في أوساط المسلمين المقيمين بفرنسا، واستطاع خلال عامين أن يفتح العديد من النوادي الثقافية في باريس فإتصل بالدارسين العرب في الجامعات الفرنسية، وتوثقت بينهم المودة و الصلة ، مثل العلامة محمد عبد الله دراز صاحب كتاب (دستور الأخلاق في القرآن الكريم) والشيخ عبد الرحمان تاج الذي صار شيخا للأزهر والعلامة السوري محمد مبارك والشاعر عمر بهاء الدين الاميري، وقد أقلق هذا النشاط السلطات الفرنسية فضيقت على الفضيل الورتلاني حركته وجاءته رسائل تهدده بالقتل، فإضطر لمغادرة فرنسا إلى إيطاليا و منها الى القاهرة.

كانت وجهته إذن سنة 1940م القاهرة حيث آثر الإنتساب إلى الازهر فحصل على شهادته العالمية في كلية أصول الدين والشريعة الإسلامية مواصلا جهاده القومي والوطني للتعريف بالإستعمار الفرنسي في الجزائر وخدمته القضية

الجزائرية وقضايا المسلمين عموما، فأسس 1942م اللجنة العليا لدفاع عن الجزائر كما أسس 1944م جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا ثم مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائرين في القاهرة 1948م الذي إستقبل فيه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة 1952م وقد صار عضوا في تنظيم حركة الإخوان المسلمين وكانت تربطه صلة وثيقة بالشيخ حسن البنا ونظرا لملكاته الخطابية وقدرته على الإقناع، كان من تقدير الإمام حسن البنا للفضيل الورتلاني أنه كان ينوب عنه حين يكون غائبا عن القاهرة في إلغاء حديث الثلاثاء بالمركز العام لجماعة الإخوان.

وإمتد نشاط الورتلاني إلى مساندة الاحرار في اليمن وكان الإمام حسن البنا على علم بما يجري في اليمن فأوفد الفضيل الورتلاني إلى هناك 1947مو قد نجح في توحيد صفوف المعارضة و إزالة الخلاف بينهم.(بورنان سعيد2012)

لقد قامت جمعية العلماء بما عاهدت الله عليه داخل القطر الجزائري من تهذيب الكبار بدروس الوعظ والإرشاد، و تربية الابناء الصغار و تعليمهم اللغة الغربية والدين الإسلامي، وقد إمتد نظرها لما وراء البحر ،فارسلت دعاة للنواحي التي يسكنها المسلمون في بلاد فرنسا، وقد كان من بين الذين بعثتهم: الشيخ فرحات بن الدراجي الى مارسيليا، والشيخ حمزة بوكوشة الى ليون، فقاما بما انيط بعهدتهم أحسن قيام)البصائر ماي 1938)

لم تقتصر جمعية العلماء في مشروعها الإصلاحي على الجزائر فقط، بل إهتمت بالجالية المقيمة بفرنسا، نظرا لتزايد عدد المهاجرين، و قلة أماكن التوجيه والتعليم في ديار الغربة، وكان عددهم يزداد من عام الى أخر، وفي الإلتفات الى المهاجرين دلالة واضحة على إدراك جمعية العلماء للوزن السياسي و الإجتماعي والثقافي الذي يمكن ان يمثله هؤلاء في المستقبل.

إن وجود جمعية العلماء في فرنسا يفسره أكثر خوفهم من إنسلاخ المهاجرين و إنصهارهم في الثقافة الغربية التي يعيشون في وسطها، لقد شعر العلماء بضرورة توجيه المغتربين، ودعوتهم الى الحفاظ على أصالتهم وقيمهم وحثهم على ممارسة الشعائر الدينية،لكن إهتمامات الإصلاحيين بالجانب السياسي، حتى في الفترة التي أشرف فيها الورتلاني على النوادي، أثارت غضب السلطات الإستعمارية والحزب الوطني نجم شمال إفريقيا، فإذا كانت الأولى رأت في نشاط النوادي خطرا على سياستها ومصالحها في الجزائر، أما زعماء الحزب قد رأوا في أعمال النوادي منافسا سياسيا خطيرا لهم. (حمزة بوكوشة2000).

و إستطاع العلماء من خلال نشاطهم في فرنسا، إيصال الأفكار الإصلاحية الى المهاجرين الجزائريين وتوجيههم توجيها دينيا وقوميا، وتعريف النخبة العربية المقيمة في فرنسا بكفاح الشعب الجزائري من أجل التحرر من سلطة الإحتلال، وبتاريخ الجزائر الذي كان مجهولا، في المشرق العربي بسبب سياسة المراقبة والتعليم والتشويه التي روجتها فرنسا في الوطن العربي (تركى رابح1981).

ونظرا لأهمية الجالية لأنها جزءا لا يتجزأ من الشعب الجزائري ولهذا لم تغفل الجمعية عن الجالية الجزائرية المقيمة بفرنسا فأنشأت الجمعية عشرات من النوادي وزودتها بالعديد من الشيوخ والمعلمين فأرسل إبن باديس الشيخ سعيد

صالحي مبعوثا الى فرنسا 1938م بالإضافة الى مجموعة من الشخصيات البارزة و على راسهم الشيخ الفضيل الورتلاني وهذا للقيام بسلسلة من المحاضرات في نوادي الجمعية بمختلف المدن الفرنسية، يتعلم فيها ابناء الجالية العربية ضروريات دينهم ودنياهم، ويتعلم فيها أبنائهم اللغة العربية نطقا وكتابة ويتربون على الدين الإسلامي و الوطنية (بورنان سعيد2012).

وقد تم تدعيم بعثة الجمعية بخيرة الرجال من كبار أعضاء الجمعية و علمائها مثل الشيخ سعيد صالحي، والشيخ محمد صالحبن إبن عتيق، والشيخ محمد الزاهري، والشيخ الربيع بوشامة، والشيخ حمزة بوكوشة، والشيخ الهادي السنوسي، والشيخ إسماعيل العربي، والشيخ سعيد البيباني..إلخ.كل هؤلاء جندهم لغزوة جبارة عمل كل واحد منهم مدة معينة هدفها تعليم الدين الإسلامي واللغة العربية ونشر التوعية في أوساط العمال الجزائريين المغتربين، للمحافظة على هويتهم الوطنية وشخصيتهم الجزائرية العربية الغسلامية وقد قام هؤلاء العلماء بأعمال جليلة بفرنسا أعمال ثقافية ودينية وأخلاقية وسياسية خدمة للشعب الجزائري والوطن الجزائري وتنمية شعوره بالإنتماء للعروبة والإسلام بمجرد أن وعت الحركة الإصلاحية بعدها الوطني وهذا إبتداء من مؤتمرها الاول في سبتمبر1935م سعت الى توسيع صيتها في الخارج من اجل إشاعة المثل الإصلاحي وإسماع صوت الجزائر الى أبعد مدى ممكن.

أقدمت الحركة الإصلاحية عند نهاية 1935م الى إعادة تنظيم وتطوير جهازها الدعائي، ومنذ بداية 1936م أمكنها إصدار منشور جديد باللغة العربية وبالعاصمة (جريدة البصائر1936).

وفي المجال الخارجي كان إنشغال الإصلاحيين هو نشر الأفكار الإصلاحية بين إخوانهم المقيمين بفرنسا، إنطلاقامن 1936م إستطاعوا أن يطوروا نشاطهم الديني والثقافي في الاوساط الإسلامية بباريس وضواحيها بالإضافة الى منطقة ليون، وقد ساهمت إنتقالات الزعماء الإصلاحيين إلى باريس في 1936-1937م في إطار وفود المؤتمر الإسلامي الجزائري، في التعجيل بعملية إنتشار الحركة الإصلاحية في فرنسا (علي مراد2007).

بفضل همة الفضيل الورتلاني مندوب جمعية العلماء بفرنسا، تعاظم عدد المنخرطين في الجمعية بين العمال الجزائرين المهاجرين، في باريس وضواحيها، وفق الإصلاحيون في تأسيس العديد من "النوادي التربوية(1936-1937) حيث كانوا معلمون إصلاحيون يقدمون يوميا دروس اللغة العربية وحيث كانت تنظم مرة كل أسبوع نشاطات ثقافية ذات طابع إسلامي (علي مراد2007).

في الواقع لم يكن عمل الإصلاحيين بفرنسا سوى إمتدادا لعملهم في الجزائر لكنه كان ينم عن حيوية الحركة الإصلاحية وإرادتها في إرسال الرسالة الإصلاحية خارج الحدود الوطنية هذه الإرادة تظهر بوضوح في تصريح يلح فيه إبن باديس على الوجهة العالمية للحركة الإصلاحية السنية حيث يقول :" و ليس ما ندعوا إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بالأمر الذي يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه، كلا فإن صحة العقيدة وإستنارة الفكر وطهارة النفس وكمال الخلق و إستقامة العمل وهذا هو الإصلاح كله مما يشترك في الإنتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان".(أثار عبد الحميد بن باديس ج5 2007).

ولا يمكن التأكيد على عالمية المذهب الإصلاحي بأفضل من هذا، وهكذا فإن الشيخ إبن باديس منذ حوالي 1920م، أصبح شيئا فشيئا الإمام الأكبر، إنطلاقا من 1936م ينبغي أن نسجل بأنه في هذا التاريخ كان زعيم المدرسة الإصلاحية الجزائرية وفضلا عن هذا بعد وفاة رشيد رضا 1935م، كان إبن باديس مقبلا على أن يصبح القائد الفكري الحقيقي للسلفية في المغرب الإسلامي (علي مراد2007).

وهذا ما أدى به إلى القيام بمبادرات متنوعة ليفرض نفسه على علماء الزيتونة والأزهر ولتذكيرهم بواجبهم المقدس، أن يكونوا حراس السنة اليقظين ومنتقدي البدع.

لقد أدى مرسوم 27 أوت1939م الذي قضى بتطبيق مرسوم قانون 24 أوت 1939م في الجزائر الذي يجيز حجز وتوقيف المنشورات التي من شأنها الإساءة للدفاع الوطني قد أدى سريعا إلى إختفاء الدعاية الإصلاحية، وهكذا بعد ان أوقفته الاحداث في حين كان على مقربة من النصر، على الرغم من أن عمل إبن باديس لم يستكمل عند وفاته (أفريل1940) فإن هذا العمل الإصلاحي كان هائلا سواءا على الصعيد الديني أو في المجالات الإجتماعية والثقافية والسياسية، ذلك أن الحضور الإصلاحي قد فرض نفسه على جميع أصعدة الحياة الجزائرية.

لقد ساهم النشاط الإصلاحي ما بين (1925-1940) بقوة في إعادة صقل الملمح الديني والثقافي للأمة الإسلامية خاصة من حيث تغير ميزان القوى المعنوية.

وعلى الصعيد الإجتماعي، سعى الإصلاحيون الى تطهير سلوكات إخوانهم وتحسيسهم ببعض مستلزمات الحياة العصرية، وفقوا في إزالة الأوهام العالقة والأولياء الصالحين والمنافقين وناشري الظلامية، كان النشاط الإصلاحي الإجتماعي مرتبطا بنشاطهم الثقافي الذي غير المناخ الفكري والمعنوي في الجتمع الإسلامي (مدارس حرة ، نواد ثقافية ، مساجد) ولم يكن العمل الإصلاحي دينيا وأخلاقيا فقط فقد إهتموا بجميع مظاهر الحياة الجزائرية.

ولم يقتصر الشيخ عبد الحميد بن باديس على إقرار حق المسلمين في تعلم دينهم ولغتهم، ووجوب تعليمهما بل أكد أن التعليم الإسلامي ينبغي أن لا ينحصر في تلقين العلوم الدينية وإنما عليه أن يهتم على وجه الخصوص بالعلوم العصرية التي انصرف عليها المسلمون في القرون المتأخرة.(علي علواش 1983).

وهدا لا يتنافى مع ما يدعو إليه القرآن ومما سبق يتأكد لنا أن جمعية العلماء كانت لها نظرة متطورة في مجال التربية والتعليم نظرة يمزج فيها بين الحقائق العلمية الموروثة وبين الاتجاهات العلمية المعاصرة، بحيث كان العمل التربوي يعتمد على الميادين الاعتقادية والقيم الوطنية والتراث التربوي الاسلامي وعلى الاتجاهات الحديثة في التربية التي تجعل النشاط التعليمي وسيلة لغاية أسمى من تلقين المعرفة.

والأهداف التي كانت ترمي إليها جمعية العلماء المسلمين التي جعلت من التربية والتعليم والتثقيف محورها وتحضير الشعب وتعبئة الأجيال لمجابهة العدو غايتها وقد صدق من قال : "الإمام بن باديس هو الأب الروحي لثورة التحرير الجزائرية" (محمود قاسم 1951).

وقد أكد الأستاد حمزة بوكوشة في بحث له نشر بالبصائر 1939 بقوله :"وابن باديس لم يكن رئيس جمعية محدودة التصرف والحركة، ولكنه كان زعيما روحيا قاد تيارا اجتماعيا وسياسيا قلب به الأحداث في الجزائر" (البصائر 1939).

المحافظة على الشخصية الجزائرية:

– إن التصريح عن الصفات المكونة للشخصية الجزائرية عند جمعية العلماء ظهر في سنة 1936 و يبدو أن الشهادة الاندماجية المشهورة (فرنسا هي أنا) لفرحات عباس هي التي حثت رجال جمعية العلماء لمحاربة هذا الاتجاه المناهض للاندماج ، و يتعلق الأمر بالتصريح المسمى " كلمة صريحة" المنشورة في الشهاب في أفريل 1936 كرد قاس لأفكار فرحات عباس و كمرافعة حامية من أجل الاعتراف بالشخصية الجزائرية (علي مراد 2007) وتتمثل فكرة الاندماج في المقولة التالية :

" لقد قال أحد النواب النابهين أنه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر و فتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خير ، و أخيرا أشرقت عليه أنوار التحلي فإذا به يصيح : فرنسا هي أنا ، إن هؤلاء المتكلمين باسم المسلمين الجزائريين و الذين يصورون الرأي العام الاسلامي الجزائري و بهذه الصورة إنما هم مخطؤون فهم في واد و الأمة في واد... و في هذه الوضعية يرد ابن باديس عن هؤلاء في كلمته الصريحة : لا يا سادتي نحن نتكلم باسم أغلبية الأمة... و نقول لكم : " اننا فتشنا في صحف التاريخ و فتشنا في الحالة الحاضرة و وجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت و وجدت كل أمم الدنيا ..." (أثار عبد الحميد ابن باديس الجزء الرابع 2007).

يطرح هذا البيان إذن و بجلاء مبادئ مكونات الشخصية الجزائرية و يحدد شخصية جزائر الجزائرية و ليست مرتبطة بفرنسا و غير مقترنة بها.

و لهذا اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمكونات الشخصية الجزائرية و المحافظة عليها.

–المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية .

–ولدراسة هذا الموضوع – اسباب عديدة : من أهمها الصراع بين الشعب الجزائري من ناحية , وبين الاحتلال الفرنسي من ناحية أخرى حول الشخصية الجزائرية , ومقوماتها الاسلامية المتمثلة في اللغة والدين والثقافة والتاريخ والحضارة الوطنية .

وقد كان من أهم الأسلحة التي اعتمد عليها الشعب الجزائري في هذا الصراع المصيري – هو التعليم العربي " الحر " حيث نهض بقيادة – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبعض الهيئات الأخرى مثل الجمعيات الخيرية في " واد ميزاب" وبعض الزوايا الصالحة في شمال وجنوب البلاد . و "حزب الشعب الجزائري " يؤسس المدارس , ويقيم النوادي ويكون المساجد على نطاق واسع في جميع انحاء الوطن –من أجل نشر التعليم العربي , وبعث الثقافة العربية الاسلامية , وتعليم مبادئ الدين والتاريخ الوطني , الى أبناء وبنات الجزائر في جميع أرجاء البلاد , بقصد المحافظة على كيانه الوطني وشخصيته العربية الاسلامية , مما يساعد على حدوث نهضة تعليمية عربية اسلامية واسعة النطاق . كانت العامل الرئيسي في فشل سياسة الاحتلال في الفضاء على الشخصية الجزائرية وقد كان شعار هذه النهضة

التعليمية الكبرى هو : (الاسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطننا) كسلاح فعال , ومضاد لسياسة الاحتلال التعليمية التي كانت تقوم على أساس –الفرنسة– والتنضير والادماج .

–<u>التعليم العربي الحر :</u>

اما التعليم العربي الحر والتعليم المدعوم من التبرعات الشعبية والذي تشرف عليه غالبا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . فله احصاء غير مفصل , على هذا النحو :

سنة 1955 كان عدد التلاميذ 35,190 وعدد المدارس 193 وعدد المعلمين 511 , من بين العدد الاجمالي هناك 1200 طالب في معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة وهي المؤسسة الوحيدة للتعليم المتوسط لجمعية العلماء .

ولكن منذ 1955أغلقت السلطات الفرنسية معظم المدارس في وجه التعليم واحتلها الجيش الفرنسي الذي استعملها لأغراض مختلفة مقلدا ما قام به سلفه سنة 1830نحو المؤسسات التعليمية والدينية .

وهناك مؤسسات اخرى كانت تمارس التعليم مثل المدارس التابعة لحزب الشعب والمدرسة الكتانية التي كانت تتولاها الزاوية الرحمانية (فرع ابن الحملاوي) وغيرها .ويقول التقرير الذي رجعنا اليه ان مدارس التعليم الحر (غير تابع لجمعية العلماء) كانت تتولاه مؤسسات خاصة قبلت بتطبيق مرسوم 27 فبراير 1944م الذي ينص على التعليم الاسلامي الخاص والقاضي بتدريس 15 ساعة للغة الفرنسية في الاسبوع لتلاميذها مع قبولها بمراقبة فرنسية لسير التعليم فيها ولاحظ التقرير ان عدد التلاميذ في هذه المدارس قليل , دون اعطاء أرقام .(الارشيف الوطني العلبة 27)

(أبو القاسم سعد الله 2007) ص 264

حارب الاستعمار وأفسد خططه التي تهدف الى محو الشخصية الجزائرية العربية الاسلامية وبالتالي الى ضد حرية الجزائر واستقلالها عن طريق نضاله المتواصل عن المقومات الاساسية للشخصية الجزائرية عن طريق التربية والتعليم –والاصلاح الديني – والاجتماعي – ونشر الثقافة العربية الاسلامية بين أبناء الجزائر .

–اما محاربة جمعية العلماء لرجال التنصير المسحيين –فتتجلى في النهضة العلمية والثقافية والدينية التي ثبت في اوساط الشعب الجزائري عن طريق النوادي – وعن طريق الجمعيات – وعن طريق المساجد الحرة التي أنشاتها جمعية العلماء المسلمين الجزائرية في مختلف مناطق البلاد وفي المقالات الدينية والاخلاقية والوطنية التي كانت في جريدة – المنتقد– ثم بجريدة الشهاب ثم في مجلة الشهاب الشهرية وفي جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وهي : السنة والشريعة والصراط السوي –والبصائر – وكل هذا النشاط الاسلامي والعربي قد تظافر جمعية على احباط نشاط رجال التنصير المسحيين الذين كان الاستعمار يدعمهم ماديا واداريا وامنيا بقصد تنصير ابناء وبنات الجزائر ومما يدل على فشل اعمال المنصرين المسحيين في الجزائر –ما ذكره الدكتور غوستاف لويون – العالم الفرنسي المعروف في كتابه المشهور – (روح السياسة) حيث ذكر واقعة تدل على فشل اعمال رجال التنصير في الجزائر وهي ان الكاردينال (لافيجري) قائد حملة تنصير ابناء الجزائر –قد جمع اربعة آلاف طفل يتيم جزائري وقام بتربيتهم تربية مسيحية منذ

الصغر في المدارس المسيحية ولكن معظمهم رجع الى الاسلام بعد ان بلغو سن الرشد وتنبهوا الى ان ابائهم واجدادهم كانوا مسلمين جزائريين.

2-محاربة الطرقية:

كانت بسبب البدع – والضلالات–والشعوذة التي أحدثتها في الدين الاسلامي –ومن ناحية أخرى – ان معظمهم قد أصبح العوبة في يد الاستعمار الفرنسي يسخرهم ضد مصالح بلادهم العليا .

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال له نشره في مجلة الشهاب –تحت عنوان : "لماذا حارب الشهاب الطرفية "

قال :حاربنا الطرفية لما عرفنا فيها –علم الله –من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من الصعاب وقد بلغنا غايتنا والحمد لله "

اما دعاة التجنيس : المتأثرين بالحضارة الفرنسية وثقافتها –ممن استطاع الاستعمار ان يضعف شخصيته العربية الاسلامية –فكانت جمعية العلماء لهم بالمرصاد لأن دعوتهم الشاذة والمناقضة لمقومات الشخصية الجزائرية – تمس بأسس الكيان الجزائري والشخصية الجزائرية – وعندما كتب أحد الساسة الجزائريين من دعاة الاندماج في فرنسا (الصيدلي –فرحات عباس) في عام 1936م مقالا باللغة الفرنسية في احدى الجزائر الصادرة الفرنسية في الجزائر – انكر فيه وجود الشخصية الجزائرية

قائلا:" لن أموت من أجل الوطن الجزائري , لأن هذا الوطن لا وجود له .ولم أكشفه سألت التاريخ وسالت الأحياء والأموات لا احد حدثني عنه " La défense op.Cit.

رد عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب –قائلا " إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ – وفتشنا في الحالة الحاضرة –فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة – متكونة –موجودة . كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا – ولهذه الامة تاريخها الحافل بجلائل الاعمال – ولها وحدتها الدينية –واللغوية –ولها ثقافتها الخاصة – وعوائدها –واخلاقها بما فيها سن حسنة وقبيح شأن كل أمة في الدنيا – ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية – ليست هي فرنسا ولا تستطيع ان تصير فرنسا – ولو ارادت –بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد –في لغتها ودينها – لا تريد ان تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري –بحدوده الحالية المعروفة " (مجلة الشهاب ج 1م12 عدد أفريل 1936م).

الدين : العمل على احياء جذوته في النفوس حتى يصبح الاسلام كما كان في العصور الاسلامية الاولى – قوة دافعة للجزائريين الى النضال والجهاد من أجل تحرير بلادهم من الاستعمار الفرنسي .

ففي عام 1938م ألقى الشيخ عبد الحميد بن باديس خطابا جامعا في جماهير المحتفلين بمناسبة ختمة لتفسير القرآن الكريم في كلية الشعب بمدينة قسنطينة تحت عنوان " الاسلام دين الحياة " قال فيه : انني اعاهدكم على أنني اقضي بياضي على العربية والاسلام – كما قضيت سوادي عليها وانها الواجبات وانني سأقصر حياتي على الاسلام والقرآن ولغة الاسلام والقرآن –هذا لكم عهدي به– واطلب منكم شيئا واحدا وهو أن تموتوا على الاسلام ولغة الاسلام والقرآن " مجلة الشهاب جويلية 1938

–اما اللغة العربية فان الشيخ عبد الحميد بن باديس يراها الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر – وحاضرها الأغر– ومستقبلها السعيد– ولا توجد هناك رابطة أخرى أقوى وأمتن من هذه الرابطة لذلك تجب المحافظة عليها – ويضيف قائلا : انها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا – وهي وحدها المقياس الدي نقيس بها أرواحنا – بأرواح اسلافنا – وبها يقيس من يأتي بعدنا من أبنائنا – واحفادنا –الغر الميامين – ارواحهم بأرواحنا– وهي وحدها اللسان الذي نعتز به – وهي الترجمان عما في القلب من عقائد – ومافي العقل من أفكار –وما في النفس من آلام وامال . ثم يقول : أن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين – وخدم العلم – وخدم الانسان – هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان ونعمل لإحيائه منذ سنين –فليحقق الله أمانينا "

جريدة البصائر عدد 171 الصادرة في 22 جويلية 1938م .

عرقلة تعليم الدين ولغة الدين :

الى رئيس الوزراء ووزير الداخلية ووزير افريقيا الشمالية والوالي العام :

باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ارفع احتجاجي الشديد ضد ما يلقاه تعليم الدين الاسلامي ولغته العربية من المقاومة والعرقلة ضد الامتناع الادارة من اعطاء الرخص للطالبين الكثيرين مما أدى الى توقفهم عن التعليم وتشريد الصبيان المتعلمين واستياء وتألم جميع المسلمين .

كما احتج باسم الجمعية – ضد ما زعمه منشور الولاية العامة .

" ان الاستنكار كان للقانون المطبق بفرنسا منذ 52 سنة لمجرد انه قانون فيه تنظيم "

والحال ان استنكار الامة كان لمنع الرخص والاعراض عن الطالبين والشاكين واسترابت بتطبيق ذلك القانون على الجزائر .

بعد ان كان معقولا عنه في ذلك الامد الطويل , وفي الظروف التي امتدت فيها مقاومة الادارة للتعليم والمعلمين وصارت تقدمهم للمحاكمة كمجرمين .

فبإسم الجمعية أطلب بكل تأكيد من الحكومة الفرنسية ان تطبق حرية التعليم ومنح الرخص على الجزائريين بمثل فرنسا – كما طبقت قانون المخالفة , اذ ذاك هو المثل المنتظر من حكومة أمة شعارها : " الحرية والعدالة والمساواة "

الرئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس : البصائر العدد 115 –27 ماي 1938م .

الدين واللغة:

ان وحدة الدين واللغة شيء واحد كما ان السيد جمال الدين الافغاني كما تقول المصادر التي كتبت عنه يقول : " لا سعادة الا بالجنسية ولا جنسية الا باللغة –ان الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس , اثنتان : وحدة اللغة ووحدة الدين , فوحدة اللغة هي الأساس الذي تقوم عليه الجنسية(القومية) واللغة اشد ثباتا , وأكثر دواما من الدين و لأننا نعرف امما غيرت دينه خلال ألف عام مرتين بل ثلاث مرات دون أن يطرا خلل على وحدتها اللغوية والقومية .

ونستطيع ان نقول أن تأثير رابطة اللغة في هذه الدنيا أقوى من تأثير رابطة الدين (محمد أنيس1961) واذ اعتبرنا وحدة الدين والمذهب مقوما من مقومات الشخصية القومية للجماعة أم لا , فان الدين الاسلامي في حالة المجتمعات العربية بالذات قد ساعد على تكوين مقوم هام من مقومات القومية العربية ونشير بذلك (التاريخ المشترك) فالاسلام هو القوة الروحية التي دفعت عرب الجزيرة الى فتح البلاد التي اصبحت عربية فيما بعد . كما ظل الاسلام المحور الذي تجتمع حوله هذه البلاد في وحدة سياسية وحضارية واحدة , ولا ننسى أن القرآن الكريم هو الذي حافظ على بقاء اللغة العربية من الانحلال الى لهجات عربية مختلفة وبذلك ساعد على بقاء وحدة الثقافة والتعبير في العالم العربي , والقرآن هو كتاب الاسلام الخالد .(المرجع السابق). ويبدو لنا أن الوحدة الدينية قد لا تكون مقوما من مقومات الشخصية للجماعة في حالتين فقط :

محمد أنيس 1961 دراسات في المجتمع العربي , دار النهضة العربية القاهرة مصر .

الحالة الاولى :عندما تتعدد الأديان والمذاهب في قومية واحدة مثل الهند وبعض البلاد العربية (لبنان) وبذلك يبقى كيانها متضعضعا بسبب اختلاف الدين .

اما الحالة الثانية : فعندما يتحد الدين في جماعة واحدة ولكن تختلف بينها اللغات مثل البلدان الاوروبية المسيحية , ومثل كثير من البلدان الاسلامية (تركيا –ايرن – باكستان – العرب) . (محمد أنيس 1961م)

أما عندما تتحد الوحدة الدينية والمذهبية مع وحدة اللغة مثل بلدان المغرب العربي (ليبيا – تونس– الجزائر – المغرب – موريتانيا – الصحراء الغربية).

فان الدين يصبح في نظرنا من مقومات الشخصية القومية للجماعة ,فالاسلام في هذه البلدان المغاربية يعتبر وجها آخر للقومية العربية ولا يمكن فصل القومية فيها عن الاسلام .فالعروبة تعني الاسلام كما ان الاسلام يعني اللغة العربية – ولقد كان شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الجزائر مثلا (1931– 1956) (–الاسلام ديننا –والعروبية لغتنا – والجزائر وطننا).

وكانت الحركة الوطنية تعتبر الاسلام مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية ,اذن فالدين اذا كان واحدا يلعب دورا كبيرا في بلورة المشاء الوطنية , وفي المحافظة على كيان الجماعة ضد عوامل الهدم والتخريب وحدتها , وقد كان الاسلام ولا يزال عاملا رئيسيا في بعث النهضة في أوساط الشعب الجزائري , وبالتالي هو الذي حفظ مكونات الشخصية الجزائرية –ومنها اللغة العربية في فترة الاحتلال من الذوبان في كيان فرنسا – والاسلام مقوم هام و أساس من مقومات الثقافة العربية هي ثقافة القرآن وثقافة الجزائريين .

" ويقوم عليه الكثير من قوانينا ,وتقاليدنا , وعاداتنا , وقيمنا , ولذلك اصبح الواقي لنا من الكثير من الهزات الثقافية " (محمد لبيب النجيحي 1971) التي تعرضت لها بلاد أخرى في مختلف مراحل التاريخ .

الثقافة المشتركة : والثقافة المشتركة بين الجماعة الواحدة عامل آخر من عوامل بناء شخصيته الوطنية , لا نها هي المقام الاول نتاج الثقافة الوطنية المشتركة . ونعني بها مجموع المنجزات الفكرية والروحية لأمة من الأمم منذ فجر

تاريخها الى يومنا هذا " وعلى هذا فالثقافة العربية هي تراث خمسة عشرا قرنا للأمة العربية في مختلف الميادين الواسعة وكان لهذه الثقافة العربية الإسلامية مساهمة كبيرة في المحافظة على شخصية الأمة ودرعا واقيا لها من الفسخ والمسح .(عبد السلام كفافي 1967م)

وفي هذا المجال يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس :(تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفراد. ولابقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن في الأفراد .فالجنسية القومية هي مجموع تلك المقومات وتلك المميزات .وهذه المقومات والمميزات هي اللغة التي يعبر بها ويتأدب بأدابها ، والعقيدة التي يبنى حياته على أساسها والذكريات التاريخية التي يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها ، والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه في هذه المقومات والمميزات) (الشهاب ج 12 يوم 12 فيفري 1937م).

أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

.

نشأة ابن باديس:

ابن باديس هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، كانت ولادته في مدينة قسنطينة، ويُصادف تاريخ ولادته في الرابع من شهر كانون الأول لعام 1889م، وترعرع في ظل أسرة كريمة، حيث امتلكت أسرته العراقة والثراء والدين، ووالده حافظاً لكتاب الله تعالى، وهو أحد أعيان المدينة، وذاع صيته في أنَّه كان أحد المدافعين علن حقوق المسلمين في الجزائر، وينتمي إلى أسرة ذائعة الصيت والشهرة في الشمال الأفريقيّ، ويُذكر أنَّ ابن باديس حفظ القرآن الكريم وهو ابن الثالثة عشرة، ثم أخذ علوم العربية والإسلاميّة عن العالم الكبير حمدان الونيسيّ، وكان لهذا العالم الوقع الكبير في نفسه، ثمَّ تلقّى العلم من شيوخ جامع الزيتونة بتونس، وكان منهم العلامة محمد الطاهر بن عاشور.[١]

فكر ابن باديس :

عُرف عن ابن باديس أنَّه كان رجلاً إصلاحيّاً يمتلك مشروعاً إصلاحياً متكامل، ولقد استمد فكره الحضاريّ من منهج الدين الإسلاميّ الحنيف، وكان يؤمن بالمبدأ القائل أنَّ تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسيّ يكمن في تحرير العقل من الجهل، ومن الطقوس الاستعماريّة التي أوقفت العقل عن التفكير، ولذلك كان عمله علميًّا ومدروسًا ومخطَّطًا ومُمنهَجًا، فكان جلَّ اهتمامه التعليم؛ وذلك من منظور أنَّه اللبنة الأولى لتغيير العقول، ثم أخذ يجتهد في توفير الجو المناسب لزيادة المعرفة والثقافة للجزائريين، وكان ينشر الفكر الإصلاحيّ في كافة ربوع بلاده، ودمج العمل السياسيّ في ظل إطار نشاطاته عبر الصحف والمنشورات، وخلاصة القول أنّ مشروع ابن باديس مُتكاملاً من جميع جوانبه التي شملت الفرد والمجتمع.[٢]

آثار ابن باديس:

تعددت آثار الشيخ ابن باديس، ومنها ما يأتي:[٣] إنشاء المدارس والكتاتيب. الكتابة في الجرائد والصحف. مقاومة الاحتلال الفرنسيّ عبر جمعية العلماء المسلمين. رائد النهضة الإسلاميّة في الجزائر في العصر الحديث. كان كاتباً حيث قام بتأليف بعض الكتب، ولكن بسبب مجهوده الكبير كان إنتاجه العلميّ والتأليفيّ قليل نوع ما، ومن مؤلفاته: تفسير ابن باديس، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وفاة ابن باديس:

عانى ابن باديس من مرض شديد في أيامه الأخيرة، وكان هذا المرض الشديد سبب وفاته، حيث توفي في الثامن من شهر ربيع الأول لعام 1359هـ الموافق16 أفريل 1940م عن عمر يُناهز 51 عاماً، وبالتالي رحل ابن باديس عن الحياة لكنه لا يزال موجود بأعماله العظيمة، التي كانت تخدم الحق والخير، فرحمه الله رحمة واسعة.[١]

محمد الأمين العمودي

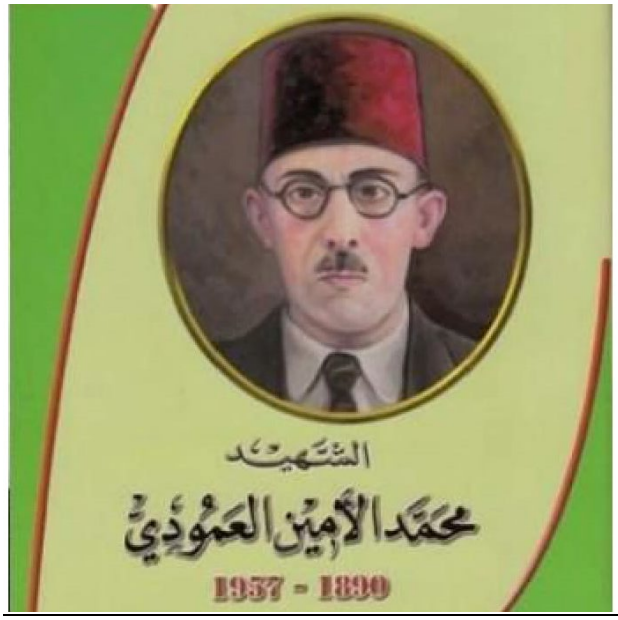

ولد محمد الأمين العمودي (1891 في وادي سوف – بالجنوب الجزائري)، كان مصلحًا وشاعرًا وأول أمين عام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اختطفته المخابرات الفرنسية و بعد تعذيبه اغتالته. استشهد يوم 1957/10/10 في البويرة رحمه الله.

نبذة عن حياته:

نشأ وسط عائلة فقيرة تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه بالمدرسة القرآنية، ثم بالمدرسة الأهلية وبعد نجاحه انتقل إلى بسكرة لمواصلة دراسته الثانوية لكنه سرعان ما طرد من الثانوية كما طرد مرّة أخرى من المدرسة الرسمية بقسنطينة، لكن هذا لم يمنعه من الحصول على مستوى ثقافي جيد باللغتين العربية والفرنسية أهّله ليشتغل وظيفة وكيل شرعي بمدينة بسكرة، أين ربط علاقات متشعبة مع مثقفي المنطقة من أدباء وشعراء.

النشاط الإصلاحي:

كانت بداية نشاطه في مجال الدعوة إلى إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري من خلال الصحافة، حيث كان ينشر مقالاته في جريدة الإقدام التي كان يصدرها الأمير خالد، ثم بجريدة المنتقد التي كان يصدرها عبد الحميد ابن باديس وجريدة الإصلاح التي كان يصدرها الطيب العقبي، كما اظهر نشاطا سياسيا بمساندته للأمير خالد في حملته الانتخابية ثم مع الدكتور سعدان حين ترشح ببسكرة.

مع تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 اتضح دوره الإصلاحي، إذ كان من المؤسسين للجمعية وعين أمينا عاما لها، واستطاع بناء علاقة مع ابن باديس والأمير خالد قبل أن يواجه مطالب جمعية العلماء بعيدا عن

تعنت الإدارة الاستعمارية وتحرشاتها، وحتى يتمكن من تبليغ أهداف الجمعية أصدر جريدة الدفاع "LA DEFENSE" باللغة الفرنسية حتى تصل إلى المتعلمين بلغة الاستعمار.

برز دور العمودي السياسي في الجهود التي بذلها لتنظيم المؤتمر الإسلامي، وكان أحد الموفدين إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر الإسلامي إلى الحكومة الفرنسية كما قام بحملة شرح وتوعية لنتائج المؤتمر بعد عودته من باريس ،أنشأ عام 1937 جمعية شباب المؤتمر الإسلامي. وظل العمودي على نشاطه إلى غاية الحرب العالمية الثانية أين فضل اعتزال السياسة إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية.

أول ظهور للشيخ محمد الأمين العمودي، كان في نادي الترقي بالعاصمة، أين صعد إلى منصب الكاتب العام لجمعية العلماء المسلمين، وهو المنصب الأهم في الجمعية، بعد منصب الرئيس، كما أن الرجل أخذ مساحة واسعة من مشهدية الجمعية، في المخيال الجماعي عبر الحقب التاريخية القادمة.

الشيخ محمد الأمين العمودي القادم من بادية الصحراء، وبالذات من ضواحي مدينة وادي سوف، المدينة العامرة، التي تمكنت عبر التاريخ من صناعة مشهدية ثقافية وسياسية، جعلت مصدرا للكثير من الشخصيات، التي كان لها الفضل في إثراء المسيرة التاريخية للبلاد، وفي الكثير من المجالات، يكون العمودي قد استند عليها في مسيرته، خاصة وأن المدينة ارتبطت تاريخيا بالنجاح والسير في فلكه.

ما يعرف عن للشيخ محمد الأمين العمودي، أنه طرد من المدرسة الاستعمارية مرتين، الأولى كانت في مدينة بسكرة، والمرة الثانية كان في مدينة قسنطينة، وبالرغم من المساعي الاستعمارية لمنع أمثال العمودي من الحصول على حقوقهم الطبيعية في المعرفة والعلوم، والاستخدام البشع لكل الوسائل، لحشرهم في دهاليز الجهل والأمية، إلا أن العمودي تمكن من الظفر بمستوى ثقافي جيد، واستطاع الحصول على تلك القدرة التي تجعله يتحكم في اللغة الفرنسية، زيادة على اللغة العربية التي تحصل عليها في مرابع الصحراء.

بدافع ظروف غير معروفة، اتجه الشيخ محمد الأمين العمودي، إلى القضاء أين استطاع الحصول على منصب وكيل شرعي بمدينة بسكرة، وتمكن من ربط علاقات متشعبة بحكم طبيعة المنصب وتأثيراته الاجتماعية والسياسية، فكانت له صلات قوية مع مثقفي المنطقة من أدباء وشعراء، فزادت قريحته الأدبية وبرزت ملامحه الإبداعية، وتحول بسرعة إلى موقع الأديب المتفوق.

ممارسته لمنصب الوكيل الشرعي، دفعته إلى الانخراط في المشهد العام، من خلال ممارسة الإعلام، أين ظهر اسمه في جريدة "الإقدام"، التي كان يصدرها الأمير خالد، وجريدة "الإصلاح"، التي كان يصدرها الطيب العقبي، ليتجه إلى الممارسة السياسية، من خلال مساندته للأمير خالد في حملته الانتخابية، ومساعدته للدكتور سعدان حين ترشح ببسكرة.

وبالرغم من بروز اسم محمد الأمين العمودي، في حواضر الصحراء، وبعض المساحات في مدينة قسنطينة، إلا أنه حصل على منصب الكاتب العام لجمعية العلماء، وصعد إلى مجلسها التنفيذي الأول، كأهم شخصية مؤثرة في

المشهد، ولعل رصيده الإعلامي من خلال جرائد "المنتقد" و"الإقدام"، أكسبته تلك الأسهم، التي جعلته يصل إلى منصب الكاتب العام للجمعية.

إن الميولات الإعلامية للشيخ العمودي، جعلته لا يقنع بمنصب الكاتب العام للجمعية، فقرر إصدار جريدة "الدفاع؛، التي جعلها باللغة الفرنسية للوصول إلى النخب الفرانكفونية، والمراهنة عليها في الانخراط في المشهدية العامة للمجتمع، فقد استطاع العمودي أن يصنع اسما إعلاميا قويا، خاصة لما كان يتمتع به من قدرات لغوية، وبالذات الفرنسية منها، مما جعل حضوره في جمعية العلماء غير مؤثر.

بحلول منتصف الثلاثينات من القرن الماضي، كان العمودي قد حاز المساحات الكافية للتحرك بأريحية، سواء في المجالات الأدبية أو الإبداعية، التي ساندها بالدعم الإعلامي والثقافي، فقد جاءت فرصة المؤتمر الإسلامي لتكون المنصة الأكثر أهمية، فتولى العمودي المهمة الإعلامية للمؤتمر الإسلامي، والمحرك الأساسي في أشغاله والتعريف بمشروع المؤتمر الإسلامي في الجزائر وفرنسا، خاصة من خلال الإعلام والصحافة باللغة الفرنسية، وبالرغم من فشل المؤتمر الإسلامي، إلا أن العمودي تمسك به وجعله فرصته الذهبية للاستمرار به في الحضور المؤثر، فسارع إلى إنشاء جمعية شباب المؤتمر الإسلامي، وهي الجمعية التي كانت مجرد وسيلة، فقد استخدمها العمودي وسيلته من أجل المساهمة في تفعيل المشهد العام ,خدم القضية الإصلاحية بالدفاع الحازم عن مبدا الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

إن فشل المؤتمر الإسلامي، وعدم استمرار تداعياته، واقتراب الثورة التحريرية، حجب الكثير من الأضواء عن الشيخ العمودي، الذي استغل تلك الظروف ليرفع من مستويات إبداعه الأدبي والثقافي، لغيب عن الحياة بعد إقدام الاستعمار الفرنسي على اختطافه وإعدامه، فكتب الله له الشهادة، ووجدت جثته بضواحي مدينة البويرة، لتكون مسيرة ستة وستين عاما قطعها العمودي بين ولاية الوادي بالصحراء إلى مدينة البويرة بشمال البلاد، محملة بالكثير من الإبداع والتضحيات والمواقف، التي تشكل محطاته الكثير من مفاتيح الأسئلة الكبرى، لجزء مهم من تاريخ هذا الوطن.

و كان عدوا لذوذا للفرنسة أدان بقوة جميع الإساءات الرامية إلى مسح الشخصية العربية الإسلامية و للشعب الجزائري العربي المسلم.

<u>وفاته:</u>

رغم أنه لم يظهر أي نشاط ثوري مباشر إلا أن السلطات الاستعمارية لم تغفله بل اختطفته يوم 10 أكتوبر 1957، وبعد عدة أيام وجدت جثته بنواحي العجيبة شرق مدينة البويرة.

1/3/2015

محمد البشير الإبراهيمي :الشخصية الثانية

كان أبرز علماء الجرائر دعوة وجهادا ، كان واسع المعرفة بالفقه والتشريع وعلوم اللغة و الأدب ، ترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد وفاة مؤسسها العلامة عبد الحميد بن باديس، سخّر علمه وقلمه لخدمة وطنه وللدفاع عن اللغة العربية، وقد كانت مواقفه الجريئة سببا في وضعه تحت الإقامة الجبرية حتى وفاته.

<u>المولد والنشأة</u>

ولد البشير الإبراهيمي يوم الخميس 14 شوال 1306هـ الموافق 13 يونيو/حزيران 1889م، في قرية رأس الوادي بالشرق الجزائري ونشأ في عائلة عريقة في العلم .

الدارسة والتكوين

بدأ في حفظ القرآن الكريم في الثالثة من عمره على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، الذي كان له الفضل الأكبر في نشأته وتربيته. في التاسعة من عمره أتم حفظ القرآن، وحفظ ألفية ابن مالك وابن معط الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السير والأثر، وبعد وفاة عمه تولى تدريس طلبته وهو في الرابعة عشرة من عمره، وظل على ذلك حتى بلغ العشرين.

في أواخر 1911 هاجر إلى المدينة المنورة على إثر والده متخفيا، خوفا من بطش الاحتلال الفرنسي، ومر في طريقه بالقاهرة وحضر فيها عدة مجالس علم في الأزهر.

بعد وصوله المدينة المنورة لازم كلا من الشيخ العزيز الوزير التونسي، والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي، وعلى أيديهما استزاد من علم الحديث رواية ودراية، ومن علم التفسير على يد الشيخ إبراهيم الأسكوبي، وهناك التقى بالعلامة عبد الحميد بن باديس رائد النهضة الإصلاحية بالجزائر.

التوجه الفكري

تبنى البشير الإبراهيمي التوجه الإسلامي الوطني، ودافع عن ذلك في مقالاته وكتبه وخطبه أيام الاستعمار وبعد الاستقلال، وقد ضاقت حكومة ما بعد الاستقلال بانتقاداته لتخليها عن المبادئ الإسلامية، وقررت عزله عن الناس ووضعه في الإقامة الجبرية.

المسار

خرج البشير الإبراهيمي رفقة والده باتجاه دمشق امتثالا لقرار في شتاء 1917 صدر عن الحكومة العثمانية بترحيل سكان المدينة إلى دمشق ولم يمضى على إقامته شهر حتى انهالت عليه العروض للتدريس في المدارس الأهلية .

بعد خروج الأتراك من دمشق وقيام حكومة الاستقلال العربي، دعته الحكومة للتدريس بالمدرسة السلطانية وهي المدرسة الثانوية الوحيدة آنذاك، مشاركا للأستاذ اللغوي عبد القادر المبارك.

اعلان :

عرض عليه الأمير فيصل بن الحسين تولي إدارة المعارف بالمدينة المنورة، لكنه رفض ذلك وقرر العودة إلى الجزائر عام 1920. أقام بمدينة سطيف وأنشأ فيها مسجدا ومدرسة، ورفض وظيفة عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية واكتفى بممارسة التجارة رفقة أبنائه.

وفي05 ماي 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأصبح البشير الإبراهيمي نائبا لرئيسها العلامة عبد الحميد بن باديس، وفي عام 1933 اختار ولاية في الغرب الجزائري لممارسة نشاطه التربوي وانشأ فيها مدرسة دار الحديث بمدينة تلمسان عام 1937 .

نفته السلطات الفرنسية عام 1940 إلى منطقة أفلو بالجنوب الغربي للجزائر، وبعد أسبوع من نفيه مات الشيخ بن باديس، وتم انتخابه رئيسا لجمعية العلماء المسلمين وتولى رئاستها عن بعد لمدة ثلاث سنوات، إلى حين إطلاق سراحه عام 1943.

في عام 1945 زُجّ بالإبراهيمي في السجن العسكري الفرنسي ولاقى ألوانا من التعذيب، وبعد إطلاق سراحه في 1946 أنشأ جريدة البصائر وتولى رئاسة تحريرها، كما أسس معهدا ثانويا أطلق عليه اسم الشيخ عبد الحميد بن باديس.

أسهم الإبراهيمي بجهده وعلمه في التعريف بالقضية الجزائرية، وكان نشاطه في رئاسة جمعية العلماء بارزا من خلال تأسيس مراكز ومدارس خرجت قادة الثورة المسلحة، وقد أنشأ 73 مدرسة وكتابا في عام واحد.

سافر إلى المشرق العربي عام 1952 سعيا لدى الحكومات العربية و الإسلامية لقبول بعثات طلابية جزائرية وللتعريف بالقضية الجزائرية، وزار كلا من والكويت ومصر و الكويت و باكستان و الأردن و سوريا و العراق والسعودية

مع اندلاع ثورة التحرير الجزائرية في01 نوفمبر 1954، وجه نداء للشعب الجزائري لدعم الثورة المسلحة تحت عنوان هلموا لثورة . وبعد الاستقلال في 1962 اضطر للتقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته وسياسة الحكومة التي حاصرت الشخصيات الإسلامية، وكان من أبرز نشاطاته إلقاء أول خطبة في جامع كتشاوة وسط العاصمة بعد الاستقلال .

في 16 أبريل 1964 أصدر بيانا انتقد فيه تخلي الحكومة عن المبادئ الإسلامية في عهد الرئيس أحمد بن بلة، فصدر قرار بوضعه في الإقامة الجبرية وبقي كذلك إلى أن وافته المنية.

المؤلفات

ترك البشير الإبراهيمي العشرات من المؤلفات منها "شعب الإيمان"، و"حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام" و"الاطراد والشذوذ في العربية"، و"أسرار الضمائر العربية" و"كاهنة الأوراس"، و"الأخلاق والفضائل"، وغيرها. جمعت مقالاته بمجلة البصائر في كتاب "عيون البصائر". وله "ملحمة شعرية" في تاريخ الإسلام، تضم نحو 36 ألف بيت.

وفاته:

توفي البشير الإبراهيمي في منزله، وهو رهن الإقامة الجبرية يوم الخميس 20 مايو/آذار 1965

الشخصية الثالثة

الشيخ العربي التبسي :

نشأته وتعلمه

ولد العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي بقرية السطح *النموشية * من قبيلة النمامشة الامازيغية الكبيرة جنوب غرب التبسة تبعد بنحو 117 كيلومتر وذلك في سنة 1308هجري (1891 م) في عائلة فلاحية فقيرة ، وكان والده إلى جانب عمله في الزراعة يتولى تحفيظ القران لأبناء القرية في الكتاب .

ابتدأ العربي التبسي حفظ القران على يد والده في مسقط راسه في كتاب عشيرته في خيمة جده و عمه القرانية وقد توفي والده حوالي 1320هجري (1903 م) ، وفي سنة 1324 هجري (1907م) تولى عمه أمره فأخذه على الشيخ الطيب بن حفناوي الزواوي في زاوية أولاد رشراش بالزوي (خنشلة)) رحل إلى زاوية خنقة سيدي ناجي الرحمانية (بسكرة) فأتم بها حفظالقران خلال ثلاث سنوات ليحفظ على يده القران الكريم ،وفيها أتقن رسم القران الكريم وتجويده وأخد مبادئ النحو والصرف والفقه والتوحيد(1914م) التحق بجامع الزيتونة حيث نال شهادة الاهلية ولم يتقدم وفي انتقل بعدها شهادة التطويع ورحل إلى جامع الأزهر القاهرة 1339 هجري (1920م) ومكث فيها يطلب العلم فيحلقات ومكتباتها الغنية إلى سنة 1927 م ، ثم رجع في السنة نفسها إلى تونس وحصل على شهادة التطويع العالمية . و هكذا أخذ من الزيتونة الأهلية 1915–شهادة التحصيل 1917–شهادة التطويع 1927 ، ثم انتقلى إلى زاوية مصطفى بن عزوز النفطي الجريدي الرحماني سنة 1910 بالجريد (تونس) .(المصدر الملتقى الوطني الثالث للفكر الاصلاحي في الجزائر أفريل 2006)

نشاطه الدعوي

نشاطه قبل تأسيس الجمعية]

الجزائر عام 1347هـ الموافق لـ 1927م ليبدأ نشاطه الدعوي في عاد الشيخ العربي تبسي إلى الجزائر مدينة تبسة التي أصبح ينسب إليها ، وذلك في مسجد صغير يدعى مسجد ابن سعيد فبدأ الناس يلتفون حوله ويزدادون يوما بعد يوم حتى ضاق بهم هذا المسجد ، فانتقل بعدها إلى الجامع الكبير الذي تشرف عليه الإدارة الحكومية ، لكن سرعان ما جاءه التوقيف عن النشاط من الإدارة بإيعاز من الطرقيين ، فعاد إلى المسجد العتيق ابن سعيد ليواصل نشاطه بالرغم من ضيقه بالناس الذين استجابوا لدعوة الإصلاح واقتنعوا بها. وكانت دروس الشيخ للعامة تلقى بعد صلاة العشاء فترى الناس يسرعون من معاملهم ومنازلهم لأداء الصلاة وسماع الدرس فيمتلئ بهم المسجد ، وكانت طريقة الشيخ أن يختار نصا قرآنيا أو حديثا نبويا يناسب موضوعه، فيفسره تفسيرا بارعا يخلب ألباب السامعين ، فيريهم حكمة الشرع ومعانيه السامية، ثم يتدرج إلى بيان الأمراض الاجتماعية فيشرحها ويبين أسبابها وعواقبها في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك نقضه لبدع الطرقيين الضالين وتنبيهه على إفسادها للعقيدة الإسلامية وسلبها لعقول الناس ، فيظهر بطلانها ويكشف حقيقة أدعياء التصوف الدجالين

ولما لاحظ الفرنسيون نشاط الشيخ والتفاف الناس حوله ، أخذوا في مضايقته ومضايقة أنصاره حتى في ذلك المسجد الصغير الخارج عن إدارتها ، ولما تفاقم الأمر نصحه الشيخ عبد الحميد ابن باديس بالإنتقال إلى مدينة سيق في الغرب الجزائري التي أبدى سكانها استعدادا لقبول إمام من أئمة الإصلاح ، فانتقل إليها بداية سنة 1930م، ففرح أهلها بقدومه وأقبلوا على دروسه واستفادوا من علمه وخلقه وتوجيهاته فمكث فيهم إلى آخر سنة 1931م ، وفي هذه المدة تمكن من بث الدعوة الإصلاحية السلفية ليس في مدينة سيق . فحسب، ولكن في أنحاء كثيرة من الغرب الجزائري

دعوته إلى إنشاء الجمعية

لقد كان تأسيس جمعية العلماء والدعاة العاملين على ساحة الدعوة تجمع الجهود لتصب في اتجاه واحد، وتوقظ الأمة وتنشر فيها الوعي والعلم وتجدد لها أمر دينها أمنية من أماني ، الشيخ العربي التبسي وقد كان ممن هيأ الأجواء لتأسيسها بمجموعة من المقالات نشرت له في الشهاب ومن أصرحها في ذلك المقال الذي نشره سنة 1926م بعنوان "أزفت ساعة الجماعة وتحرم عصر الفر د" والذي قال فيه: "فإن هذا العصر عطل الفرد ونبذ حكمه ، وأمات مفعوله، وتجاهل وجوده، فأينما أملت سمعك أو أرسلت نظرك في الشرق أو الغرب، لم تجد إلا أمة فحزبا فهيأ منها وإليها كل شيء، فهي التي تذب عن الهيأة الاجتماعية، وتحرس الأمة في نوائب الدهر وعادية الأيام ، وتغار على كرامتها وحسن الحديث عنها ، وتأخذ بيدها قبل أن تغرق عند هبوب السماسم ولفح الأعاصير ، ويكون لسانها الناطق بطلباتها ، وحسها المتألم لألمها.

وقد تألم الشيخ أكثر لعدم شعور الأمة بحالها المزري ولطول نومها وسباتها ، تألم ألما لم يقدر على كبته فنشر مقالات عناوينها صيحات، أراها لا تزال صالحة أن يخاطب بها أهل زماننا فقال: "هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها". ثم نشر وقال: "ألا أيها النوام هبوا".ثم نشر وقال: "الجزائر تصيح بك أيها الجزائري أينما كنت". واسمع إلى هذه الكلمات المعبرة التي أبيت إلا نقلها : "بكائي على الإسلام ومبادئه ونحبي على وحدة الدين الذي أضاعه بنوه ،

الذي أمر بالجماعة وحث عليها ، بل وجعل المنشق عنها في فرقة من الدين وعزلة عن الإسلام وعداء لأهله . والذي فلق الحب وبرأ النسمة لو أن امرء مسلما مات أسفا وحزنا على حالة هذه الأمة لكان له عند الله العذر . أيطيب لنا عيش مع هذه الحالة؟". وتحقق ذلك الأمل في 5 ماي 1931م بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أهم نشاطاته بعد إنشاء الجمعية

– ألح عليه سكان مدينة تبسة في سنة 1932 بأن يرجع إليهم فاشترط عليهم تأسيس مدرسة ومسجد فوافقوا على شرطه ، فرجع وأسس "مدرسة تهذيب البنين والبنات" التي جهزت تجهيزا عصريا، وبلغ عدد تلامذتها عام افتتاحها 1934م خمسمائة تلميذ ، وبجانب المدرسة بنى مسجدا جديدا لا يخضع لمراقبة الإدارة.

– وفي سنة 1935م تم تعيينه كاتبا عاما لجمعية العلماء المسلمين خلفا للشيخ الأمين العمودي كما كان رئيس لجنة الفتوى فيها

– انتخب الشيخ العربي التبسي سنة 1940 نائبا لرئيس الجمعية الجديد للشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي كان منفيا في "آفلو" ، وابتدأ التدريس في الجامع الأخضر في السنة نفسها بقسنطينة وفي سنة 1942 قررت جمعية التربية والتعليم نقل نشاطها الذي كان بالجامع الأخضر إلى تبسة نقلا مؤقتا ليشرف عليه عن قرب الإمام التبسي .

–بعد افتتاح معهد عبد الحميد ابن باديس عام 1947 م انتقل إلى قسنطينة بعد ان أسندت إليه مهمة إدارته وقد بقي على رأسه إلى يوم غلقه سنة 1956م .

–قال الشيخ الإبراهيمي لسكان قسنطينة إن إنتقال التبسي ليس أمرا سهلا بالنسبة لسكان قسنطينة الكرام الذين كانوا يعدون انتقال التبسي لا يرضي سكان ، إنه رجل امة كاملة لا لبلدة واحدة ورجل أعمال من يتسبب فيها وإقناعهم بأن الأعمال العظيمة لا الأعمال الصغيرة فاقتنعوا وأمن لهم مشاريعهم العلمية والدينية لإيجاد من يخلف الاستاذ فيها فرضوا مخلصين .

– وفي نوفمبر 1950م ذهب إلى فرنسا للمطالبة تحرير التعليم العربي الحر في الجزائر مع الشيخ الإبراهيمي ، فلما رأى حال العمال الجزائريين هناك وحاجتهم إلى التعليم، لفت الأنظار إلى القضية ودفع بالجمعية إلى تنظيم الدعوة في فرنسا..

– وفي سنة 1952م رحل الشيخ الإبراهيمي إلى المشرق العربي فتولى رئاسة الجمعية نيابة عنه إلى أن توقف نشاطها. و بعد غلق معهد ابن باديس انتقل إلى العاصمة لإدارة شؤون الجمعية فيها وما بقي من مدارسها ومساجدها، واستأنف دروس التفسير للعامة في مسجد "حي بلكور" الذي كان يكتظ بالمستمعين على الرغم من ظروف الحرب، وبقي في العاصمة إلى أن اختطف..

من مواقف الشيخ البطولية :

موقفه من تدخل الحكومة في الشؤون الإسلامية :

ومن مواقفه الجريئة ما نشر من مقالات يطالب فيها بمنع تدخل الحكومة الفرنسية في شؤون المساجد ، وذلك لتبقي المساجد لله لإقامة شعائر الدين وللتعليم العربي والإسلامي ، ولكي لا تصير المساجد وأوقافها خادمة للحكومة وسياستها، ومما قاله في هذا المعنى : "والباقية أي المساجد على ملك الحكومة التي تعمرها بموظفين منفذين لسياستها وما ترمي إليه ، المختارين منها بسلوكهم وتفانيهم وطاعتها لا في طاعة الله ، فإن الإسلام الحقيقي لا تقام شعائره الدينية فيها، ولا تقرأ علومه الإسلامية النافعة ، ولا يرخص لعامة المسلمين وخاصتهم أن يكونوا أحرارا في تلك المساجد ، التي بصفتها بيوتا لله أذن لعباده أن يكونوا فيها متساوين ، وما قبل فيها ما تشاؤه الحكومة لا يشاؤه الله ، فإنه اتبع غير سبيل المؤمنين وتسقط عدالته ، وهو ممن قال الله فيهم:" منكم من يريد الدنيا.."

– موقفه من فكرة الإسلام الجزائري :

ومن الأفكار التي روجها الاستعمار ولا زالت رائجة إلى اليوم فكرة الإسلام الجزائري ، التي أرادت من خلالها تشويه دعوات الإصلاح باعتبارها دعوات وافدة وليست أصيلة ، وقد أنكر الشيخ هذه الفكرة إنكارا شديدا ونسبها إلى مصدرها وكشف عن الشر المختفي وراءها، وكان مما كتبه في نقدها قوله : "الإسلام الجزائري في حقيقته ترتيب سياسي و معابده نوع من الادارة في الجزائر ، ومعابده نوع من الإدارة الفرنسية ، وموظفوه فوج من أفواج الجندية الاستعمارية ،و تراتيب أنظمة الاستعمار في الجزائر وأمواله قسم من أموال الدولة. ذلك هو الدين الجزائري الذي تبغيه فرنسا ولا تبغي الإسلام الحقيقي دين الله ولا تأذن له بالاستقرار في الجزائر."

– دفاعه عن السلفية و السلفيين :

كتب بعض الطرقيين مقال ينتقص السلفيين ودعوتهم وألزمهم أن يكون مثل الصحابة وإلا كانت دعواهم غير صحيحة ودعوتهم باطلة ، فتصدى للرد عليه الشيخ وكان مما قاله : "وهذه الطائفة التي تعد نفسها سعيدة بالنسبة إلى السلف وأرجوا أن تكون ممن عناهم حديث مسلم (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) الحديث . فقد وُفقوا لتقليد السلف في إنكار الزيادة في الدين ، وإنكار ما أحدثه المحدثون وما اخترعه المبطلون ، ويرون أنه لا أسوة إلا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، أو من أمرنا بالإتساء به ، فلما شاركوا السلف وتابعوهم في هذه المزية الإسلامية نسبوا أنفسهم إليهم ، ولم يدع أحد منهم أنه يدانيهم فيما خصهم الله به من الهداية التي لا مطمع فيها لسواهم". وقال أيضا : "أما السلفيون الذين نجاهم الله مما كدتم لهم فهم قوم ما أتوا بجديد، وأحدثوا تحريفا ، ولا زعموا لأنفسهم شيئا مما زعمه شيخكم ، وإنما هم قوم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر في حدود الكتاب والسنة ، ونقمتم منهم إلا أن آمنوا بالله وكفروا بكم."

– تضحيته في مجال الدعوة إلى الله :

أما تضحية هذا الإمام فلا تحتاج إلى وصف ، فأعماله التي نقلت إلينا عناوينها دالة على ذلك وشاهدة ، قال الشيخ يوما مخاطبا إدارة الجمعية : "فلتكن الأخوة رائدتنا وليكن الإخلاص رابطنا ، ولتكن النزاهة شعارنا ، وليكن نكران الذات

القاسم المشترك الأعظم بيننا. إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء في وقت واحد ، إنه لا يمكن لإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية ، فلننسى من ماضي الآباء والأجداد كل ما يدعو إلى الفتور وإلى الموت ، ولنأخذ من ماضيهم كل ما هو مدعاة قوة واتحاد (أثار العربي تبسي 1984)."
وكان الشيخ قد اعتقل عدة مرات وسجن إثر حوادث 8 ماي 1945م، وبقي مدة تحت الإقامة الجبرية في المشرية وغيرها حتى أفرج عنه في ربيع 1946م، ولم يثن ذلك عزيمته ولا أنقص من عمله، وقد كان مثالا يقتدي به إخوانه ويتصبرون به، وكان مما قاله في يوم افتتاح معهد ابن باديس في كلمة ألقاها على مسامع المشايخ والمعلمين : "أيها الإخوان إن التعليم بوطنكم هذا في أمتكم هذه ميدان تضحية وجهاد ولا مسرح راحة ونعيم ، فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى ولنسكن في المعهد كأبنائنا الطلبة، ولنعش عيشهم ، عيش الاغتراب عن الأهل ، فانسوا الأهل والعشيرة ولا تزورهم إلا لماما ، أنا أضيقكم ذرعا بالعيال وعدم وجود الكافي ، ومع ذلك فها أنا فاعل فافعلوا وها أنا ذا بادئ فاتبعوا". وقد حكلم يكن الشيخ العربي التبسي يرضى أن يأخذ مقابلا على أعماله ، وقد حكى الشيخ الابراهيمي و قال عن التبسي : "أما هو فلم يزل مصرا على التبرع بأعماله خالصة لله وللعلم".

– موقفه من الجهاد ضد فرنسا :

سمعت من الشيخ احمد الرفاعي وغيره يقول : " أن الكثيرين من أصدقاء الإمام حاولوا إقناعه بالخروج من الجزائر بعد أن أصبح هدفا ضخما وواضحا لغلاة المعمرين" ، فكان جوابه دائما: إذا كنا سنخرج كلنا خوفا من الموت فمن يبقى مع الشعب ؟". بل نقل آخرون عنه أنه قال: "لو كنت في صحتي وشبابي ما زدت يوما واحدا في المدينة ، ولأسرعت إلى الجبل فأحمل السلاح وأقاتل مع. و المجاهدين " و ظل في دروسه يحث على الجهاد بأسلوب حكيم و قد نقل الشيخ عبد اللطيف سلطاني أنه تلقى في أول أفريل 1957رسالة كتب فيها إلى الشيخ العربي تبسي "تطلب منك أن تخرج من الجزائر حينا قبل أن يفوت الوقت". فحاول إقناعه بأن يعمل بها فأبى و اختار البقاء كما ذكرنا لتخطفه الايادي الغادرة الاثمة.

ثناء أهل العلم والفضل عليه

- " :قال الشيخ ابن باديس عن الأستاذ **العربي بن بلقاسم التبسي** : هذا رجل عالم نفاع قصر أوقاته ببلدة تبسة على نشر العلم الصحيح وهدي العباد إلى الدين القويم ، فقد عرف قراء الشهاب مكانته بما نشرنا له ، وخصوصا مقالاته الأخيرة "بدعة الطرائق في الإسلام" ولأول مرة زار هذا الأستاذ قسنطينة فرأينا من فصاحته اللسانية ومحاجته القوية مثل ما عرفناه من قلمه ، إلى أدب ولطف وحسن مجلس طابت له المنازل ورافقته السلامة حالا أومرتحلا."
- قال الشيخ الإبراهيمي" :مدير بارع ومرب كامل ، خرجته الكليتان في الزيتونة والأزهر في العلم، خرجه القرآن والسيرة النبوية في الدين الصحيح والأخلاق المتينة ، وأعانه ذكاؤه وألمعيته على فهم النفوس ، وأعانته عفته ونزاهته على التزام الصدق والتصلب في الحق وإن اغضب جميع الناس ، وألزمته وطنيته الصادقة بالذوبان في الأمة والانقطاع لخدمتها بأنفع الأعمال ، وأعانه بيانه ويقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ومقارعة الحجة بالحجة ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره."

- قال الشيخ أحمد حماني" :وقد كان عالما محققا ومدرسا ناجحا ومربيا مقتدرا وكاتبا كبيرا يمتاز بأسلوبه العلمي بالعمق والمتانة ودقة المعلومات ، لكنه لم يترك آثارا كثيرة لاشتغاله –طول حياته– بالتدريس ، وما تركه من آثار يبرهن على مكانته العالية في الكتابة ، وكما كان كاتبا كان خطيبا مصقعا ، ومحدثا لبقا ومحاورا ماهرا، يمتاز بحضور البديهة والمقدرة على الإقناع القلبي والفكري وحسن البديهة ، وله فيها أمثلة رائعة."

وفاتـــــــه]

– حادث الإختطاف :

قد علم المستعمرون أن **الشيخ العربي التبسي** يتمتع بشعبية كبيرة وأنه مؤيد للجهاد وأحد محركي القواعد الخلفية له، فأرسلوا إليه عن طريق إدارتهم في الجزائر عدة مبعوثين للتفاوض معه بشأن الجهاد ومصيره ولدراسة إمكانية وقف إطلاق النار، فاستعملوا معه أساليب مختلفة من ضمنها أسلوب الترغيب والترهيب، وكان جواب الشيخ دائما إن كنتم تريدون التفاوض فالمفاوض الوحيد هو جبهة التحرير، ذلك أنه شعر بأن مقصودهم هو تفكيك الصفوف، وربح الوقت والحد من حدة المواجهة العسكرية ليس إلا، وبعد رفضه المستمر للتفاوض باسم الأمة، رأى المستعمرون أنه من الضروري التخلص منه، ولم يستحسنوا اعتقاله أو قتله علنا لأن ذلك سوف يزيد من حماس الأمة للجهاد ومن حقدها على المستعمر، فوجهوا إليه تهديدات عن طريق رسائل من مجاهيل تأمره بأن يخرج من البلاد، وبعد أن أصر الشيخ على البقاء ، ويئس الكفار منه قاموا باختطافه بطريقة جبانة، ننقل وصفها من بلاغ نشرته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في **البصائر** بمناسبة حادث الاختطاف : "وفي مساء يوم الخميس 4 رمضان 1376هـ – 4 أفريل 1957م، وعلى الساعة الحادية عشر ليلا اقتحم جماعة من الجند الفرنسي التابعين لفرق المظلات –المتحكمين اليوم في الجزائر – سكن فضيلة الأستاذ الجليل **العربي التبسي** ، الرئيس الثاني لجمعية العلماء ، والمباشر لتسيير شؤونها ، وأكبر الشخصيات الدينية الإسلامية بالجزائر ، بعد أن حطموا نوافذ الأقسام المدرسية الموجودة تحت الشقة التي يسكن بها بحي بلكور طريق التوت ... وكانوا يرتدون اللباس العسكري الرسمي للجيش الفرنسي ... وقد وجدوا فضيلة الشيخ في فراش المرض الملازم له ، وقد اشتد عليه منذ أوائل شهر مارس ..1957. فلم يراعوا حرمته الدينية ، ولا سنه العالية، ولا مرضه الشديد ، وأزعجوه من فراش المرض بكل وحشية وفظاظة ، ثم أخذوا في التفتيش الدقيق للسكن ...ثم أخرجوه حاسر الرأس حافي القدمين ...ولكن المفاجأة كانت تامة عندما سئل عنه في اليوم الموالي بعده في الإدارات الحكومية المدنية والعسكرية والشرطية والعدلية ، فتبرأت كل إدارة من وجوده عندها أو مسؤوليتها عن اعتقاله أو من العلم بمكانه". وكان أن نشر الأستاذ علي مرحوم في مجلة الأصالة لسنتها الثامنة ، بلاغين أصدرتهما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إثر الحادث.[2]

– كيفية إعدام الشيخ العربي التبسي:

اختلف المؤرخون في الجهة الاستعمارية المختطفة له وكيفية إعدام الشيخ وحكى الباحث أحمد عيساوي حكاية أسندها عن المجاهد أحمد الزمولي عن إبراهيم جوادي البوسعادي الذي كان ضمن تشكيلة القبعات الحمر وحضر معهم يوم اختطاف الشيخ من بيته، كما حضر مراحل إعدامه وكان منظر الإعدام سببا في التحاقه بالمجاهدين كما ذكر، وجاء في هذه الرواية ما يلي : "وقد تكفل بتعذيبه الجنود السنغاليون والشيخ بين أيديهم صامت صابر محتسب لا يتكلم إلى

أن نفذ صبر "لاقايارد" –قائد فرقة القبعات الحمر–، وبعد عدة أيام من التعذيب جاء يوم الشهادة حيث أعدت للشيخ برميل كبيرة مليئة بزيت السيارات والشاحنات العسكرية والاسفلت الأسود وأوقدت النيران من تحتها إلى درجة الغليان والجنود السنغاليون يقومون بتعذيبه دونما رحمة وهو صابر محتسب ، ثم طلب منهم لاقايارد حمل **الشيخ العربي**...فحمله أربعة من الجنود السنغاليين وأوثقوا يديه ورجليه ثم رفعوه فوق وعاء من الزيت المغلي المتأججة وطلبوا منه الاعتراف وقبول التفاوض وتهدئة الثوار والشعب ، والشيخ يردد بصمت وهدوء كلمة الشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم وضع قدميه في وعاء الزيت فأغمي عليه...ثم أنزل شيئا فشيئا إلى أن دخل بكامله فاحترق وتبخر وتلاشى..رحمه الله.

الفصل الخامس

الدور التربوي

لجمعية العلماء

المسلمين الجزائريين

الدور التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تمهيد :

تعتبر الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين , من اهم المنظمات الوطنية التي كانت تدافع بصلابة عن مقومات الشخصية الجزائرية ,و قاومت نشاط هيئات التنصير المسيحي , التي كانت تعمل على تنصير الجزائريين بمثابرة , عن طريق جرائدها , ومدارسها و نواديها , و مساجدها , التي انشأتها عبر البلاد , التي تقوم بتوجيه الشعب الجزائري توجيها عربيا اسلاميا , يتفق مع مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية . و بذلك ساهمت مساهمة كبيرة في القضاء نهائيا على السياسة التجنيس و الادماج ,و الفرنسة و التنصير التي كانت ادارة الاحتلال و رجال التنصير المسيحيون يعملون على فرضها على الجزائريين منذ احتلالهم للبلاد عام 1830م و جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتبر حركة اصلاحية من جهة و لكنها من جهة اخرى ,تعتبر حركة قومية جزائرية , تطالب الجزائر بالمحافظة على صيغتها الاسلامية العربية , كانت تناضل في السر و العلانية في سبيل تربية الشعب و تنظيمه كي ينهض لمقاومة الاحتلال , من اجل تحرير الجزائر و ضمها الى العالم العربي (تركي رابح 1975

– يقول الشيخ محمد البشير الابراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (من عام 1940 الى عام 1956) يعرض حديثه عن نضالها المتعدد الجوانب ." جمعية العلماء , هي التي حققت للجزائري نسبه العربي الصريح, بريئا من شوائب الاقران و الهجنة , و احيت في نفسه شعور الاعتزاز بنفسه , و في لسانه شعور الكرامة للغته , وفي ضميره شعور الارتباط بين ثلاثة مقومات : الجنس, اللغة و الوطن " (البصائر عدد 2 سنة 1947)

و لذلك رأى احد الكتاب انه لابد من تحديد " الاهداف من التربية و التعليم " فالشعب الجزائري لا يتوقف عن العطاء الحضاري الا منذ الابتلاء بالاستعمار فلم يظهر اي عبقري فيها خلال هذا العهد , ويجب في نظره ان تستوحي الاهداف التربوية من "تعاليم الاسلام و ان تستند الى تقاليد الوطن التاريخية و تلائم المناهج السياسية لشعب عربي مسلم و ان تساعد على تحقيق امانيه القومية من وحدة عربية شاملة خالصة لا تشوبها شائبة الامتزاج و الاختلاط بالمبادئ الاستعمارية "(سعد الله 2007)ج10ذلك هو ما يتصل بالدين في المنظومة التربوية و لا يكاد يختلف تعليم التاريخ عن تعليم الدين . فما الهدف من تعليم التاريخ للنشء الصاعد؟

انه اعداد المواطن الصالح و تكوين الشخصية الاجتماعية و مساعدة التلميذ على اكتساب الثقة بنفسه و تكوين الذوق و الحس التاريخي المشترك , ذلك ان لتاريخ اثرا كبيرا على تكوين البطولة لدى الفرد و غرس روح التضحية من اجل الوطن.

و من الخطأ ان يعلم المعلم التاريخ للتلاميذ لذاته بصفته احداثا جرت و انتهت ثم يحشو بها عقل التلميذ . بل يجب على المعلم آن يقنع الطالب بآن " الوطن الجزائري مثلا ملك للامة الجزائرية و ممتد في اقدم العصور . (ابو القاسم سعد الله 2007) ج10

– و انه جزء من الوطن العربي الكبير الممتد من الخليج الفارسي شرقا الى غار جبل طارق غربا "

ان على المعلم ان يكون هدفه من تعليم التاريخ هو اثارة حب التعاون في المتعلم من اجل " الدفاع عن الارث العظيم "و ان يذكره بالحروب التي خاضها اجداده دفاعا عن الوطن , و التنويه له بالدعائم التي يقوم عليها التراث و هي " اللغة القومية و الدين المتبع و العوائد الجارية "

بمعنى اخر – فالتاريخ يجب ان يكون مادة للتربية الاخلاقية و السياسية و التاريخية و ان يخرج المواطن الصالح الذي يؤثر الدين و الوطن و اللغة على نفسه, و من ثمة يكون مستعدا للتضحية في سبيل هذه الاركان التي لا يكون الوطن وطنا الا بها و لا يكون المواطن صالحا الا اذا عمل بها . (المرجع السابق ج10)

و قد نبهنا هذا الكاتب الى ان وزارة التربية و التعليم في الدول الواعية لدورها التاريخي تحرص على تحضير منهاج التاريخ بعناية خاصة و لا تعطي التاريخ للأجانب ليدرسوه لا بناء الامة بل لا تعطيه الا للمواطن الذي يشعر بمواطنته , بينما يمكن للاجنبي ان يدرس مواد اخرى كالرياضيات.

فالمواطن هو الذي يطبع التلميذ بالطابع القومي من خلال التاريخ.

و قد نوه هذا الكاتب لجمعية العلماء لتكوين هيئات عليا لتخطيط المناهج و تقديم توجيهات للمعلمين, و لكنه انتقدها لأنها لم تهتم في نظره بإعداد منهاج موحد يوجه التلميذ توجيها قوميا . (أبو القاسم سعد الله 2007

جهود جمعية العلماء في ميدان التربية و التعليم :

– اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنشر التعليم العربي و رعايته , و الدفاع عنه , و يعتبر من اهم النشاطات الوطنية اثرا و اكثرها فعالية في هذه الفترة (1931 م – 1956 م), فقد ساهمت مساهمة فعالة و جدية في بعث النهضة التعليمية العربية و محاولة احياء الثقافة العربية الاسلامية التي حاول المحتل محوها <<كوليت و فرانسيس 1957 >> من الوجود , و ذلك عن طريق مدارسها التي أنشأتها في معظم انحاء البلاد , بحيث تعتبر المنظمة الرائدة في هذا الميدان , و تعتبر جهودها في نشر التعليم العربي " الحر" امتدادا طبيعيا لجهود رئيسها الاول – الامام عبد الحميد بن باديس – التي بدآها عام 1913 م , و لكن نطاقها اتسع كثيرا بعد تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1931 م , و امتد هذا النشاط التعليمي حتى شمل الجزائر كلها بعد ان كان في عهد ابن باديس محصورا فقد على مدينة قسنطينة و ضواحيها .

- **دور الجمعية في النهضة التعليمية للامة :**

– قد اتخذت – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – من التعليم اسلوبا من اساليب المقاومة و التحدي لسياسة المحتل , التي كانت مجندة لطمس المعالم الثقافية , و مسخ القيم الوطنية و الاجتماعية , بهدف قطع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا و حاضرا بثقافتها و لغتها , و دينها و انتمائها الحضاري , و حتى تنشآ الاجيال في ظل هذه السياسة نشأة ممسوخة في كل شيء و مقطوعة عن أصالتها وحضارتها [تركي رابح 1975]

و كانت الغاية من هذه الساسة هي تحويل المجتمع الجزائري – في المدى البعيد – من مجتمع مناهض للاستعمار الى مجتمع راض عن الوضع الاستعماري , و لديه القابلية للفرنسة و الاندماج في مجتمع دولة الاحتلال , و بذلك تتمكن دولة الاحتلال من السيطرة المطلقة و الدائمة على الجزائر .

و لكن – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – ادركت اهداف سياسة المحتل و استوعبت خطورتها , لذا اختارت السلاح الملائم و النافذ الذي يستطيع ان يحمي الشعب الجزائري من خطر الابتلاع , و يحفظ وجوده من والانحطاط و الاندثار و يقيم بينه و بين سياسة الاستعمار جدارا يقيه من عواصف الظروف , و يزكي وعيه , حتى يبقى صامدا متنبها يقظا بنهضته العلمية التي تتطلع اليها عن طريق التربية و التعليم , لآنه هو الوسيلة التي تبنى بها الامة ذاتها و تصنع مصيرها , و تنشر القيم التي تؤمن بها ,و تحدث التغيير المنشود , سواء على مستوى الافراد او الجماعات , و تقلب الاوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية بما يتلائم مع اهدافها و يحقق طموحها .

– هذا ما جعل – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – تسير في هذا الاتجاه و تكرس كل جهودها لتعلم الناس , صغارا و كبارا ,و تجنيد العلماء , و تعبئة الشعب للمساندة و المآزرة في خطتها و منهجها الذي كان هدفها المباشر في تكوين المجتمع المتعلم و الواعي , و قد نجحت في هذه الخطة التي انتهجتها أيما نجاح, رغم العراقيل و المعوقات و رغم محاربة الاستعمار لها و لخطتها .

و يقول " انور الجندي " (لو اختارت طريقة اخرى لتحقيق الغاية التي ظلت تتطلع اليها لما نجحت)

– بعد مائة عام من الاحتلال و المقاومة – وقفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 م لترسم الخطة المثلى للمقاومة , انها ليست معركة عسكرية (لتلك المعارك التي خاضها الامير عبد القادر – الشيخ المقراني – ابن حداد – احمد باي و غيرهم من

ابطال المقاومة المسلحة الذين لم ينجحوا.....

لن تستطيع الجزائر ان تقف امام قوات فرنسا و اسلحتها الحديثة في ذلك الوقت , ولا تكون(المعركة)في النضال السياسي القائم على الخطط و المقاومات و الوعود البراقة الخادعة , و انما جوهر النضال و حقيقته – كما فهمته

جمعية العلماء المسلمين هو في التربية و التعليم .(و هذه النظرة تتفق مع نظرة جان جاك روسو – عندما اراد ان يصلح المجتمع آنذاك)

و من المعلوم ان التعليم هو وسيلة التربية و السبيل الى تحقيق اهدافها , بل قد يكون هو التربية اذا كان يستهدف التغيير و تحقيق النمو.

و يذكر ابن باديس قائلا << و لا ادل على وجود روح الحياة في الامة و شعورها بنفسها , و رغبتها في التقدم , من اخذها بأسباب التعليم , التعليم الذي ينشر فيها الحياة و يبعثها على العمل , و يسمو بشخصيتها في سلم الرقي الانساني و يظهر كيانها بين الامم >> (محمد الطاهر فضلان 1984)

التربية ومبادئها عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- فلسفة الجمعية التربوية
- التربية بين الأصالة والمعاصرة
- مبادئ جمعية العلماء التربوية
- وظيفة التعليم عند الجمعية

فلسفة الجمعية التربوية

إن من يدرس الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتطبيقاته في ميدان التربية والتعليم من أجل النهوض بالأمة الجزائرية التي عانت تخلفا حضاريا وجمودا علميا خطيرا نتيجة محاربة الاستعمار لمقوماتها وطمس معالمها الحضارية والثقافية **العربية الإسلامية** وبتمعن النظر في حصيلة أفكار الجمعية و أرائها الإصلاحية والتربوية يجدها تشكل إطارا لنظرية تربوية عملت على تغيير المجتمع انطلاقا من فهم جديد للإسلام وحاضر الأمة وتاريخها الذي انبنت على أسسها. النظرية التربوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولكن ما مفهوم النظرية التربوية العمومية؟

فهو: "إطار من المفاهيم يطرح من خلالها المنظر التربوي آراءه وأفكاره حول قضايا التربية والتعليم وتجسيد في مجموعة مقالات تربوية مترابطة تمثل تلك النظرة المنظمة للعملية التربوية".

فظاهرة التخلف الفكري والاجتماعي والعلمي والحضاري في المجتمع الجزائري من أقوى العوامل التي دفعت جمعية العلماء إلى البحث والتأمل ودراسة الأسباب من أجل تحديد العلاقات القائمة بين التخلف الاجتماعي والحضاري والتخلف الفكري والتربوي ومن خلال ذلك يتضح لنا الإطار الفكري الذي أحاط بالنظرية التربوية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ذلك أنه أقام على أسس نظرية عميقة متمثلة في منبعين رئيسيين وهما:

"الأول الدين الإسلامي بكل ميزاته الروحية والثقافية والحضارية والأخلاقية.

" الثاني هو واقع المجتمع الجزائري (العربي المسلم) بكل مشاكله وأمراضه وتخلفه (تركي رابح1974)

- إن جذور التربية عند رجال جمعية العلماء تقوم على أساس من العقيدة الصحيحة التي تخلو من البدع والضلالات، والتي تقوم على أساس من الأخلاق الإسلامية السمحة والرفيعة، فهذان الأساسان كفيلان بالنهوض بالأمة الجزائرية المسلمة فالمنبع الأول الذي تشتق وتستقي منه جمعية العلماء فكرها التربوي إنما هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من حيث هي مقياس كل تطبيق صحيح للإسلام.

فالإسلام في نظر الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ عبد الحميد بن باديس:"عقد اجتماعي عام فيه جميع ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي الحياة لسعادته ورقيه، وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من العلماء الأمم المتمدنة على أن لا نجاة للعالم مما هو فيه إلا بإصلاح عام على مبادئ الإسلام **أثار بن باديس ج5.**

كما يرى ابن باديس أن صلاح المسلمين بصلاح علمائهم ولا صلاح للعلماء إلا بصلاح تعليمهم حيث يقول:"لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح . صلح الجسد له، وإذا فسد فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلامي وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإن كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون يكونون، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم "المرجع السابق".

فالقرآن هو الدستور الإلهي الذي ينظم حياة البشر في الدنيا والآخرة، و الإسلام هو الدين الذي يحقق الفعالية الروحية والفكرية والعلمية للأمة ومنطلقا لتجديد الفكر التربوي للمجتمع الجزائري المتميز بأصالته العربية الإسلامية وتراثه الثقافي والحضاري.

فالإسلام في نظر جمعية العلماء هو أساس البعث الحضاري والنهضة الشاملة للأمة وهو في الوقت نفسه الطاقة المحركة لكيانها، فهو المصدر إذا الذي استقت منه جمعية العلماء فكرها التربوي ليكون البديل للنظام التربوي الاستعماري السائد حينئذ.

ولأن الإسلام يقدس العلم و يدعو إليه وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، فقد اعتمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا الفهم والمبدأ المقدس، فدعت الأمة إلى تعليم أبنائها لتكفر عن جريمة الجهل التي ساقها الاستعمار إليها مكرهة، وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية العلماء متحدثا عن الأمة الجزائرية:"إنها وإن رضيت (في الماضي) لأبنائها سوء التغذية ولكنها لا ترضى لهم أبدا سوء التربية، وإنها صبرت مكرهة على أسباب الفقر ولكنها لا تصبر أبدا موجبات الكفر والجهل" (أثار محمد البشير الإبراهيمي ج1).

وهو يوصي المعلمين بالأطفال وصية الواعظ والمرشد والعالم المربي والفيلسوف الحاذق والأديب ألا ريب في قوله: " أي أبنائي المعلمين:

إنكم في زمن كراسي المعلمين فيه أجدى على الأمم من عروش الملوك وأعود عليها بالخير والمنفعة وكراسي المعلمين أمتع جانبا وأعز قبيلا من عروش الملوك، فكم عصفت العواصف الفكرية بالعروش ولكنها لم تعصف يوما بكرسي المعلم.

إنكم تجلسون من كراسي التعليم لا على عروش ممالك رعاياها أطفال الأمة. فسوسوهم بالرفق والإحسان وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة في التربية إلى مرحلة أكمل إنهم أمانة الله عندكم وودائع الأمة بين أيديكم سلمتهم إليكم أطفالا لتردوهم إليها رجالا، وقدمتهم إليكم هياكل لتنفخوا فيها الروح وألفاظا لتعمروها بالمعاني وأوعية لتملؤها بالفضيلة والمعرفة " (أثار محمد البشير الإبراهيمي ج3).

تأثير الإسلام واضح وبين في خطاب الإبراهيمي وهو يوجه هذا الإرشاد للمعلمين الذين قبلوا أمانة التعليم، فالألفاظ "الأمانة، الإحسان، الأمة، الروح" ألفاظ جاء بها القرآن الكريم والسنة على حد سواء فإرشاد إرشاد إسلامي أصيل ينم عن ثقافة إسلامية واتجاه ديني يحفظ على الأمة بقاءها في إطار من دينها وعاداتها وتقاليدها.

وأصدق وأجمل إرشادات الإبراهيمي للمعلمين قوله: "لينطبع هذا الجيل الذي هو باكورة النهضة على أخلاق متينة وعزائم قوية ودين صحيح (المرجع السابق).

وواقع الجزائر الذي كان الاحتلال يومها يعمل على محو كل ما يمكن أن تقوم عليه شخصية الأمة الجزائرية، أثر إلى حد بعيد في بناء الفكر التربوي عند الجمعية، فكان هذا الواقع الذي عاشه الشعب الجزائري. " يتجلى في الفقر والجهل والتشريد والحرمان والانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي، وانتشار البدع والتأويلات الخاطئة وجمود العلماء وتفرق كلمتهم، واضطهاد اللغة العربية والدين والتاريخ واعتبارها أشياء محرمة في المدرسة الرسمية، ويضاف إلى ذلك محاولات التنصير، والتجنيس التي كانت تعتمد الإغراءات والمغالطات بهدف انتزاع الإسلام من قلوب الجزائريين".

وكذلك تزوير الحقائق التاريخية والتجهيل المتعمد بتضييق مجال التعليم الممنوح للجزائريين وإعطائه مضمونا هزيلا يختلف عن المضمون الممنوح للمستوطنين الفرنسيين والتمييز في المعاملات الإدارية والسياسية بين الجزائريين وغيرهم من أبناء الجالية الأوروبية إلى غير ذلك من أنواع الظلم والانتهاكات القانونية والإنسانية التي ترتكب في حق الجزائريين (محمد صالح رمضان 1998م).

فهذا الواقع المخيف الذي ألم بالشعب الجزائري المحروم في أرضه ، ولكن المحتلون و الغزاة يستمتعون بهذه الأرض وكل خيراتها ويزيد ظلما في محاربة الشعب في مقوماته ودينه ،كل هذه الأسباب أثرت في عمل الجمعية وتفرغها

للعمل التربوي الذي يعيد للجيل الناشئ الثقة بنفسه ويمنحه القوة والإدارة ويتسلح لمواجهة الاستعمار الفرنسي والوقوف أمام أساليبه التي استهدفت تذويب الأمة ومحو مقومات شخصيتها، فكان لزاما على الجمعية أن تتخذ من هذا الواقع المرير نبراسا لها في بناء فكرها التربوي الذي يقاوم كل هذه المظالم بإحداث ثورة في نفوس وتعبئة شاملة تتجه للكبار كما تتجه للصغار ولكل المثقفين و الأميين من عامة الشعب وخاصتهم،واستخدم كل الوسائل التي تخاطب العقل والروح والوجدان.

فكانت التربية عند الجمعية بقدر ما خدمت أصالة هذه الأمة، كانت معاصرة معتمدة على الواقع بكل ما يحمله في الجزائر من ذل ومهانة، وبكل ما يحمله كذلك من أمل في المستقبل بالاستقلال وبناء دولة عربية إسلامية حرة تقوم مقام الند للند أمام فرنسا وغيرها من دول العالم.

من أجل ذلك فإننا لا نقبل أي لوم أو عتاب على كرهن لفرنسا وتربية أبنائنا على كرهها لأننا لم نعرف منها قبل احتلال الجزائر وأثنائه، وبعد طردها منها إلا الشر في أبشع صوره، ولذلك فنحن على مذهب الشيخ محمد تقي الدين الهلالي (رحمه الله) القائل:

"أعادي فرنسا ما حييت فإن مت فأوصي أحبائي يعادونها بعدي."

التربية بين الأصالة والمعاصرة

" أحذرك من كل (متعلم) يزهدك في علم من العلوم، فإن العلوم كلها أثمرتها العقول لخدمة الإنسانية ودعا إليها القرآن بالآيات الصريحة.. كن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة وطرق لمعاشرة والتعامل، كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارتك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك وفي رقيك... احذر من التوحش، فإن التوحش في عصر المدنية محكوم عليه طبيعيا بالتناقض ثم الفناء و الاضمحلال والاندثار كما فنيت جميع الأمم المتباعدة عن التمدن و الرقي " (أحمد الخطيب 1985).

بهذه الكلمات توجه ابن باديس الرئيس الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين للمسلم الجزائري ،وهذه الكلمات تبين الخط الإصلاحي و التربوي الذي آلت الجمعية نفسها بأن تلتزمه، فالتفكير التربوي عند الجمعية يقوم على مبدأين متكاملين مبدأ الأصالة و مبدأ المعاصرة، وعلى هذين الأساسيين أنبنى العمل التربوي عند الجمعية ،ومن خلاله كانت تدعو الشباب و الطلاب إلى السير في الاتجاهين وهما: التمسك بالهوية والارتباط بالأصالة العربية الإسلامية التي لا غنى لكل جزائري حر عنها، ومسايرة العصر بالتفتح على العلوم الحديثة التي لا غنى عن أخذ أسباب القوة و الحياة إلا بها، ذلك المجتمع الذي كانت تطمح الجمعية لبنائه . وهو المجتمع المسلم الذي يبني ذاته ولا يعتمد في ذلك على سواه، لذلك نرى الشيخ ابن باديس كان يحث الشباب و الطلاب على السير في الاتجاهين. التمسك بهويتهم و الارتباط بقوميتهم ومسايرة العصر والتفتح على العلوم الحديثة لأن تكوين أجيال متوازنة في ثقافتها متمسكة بمقومات أمتها

ومتفتحة على علوم عصرها هو التوجه التربوي الصحيح الذي يجب الأخذ به واعتماده في بناء الذات الفردية و الجماعية،لأن المجتمع الذي كان يتطلع إليه – ابن باديس – هو المجتمع المسلم الذي يعيش للإسلام،ويبني ذاته بذاته ويستلهم في ذلك أصول حضارته، و المجتمع الذي لا يدير ظهره لعصره ولا يتجاهل حقائق الحياة من حوله بل يفتح على التجارب الإنسانية المفيدة التي تستجيب لحاجاته المتجددة من غير أن يفقد ذاته عند التفتح على هذه التجارب أو يخونه وعيه فيها يأخذ أو يترك (محمد صالح رمضان 1998م).

فجمعية العلماء وإن غلبت في دعوتها الإصلاحية جناح الإصلاح عن طريق الرجوع إلى سيرة السلف الصالح و العودة إلى الأصول الوطنية و التاريخية و الدينية، فقد اعتمدت هذه المبادئ نبراسا يضيء لها طريق المستقبل الذي على أساسه يبني مجتمع قوي موحد متماسك فهي لم تهمل عنصر الحداثة في دعوتها بل دعت إلى تعلم لغات الأمم المتقدمة التي أحرزت السبق الحضاري و التقدم المادي " ففي مجال التربية والتعليم مثلا حاولت الجمعية أن تتطور ما أمكن مع متطلبات العصر فثارت على طرق التعليمية البالية ،وأحدثت نهضة حديثة في مجال تعليم اللغة العربية وفنونها وحاولت مسايرة الطرق التعليمية الحديثة في أقطار الوطن العربي (أثار عبد الحميد بن باديس ج4)، فتجديد أساليب التعامل مع الحياة والتكيف معها وتطويرها بما يتلاءم ومطالب العصر . كلها من مبادئ " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " التي قام عليها الفكر التربوي عندها دون الانسلاخ عن القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري العربي الإسلامي، وقطع الصلة بماضي الأمة وتاريخها، أي تحافظ الأمة على كيانها، وتضمن لنفسها البقاء و الاستمرار، ومما ورد عن ضرورة الجمع بين هذين المبدأين أي الأخذ بعلوم الدين وعلوم الدنيا على حد سواء.

وقد جاء في محاضرة للشيخ عبد الحميد بن باديس ما يلي: "العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها : منها علوم تؤخذ باللسان العربي وهي علوم الدين واللسان، ومنها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي وهي علوم الأكوان والعمران، وقد كان اللذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام ، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال، فهؤلاء يعتبرون الآخرين أحجارا ... وأولئك يعتبرون هؤلاء كفارا،هكذا كانت الجزائر و الحركة العلمية إلى أن مرت عليها مائة عام، وأنشئت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فتولت إفهام كل طرف قيمة الطرف الآخر وبينت للجميع أنهم مهما نطقوا بأي لسان فهم من الجزائر وإلى الجزائر ولا تنهض الجزائر إلا بهم ولا ينهضون إلا بها (أثار عبد الحميد بن باديس ج4).

والجدير بالملاحظة هنا أن جمعية العلماء من خلال رئيسها قد نزلت منزلا وسطا معتدلا اقتضته ضرورة الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وليس معنى ذلك أن اللغة العربية التي تؤخذ منها علوم الدين غير صالحة لعلوم الدنيا، ولكن ابن باديس يقرر حينها واقعا معيشا كانت تعيشه أقطار العرب جميعا والجزائر بصفة خاصة، ومن أجل ذلك بدأ كلمته "العلوم في الجزائر".

كما أن الشيخ الإبراهيمي يرى أن أحداث نهضة تعليمية عربية، على أسس ومناهج معاصرة هو الطريق السليم لإنشاء نهضة تشمل جميع مناحي الحياة في البلاد من خلال تعليم لغة الأجنبي كذلك، بل تعليمها هو أحد الوسائل الهامة في النهوض بالأمة في هذا العصر، ثم يضيف الشيخ الإبراهيمي قائلا:" وما كنا في يوم من الأيام حربا للتعليم الفرنسي على تفاهته بل نحض عليه ونعده بابا من أبواب الثقافة وسلاحا من أسلحة الحياة، وإنما نريد أن نجمع لأبنائنا بين التعليميين جمعا للمصلحتين" (أثار الشيخ الإبراهيمي ج5).

إذا فقد كان هدف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال عملها وفكرها التربويين بناء الإنسان الجزائري المسلم الذي يحافظ على هويته وأصالته محافظة على حياته أو أشد، كما يتقبل أن يتفتح على ما حوله، وأن يتسلح بالعلم الذي هو سلاح الحياة، وأن يأخذه من أي منبع كان دون أن يتعصب للغته أو جنسه أو ينسلخ عنهما وتذوب شخصيته في شخصية قوم آخر.

مبادئ جمعية العلماء المسلمين

إن المتتبع لتاريخ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعمالها وأفكارها من الوجهة التربوية بصفة خاصة، يجد أن التربية عندها قامت على جملة من التصورات والمبادئ، نبع بعضها من الخلفية الفكرية الإسلامية التي تبنتها الجمعية في مناهجها ومسيرتها وفي جهودها الإصلاحية، كما نبع بعضها من الواقع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي المزري للشعب الجزائري، الذي كان خاضعا لسياسة المحتل المتعمدة على التفقير والتجهيل، فقد اجتمع هذان العاملان ليؤثرا على سلوك الجمعية التربوية ويبني بتالي على مبادئ مهمة، نذكر منها:

أولا: العلم قبل العمل

لا يختلف عاقلان في ضرورة العلم في بناء أي مشروع حضاري وتربوي، فكان بداية أن تمحور الجمعية جل أعمالها الإصلاحية حوله متبنية قول الشاعر:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال

إن العمل الصحيح لا يكون ـ في العادة ـإلا ثمرة لعلم صحيح، إذ لا يمكن تصور عمل صحيح دقيق مبني على غير هدى من علم صحيح ودقيق أيضا ، في هذا المعنى يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:

" العلم قبل العمل، من دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والانحلال، وربما اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل".**(مصطفى عشوي 1991)**

و مع أسبقية العلم على العمل، فهما صنوان لا يفترقان إذ لا قيمة لعلم دون عمل، ولا معنى لعمل دون علم

فالربط بينهما مع أسبقية العلم من ضرورات التربية الإسلامية التي هي هدف بنت عليه الجمعية كل أعمالها وتمحورت عليه كل نشاطاتها ولذلك نجد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ـرحمه الله ـيؤكد هذا في قوله:

" يا أبناءنا إن الحياة قسمان: حياة علمية وحياة عملية، وإن الثانية منها تبنى على الأولى قوة وضعفا وإنتاجا وعمقا، وإنكم لا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له ووقفتم عليه الوقت كله، إن العلم لا يعطي القياد إلا لمن نهره السهاد وصرف إليه أعنة الاجتهاد "**(عيون البصائر 1963)**.

ثانيا: التربية حق للجميع

إن سياسة الاحتلال التربوية في الجزائر، كان من أهدافها أن تحرم أبناء الشعب الجزائري بكل فئاته من كل علم صحيح نافع تقوم على أساسه حياة متطورة ومزدهرة فحين استهدفت هذه السياسة الآثمة فئات الشعب الجزائري كلها كان من الطبيعي جدا أن تستهدف سياسة الجمعية التربوية كذلك كل فئات الشعب الجزائري وبكل طبقاته لتهذيبه وتعليمه علما وفكرا وثقافة.

فقد كان اعتقاد الجمعية أن العلم حق من حقوق الإنسانية العامة، والذي يجب أن تتكافأ أمامه الفرص لصالح كل الأفراد، إذ طلب العلم فريضة إسلامية قبل أن يكون ضرورة اجتماعية يقول الإمام ابن باديس:

" علينا أن ننشر العلم في أبنائنا وبناتنا ونسائنا ورجالنا على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء " **(من أثار عبد الحميد بن باديس ج4)**.

وكما يقول الشيخ الإبراهيمي معلقا عن جريمة الجهل التي ورثها الجيل الأخير من الجيل السابق في أيامه أثناء الاحتلال:"حرام علينا أن نرضى للجيل الآتي بما لم نرضى به لأنفسنا وأن نجرعهم هذا الحنطل الذي تجرعناه، وأن تلوث نفوسهم البريئة بهذه القاذورات "**(عيون البصائر1963)**.

فالإبراهيمي رحمه الله ـ لم يجد أمر من الحنطل لتنفير ذوي الطباع السليمة من الجهل الذي هو الجريمة الكبرى في حق الإنسانية وحق الجيل الناشئ، إذا فحق الجيل كل الجيل دون ميز وتفريق أن يشرب من معين العلم.

ومن هنا اتجه المسلمون إلى تكييف العلم لمطالبهم واستخدام أدوات العلم في كل شؤون الحياة اليومية من أجل تطوير الحضارة وتقدم البشرية.

ويكون بتنمية المعرفة التي مجالها العقل الإنساني، فبالعلم يتم تحصيل المهارات المعرفية، وتوصيل هذه المهارات إلى الآخرين، وقد ختم الله سبحانه وتعالى ـ العديد من الآيات الكريمة بالفعل: يعقلون، يتفكرون، يفقهون، يتدبرون، كقوله تعالى: " قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون"(سورة الأنعام الآية 98).

وقوله تعالى:"إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون " (سورة الرعد الآية 93)، للدلالة على مكانة العلم والمعرفة في تحقيق أهداف التربية الإسلامية فقد ذم الله تعالى الكافرين بنعتهم بالجهل وعدم المعرفة لقوله تعالى:" وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون" (سورة التوبة الآية 9)، لذلك نشر التعليم بين المواطنين على نطاق واسع كي يعرفوا أمور دينهم ودنياهم معرفة جيدة . وطلب العلم حبا في العلم طبقا لقوله تعالى:

" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات "، وقول النبي (ص):" طلب العلم فريضة على كل مسلم".

ثالثا: البعد التربوي

ألحت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعليمها على مختلف مراحله، واختلاف مناهجه على البعد التربوي المتمثل في الأخلاق المبنية على القرآن الكريم وسيرة السلف، ولم تر الجمعية هذا التدهور الذي تعيشه الأمة في كل جوانب الحياة من ضعف علم بقدر ما هو نقيص في أخلاقها وبعدها عن التخلق بمعاني الإسلام التي فصلها القرآن الكريم وعاشها نبيه (ص) في دنيا الناس، فقد خلقه القرآن على حد وصف عائشة أم المؤمنين (ض) لأخلاقه . كان خلقه القرآن. وقد مدحه الله تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم" وقال (ص):"وإنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فلم تعتني الجمعية بعمل إصلاحي اعتناءها بإصلاح أخلاق النشء خاصة، ولهذا كان اتفاق كل من الشيخين ابن باديس والإبراهيمي على ـالطريقة التي عليهما إتباعها في إصلاح الأمة. ما ذكره الإبراهيمي نفسه وهو يصف لقاءه بالشيخ ابن باديس في المدينة المنورة بقوله:" وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في تربية النشء هي أن لا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا. (أثار محمد البشير الإبراهيمي ج5).

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـحين تطرق موضوع التعليم فهي لا تفصله أبدا عن موضوع التربية فهما عندها شيء واحد لا يفهم الأول إلا بوجود الثانى كالخبر بالنسبة للمبتدأ كما هو الاصطلاح عند النحاة.

" وابن باديس حين يتحدث عن التعليم لا يفصله عن التربية ولا ينظر إليه على أنه نشاط غاية في ذاته بل يجعله أحيانا مرادفا للتربية وهو المفهوم الذي استعمله القرآن، لذلك يلح في كل مناسبة على الجمع بينهما "التربية والتعليم" نظرا للتلازم الذي يجب أن يكون بين الوسيلة والغاية وبين المقدمة والنتيجة ". المرجع السابق.

والمعروف عن نشاط ابن باديس أنه متعدد الجوانب وأبرز هذه الجوانب وأقواها الجانب التربوي التعليمي الذي كرس له 27 عاما من حياته متطوعا إلى جانب المهام الأخرى التي كان يراها أنها مهام مكملة للنشاط التعليمي (أو هي امتداد له) الذي جعله الأساس لكل عمل إصلاحي ومدخلا لكل تغير اجتماعي ويقظة فكرية وسياسية.(محمد الصالح رمضان 1991).

وهذا يدل دلالة واضحة على الأهمية البالغة التي أعطاها ابن باديس للعمل التربوي، باعتباره الأساس الذي يقوم عليه كل تغيير، على المكانة البارزة التي احتلتها التربية ضمن مشروع الحركة الإصلاحية التي قادها ووجهها، فالتربية عنده هي حجر الأساس في كل عمل بنائي، لذلك أعطاها كل جهده ووقته، وجند لها رفاقه وتلاميذه من العلماء الذين ساعده في تنفيذ الخطة التي صممها، ليقوم بإنشاء المدارس وتموين المشاريع التعليمية للجمعية.

رابعا: الاهتمام باللغة العربية

كان هدف ونشاط وجهد المحتل منذ وطأت أقدامه أرض الجزائر **1830** هو محاربة اللغة العربية التي كان يرى فيها العدو اللدود الذي يقضي مضجعه ويهدد وجوده وبقاءه على هذه الأرض، فلم يدخر كيدا إلا اتخذ له كل السبل وتوسل له بكل وسيلة حقده لضرب اللغة العربية التي هي وعاء الإسلام وثقافة الأمة. فعتبرها أول ما أعتبرها ـ لغة أجنبية (قانون 08 مارس1938). و أبعدها عن التعليم الحكومي الرسمي وفي جميع مراحله، كما أبعدها عن مجال التسيير الإداري في مختلف درجاته وهيئاته، وجعل مكانها اللغة الفرنسية وحدها بديلا عن اللغة العربية في كل ذلك تعزيزا لغزوه العسكري والثقافي وإبقاء لكيانه في هذه الأرض.

فأعتبر تعليم اللغة العربية جريمة من الجرائم يعاقب عليها القانون ويتابع أصحابها بالسجن والغرامة والتعذيب، وكاد الاحتلال ينجح في سعيه في القضاء على اللغة العربية في الجزائر.

فكان المحتل أدرك بعده الاستعماري الحاقد عن الرافعي-رحمه الله- حين قال متحدثا عن أهمية اللغة العربية في حياة الأمة :" فلن يتحول أول ما يتحول الشعب إلا من لغته إذ يكون منشأ التحول من أفكاره و عواطفه وآماله، وهو إذ انقطع منسب لغته انقطع من نسب ماضيه و ماذلت لغة شعب إلا ذل"(محمد مهداوي1985).

فأصبح حال اللغة العربية في الجزائر مزريا إلى غاية لم يكن يصدق فيها أحد أن لغة الدين تصبح على هذه الحال من الضعف والعزلة والهوان.

" وباختصار فحالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا ولو استمر على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية

محل اللغة العربية في جميع المعاملات بل ربما تدرس العربية بالمرة مع مضي الزمن"(تركي رابح 1974)

فمن اجل ذلك كان شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. " الإسلام ديننا -والعربية لغتنا- والجزائر وطننا." فجعلت أول اهتماماتها أن تعيد للعربية مكانتها وأن تعيد الشعب الجزائري للغته العربية.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس:" هذا الدين الغالي لا يفهمه الجزائريون إلا بفهم لسانه العربي الذي هو لسانهم القومي إلا أقلية ولسانهم الديني بدون استثناء، فمن الضروري لتهذيبهم وترقيتهم أن يتعلموا هذا اللسان." (أثار الشيخ ابن باديس ج4).

ـ كما اعتبر الإبراهيمي المحافظة على اللغة العربية غيرة وطنية تحفظ على الجزائريين ماضيهم وتضمن لهم البقاء والاستمرار." لغة الأمة هي ترجمان أفكارها وخزانة أسرارها، والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية، زيادة على ذلك القدر المشترك، أنها حافظة دينها ومصححة عقائدها ومدونة أحكمها وأنها صلة ما بينها وبين ربها." (عيون البصائر 1937).

فلم يعد الإبراهيمي اللغة حافظة للأفكار والثقافة بقدر ماهي حافظة الدين الذي أقوى وأعظم أركان الشخصية الجزائرية.

ويقول أيضا مؤكدا هذا المعنى:" إن هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها، إن لغتها جزء من كيانها السياسي والديني وشرط في بقائها وقد التقى على الكفاح في سبيلها الدين والسياسة فلم يختلف لهما فيه رأي ولم يفترق لهما قصد."(عيون البصائر 1937).

ويضيف قائلا:"هذا ما نقوله نحن الذين نريد الوئام والسلام، أما الذين يحاربونا العربية فهم يفرقون ويشوشون فسيندمون، وتنتشر العربية بقوة الحق والفطرة وهم كارهون.

فإلى المسؤولين الذين يقدرون مسؤوليتهم وجعلوا المصلحة العامة العليا غايتهم، نوجه نداءنا من حرية الدين ولغة الدين، وفتح طريق التعليم والتقدم للمسلمين وغير المسلمين باللغتين."(البصائر أكتوبر 1938).

كان هذا هو المسعى لرجال التربية والتعليم في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهو مسعى الرجال الشرفاء والعظماء وخدمة لأبناء الأمة ودفاعا عن دينهم ولغتهم وحفاظا عن شخصيتهم العربية الإسلامية. و قد حاربت جمعية العلماء في أربعة جبهات و هي :

1- الاستعمار
2- رجال التنصير المسيحي
3- رجال الطرقية اللذين أصبحوا ألعوبة في يد الاستعمار
4- دعاة التجنيس و الاندماج و الفرنسة والتنصير (المرجع تركي رابح 1975)

وظيفة التعليم عند الجمعية

لم تبلغ مراتب الناس سموا وقدرا في نظر الإسلام ما بلغه العلماء وطلاب العلم، فرفعهم الله – عز وجل– درجات، فهم ورثة الأنبياء– وأن الأنبياء لم يورثوا مالا ولا درهما ولكن ورثوا العلم– فمن أخذه أو أخذ منه كان عنده شيء من ميراث النبوة.

وما النبوة إلا تعليم في حقيقة الأمر وهداية وتوجيه إلى الحقيقة والحق والصراط المستقيم.

فالتعليم هو قطب الرحى في رسالة النبوة وهو محور أعمالها ووسيلة جهادها وهدايتها، وهذا المعنى هو الذي فهمته الجمعية وعملت له وجاهدت في سبيله، وتحمل المشاق بل وأفنى رجالها أعمارهم من اجله فأبتلاهم الاحتلال في أبدانكم وأموالهم، فما لانت لهم قناة– وما تزعزت نفوسهم وما داخلهم الشك في أن التعليم وسيلة،– إن لم تكن الوسيلة الوحيدة– في نهضة الأمة وبقائها، بل به يقاوم الاحتلال وبه تتحرر البلاد وتلحق بركب الحضارة، وتلحق بالأمم التي ركبت قطار الحضارة السريع الذي لا يلحق به إلا من تسلح بالعلم وتخصص من أثقال الجهل.

غير أن التعليم الذي يحقق هذه الغاية هو التعليم الذي ينطلق من تصحيح العقيدة وتقويم السلوك ويراعي أحوال الناس الحاضرة ويبني مناهجه على أساس الربط بين العلوم المورثة والحقائق الحضارية المعاصرة، ويمكن المسلمين من معرفة دينهم وفهم المعاصرة، ويمكن المسلمين من معرفة دينهم وفهم قرآنهم وحقائق تاريخهم والحياة من حولهم.

(محمد الصالح رمضان 1985)

وقد أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مكانة العلم ودوره في تقدم الأمم وتحررها وانه لا سعادة في الدنيا ولا في الآخرة إلا به، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف "من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم"... بل هو فريضة مكتوبة على كل مسلم ومسلمة، ومما أثر عن الشيخ ابن باديس في قوله: "ولما كان القرآن كتاب الإنسان في جميع نواحي الإنسان وكتاب الأكوان بما فيه من نعم وعبر وكتاب العمران بما يحتاج إليه العمران، مما يصلح أحوال البشر وما يتصل بالبشر وكتاب السعادتين الدنيوية والآخروية كانت العلوم التي تخدم ذلك كله من علوم الإسلام. **(مصطفى عشوي 1991)** من أساليب التربية و التعليم عند الجمعية

من أساليب التربية و التعليم عند الجمعية :

أسلوب القدوة:

لا يختلف المربون في أن الطفل في سنواته التعليمية الأولى سريع المحاكاة والتقليد وخاصة لأبويه وللكبار الراشدين عموما وهو أشد محاكاة وتقليدا لمعلمه إذا ما دخل المدرسة، ولهذه المحاكاة– أهمية تربوية– إن استغلها المعلم في توجيهه لتلاميذه، ولها اثر تربوي كبير في حياة الأطفال التعليمية والمهنية والاجتماعية. والقدوة قد تكون نموذجا حيا ‘يمشى ويتحرك و يتعامل – فملاحظته حينئذ تختار الجوانب الطيبة فيقتدى بها .**عبد العزيز المعايطة 2005**

ومن اجل ذلك لم تغفل الجمعية هذا الجانب من التربية وهو –القدوة الصالحة– ذلك أن المعلم يربي تلميذه عن طريق القدوة الصالحة أكثر مما يعلمه عن طريق التلقين.

وقد أكد الشيخ الإبراهيمي ذلك في كلمته التوجيهية للمعلمين قائلا: "احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقا على ما يرونه ويشاهدونه منكم من الأعمال، فإن الناشئ الصغير مرهف الحس مطلعا إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها ولا ينالها اهتمامكم، وانه قوي الإدراك ودقيق الملاحظة، فإذا زينتم له الصدق فكونوا صادقين وإذا حسنتم له الصبر فكونوا من الصابرين، واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل... ألا أن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة....(عيون البصائر1963) فوظيفة التعليم عند الجمعية– وظيفة كاملة لجميع جوانب الحياة يعتبر التفريط في جانب من جوانبها سيرا أعرجا لا يوصل صاحبه إلى بر الأمان .

ولحساسية المرحلة التي كانت تعيشها الأمة الجزائرية فقد اعتمدت الجمعية على وضع خطة في التعليم حتى تختزل كثيرا من المراحل التي تثمر الجيل الذي يحقق طموح الأمة من استقلال وازدهار.

اعتمد ت على نوعين من التعليم، التعليم المسجدي الذي فتح فيه المجال لكل طلاب العلم على اختلاف أعمارهم لتلقي الفقه والآداب (الأخلاق) واللغة العربية وعلومها.

والتعليم المدرسي المنظم الموجه إلى أبناء الأمة الجزائرية وإلى الأجيال الصاعدة والناشئة يتعلم به اللغة والدين والتاريخ ويستفيد من مختلف العلوم التي تهيئه للحياة، ولاستقبال الحياة المهنية والاجتماعية.

و هكذا فوظيفة التعليم عند الجمعية وظيفة معرفية وعلمية وعملية في وقت واحد مسايرة للتطور قابلة للتغير والتجدد تخدم الأخلاق والسياسة والثقافة.

وباختصار فوظيفة التعليم عند الجمعية وظيفة علمية تربوية هادفة، فالطفل شديد الملاحظة دقيق الإدراك للمعايب والكمالات على حد سواء، فهو يأخذها سلوكا من الكبار، وقد يكون من الغباء أن نعلمه هذه الكلمات من الأخلاق الفاضلة ثم نناقضها بسلوكاتنا أمامه تحت سمعه وبصره في المدرسة والشارع. **(عيون البصائر 1963)**

إذا فموقف المعلم موقف في منتهى الحساسية أمام تلاميذه بل أمام المجتمع كله، فهو الشخص في نظر التلميذ الذي لا يخطئ– وهو الشخص الذي لا يتحرك إلا بحكمة ولا يأتي أمرا ولا يدع إلا عن فكر وتدبر. **(الشيخ الإبراهيمي، عيون البصائر 1963)**

ويضيف شيخنا الإبراهيمي قائلا: "أن تبعه ذلك ظله تلقى على المعلمين الكرام، فلينظروا أي موقف أوقفتهم الأقدار فيه وليشدوا لحيازتهم لأداء الأمانة على وجهها وليجعلوا من أخلاقهم وعزائمهم مرآة للناشئة وقدوة صالحة لها، لينطبع هذا الجيل الذي هو باكورة النهضة على أخلاق معينة وعزائم قوية، ودين صحيح، وليعلموا أنهم إنما يبنون للأمة من كل جيل سلما حتى يعلو البناء ويشمخ وأن البناء لا يعلو قويا صحيحا متماسك الأجزاء متعاصيا على الهزات والزلازل إلا إذا كان الأساس قويا متينا متمكنا ركينا". **المصدر: محمد البشير الإبراهيمي ج3**

– المبادئ التي يجب أن يتقيد بها المربي:

فقد جاء في كتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب والمتعلم (لابن جماعة) المتوفي في 733هـ، جملة من النصائح والتوجيهات التربوية التي ينبغي على كل من يتصدى للتربية والتعليم لأبناء المسلمين أن يسترشد بها حتى ينجح في عمله، نقتطف منها الفقرات التالية:

1. أن يشتغل المعلم بالتعليم من اجل إصلاح ناشئة المسلمين لا طعما في المال.

2. أن يحافظ على الشعائر الدينية.

3. أن يحافظ على نظافة ثيابه ويتجنب الروائح الكريهة.

4. أن يتجنب الاقتراب والتدني للحكام وكثرة التردد عليهم.

5. أن يختار للمتعلمين العلوم المفيدة والنافعة وترك غيرها.

6. أن يكون أسوة حسنة للمتعلمين، أفعاله مصدقة لأقواله.

7. أن يتسامح مع المتعلمين إذا أخطؤوا ويتجاوز عن هفواتهم.

8. أن يرحب بالمتعلمين الحاضرين ويسأل عن المتغيبين، ويزور مريض ويساعد محتاجهم حسب استطاعته.

9. أن لا يتصدى لمهنة التعليم قبل اكتمال أهليته، والحصول على إجازة.

10. أن تكون مخاطبته للمتعلمين حسب مستوى أفهامهم وأن يساعدهم على الفهم بتقديم الشواهد والأمثال ولاباس من استعمال النكت اللطيفة لتقريب الموضوع إلى أذهانهم، وهذا ما تعتمده الطرق التربوية الحديثة.

11. أن يختار للمتعلمين الكتب التي هي في مستوى مداركهم العقلية.

12. ألا يشتغل بالتعليم إذا كان منزعجا، أو بحالة الملل أو المرض أو الغضب.

يلاحظ– أن التربية تشدد على أهمية المعلم والمربي وترى انه بالنسبة للتلاميذ مثل الأب لأولاده بل هي تشدد على أن المعلم هو أعظم من الأب لأن أباه أخرجه إلى دار الفناء ليلبي له حاجاته الجسدية فيربيه وينمي له جسده بالغذاء أما المعلم فهو يغذيه روحيا ويدله على دار الأخرى دار البقاء ويعلمه الآداب والأخلاق وكيفية الحياة وقد قيل قديما أباؤكم ثلاثة. : أب ولدك– أب رباك– وأب علمك، وخير الأباء من علمك.

أ. تعليم المرأة:

لم يكن وضع الجزائريين عموما أثناء الاحتلال من حيث حقوقهم الإنسانية– والتعليم بصفة خاصة مريحا أو مقبولا، وإنما كان الجهل مطبقا على عامة الشعب مما أثر سلبا وانعكس ذلا على المجتمع كله.

والمرأة الجزائرية كانت هي المتضرر الأول من أثار هذا الوضع الأليم خصوصا، وإنها زيادة على هذا الوضع كانت مكبلة بقيود التقاليد القاسية البعيدة كل البعد عن روح الإسلام وتعاليمه، "فأبواب التعليم كانت موصدة في وجهها ولم يتعد دورها في مشاركة المجتمع حياته– على تخلفها– سوى القيام ببعض الأشغال التقليدية المنزلية والأعمال الزراعية في الريف وغزل الصوف ونسج البرانس" فقد كان يخيم على وضعها الاجتماعي جوا قائما فلا رأي لها في الزواج وكانت تعاني من أثار الطلاق وتعدد الزوجات. (أحمد الخطيب 1991)

فظهر ما يشبه حركة نسائية اجتماعية تدعو المرأة إلى التحرر من قيود المجتمع تحررا سافرا لا يضع للدين ولا للمجتمع أي حساب، خصوصا إن هؤلاء النساء اللواتي قمن لهذه الدعاية، كن متأثرات بالثقافة الفرنسية، وقد حاولت قلة قليلة من السيدات المثقفات بالفرنسية من اصل جزائري أو فرنسي لفت الانتباه إلى الحالة البائسة للمرأة العربية في الجزائر.(المرجع السابق)

ولكن الجمعية كان لها موقف آخر معبرا عن أصالتها واستعدادها لكل أفكارها من الدين الإسلامي الصحيح الذي يأخذ من المنبعين الخالدين القرآن والسنة.

فكان موقفها وسطا بين المنزلتين فلا هي فرطت ولا أفرطت، "وهاجم ابن باديس– بشدة الآراء الجامدة التي حاولت إبقاء المرأة متاعا مهملا وكذلك الآراء المتطرفة التي حاولت سلخ المرأة المسلمة من مقوماتها وتجريدها من خصوصياتها، ونبه العلماء وأولياء أمور البنات إلى أهمية تعليم البنت ضمن الإطار الحضاري و الإسلامي لأن البنت المتعلمة تستطيع أن تبني أسرة منسجمة ومتماسكة كما تستطيع أن تصون نفسها وتحفظ كرامتها وتطلع بوظيفتها التربوية داخل الأسرة وفي المجتمع اطلاعا كاملا. (محمد الصالح رمضان 1991).

ومن اجل ذلك كله اعتبر ابن باديس: "البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال– وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق" (مصطفى عشوي 1991).

قال الشاعر حافظ إبراهيم :

الام مدرسة إدا اعددتها اعددتا شعبا طيب الاعراق

ومما قاله– ابن باديس– في الرد على دعاة السفور والتحرر من الأخلاق والدين في تعليم المرأة،

وإذا أردتم إصلاحها الحقيقي فأرفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانة عالية في العلم وهن متحجبات. **(الشهاب ج 10 م 5 نوفمبر 1929)**

إذا فقد كان موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مسألة– تعليم المرأة– تعليما يمثل الأصالة والمعاصرة في وقت واحد دون جحود أو تقوقع، بل يمثل موقف واقعيا شرعيا أملته ضرورة العصر الذي جعلته الجمعية من أهم منطلقاتها الفكرية في عملها التربوي.

كما أن تعليم المرأة من منظور الفكر التربوي عند الجمعية، هو تعليم من غير حدود ولا قيود فلا يقتصر تعليمها على القراءة والكتابة وأمور الدين فحسب، بل يتعدى تعليمها إلى مختلف المعارف والعلوم التي تجعلها خبيرة مجالات الحياة الواسعة، ولكن كل ذلك في إطار التدين والتخلق.

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا المجال:

"فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها وتربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة لا نصف امرأة ونصف رجل، فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها". (المرجع السابق)

– وبما أن المرأة شقيقة الرجل وشريكته في الحياة، لأنها تتحمل معه مسؤولية بناء الأسرة وحفظ نسلها، كانت العناية بها أمرا ضروريا، وتعليمها أكثر ضرورة. لأنه واجب ديني تقرره الشريعة، وتحتمه ضرورات الحياة، فإهمالها أو حرمانها من حق التعلم وتركها جاهلة ظلم لها، واثم يتحمل وزره العلماء والأباء وهي مسؤولية كبرى تقع على كاهل المجتمع، ويوضح

ابن باديس هذه المسؤولية فيقول: "لا أن الجهالة التي فيها نساؤنا اليوم هي جهالة عمياء، وإن على أوليائهن المسؤولين عنهن إثما كبيرا مما هن فيه، وإن أهل العلم والإرث النبوي مسؤولون عن الأمة– رجالها ونسائها– فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب في حق النساء بتعليمهن خلف صفوف الرجال، وفي يوم خاص بهن اقتداء بالمعلم الأعظم عليه وعلى آله الصلاة والسلام". (عمار طالبي 1968)

من هذا النص يتضح رأي الشيخ عبد الحميد بن باديس في دعوته الصريحة إلى الاهتمام بتعليم البنات، وإتاحة الفرصة لهن ليتمتعن بحقهن في التعلم مثل البنين.

أول مدرسة إبتدائية تحت رعاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الاتجاه التربوي لجمعية العلماء المسلمين

– اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتربية الانسان و بناء النظام التعليمي , و حداثة اتجاهاته في هذا المجال ويرجع ذلك الى ان تفكيرها التربوي مستمد من فلسفة التربية الاسلامية ,و من روح القران الكريم , و مرتبط في الوقت ذاته بواقع المجتمع الجزائري , و حقائق الحياة المعاصرة , فهي لا تنظر الى التعليم على انه مجرد وسيلة لاكتساب المتعلمين قدرا من المعارف , انما ينظر اليه على انه اداة من ادوات التغيير الاجتماعي و وسيلة من وسائل النهوض بالمجتمع وتكوين الافراد و الجماعات و تحرير الامة و الوطن .

وبما ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صاحبة مشروع تربوي مؤلف من عناصر فكرية نظرية و من إنجازات وممارسات علمية .

و يجدر بنا ان نشير في البداية الى الآراء النظرية التي بني عليها المشروع التربوي , ثم نتناول نظام التعليم للجمعية واهدافه و غاياته.

غايات التربية عند الجمعية :

نظمت الجمعية مشروعها التربوي تنظيما دقيقا فبنت صرحه على اسس متينة تمثلت في جملة من الغايات البعيدة التي كانت ترمى لها الجمعية بكل سهام جهودها في الميدان التربوي بكل ما أوتيت من جهد وقوة لبناء دولة جزائرية عربية مسلمة ومن جملة هذه الغايات المنتظرة :

أ-تكوين جيل قيادي في الجزائر:

كان الواقع المزري للشعب الجزائري في فترة انشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حافزا مهما لها في بعث جيل جديد يمثل القيادة نحو تحرير الجزائر , وبناء دولة أصيلة عروبة واسلاما .

فمن مهام هذا الجيل العمل على احداث النهضة المنشودة وقيادتها في الطريق السليم , وكل ذلك عن طريق الايمان بالقرآن الكريم على غرار الجيل الأول الذي تكون في عهود الاسلام الاولى .

وفي هذا الشأن يصرح الشيخ الرئيس ابن باديس بهذه الغاية في قوله :" اننا نربي والحمد لله –تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم الى القرآن من أول يوم , وفي كل يوم ,وغايتنا التي ستحقق ان يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم , وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة وفي سبيل تكوينهم نلتقي جهودنا وجهودها " (أحمد الخطيب 1985م)

وكان ابن باديس يرى أن لا سبيل الى نهضة الجزائر الا بتنظيم جماعة قوية تقوم بالتنظيم والتخطيط والتدبير , وتحدد معالم الطريق الذي ينبغي أن تسير فيه ,لإعادة شرف الوطن والدين , فلا مجال للفوضى والارتجال ,لانهما يبددان أن الجهود ويذهبان بثمرة الاعمال – ويضيف قائلا: "إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة , وإنما تكون لهم قوة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر , وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة متساندة في العمل عن فكر وعزيمة " المرجع السابق .

ومن حسن حظ الجزائر ان جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثمرت وتفتقت عن جيل قائد بالفعل , فتخرج من مدارسها عشرات من الشباب المؤمن بفكرها الناشر لمبادئها في مختلف انحاء البلاد , مما أفسد على الاحتلال كل مخططاته التي كانت موجهة ضد كل ما هو عربي واسلامي في هذا البلد .

أما الجزائر فقد بدأت نهضتها القائمة بهذا النوع من التعليم ...(التعليم العربي الحر) وقام امامها الشيخ عبد الحميد بن باديس في ذلك المقام المحمود . فسلخ خمسا وعشرون سنة على التعليم الحي المثمر, وتخرج عن يديه ومن دروسه جيل كامل هو عماد النهضة اليوم بما سلحه بالعلم واعده للحياة وهيأه للقيادة .(محمد الصالح الصديق 1983)

وعن طريق عملية اشباع الحاجات الاجتماعية يحدث التكيف الثقافي وعندما تتغير الثقافة , وتظهر احتياجات جديدة , وتظهر وسائل جديدة , وقد تتغير القيم , وهكذا تستمر دائرة التفاعل .

ويمضي التغير التربوي مع التكيف الثقافي . ونحن نؤمن بوجهة النظر التي تقول : – أن التغير التربوي يميل الى أن يتبع التغير الاجتماعي ,وأن التعليم هو أحد وظائف المجتمع حتى يتلاءم مع الحاجات الاجتماعية الجديدة .(– وهيب ابراهيم سمعان 1960)

ب–المحافظة على الشخصية الجزائرية(العربية الإسلامية) :

من أسمى غايات التربية عند جمعية العلماء التي بذلت مجهودات معتبرة في نهضتها التعليمية وتربية النشئ و المحافظة على شخصية الجزائريين في اطارها العربي الاسلامي , والذي طالما حاول المحتل كسر " جسور اتصال الأمة بتاريخها ودينها وقتل الذاكرة الفردية والجماعية وتجزئة الشعب , وتفتيت وحدته بتصنيف سكانه الى عرب وبربر , والسعي الى هدم الكيان الروحي , وانتزاع العقيدة الاسلامية من قلوب الجزائريين او بمحاولات التنصير والتجنيس "(محمد الصالح الصديق 1983)

أسس لا فيجري في الجزائر عدة جمعيات تنصيرية منها : " الاباء البيض " الاخوات البيض " و "الاخوة البيض المسلمين " و "اخوان الصحراء المسلمين "و مؤسسة القديس اوغسطين . وقد اصاب استاذنا أبو قاسم سعد الله عنما سمى اعضاء هذه الجمعيات هي فتنة الجزائريين في عقيدتهم , وردهم عن دينهم , مستغلة في ذلك المجاعات و الأمراض التي تسبب فيها الفرنسيون بسياستهم .

كتب لا فيجري يوما : " علينا ان نخلص هذا الشعب ونحرره من قرآنه , وعلينا ان نعنى بالأطفال ,لتنشئتهم على مبادئ غير التي شب عليها أجدادهم , فإن واجب فرنسا هو تعليمهم الأنجيل , أو طردهم الى أقصى الصحراء . (الهادي الحسني 2007) وعملت الجمعية على حصانة الجزائريين وتكوين الإنسان الجديد المؤمن بثوابت أمته وأصالته ومدافعا عن وطنه والمحافظة على الشخصية الجزائرية .

لقد عمل لا فيجري وغيره على " تخليصنا وتحريرنا من قرآننا " وأنفقوا أموالا طائلة في سبيل ذلك و أوقات هائلة , ولكنها كانت عليهم في النهاية حسرة , حيث بقي الجزائريون متمسكين بالقرآن الكريم معتصمين بدينهم ولغتهم مهتدين برسولهم الرؤوف الرحيم .ألم يقل الامام مصطفى بن الكبابطي عندما حول مسجد كتشاوة الى كاتدرائية : لئن تحولت العبادة في مساجدنا , فان ربه لن يتحول في قلوبنا . " الهادي الحسني 2007"

وفي ذلك يقول ابن باديس : " نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا في غير أحضاننا ينكرون – ربما عن غير قصد– تاريخنا ومقوماتنا , ويودون لو خلعنا ذلك كله واندمجنا في غيرنا ...ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ,ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمم الدنيا , ثم ان هذه الأمة الجزائرية الاسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن ان تكون هي فرنسا ولا يمكن ان تكون هي فرنسا ولا تستطيع ان

تصير فرنسا ولو أرادت بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها – لا تريد ان تندمج ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده المعروفة "(آثار عبد الحميد بن باديس ج 4)

والواقع في الجزائر اليوم يشهد لجهود جمعية العلماء التربوية في حفظ الكيان الوطني من خطر الذوبان والانحلال في الكيان الفرنسي .

إن مقومات الشخصية الجزائرية تتمثل في ثلاث مقومات أساسية ، لايمكن بقاء الشخصية الجزائرية قائمة في الوجود إلا ببقائها مجتمعة وهي : 1–الإسلام ، 2– اللغة العربية ، 3– الوطن (الجزائر بحدودها المعروفة).

فقد أدرك رجال الجمعية وعلى رأسهم الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس هذا الخطر الداهم , فوجهوا جل جهودهم الى ابعاده ومواجهته بواسطة التربية الاسلامية الاصيلة لآجل المحافظة على الشخصية الجزائرية , فكان هذا العمل الجبار من أهم اهداف الحركة التربوية التي نهض بها ولأجلها الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :(إن الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ولغتها ودينها وتاريخها ، لاتعد أمة بين الأمم ، ولاينظر إليها إلا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والإندثار).

ج– ترقية التعليم واصلاحه :

آمنت الجمعية منذ نشأتها أن لا مخرج من كل أزمة تتخبط في شباكها الأمة الا بالعلم , فالعلم مفتاح كل باب , بل هو أحد الأركان التي قامت عليها النهضة العلمية و التربوية للجمعية و المتمثلة في :

"العروبة – والاسلام – والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين , التي هي مبعث حياتنا " (تركي رابح 1974)

وما بقاء الاحتلال في هذه الارض , وما تخلف الأمة عن اللحاق بالركب الحضاري الجاري إلا بسبب التخلف العلمي , ولا علم الا بالتعلم فلا صلاح للأمة الا بصلاح تعليمها وصلاح علمائها , يقول الشيخ الرئيس ابن باديس : " لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإن العلماء من الأمة بمثابة القلب من الجسد , إذا صلح صلح الجسد كله , وإذا فسد فسد الجسد كله , وصلاح المسلمين فلنصلح علمائهم , فإذا أردنا اصلاح المسلمين فلنصلح علمائهم , فإذا أردنا اصلاح المسلمين فلنصلح علمائهم ولن يصلح العلماء الا اذا صلح تعليمهم " آثار عبد الحميد بن باديس ج 4

فترقية التعليم عند الجمعية دائرة مغلقة تبدأ بالعلم وإليه تنتهي، فالتعليم الصحيح والسليم لا يتحقق إلا برجال علماء مدركين رسالة التعليم ومكانة العلم وأهميته في ترقية الشعوب وتحريرها .

فقط وضعت الجمعية يدها على الداء وأشارت الى الدواء الشافي , بل فكر رئيسها الأول "عبد الحميد بن باديس " في انشاء كلية جامعة لمختلف العلوم معتمدة على تجديد الطرائق والمناهج التعليمية .

" هذا ما كان يراود تفكيره , فلقد فكر في إنشاء كلية اسلامية تعنى بتخريج العلماء واعداد القيادات الاصلاحية والفكرية , ولكن الموت عاجله فلم تتحقق هذه الأمنية " المرجع السابق .

ويؤكد الشيخ عبد الحميد ابن باديس على الدعوة الى التمسك بالدين الاسلامي الحنيف لأن الاسلام ,يأمر بالإحسان العام فيقول :" إن الله يأمر بالعدل والاحسان " ويأمر بحسن التخاطب العام فيقول : وقولوا للناس حسنا " صدق الله العظيم

فلما عرفنا هذا و أكثر في الاسلام – وهو الدين الذي فطرنا عليه الله بفضله –علمنا انه دين الانسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به . وأن خدمتها لا تكون الا على اصوله وأن ابصال النفع إليها لا يكون إلا من طريقه , فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر هدايته , وخدمة كل ماهو بسبيله ومن ناحيته . فاذا عشت له فاني اعيش للانسانية لخيرها وسعادتها ,في جميع أجناسها وأوطانها , وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها , وما كنا لنكون هكذا الا بالإسلام الذي ندين ونعيش له ونعمل من أجله فهذا –ايها الاخوة –معنى قولي : انني اعيش للاسلام " آثار الشيخ عبد الحميد بن باديس ج 4

المحافظة على القيم الاجتماعية : هي المثل العلية التي يتخذها اللإراد والجمعات قاعدة لهم في تصرفاتهم اليومية كما تعد تعبيرا عن الغايات والأهداف البعيدة للفاعل الإجتماعي وهي إذا لا ترتبط بماهو موجود بل مايجب أن يكون (وليام لامبرت وولاس لامبارت 1973) .

جمعية العلماء من خلال نشاطاته التربوية ، عملت على غرس وترسيخ مجموعة من القيم الدينية والخلقية والإجتماعي و والإنسانية ومهضومها مستمدة من الدين الإسلامي الحنيف مثل : التسامح –التعاون – التأزر –التكافل الإجتماعي–العدل والإنصاف–الأخوة –الكرم–الرحمة–الإيثار–حب الخير–التضامن–الفضيلة–العفة–الطهارة–الصدق–الوفاء–الأمانة ....

د– الوحدة الوطنية :

لم تبخل عبقرية المحتل عليه ان يعمل على تفريق الجزائريين وشق عصا وحدتهم منذ وطات اقدامه ارضهم بل كان التفريق بين ابناء الشعب الواحد هاجسا يقضي عليه مضجعه، فاحتال لكل ذلك – كل حيلة لضرب هذه الوحدة التي كانت تجمع الجزائريين على الدين واللغة والتاريخ والوطن.

فأحيت فرنسا فتنة العرب والامازيغ في الجزائر فحاولت ان تفرق بين كل ما هو عربي وبين ما هو امازيغي رغم كل اسباب الاتصال والوصال.

فادعت بان الأمازيغ يرجعون بأصلهم الجنسي الى اوروبا وليس الى المشرق العربي، واجرت في ذلك الدراسات الإنثربيولوجية على الامازيغ وادعت بأنهم ينحدرون من شعوب الغاليين اسلاف الفرنسيين. كما عملت على فصل مناطقتهم عن بقية الشعب الجزائري الآخرين وشجعت عمليات فرنستهم وتنصيرهم.

فتصدت الجمعية لكل محاولات المسخ هذه عن وعي وعلم وإدراك ودعت الى وحدة الشعب الجزائري بالعودة الى أركان وحدته العروبة والاسلام.

وقد رد ابن باديس منددا بأحد الدعاة الى التفرقة والتشيع مدافعا عن الوحدة القومية والاسلامية في الجزائر بمقال تحت عنوان " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان "

" ان ابناء العرب وابناء الامازيغ قد جمع بينهم الاسلام منذ بضعة عشرا قرنا , ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء و وتؤلف بينهم في العسر واليسر , وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الاسلام " (رابح تركي 1974 م) وقد تعاونت إدارة المحتل مع رجال التنصير في محاولة تنصير الجزائريين وإخراجهم من دينهم الإسلامي وتحطيم الشخصية الجزائرية ويتجلى لنا ذلك في محاربتها ومواجهتها الأمور التالية : 1-القضاء على الدين الإسلامي ، 2- القضاء على الثقافة العربية الإسلامية ، 3-القضاء على اللغة العربية ،4- القضاء على الجنسية الجزائرية ، 5-العمل على تشويه تاريخ الجزائر في ظل الحضارة العربية الإسلامية ،6- العمل على تفكيك عرى الوحدة الوطنية للشعب الجزائري عن طريق إثارة التفرقة والفتن بين أبناء الجزائر (سياسة فرق تسد).

فقد امنت الجمعية بوحدة الجزائر في ظل العروبة والاسلام ووحدة التاريخ , ولم تدخر جهدا في العمل لاحياء هذه الاركان حتى يعود لهذه الامة مجدها الذي ذهب .

واتخذت من التعليم المسجدي والتعليم المدرسي وسيلة لتحقيق هذه الأهداف الوطنية .

وخططت المناهج التعليمية وحددت الكتب المدرسية التي تعتمد عليها في عملها التربوي – واعدت المعلمين تربويا ومهنيا .

وقدمت لهم التوجيهات التربوية المفيدة في طريقة تعليمهم . وركزت على معرفة نفسية الطفل المتعلم " حيث يقال :" ان معرفة المعلمين خصائص النمو كل مرحلة يساعد في تحديد طرف التدريس والوسائل التعليمية المناسبة مما يؤدي الى تحسين العملية التعليمية وتفيد في ادراك المعلم للفروق الفردية بين التلاميذ , وانهم يختلفون في قدراتهم وطاقاتهم العقلية والجسمية – مما يؤدي يساعد على التوجيه في العمل التربوي .(عزيز سمارة 1999)

هـ- خدمة انسانية :

أشرب رجال الجمعية حب الاسلام وأهله فمنه ينهلون وعنه يصدرون ومنه يأخذون وإليه ينتهون , فلم يكن غريبا أن يكون فكرها العام وفكرها التربوي خاصة فكرا انسانيا كما هو الاسلام – دين انساني – جمع البشرية كلها في أصل واحد . كما ورد في الأثر " كلكم لآدم وآدم من تراب "وآخى بينها جميعا في دين واحد هو الاسلام – قال الله تعالى :" انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"الآية العاشرة من سورة الحجرات

ولم يكن فكر الجمعية يوما فكرا اقليميا ولا قطريا ضيقا , ولكنه كان فكرا عربيا اسلاميا انسانيا في وقت واحد .

وربما ليس من العسير علينا ان نقرر بأن جهود الجمعية , عامة كانت تصب في هذا الاتجاه .بل ان ابن باديس هو من قرر هذا المعنى في قوله :" ان خدمة الانسانية في جميع أوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما نقصده ونرمي إليه ونعمل على تربيتنا وتربية أبنائنا عليه " (محمد الصالح رمضان 1998)

ان تربية الشعور الانساني في نفوس الناشئة له غاية تربوية لا تقل اهمية عن بقية الغايات التي رسمتها الجمعية لنفسها .

فنبذ التعصب وكراهية الأجناس واحتقار بعضها أفكار بالية حاربتها الجمعية وقاومتها رغم ما عانته هي من اضطهاد المحتل لرجالها وأبناء وطنها وأفكارها , فكان أحرى بها ان تدعو الى التمايز عن المحتل ولو فكريا ونظريا ولكن سعة أفقها ورحابة صدرها من سعة أفق دينها ورحابة صدره كذلك , فهو دين الله رب العالمين جميعا .جعلها متعالية عن هذه الافكار , بل دعت الى محبة الانسانية جميعا ونفع البشر دون تفريق .

وفي هذا الصدد قال ابن باديس :

" اننا نحب الانسانية ونعتبرها كلا , ونحب وطننا ونعتبره منها جزء , ونحب من يحب الانسانية و يخدمها , ويبغض من يبغضها ويظلمها , وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه , ونبغض من يبغضه ويظلمه .فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري وتحبيب بنيه فيه , ونخلص لكل من يخلص له .

ونناوئ كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه " (عبد الحميد بن باديس –المنتقد جويلية 1925)

-الأهداف القريبة :

اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإعداد الفرد وتكوينه وتنويره وكانت أيضا تعتني وتهتم بإعداده سياسيا لأن الجمعية كانت لها أهداف اصلاحية وتربوية وسياسية .

أ- اعداد الفرد الجزائري للحياة :

تقوم فلسفة التغيير التربوي عند الجمعية على المراهنة على الفرد وصلاحه وأنه على قدر تربية الفرد و تهذيبه واستقامته تكون تربية المجتمع وتهذيبه واستقامته .

ولأجل ذلك أوصى المربي الأول في الجمعية – المعلمين والقائمين على تعليم الأطفال بقوله :" على المربين لأبنائنا وبناتنا أن يعلموهم ويعلموهن هذه الحقائق الشرعية ليتزودوا ويتزودن بها وبما يطبعونهم ويطبعوهن عليه من التربية الاسلامية العالية لميادين الحياة ." (أحمد الخطيب 1985)

والأساس الذي ترجع تربية الفرد إليه في الفكر التربوي للجمعية إنما هو سيرة نبي الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم – وأخلاق القرآن , فالهدف هو تكوين أفراد متميزين بالاستقامة في أخلاقهم وسلوكهم ويكون رسول الاسلام – عليه الصلاة والسلام – قدوة لهم في بلوغ الكمال البشري كي ينهض بهم الوطن ويكسر قيود المحتل والاحتلال , ولذلك يقول ابن باديس : إن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا – فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية والمثال الكامل لذلك كله حياة محمد صلى الله عليه وسلم –في سيرته المطهرة والطيبة " (تركي رابح 1974)

ب- تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق :

كان لرجال الطرفية الصوفية المنحرفين سلطان على نفوس الناس , ولم يكن الاحتلال معتمدا على قوته المادية في بقائه على أرض الجزائر بقدر ما كان معتمدا على السلطان الروحي الذي كان لهذه الطرق على الناس واستغلال عاطفتهم الدينية خصوصا عند انتشار فكرة فكرة – أن وجود الاستعمار في البلاد غنما هو قضاء وقدر من الله يحب تحمله والصبر عليه , وذلك كله كي يصرف الناس عن مقاومته والثورة عليه والعمل على تحرير البلاد والعباد من سيطرته وظلمه .

وفي الحقيقة ان رجال الطرف المنحرفين لم يكونوا سوى آلات صماء في يد الاستعمار بصرفها متى شاء لما شاء , بل الواقع أنهم ازدادوا تعلقا به وطاعة له بقدر ما أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ...وقد حلت المصائب بهذه الأمة وهؤلاء القوم غارون في نومهم , وامتلأت السجون والمعتقلات بالرجال وهم آمنون مطمئنون , وجاعت الأمة وما منهم الطاغي الكاسي "(محمد البشير الابراهيمي 1971)

وفقد قامت حرب طروس بين الجمعية وبين رجال الطرق ولم ينكشف غبارها الا عن هزيمة ساحقة تكبدها باطل الطرفية وخرج منها رجال الجمعية منتصرين مؤيدين بتأييد الأمة الجزائرية لهم حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا يخلو بيت من بيوته ممن يدعو الى الاصلاح وينكر الجمود والخزافة ومظاهر الشرك القولي والعلمي وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها ." (تركي رابح 1974)

ومن الأدلة التي كانت تسوقها الجمعية للأمة على بطلات الطرفية وضلال سبيلها ما ذكره الشيخ الرئيس :

" ان الأوضاع الطرفية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها مبني على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ و أولاد الشيخ الى ما هنالك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال و الإستغلال ومن تجميد للعقول وإماتة لهمهم وغير ذلك من تلك الشرور .(أحمد الخطيب 1985).

ج- تعليم النشء وتحريره من الجمود :

قدست الجمعية العلم الصحيح لتقديس الاسلام له وجعلته محورا تدور عليه أفكارها التربوية وإليه تعود , فلذلك نرى العلم عندها غاية ووسيلة في وقت واحد ...فجعلته مدار الاصلاح الذي آلت على نفسها أن تعمل في سبيله وتبذل الغالي

والنفيس لتحقيقه , ولأجل ذلك جعلت من تعليم النشء الذي هو عماد الامة ومستقبلها هدفا تستعجل تحقيقه وتراهن عليه في تحرير العقول من الجمود الذي اصابها , وإنما وسيلة العلم النافع للعقل " لأن العقل كما يقول ابن باديس : هو ميزة الانسان وأداة عمله , وهو القوة التي يكون بها التفكير ...فالتفكير اكتشاف المجهولات عن طريق المعلومات والمفكر مكتشف مادام مفكرا " (محمد الصالح رمضان 1998)

وقد تعدى اهتمام قادة الجمعية بتثقيف عقول الناشئة وتعليمها لانهم مادة حياة الامة وسر بقائها . الى بذل الجهود في بناء المدارس ودور الطلبة في كل منطقة من القطر , وفي تكوين الشباب المتعلم والمثقف والمتشبع بالثقافة العربية الاسلامية . تسعى جمعية العلماء وفي سبيله تجاهد وتجالد وفي سبيله تلقى الأذى من القريب الضال , ومن الغريب العادي , ولأجل إحياء الاسلام في نفسه وإحياء العربية في لسانه أنشأت المدارس الأولية لتحقيق نقطة الابتداء وأنشأت المعهد الباديسي لتحقيق نقطة التوسط وانها العاملة – بعون الله – على البلوغ الى نقطة النهاية من هذه الغاية . (محمد البشير الابراهيمي 1981)

هذا ما صرح به الشيخ الابراهيمي وهو يدعو الامة الى الاتفاق من أجل تسديد ثمن دار الطلبة التي اشترتها إدارة المعهد الباديسي بقسنطينة وإنه –فعلا– لجهاد وإصرار في بلوغ نقطة النهاية من هذه الغاية وأعظم بها من غاية "

ومن بين الاهداف التي ترى الجمعية انها متممة لتنشئة الفرد , ومحققة لشخصيته , السعي لتحقيق الكمال الانساني على المستوى الفردي والاجتماعي , لأن ايصال الإنسان المتعلم الى ما يصبو اليه , وما يستطيعه من كمال انساني في حياته غاية من غايات التربية , وبعد من أبعادها .

ويوضح الامام ابن باديس ذلك في قوله : ان كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فأننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية والاجتماعية , والمثال الكامل لذلك هو حياة محمد صلى الله عليه وسلم في سيرته الطيبة " (آثار ابن باديس ج5)

ونستشف من هذا النص ما يلي :

1–ان الشريعة الاسلامية تمقت ايأس والكسل والتواكل والاستكانة وتدفع الناس الى الاستقامة والعمل والتفاؤل والطموح والعمل الجاد لنيل الكمال .

2–أن يجعل المتعلمون حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قدوتهم في الاستقامة والسلوك السوي

3–ان الكمال المرغوب يقصد به كل الكمالات المرتبطة بتكوين شخصية الفرد من جميع جوانبها –السلوكية –المعرفية– الاجتماعية التي تجعل صاحبها عالما عاملا بعلمه قوي الادارة , مستقيم التفكير مهذب السلوك متزن العواطف منسجما مع نفسه ومع مجتمعه.

مناهج التربية عند الجمعية وخصائصها:

المقصود بالمنهج التربوي : " مجموع الخبرات التربوية والثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية التي تهيئها المدرسة لتلاميذها داخلها وخارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع النواحي وتعديل سلوكهم طبقا لفلسفتها التربوية"(تركي رابح 1974)"

والمتصفح للمناهج التي وضعتها الجمعية لتسيير مدارسها تربويا يجد أنها لم تكن بعيدة في محتواها وأهدافها عن هذا المعنى الحديث –للمناهج المبنية أساسا على علوم التربية وعلى النفس التربوي –ومطالب المجتمع.

يقرر علماء التربية الحديثة بان اي منهج دراسي لا يقوم الا على اساسين اثنين لا غنى عنهما .وهما الطفل

او التلميذ بكل أبعاد شخصيته وحاجياته ,والمجتمع بكل قيمة ومبادئه وتراثه وتاريخه واماله والامه وآفاقه .

وهذان الاساسان يمثلان .كما هو ملاحظ –الجانب السيكولوجي للمتعلم والجانب الاجتماعي .

والجمعية لم تبتعد في تصورها للمنهج التربوي عما أنبتته واعتمدته التربية الحديثة . ومن أهم ما يدل على ادراك الجمعية لهذه الحقيقة المهمة قول رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو يطال **المعلمين بضرورة معرفة** " أساليب التفهيم وفهم نفسية المتعلمين وحسن التنزل لهم والأخذ بأفهامهم الى حيث يريد (المعلم) بهم حسب درجتهم واستعدادهم " المرجع السابق .

وقد صدرت مناهج الجمعية للأطوار الثلاثة للتعليم التحضيري والابتدائي والمتوسط مقدمة في منهاج القسم التحضيري تفيد هذا المعنى وهي للشيخ العربي التبسي جاء فيها: " هذا البرنامج تقدمه جمعية العلماء لمدارسها بما فيها من الشيوخ والتلاميذ وهي ترجو له ان يجد استعدادا قويا لمن ينفع وينتفع به حتى تتقدم هذه المدارس الدينية الى مصاف المدارس التي تجمع بين ما في القديم من خير ومافي الجديد من خير .

وهو ما في عصرنا من معارف عامة ونظم مفيدة ترفع غربة الابن الجزائري العائش بعقله في غير زمانه المتخلف عن ركب أبناء وقته , وإنا لنرجو أن يعقب هذا البرنامج لمدارسنا برنامج أوفى مادة وأجمع للمعارف من هذا ..."(مصطفى عشوي 1991)

عناصر المشروع التربوي:

يتألف المشروع التربوي عادة في كل بلد من العناصر التالية:

1- الاهداف و الغايات

2- المحتوى التعليمي

3- الطرائق التعليمية – الوسائل التعليمية – وسائل التقويم

4- الاشراف التربوي

– و ترتكز هذه المحاور عادة على مبادئ و اتجاهات تحدد فلسفة التوجه التربوي و ترسم الاطار المنهجي الذي تسير فيه عمليتا التعلم و التعليم .

– مفهوم التربية و التعليم :

– التربية في تصور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي :

" جهد انساني هادف يوجه لرعاية الفرد و المجتمع , ويسعى لبناء الفكر و تثقيف العقل , و تقويم الاخلاق و تقوية البدن من اجل تحقيق الغاية التي يتطلع اليها الانسان في حياته الفردية و الاجتماعية , و هي بلوغ الكمال الانساني و بناء الشخصية المتكاملة , التي ركزت الاهتمام فيها على الجوانب العلمية و العملية و الاخلاقية (و بناء الروح الذات الفردية , و بناء المجتمع و ترقيته و المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية بكل مقوماتها في الجزائر)

– يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس في هذا الصدد عند تحديد المهمة التي انشئت من اجلها جمعية التربية و التعليم الاسلامية :

" بني القانون الاساسي للجمعية من الوجهة التربوية : على تربية ابناء المسلمين و بناتهم تربية اسلامية بالمحافظة على دينهم و لغتهم و شخصيتهم , و من الوجهة التعليمية على تثقيف افكارهم بالعلم (المعرفة) باللسانيين : العربي و الفرنسي ,(اي اكسابهم الجوانب المعرفية النظرية) و (و من الوجهة العلمية التطبيقية), تعليمهم (الحرف) الصنائع (اي اكسابهم القدرة على توظيف المعارف المكتسبة و تطبيق النظريات , و تدريبهم على المهارات اليدوية) و من الوجهة المالية , تعويد الامة على التبرع النظم في المشاريع التي تعود عليها و على ابنائها بالنفع العام , اي تربية الناس على البذل و العطاء و التكافل الاجتماعي (اثار ابن باديس ج 52)

مفهوم الاهداف التربوية

ان كل تربية من التربيات و الفلسفات التي انبثقت عنها اهدافا عامة تسعى الى تحقيقها ,و هذه الاهداف هي النتائج النهائية التعليمية , السلوكية و المهارية التي يتوقع من المتعلمين الوصول اليها نتيجة لتعريفهم بعمليات التعلم و التعليم

طبيعة الاهداف التربوية

الاهداف التربوية تعبر عن ما يريده المجتمع لنفسه و تنبع من فلسفته و حاجاته و اماله , و تحدد نوعية المواطن و الحياة و ترسم سياسة و استراتيجية التربية و توجه نشاط الافراد و عمل المؤسسات و حياة المجتمع , (العفيفي عمر الهادي 1976م)و مع ذلك فهي ليست واحدة بالنسبة للفلاسفة و المفكرين و المعلمين و للاجتماعيين و السياسيين , كما يختلف المربون نفسهم في تحرير معانيها و مستوياتها و اهمية توضيحها , فبعضهم يميل الى ان تكون عامة تحمل معاني متعددة و مؤطرون يرون ضرورة تخصيصها تعبر عن جزيئية معينة يسهل قياسها و التثبت من تحقيقها

.معنى الهدف التربوي

ان اهمية الاهداف التربوية في توجيه نشاط المربيين و المتعلمين و المؤسسات التربوية الا ان هذا المصطلح له مرادفات كثيرة تثير ظلا من الغموض و الحيرة في التعامل معها مما يجعل بعض المربيين يرى ان الاهداف و الغايات و الاغراض و المرامي تحمل معنى واحدا و تؤدي وظيفة واحدة .

و يظهر التشابه في المعنى اللغوي في قواميس اللغة فالهدف يعني المرمى في لسان العرب , و الغرض هو الهدف في القاموس المحيط , و الغرض هو الحاجة و القصد في الصحاح للغة و العلوم , و يوجد مثل هذا التشابه في القواميس الانجليزية, حيث تستخدم هذه المصطلحات لتفسر بعضها البعض , فالهدف هو الغاية البعيدة في مختصراتها موسى اكسفورد كما ان الغرض هو المرمى الذي يوضح التربية او النظام التعليمي او للمادة الدراسية في قاموس التربية .

و يميز مقداد بالجن بين الهدف و الغاية فيقول : " ان الهدف هو المقصد القريب او الغرض القريب من الفعل , و الغاية هي المقصد البعيد او الغرض البعيد "غير ان الاهداف التربية ليست عبارات مجردة او منفصلة عن حياة الافراد وانما تعبر عن رغباتهم و تشكل تفاعلاتهم و تفسر مواقفهم (مقداد بالجن 1989 م)

– تطورت التربية عبر العصور و تغيرت اهدافها مع كل عصر و مع تطور المعلم و نظرياته . و مع تفجر المعرفة في كل جانت و مع تطور النظرة الى الانسان و تكوينه و دافعيته و قدراته و مكانته و كرامته و الايمان بعقله و تفكيره و الحفاظ على انسانيته و كرامته و تعامله السليم مع المجتمع و تكوين شخصيته المتكاملة (محمد لبيب النجيحي 1981)

و تطورت بذلك النظرة الى المعلم فهو اساس العملية التعليمية و عليه يعتمد نجاحها و فشلها ومن ثم كان اعداده موضع الاعتبار و التقدير في هذا التطور , حتى يحقق اهداف التربية في تطورها الجديد .

و قد اصبح المعلم الان بعد ان كان ناقلا للمعلومات و مقدما للمعارف , مكونا لشخصيات التلاميذ , و موجها لنشاطاتهم , مكسبا السلوك الانساني المرغوب و مكونا للمواطنين من الجيل الجديد في المجتمع , و محققا للتغيير المنشود فيه ,

و قائدا تربويا يعتمد على تكوينه الكثير من تحقيق اهداف المجتمع المصدر (محمد لبيب النجيحي 1981 م)

– يقول ابن باديس :ط انما تقاس درجة الامم بما تنتجه من الرجال , وانما تكون منتجة للرجال يوم يصير تعرف اقدار العاملين من ابنائها " (الشهاب ج8 – اوت 1932م)

الفصل السادس

الجانب الإجرائي

في المنهج التربوي

عند الجمعية

الجانب الاجرائي و الميداني في المنهج التربوي للجمعية

تمهيد :

ان العمل التربوي و التعليمي هو السلاح الاستراتيجي الذي اختارته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن غيره من الاسلحة و جعلته اداتها الفاعلة في خوض المعارك المواجهة مع الاستعمار، تلك المعارك التي قاوم من خلالها المحاولات الفرنسية و التغريب و التجنيس و التنصير، و كل الاساليب الرامية الى ابتلاع الجزائر ارضا و شعبا و عقيدة و لغة و سلوكا و ثقافة

لقد رات الجمعية في تلك الفترة ان سياسة الاستعمار الثقافية ماضية في طريقها، حريصة على انجاز مخططها الاستعماري المتمثل في اقتلاع الجزائري من جذوره و منبته، و تشويه لسانه، و عقيدته وزعزعة ايمانه و قتل ذاكرته حتى لا يحس بما يشعره بهويته او يربطه بحقيقة امته، و رات الطريق الانجح للوقوف في وجه هذه السياسة هو تسليح المواطنين بالعلم و المعرفة، و تنوير عقولهم و تعبئة مشاعرهم و نشر الوعي بينهم و تصحيح عقائدهم و ازالة غشاوة الجهل و الغفلة عن ابصارهم، حتى يروا حقيقة الاستعمار عارية امام اعينهم فيوجهوها و يجدوا في محاربتها.

ان مسعى الجمعية من وراء مشروعها التربوي و التعليمي هو احداث تغيير شامل في العقول و الافكار والنفوس، و في المحيط الثقافي حتى يستجيب هذا التغيير لمتطلبات الكفاح من اجل اثبات الذات و الدفاع عن الكيان، و درء الاخطار المحدقة بشخصية المجتمع الجزائري.

عناصر الخطة التعليمية :

الخطة التعليمية التي اعتمدت عليها الجمعية في تنفيذ مشروعها التربوي تشمل التعليم المسجدي و التعليم المدرسي و هي كالاتي :

1-التعليم المسجدي:

ان التعليم المسجدي الذي احيت به الجمعية سنة من سنن التربية في الاسلام كانت البداية فيه موجهة لثلاث فئات من الناس.

ا- فئة التلاميذ المتفرعين للدراسة و لتلقي العلم، و الوافدين من مختلف جهات الوطن، و هم جمهور المتعلمين الذين اسست بهم خطتها و كونت منهم طلائع النهضة، و جنود التعليم و تأطير مدارسها تعليما و ادارة و اشرافا.

ب-عامة المواطنين الجزائريين الراغبين في دروس التثقيف العام التي تزيدهم وعيا و تكسبهم معرفة. و تثقف عقولهم و تتشكل هذه الفئة من الرجال الذين يتلقون الوعظ و الارشاد كل ليلة. و من جمهور النساء اللواتي يتلقين الدروس الخاصة بهن مرة في الاسبوع (يوم الجمعة بعد العصر).

ج– فئة الشبان الذين رات انهم بحاجة ماسة الى توعية و تكوين عام، فخصصت لهم يوم العطلة الاسبوعية (بعضهم في الصباح و بعضهم في المساء). تمنح لهم دروسا عامة تتناول امورا لغوية و دينية و تاريخية، و مناقشتهم في قضايا وطنية و اجتماعية و سياسية (هذه الدروس في مقر جمعية التربية و التعليم الاسلامية).

- **المسجد:**

كان المسجد في عهد الرسول –صلى الله عليه و سلم– مكان العبادة و منارة العلم، و حل مشكلات الناس، ومنطلق الجيوش الى الجهاد في سبيل الله، و نريد ان يعود للمسجد الان ما كان له من قبل، ليتوثق ارتباط المسلمين به، فتتوثق صلاتهم بالله، و تتجه بعض البلاد الاسلامية الان الى بناء المجتمع الاسلامي –من مدرسة– و وحدة اجتماعية، و مكتبة لتربط افراد الامة بالمسجد، و ليكون العمل الديني شاملا، و الإفادة منه على اوسع نطاق، (صبح، محمد احمد جاد 1984)

و لقد كان للمسجد دور تربوي هام، فقد كان مركزا يربي الناس على الفضيلة و حب العلم وعلى الوعي الاجتماعي، و معرفة حقوقهم و واجباتهم في الدول الاسلامية التي اقيمت لتحقيق طاعة الله و شريعته و عدالته و رحمته بين البشر – انطلق تعليم القراءة و الكتابة، اي البدء بمحو الامية من مسجد الرسول –صلى الله عليه و سلم– و كان المسجد مصدر اشعاع خلقي، يتشبع فيه المسلمون بفضائل الاخلاق و كريم الشمائل–اما عن اثر المسجد التربوي و الاجتماعي في حياة الامة الاسلامية فيمكننا ان نقول انه عندما يأخذ المسجد مكانه الطبيعي الذي بني من اجله و اراده الله له، يصبح من اعظم المجالس التربوية في نفس الناشئة فيه يرون الراشدين مجتمعين على الله، فينمو في نفوسهم الشعور بالمجتمع المسلم، و الاعتزاز بالجماعة الاسلامية و فيها يسمعون الخطب و الدروس العلمية، فيبدؤون بوعي العقيدة الاسلامية و فهم هدفهم من الحياة و ما اعدهم الله له في الدنيا و الاخرة.(عبد الهادي، محمد احمد 1984)

و فيه يتعلمون القران، فيجمعون بين النمو الفكري و الحضاري بتعلم القراءة –و القران الذي يعتبر دستور المجتمع الاسلامي و النمو الروحي و هو ارتباط بخالقهم.

و فيه يتعلمون الحديث و الفقه و كل ما يحتاجون من نظم الحياة الاجتماعية كما اراد الله ان ينظمها للإنسان، من هداية الله و سنة رسوله، و على المسلمين المؤمنين العاملين : (صبح محمد احمد جاد 1984)

أ–ان يشاركوا في بناء المساجد لان العبء لا ينبغي ان يلقى كله على كواهل الدولة –وحتى يستشعر المسلمون بمسؤوليتهم امام خالقهم.

ب–ان تزيد اعداد المساجد لتتسع امام المصلين، و المتعلمين و المحتاجين و القارئين.

ج–ان يعمل المسلمون على صيانتها و نظافتها و تجديدها و تلاميذ المدارس مؤهلون لنظافتها و المحافظة عليها.

د–ان يوقف القادرون عليها فضل مالهم لتتسع خدماتها، و تزيد اعدادها و اذا اختير امام مسجد من العلماء المقتدرين و احسنت مكافاته، اصبح خطبة الجمعة زادا روحيا متجددا.....(المرجع جمال أحمد محمد 1983)

–الاطار التنظيمي للتعليم المسجدي:

–اولا: مجانية التعليم :

التعليم المسجدي مجاني لكل الفئات التي تستفيد من هذا التعليم فالتلاميذ لا يدفعون اي رسوم مقابل تعليمهم.

–ثانيا : الاقامة مكفولة لكل التلاميذ الوافدين :

لقد حرصت الجمعية على توفير الاقامة و المساعدات الغذائية لكل التلاميذ الوافدين حتى يتفرغون للدراسة ولتلقي العلم، و قد وجد في المحسنين من سكان قسنطينة و غيرهم الاستعداد الكامل لإعانة التلاميذ و توفير ظروف الاقامة و الغداء لهم.(اثار ابن باديس ج4

–ثالثا: لجنة الطلبة :

و لأجل ضبط التبرعات و الزكوات و الهبات أنشئ صندوق خاص بالطلبة يتولى الاشراف عليه لجنة مهمتها جمع التبرعات و غيرها و انفاقها في الوجوه المخصصة لها (دفع تكاليف الايواء و الغداء و كل مايتعلق بمرافق السكن، الماء، الكهرباء، اصلاح، ترميم الخ)(اثار عبد الحميد ابن باديس ج4).

و ضبط المداخيل و المصاريف و نشر ذلك في المصحف حتى يتأكد المتبرعون و المساهمون بان كل الاموال تصرف في الاغراض الموجهة لها.

–رابعا :شروط التسجيل في التعليم المسجدي:

يشترط في كل طالب يلتحق بالتعليم المسجدي ما يلي :

ا–ان يكون حافظا للقران الكريم او لبعضه كالربع مثلا.

ب–ان لا يتجاوز عمره خمسة و عشرين سنة اذا كان مبتدئا.

ج–ان يصحب معه فراشه و غطاءه.

د–ان يستظهر بكتاب من اوليائه للتعريف به.(ج الصراط السوي اكتوبر 1933م)

–خامسا :نظام العرفاء :

نظرا لاهتمام الجمعية –بسلوك الطلبة و المحافظة على سمعتهم انشئ نظام العرفاء الذي كان معروفا في تاريخ التربية الاسلامية فقسم طابته الى مجموعات حسب المناطق التي جاءوا منها واختار طالبا من كل مجموعة

جعله عريفا على طلبة منطقته يضبط امورهم و يتابع نشاطهم و يراقب سلوكهم و يحفزهم على الجد و الاجتهاد و يكون وسيطا بينهم و بين الشيخ في الامور التي يريدون مناقشتها، لذلك يجتمع الشيخ مع هؤلاء العرفاء كل اسبوع لدراسة قضايا الطلبة (فيتولى كل عريف استعراض احوال الطلبة الذين يشرف عليهم فاذا كان هناك ما يخالف حسن السيرة فان المجلس يتخذ ما يراه صالحا من اجراءات التأديب او الطرد).

و قد نشرت اسماء العرفاء و المناطق التي يشرفون على طلبتها في عدد خاص من مجلة الشهاب (ج8م1 جويلية 1934م) كما نشرت قوائم بأسماء الطلبة و بلدانهم و عمالاتهم (الجهة التي قدموا منها مع صور الاساتذة المعلمين و العرفاء و طبقات التلاميذ الاربع.

و يشترط في العريف ان يكون من اقدم الطلبة او من اكبرهم سنا و قد يكون العريف استاذا مساعدا في الوقت ذاته.

-سادسا: نظام الدراسة:

نظام الدراسة التي اعتمدت عليه الجمعية في التعليم المسجدي هو نظام الطبقات و ليس نظام الحلقات الذي تتداخل فيه المستويات و الذي كان معروفا في تاريخ التعليم الاسلامي.

فالطلاب في هذا النظام المتبع يوزعون على طبقات اربع حسب مستوياتهم و درجات التحصيل التي بلغوها ويخصص لكل طبقة منهاج خاص بها، على ان تجمع بعض المواد في شكل جذع مشترك لجميع الطبقات.

و قد حددت مدة الدراسة في التعليم المسجدي بأربع سنوات يتخرج الطالب بعدها بحصيلة علمية تمكنه من مواصلة الدراسة ان اراد في جامع الزيتونة او في غيره من المعاهد الاسلامية كما تمكنه من –الاشتغال– للتدريس في مدارس جمعية العلماء او تأطير في مساجدها.. و حرصا على افادة كل الطلاب يتولى الشيخ ابن باديس بنفسه تنظيم الدراسة و توزيع المهام و تكليف الاساتذة المساعدين بالتدريس لبعض الطبقات اما الطبقة الرابعة فهي كانت من نصيب –عبد الحميد ابن باديس– اذ هو الذي يتكفل بإلقاء جميع الدروس المبرمجة لها.

و حتى لا يحرم الطلاب من دروس الشيخ فانه خصص لكل طبقة من الطبقات الثلاثة الاخرى درسا او درسين و تترك بقية الدروس للأساتذة المساعدين الذين اختارهم ليكونوا عونا له في هذه المهمة.

-سابعا :الأساتذة المساعدون :

كان ابن باديس في البداية يقوم وحده بكل النشاطات التعليمية، و لما كثر اعداد الطلبة الوافدين و تعددت مستوياتهم اصبح من اللازم الاستعانة ببعض الاساتذة الذين رأى ان لديهم امكانيات علمية و كفاءة تربوية لتدريس بعض المواد لبعض الطبقات فوزع مهام التدريس للطبقات الاربع بينه و بين الاساتذة المساعدين، و احتفظ لنفسه بكل الدروس الخاصة بالطبقة الرابعة. من غير ان يحرم الطبقات من دروسه، لذلك خصها ببعض الدروس و ترك الباقي للمساعدين.–و فيما يلي قائمة الاساتذة المساعدين الدائمين في اواسط الثلاثينات :

–الفضيل الورتلاني –عبدالعلي الاخضري–عبدالمجيد حيرش –الجيلالي الفارسي–بلقاسم الزغداني –حمزة بوكوشة(احمد حماني 1984)

و هناك اساتذة اخرون غير دائمين كان الشيخ يلتجئ اليهم عند الحاجة و حسب المادة، و لكنهم لم يكونوا دائمين من هؤلاء :–عمر دردور–محمد المليانى–عيسى الدراجي –و محمد الدراجي–و محمد صالح رمضان–و من المساعدين من كان طالبا و استاذا في الوقت نفسه كالورتلاني–و الفارسي و الزغداني.

–مجلس الاساتذة :

من القواعد التنظيمية التي كان ابن باديس يعتمدها في تسيير شؤون التعليم المسجدي–مجلس الاساتذة الذي كان ينعقد خاصة في بداية السنة الدراسية لضبط كل الجوانب المتعلقة بسير التعليم وتحديد المواد المقررة و الكتب المعتمدة، و المواقيت الخاصة بكل مادة و اماكن التعليم بالنسبة الى كل طبقة و استعراض التعديلات الزمع ادخالها على المناهج(اذا كانت) و يحرص ابن باديس في بداية كل سنة دراسية على ان يضبط كل الامور المتعلقة بالدراسة، و يخبر الطلاب بها، و هكذا يتمكنون من معرفة المواد التي سيدرسونها و كتبها، و اوقاتها، و اماكن تعليمها ومعلميها و كذلك من معرفة مقر سكناهم و المحلات التي تتكفل بإطعامهم، و العريف المسؤول عنهم...الخ.

و كثيرا ما يكون هؤلاء الاساتذة هم العرفاء الذين لهم اتصال مباشر مع الطلبة.

–ثامنا:–نظام الانتقال من طبقة الى اخرى :

الانتقال من طبقة الى اخرى في البداية كان انتقالا اليا لا يستدعي تقويما او امتحانا خاصا، انما كان الامر موقوفا على انهاء الكتب المقررة بكل فئة (طبقة) في كل سنة.

و بعد ان تطور التعليم رأى الشيخ عبد الحميد ابن باديس باتفاق مع الاساتذة المساعدين –اجراء امتحان– في اخر السنة الدراسية بحيث يصبح الانتقال من طبقة الى اخرى مرهونا بنتائج هذا الامتحان و هذا الاجراء فاتحة لعصر جديد يشعر معه لطلاب بالتطور.

و تنفيذا لهذه الفكرة شكلت لجنة لذلك، و ضبطت قواعد العمل، و اجرى الامتحان فعلا في 20 ماي 1937م على الطبقات الاربع و حددت درجات النجاح و الملاحظات الخاصة بكل درجة، بحيث اعطيت ملاحظة (احسن) لمن احرز على اكثر من خمس عشرة نقطة. و ملاحظة (حسن) لمن احرز على خمس عشرة او ربع عشرة نقطة،

و ينتقل الطالب بدون ملاحظة اذا حصل على علامة تتراوح بين 13/10 نقطة و الذي يحرز على علامة دون العشرة يستمر في طبقته و يعيد السنة، و هذا هو الاجراء الذي طبق في عام 1937م ونشرت نتائجه في العدد 69 من جريدة البصائر.

-برنامج المواد الدراسية الخاص بالتعليم المسجدي

تشتمل الدروس التي كانت تدرس في الجامع الاخضر و فروعه على ما يلي :

ا-تفسير القران و تجويده.

ب-شرح الحديث النبوي الشريف (من الموطأ).

ج-الفقه المالكي من مختصر خليل و غيره

د-العقائد الدينية من الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية.

هـ- الآداب و الاخلاق الاسلامية.

و-اللغة العربية بفنونها (من نحو و صرف و بلاغة و لغة و ادب)

ز-الفنون العقلية كالمنطق و الحساب و غيرها

(جريدة الصراط السوي اكتوبر 1933)

ثم اضيفت لهذه المواد بعد سنة 1933 مواد اخرى مثل الفرائض و التاريخ و الجغرافيا و اصول الفقه...

ا-المواد المشتركة لجميع الطبقات :

-تفسير القران و دراسة الحديث.

-دراسة الآداب و الاخلاق.

-فصول من التاريخ الاسلامي.

-التوحيد و العقائد.

-التجويد.

-املاءات في الحساب و الجغرافيا.

ب-المواد الخاصة بكل طبقة من الطبقات الاربع :

-الطبقة الاولى :

1- الاجرومية في القواعد

2- متن ابن عاشر في الفقه

3- ايساغوجي في المنطق

4- البيقونية في مصطلح الحديث

5- احكام التجويد

-**<u>الطبقة الثانية</u>:**

-القطر لابن هشام (في القواعد)

-رسالة ابن ابي يزيد (في الفقه)

-متن السلم للاخضري (في المنطق)

-متن الكافي (في العروض و القوافي)

-**<u>الطبقة الثالثة</u>:**

-الفية ابن مالك (في القواعد) الجزء الاول.

-مختصر خليل في الفقه (عوض بأقرب المسالك -اخيرا)

-الجوهر المكنون في الثلاثة فنون (البلاغة)

-المفتاح للشريف التلمساني (في الاصول)

-متن الخزرجية (في العروض)

-**<u>الطبقة الرابعة</u>:**

-الفية ابن مالك (تتمة) في القواعد.

-لامية الافعال في الصرف

-مختصر خليل (تتمة) في الفقه (عرض في اقرب المسالك اخيرا)

سعدالدين التفتزاني (في البلاغة) شرح و تلخيص كتاب المفتاح للقزويني الذي هو ملخص كتاب المفتاح للسكاكي.

ج.-<u>كتب المواد المشتركة</u>:

-موطأ الام مالك و البخاري ف الحديث

-مقدمة ابن خلدون (في التاريخ)

-الامالي لابي علي القالي و ديوان الحماسة (في الادب)

-كتاب الرحبية في الفرائض

-البيقونية في مصطلح الحديث

-املاءات في الحساب و الجغرافيا

-احكام التجويد (املاءات)

-خطة العمل الاسبوعي:

تنطلق الدروس في كل اسبوع حسب الجدول الزمني المتبع من صبيحة يوم السبت الى عشية الاربعاء، و تبدا الدراسة في كل يوم من ايام الاسبوع بعد صلاة الصبح مباشرة، و تتواصل الى منتصف النهار، ثم تستأنف بعد صلاة الظهر و تستمر الى العصر و ما بين العصر و العشاء فترة راحة بالنسبة الى الطلبة، اما الشيخ فيتفرغ لأعماله الاخرى التي تنتظره في مكتبه (مثل قراءة البريد و تحرير المقالات و مطالعة الصحف و استقبال من يأتون الى زيارته او لاستشارته....)

و حتى لايثقل الشيخ على الطلاب كان يترك بين كل درس ة اخر وقتا قصيرا للراحة و تغيير الافواج.

اما بعد صلاة العشاء فيفرغ نفسه لدرس التفسير الذي يلقيه كل ليلة و الذي تحضره مئات من عامة الناس و خاصتهم و من الطلاب و الاساتذة و الشباب حيث تكتظ بهم رحاب المسجد، و قد كان الناس يتسابقون لحضور هذا الدرس الذي اصبحت له سمعة كبيرة في داخل قسنطينة و خارجها لأنه درس جامع يجد فيه المستمعون كل ما يهمهم من امور الدين و الدنيا من قضايا الماضي و الحاضر و المستقبل لان طريقة الشيخ ابن باديس في تفسير القران لم تكن طريقة تقليدية تكتفي بشرح ظاهر اللفظ و استعراض اقوال العلماء و خلافاتهم التي لا تفيد المستمع.

و بدرس التفسير ينتهي اليوم الدراسي الذي يقدم الشيخ فيه عشرة دروس او اكثر و قد يرتفع عدد الدروس في زمن الصيف نظرا لطول النهار و في شهر رمضان المعظم يضيف الشيخ الى دروسه المعتادة درسا في شرح متن البخاري قبيل صلاة الظهر كل يوم حرصا على افادة طلابه و جمهور المصلين.

اما الدروس الخاصة بالنساء فيخصص لها يوم الجمعة بعد العصر في الجامع الاخضر، و جعل هذا اليوم خاصا بهن اقتداء بالنظام الذي اتبعه النبي -صلى الله عليه و سلم- في تعليم النساء.

اما الدروس التي يخصصها للشبان و العمال فوقتها يوم الاحد من كل اسبوع (يوم العطلة) و قد قسمهم الى مجموعتين مجموعة تتلقى تعليمها في الفترة الصباحية و مجموعة اخرى تتلقى تعليمها ليلا بحسب ماياناسب كل

مجموعة و تلقى هذه الدروس في مقر جمعية التربية و التعليم و هكذا يمر الاسبوع الدراسي من بدايته الى نهايته و تعطى للطلاب عطلة اسبوعية تدوك يومين (الخميس و الجمعة).

-طريقة ابن باديس في التدريس :

طريقته في التدريس تجمع بين القديم و الحديث، فهو ينطلق مع الطلاب من المتن الذي يطلب منهم حفظه و الاستعداد لتلقى الشروح التي تلقى عليهم و لكنه لا يهمل مساءلة الطلاب و محاولتهم و دفعهم الى التحليل و المناقشة و لكي يثير انتباههم يجعلهم مشدودين الى الدرس يتعمد الشيخ توجيه الاسئلة المفاجئة التي تقطع شرود الذهن و تجلع الطالب في انتباه دائم و يقظة مستمرة و من الجوانب المنهجية التي يهتم بها الشيخ انه لا يكتفي بما طرح في المتن من قضايا او حقائق و انما يحاول ان يستغل الفرص و المناسبات ليطرح قضايا معاصرة لها صلة بحياة الناس سواء كانت قضايا اجتماعية او وطنية او تاريخية او سياسية، كان دقيق في تحليلاته الادبية معاصرا في طرحه للإشكالات التي تواجه المجتمع في استنباط الاحكام، او تكييفها مع الواقع، كان يحرص على غرس بذور الروح الوطنية الصادقة في نفوس طلابه.

د-التعليم المدرسي:

التعليم المدرسي تعليم خاص بالبنين و البنات الصغار سواء كانوا منتسبين الى المدرسة الفرنسية ام غير منتسبين لان الغاية من هذا التعليم هي تربية الابناء و البنات تربية عربية اسلامية تحفظ شخصيتهم و تصون لسانهم و تثقف افكارهم و تسد الثغرات التي يتركها التعليم الفرنسي في تكوين شخصيتهم العربية الاسلامية من يتعلمون في الدارس الفرنسية.

و قد توجه اهتمام الجمعية الى هذا النوع من التعليم بعد ان قطع اشواطا معتبرة في التعليم المسجدي.

حينذاك قررت توسيع الدائرة و الخروج بالمشروع الاصلاحي و التربوي من اطاره الضيق الى مجاله الواسع وهو تعليم الاجيال تعليما وطنيا اصيلا، و ذلك بالدعوة الى انشاء مدارس حرة يتعلم فيها ابناء الشعب الجزائري لغتهم ودينهم و تاريخهم و بعض المعارف العلمية الملائمة لأعمارهم.

و قد وجدت خذه الدعوة قبولا طيبا في نفوس المخلصين من ابناء هذا الوطن فهبوا متعاونين لإنشاء الدارس في مختلف انحاء البلاد من اموالهم الخاصة فتأسست بذلك شبكة من المدراس الحرة التي اصبحت قبلة لكل الاطفال الراغبين في تلقي العلم بلغتهم، في مدارس غير خاضعة للإدارة الاستعمارية، و كانت تعطى فيها دروس محو الامية للشبان و الكهول الذين لم يسبق لهم تعلم لغتهم فيتعلمون القراءة و الكتابة في هذه المدارس ليلا بعد خروج التلاميذ الصغار.

جمعية التربية والتعليم الإسلامية

القانون الأساسي للجمعية:

بني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم. ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي والفرنسي وتعليمهم الصنائع. زمن الوجهة المالية على تعويد الأمة على العطاء المنظم وتوسيع نطاق الجمعية يجعل اشتراك الشهري فيها فران كين.(اثار الامام عبد الحميد ابن باديس ج.6 ص.145 عام2007)

تعميم فكرة الجمعية:

من ضمن القانون الأساسي للجمعية ان لها أن تؤسس فروعا في البلدان فهي مستعدة لكل بلدة ترغب ان تكون فرعا منها لإجابة طلبها. كما أنها تدعو جميع المسلمين في كل بلدة الى مثل تأسيسها لتربية أبناء المسلمين وبناتهم وتعلمهن وتعلمهم، و ان ينهضوا لذألك نهضة حقيقية. ويسعوا له سعي الجد المتواصل، فانهم لا بقاء لهم الا بإسلام، و لا بقاء للإسلام الا بالتربية و التعليم و الله مع الصادقين (رئيس جمعية التربية و التعليم الإسلامية عبد الحميد ابن باديس) نشرة للجمعية التربية و التعليم الإسلامية بقسنطينة عام 1354هـ 1936 م.

-مدارس جمعية العلماء :

من اهم مؤسسات التعليم المدرسي الذي اشرفت عليه جمعية العلماء، مدارس جمعية العلماء التي انتشرت في مختلف جهات الوطن بفضل جمهور الخلصين من ابناء هذا الشعب، و بفضل الحركة الاصلاحية التي كان من اهدافها الاساسية نشر التعليم العربي و تربية الناشئة تربية عربية اسلامية.

و قد بلغت جملة مدارس الجمعية عام 1954م اكثر من مئة و خمسون مدرسة (سعدالله 2007) يتردد عليها اكثر من خمسين الف تلميذ و تلميذة، يدرسون فيها مبادئ اللغة العربية و آدابها و اصول الدين الاسلامي و التاريخ الجزائري و الاسلامي، في برنامج يجمع بين ضرورات العلم و بين اساسيات التربية الاسلامية و الوطنية الصحيحة.(تركي رابح 1974)

و في سنة 1946م :تكونت هيئة عليا للإشراف على التعليم تدعى (لجنة التعليم العليا)تابعة لجمعية العلماء –تتكفل بتعيين المعلمين و المفتشين و ترقياتهم و تنقلاتهم و وضع البرامج و المناهج و الامتحانات...الخ و هي التي وحدت التعليم العربي الحر في كل المدارس طبقا لبرنامج مضبوط.

<u>المدرسة :</u>

المدرسة من المؤسسات التربوية التي لها اثر كبير و واضح في العملية التربوية و يمكن تعريف المدرسة في المفهوم الحديث لها بانها "المؤسسة التي تقوم على نظام واع لتحقيق اهداف تربوية محدد و مقصودة ". و هي تتمثل

الان في المدارس التي تقوم برعاية التلاميذ في المراحل التعليمية المختلفة، و المدرسة لها اهميتها الكبرى و قيمتها العظمى، انها ينبوع العلم و زاد المعرفة فكلما كان منها صافيا، و زادها شاهيا دسما و ساقيها فطنا حاذقا عدت روادها بما يتوافق و متطلبات الضرورة و الحاجة، و بما ينمي عقولهم و مداركهم و يصقل مواهبهم و يبرز كفاءاتهم.(قطب محمد علي 1983م)

-و اذا كانت الاسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد الطفل بالتربية...خاصة في السنوات الاولى من طفولته.(عبدالعزيز صالح1976) فان المدرسة هي الاداة التي تعمل مع الاسرة على تربية الطفل، نعم هي اداة صناعية غير طبيعية اذا قورنت بالأسرة، و لكنها اداة ناجحة.

-دور المدرسة التربوي و اهدافها :

الغاية من العملية التربوية التي تقوم بها المدرسة بشكل عام و في جميع المراحل هي :فهم الاسلام فهما صحيحا متكاملا، و غرس العقيدة الاسلامية و نشرها و تزويد التلميذ بالقيم و التعاليم الاسلامية، و بالمثل العليا، و اكسابه المعارف والمهارات المختلفة و تنمية الاتجاهات السلوكية البناءة، و تهيئة الفرد ليكون عضوا نافعا في بناء المجتمع.

و يمكن تحقيق هذه الغاية اذا قامت المدرسة بدورها على ضوء الاهداف التالية :

1- تنمية روح الولاء لشريعة الاسلام و استقامة الاعمال و التصرفات وفق احكامها العامة.

2- العناية بالقران و السنة، بصيانتهما و رعاية عظمتهما، و تعهد علومهما و العمل بما جاء فيهما لتحقيق الاخلاق الاسلامية الاصيلة لدى الناشئة.

3- اعداد الناشئ المؤمن ليكون قادرا على حمل رسالة الاسلام و ليكون لبنة صالحة في بناء امته و يشعر بمسؤوليته تجاه ذلك.

4- تزويد التلاميذ بالقدر المناسب من المعلومات الثقافية، و الخبرات المختلفة و توفير الفرص المناسبة لتنمية قدراته، ليصبح عضوا عاملا في مجتمعه و امته يتحسس مشاكلها و يشارك في حلها.

5- اقامة الروابط الوثيقة بين افراد التلاميذ و ابراز وحدة الامة الإسلامية.

-متى تحقق المدرسة دورها التربوي؟

تحقق المدرسة دورها التربوي اذا توفرت الشروط التالية :

-ان تعود المدرسة الى المنهج التربوي الاسلامي، الذي يمتاز عن غيره من المناهج الوضعية بالتركيز على تربية العقيدة اولا ثم القدوة الحسنة

ثانيا–المحافظة على الاخلاق الحميدة –و التنمية المستمدة في سلوك الاطفال و الشباب.(جمال احمد محمد 1983).

2–وجود المعلم و المربي و الموجه المخلص و الكفء، الذي يدرك حقيقة عمله و عظم مسؤوليته، و يتوقف تحقيق الاهداف التربوية للمدرسة على وجود معلمين يؤمنون بهذه المبادئ و الغايات، و يخلصون لها كل الاخلاص و يدعون لها بإيمان و حكمة و تكون حياتهم خير مثال لما يدعون اليه، و لذا يتطلب انتقاء المعلمين لا يتوقف على المؤهل العلمي و الكفاءة التربوية فحسب بل يجب ان تكون للسيرة الذاتية و الخلق و المبدأ و الغاية و الايمان و العقيدة المكانة في اختبار المعلم (التربوي و الحسن).

3–سلامة المنهاج التعليمي و اكتماله ليكون بذلك محققا للغاية التي وضع من اجلها و هي تكون التلميذ تكوينا سليما وقويما من جميع جوانبه.

ان الشيخ محمد البشير الابراهيمي رحمه الله –(1889م–1969م).باعتباره الرئيس الثاني للجمعية (1940م–1956م)ركز في احدى مقالاته على مكانة المدرسة كوسيلة لبناء الامة فقال :

"هي جنة الدنيا و السجن هو نارها و الامة التي لا تبني المدارس تبني لها السجون، و الامة التي لا تصنع الحياة يصنع لها الموت، و الامة التي لا تعمل لنفسها ما ينفعها و يسعدها يعمل لها غيرها ما يضرها و يشقيها، ان المدرسة هي طريق الحياة و طريق النجاة و السعادة و ان الوطن والاسلام امانة في اعناقنا و وديعة العرب في ذمتنا فمن حقه علينا ان نحفظ دينه من الضياع و ان نحفظ لسانه من الانحراف و انه لا سبيل الى ذلك الا بالمدرسة التي تبنيها الامة بماله و تحوطها برعايتها."(عيون البصائر 1963)لقد حملت الجمعية على عاتقها تهيئة الوسائل المادية وجعلها تتكيف مع الوضع الاجتماعي آنذاك حيث ركزت على ما يلي :

1– بناء المدارس الابتدائية لتعليم الصغار نهارا و الشباب و الكهول ليلا.

2– فعالية المسجد اذ تقام بها دروس الوعظ و الارشاد و التوجيه الاسلامي العام من طرف العلماء و الادباء لإخراج الامة من غفلتيها.

3– النوادي :و هي وسط بين المسجد و المدرسة، و كانت عناية الجمعية بها خاصة لتربية الشباب وتهذيبهم و تنظيمهم في اطار الكشافة الاسلامية و النوادي الرياضية و الثقافية و غيرها.

<u>الاطار التنظيمي للتعليم المدرسي</u>

1–<u>الجانب القانوني</u>:

ان اهم قادة تنظيمية بني عليها التعليم المدرسي استناده الى القانون الاساسي لجمعية التربية و التعليم الاسلامية الذي حدد الغرض من تأسيس الجمعية، و من تنظيم التعليم الذي تشرف عليه، فقد جاء في المادة الثانية

من هذا القانون–" ان مقصد الجمعية هو نشر الاخلاق الفاضلة و المعارف العربية و الفرنسية و الصنائع اليدوية بين ابناء و بنات المسلمين."(اثار الشيخ عبد الحميد ابن باديس ج4).

و تسعى الجمعية لتحقيق غرضها هذا (كما اشارت المادة الثالثة) بإنشاء المدارس و تأسيس النوادي و احداث نظام البعثات لإرسال التلاميذ على نفقتها للدراسة في الكليات و المعاهد الكبرى، بالإضافة الى المؤسسات الاخرى، مثل الملاجئ لرعاية الايتام و المصانع لتدريب التلاميذ على المهارات اليدوية، و هذا هو الاطار القانوني الذي حدد اتجاهات الجمعية و مشروعية التعليم و طابعه المميز.

و يبدو من تحليل المواد الاربع الأولى من القانون ان وظائف المدرسة التي تحرص الجمعية على نشرها وتوسيع نطاقها كانت واضحة في ذهن واضح القانون الاساسي لجمعية التربية و التعليم الذي هو في الحقيقة قانون يؤسس التعليم المدرسي، و يحدد اهدافه و اتجاهاته، و يبرز ذلك من التحديد الذي اوردته نشرة جمعية التربية و التعليم، (في عددها الاول عام 1936م.) لقد ورد في هذه النشرة ما يلي:

–بني القانون الاساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية ابناء المسلمين و بناتهم تربية اسلامية بالمحافظة على دينهم و لغتهم و شخصيتهم.

–و من الوجهة التعليمية على تثقيف افكارهم بالعلم باللسانين (العربي و الفرنسي) و تعليمهم الصنائع.

–و من الوجهة المالية على تعويد الامة على العطاء المنظم و توسيع نطاق الجمعية...الخ (انه هنا يسعى الى تحديد هدف سلوكي اجتماعي تنمو من خلال تحقيقه روح البذل و العطاء و اتجاهات التكافل و التضامن والسخاء لتحقيق المشارع التي تعود على الامة و على ابنائها بالنفع العميم.

2–<u>الاهداف التي يسعى اليها التعليم المدرسي :</u>

يستخلص مما سبق ان اهداف التعليم المدرسي اربعة :

1– هدف تربوي تكويني.

2– هدف تعليمي تثقيفي.

3– هدف عملي مهاري.

4– هدف اخلاقي سلوكي.

و نلاحظ ان هذه الاهداف التي تسعى المدرسة الحديثة للعمل بها ميدانيا، و ان نشر الاخلاق الفاضلة التي نص عليها القانون هي البعد الاساسي في العملية التعليمية، لذلك جعل هدف من اهداف الجمعية، و وظيفة من وظائف المدرسة التي لم يحصد وظائفها في تلقين العلوم و المعارف انما جعلها تتضمن بالدرجة الاولى –تربية الابناء

و البنات تربية عربية اسلامية صحيحة، بالإضافة الى البعد التربوي –المتمثل في بناء شخصية المتعلمين و البعد التعليمي المتمثل في اكسابهم المعارف– يضيف بعدا اخر و هو البعد العملي التطبيقي الذي يكسب المتعلمين خبرة بالحياة و يؤهلهم لممارسة بعض الانشطة الحياتية النافعة، لذلك فكرت الجمعية في انشاء مصنع او مشغل يتاح فيه للتلاميذ التدرب على بعض المهارات اليدوية، و معرفة الاساس العلمي الذي يقوم عليه العمل، و من ثم معرفة قيمة العمل و العاملين، و هذا ما نجده اليوم في مناهج التعليم الحديث، الذي يسعى لتأصيل قيمة العمل في نفوس المتعلمين و اوليائهم.

<u>–تنشيط التعليم المدرسي:</u>

ان انشاء التعليم العربي الحر كان استجابة لحاجة وطنية ملحة ادركت جمعية العلماء حقيقتها، لان ابناءنا في ذلك الوقت كانت الغالبية العظمى منهم مهمشة و محرومة من نور العلم، و الاقلية القليلة كانت تتلقى تعليما اجنبيا، يدفعها الى نكران قيمها، و تجاهل حقائق امتها، لذلك رات الجمعية ان الحركة الاصلاحية التي صمم على خوض معاركها لا تنجح الا اذا كان التعليم اساسها و التعليم الذي تريده هو التعليم المؤسس وفق حاجات المجتمع، فهو الذي يورث للأجيال الافكار الاصلاحية والقيم الدينية و الوطنية، التي تصنع الانسان المعتز بانتمائه، و تبني المجتمع القوي الذي يستطيع الوقوف على ارضية صلبة و السير –بثقة كاملة– نحو اهدافه. هذه هي الدوافع التي دفعت رجال جمعية العلماء الى جعل التعليم المدرسي الى جانب التعليم المسجدي روح الخطة الاصلاحية الشاملة التي خططوها و نفذوها بكل شجاعة.

و لذلك فتح الباب على مصرعيه للأطفال الراغبين في التعلم، و انتشرت المدارس انحاء الوطن و كانت فرص التعلم فيها متاحة للجميع ذكورا و اناثا و كان الهدف هو تعميم التعليم و نشره في اوساط المجتمع دون تمييز، حتى يتاح للأجيال المشاركة في الحياة العامة، و الاسهام في بناء المجتمع المتعلم، القادر على مواجهة الاستعمار بالأسلحة الملائمة.

و حرصت الجمعية على تعليم البنات بصفة خاصة، فتح في وجوههن ابواب مدرسة التربية والتعليم مجانا، ورفع عنهن كل قيد، و حاربت الذهنيات التي كانت تقلل من اهمية تعليمهن، و حث اوليائهن على تغيير مواقفهم، و دفع بناتهم الى التعلم، مبينا لهم ضرورة ذلك، و العواقب التي تنتج عن بقائهن جاهلات.

لان المرأة لا تستطيع القيام بوظيفتها بالشكل المطلوب ان بقيت جاهلة و الوضعية المتدهورة التي تتعرض لها المرأة الجزائرية، و التي تفرض عليها احد الامرين، اما ان تبقى جاهلة مهمشة، و اما ان يرمى بها في احضان تعليم اجنبي ينفرها من دينها او يحقره في عينها و في كلتا الحالتين تكون النتيجة سيئة (الجهل او المسخ) و ما يترتب عن هذه النتيجة هو ان لا تقدم للمجتمع الا اجيالا شبيهة بها، و هكذا استوعب الناس اهداف الجمعية و نبل مقصدها، فهبوا للإقبال على مدارسها فما كادت تمر بضعة اشهر على تأسيس المدرسة (مدرسة التربية و التعليم) بقسنطينة حتى راينا نحو ثمانين فتاة تضمها اقسام المدرسة.(اثار عبد الحميد ج5)

-نظام الدراسة :

كان نظام الدراسة المتبع في مدرسة التربية و التعليم و في المدارس المتفرغة عنها شبيه بالنظام المتبع في المدرسة الابتدائية الحكومية، في مدة الدراسة و في عدد الاقسام، اي ان الدراسة في مدارس التعليم العربي الحر تدوم ست سنوات و مناهجها التعليمية موزعة على ستة اقسام (من القسم الاول الى القسم السادس) غير ان نظام الدوام في المدرسة الحرة يختلف عن نظام الدوام في المدرسة الحكومية، لأنه موضوع اساسا ليتلاءم مع طبيعة المتمدرسين، فالمدرسة الحرة تعمل وفق نظامين، -نظام النهاريين (المتفرغين لهذا التعليم) و هو يشبه الدوام المتبع في المدرسة الحكومية، اي ان الدروس تقدم على فترتين، فترة صباحية و فترة مسائية تتخللها اوقات راحة، اما الدوام الخاص بالتلاميذ المنتسبين الى المدرسة الفرنسية فهو منظم حسب اوقات فراغهم بحيث لا يتعارض مع اوقات دراستهم،

و تضيف بعض المدارس دواما ليليا لفئة الشباب او لمحو الامية.

1- نظام الانتقال:

ينتقل التلاميذ من قسم لأخر بطريقة الية لا تخضع للاختبارات و للتقويم المستمر هذا في بداية الامر.اما بعد ذلك فقد تطور التعليم و تطورت نظمه بحيث اصبح التلاميذ يخضعون للمناداة و المتابعة، و تسجيل الغيابات

و للامتحانات في اخر كل سنة دراسية.

<u>شروط السن غير مطلوب:</u>

لم تحدد -جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- في بداية الامر السن القانونية التي تشترط في بداية الدراسة و في نهايتها، فكان الالتحاق بالمدارس مفتوحا بدون شرط بحيث تجد في القسم الواحد اعمارا متفاوتة لان الجمعية لم تضع نظاما صلبا يحرم من هم في حاجة الى التعلم، بل كان هدفها الاساسي هو انقاذ الاطفال المشردين او الضائعين الذي لم يجدو مقاعد في المدرسة الحكومية، حتى لو كانت اعمارهم تجاوزت السن القانونية للتمدرس، سواء كان في بداية المرحلة التعليمية او في نهايتها.

ان هذا الوضع قد استمر حتى بعد ان انتشرت المدارس و تطورت الجهود التعليمية، و خاصة في الفترة الاخيرة من عمر هذا التعليم المدرسي الحر.

التنظيم التربوي عند الجمعية:

فالمعلمون الذين كفلوا بهذا التعليم ادارة و تعليما و معهم الجمعيات المحلية و اعضاء جمعية العلماء الذين يقومون بتنشيط عملية التعليم و الاصلاح في مختلف المناطق، هؤلاء جميعا خطوا بالتعليم خطوات جعلته يرقى شيئا فشيئا بحسب الامكانات المتوفرة، مما جعل مدارس التعليم العربي الحر في الفترة الاخيرة تقترب في تنظيماتها و في اساليبها مما يجري في المدرسة الحكومية، فبدانا نشاهد سجلات المناداة و احصاء الغيابات، و تحديد سن الدخول المدرسي و اشتراط الملف الصحي و شهادة الميلاد، الذي يعتمد في التسجيل...الخ.

ولأن الجمعية تبدت كل تقليد جامد ففي الوقت دابته دعت الى الجديد النافع في الميدان التربية والذي يكون مبنيا على أساس من أصالة الأمة وثاراتها. وربما نؤكد ذلك من خلال عرضنا التمازج التي تمثل جملة من جداول تحوي المواد التي يدرسها تلاميذ الجمعية في أطوار التعليم الثلاثة الأولى.

هذا الجدول يمثل قسم التعليم التحضيري:

المواد	المواد	لساعات الساعات
تعليم ديني و خلقي		02
لغة عربية	قراءة	5 ،7
	محادثة	2.5
	خط أو تمارين كتابية	05
	محفوظات و أناشيد	0.5
حساب		05
تصوير		1.5
شغل يدوي		1
تمارين رياضية واستراحة		5
المجموع		30

هذا الجدول يمثل التعليم الإبتدائي

المواد		الساعات
تعليم ديني و خلقي		02
قراءة		05
لغة عربية	نحو	2.5
	لغة	2.5
	إملاء	05
	محفوظات	0.5
كتابة		02
تاريخ		02
جغرافيا		0.5
دروس المشاهدة		01
حساب		05

تصوير	**0.5**
شغل يدوي	**01**
تمارين رياضية واستراحة	**05**
المجموع	**30**

لجنة التعليم العليا –منهاج التعليم لمدارس جمعية العلماء (20 أكتوبر 1952) قسنطينة.

– خطاطة التعليم المتوسط:

المواد		**الساعات**
تعليم ديني و خلقي		**02**
مطالعة		**3**
لغة عربية	**نحو**	**2.5**
	تمارين نحو	**02**
	لغة	**1.5**
	محفوظات	**01**
	إنشاء	**01**
	إملاء	**0.5**
تاريخ		**01**
جغرافية		**01**
خصائص الأشياء و علوم الطبيعة		**02**
حساب و هندسة		**05**
تصوير		**1.5**
شغل يدوي		**01**
تمارين رياضية و إستراحة		**05**
المجموع		**30**

لجنة التعليم العليا –منهاج التعليم لمدارس جمعية العلماء ص1 '20 أكتوبر 1952) قسنطينة

–وفي عام 1947 مخطت الجمعية خطوة اخرى الى الامام فقررت تكوين معاهد ثانوية يتابع الممتازون من خريجي مدارسها الابتدائية والتكميلية دراستهم فيها، واستقر رايهم على البداية بتكوين معهد ثانوي في قسنطينة يكون نواة لغيره من المعاهد الثانوية الأخرى. ويحمل اسم اول رئيس لجمعية العلماء وهو الشيخ عبد الحميد بن باديس اعترافا بفضله وتخليدا لذكراه.(رابح تركي 1974م)

-الخصائص العامة للمناهج في الاطوار الثلاثة:

اشتركت المناهج الثلاثة في حجم الساعات وهو ثلاثون ساعة. والساعات المخصصة لمادة الحساب هي نفسها في كل طور (5ساعات) والشيء نفسه بالنسبة لمادة التعليم الديني والخلقي (ساعتان) و (ساعة واحدة) لمادة الشغل اليدوي.

وقد اهتمت المناهج بالقراءة في الطورين التحضيري والابتدائي فكانت حصتها سبع ساعات ونصف في التحضيري وخمس ساعات في الابتدائي، وقد اقتصر الطور التحضيري على المحادثة في اللغة العربية، بينما أخذت هذه الحصة حصة الاسد في الطورين الابتدائي والمتوسط -وتحولت الى النحو واللغة والاملاء والمحفوظات والانشاء.

ولم يكن هذا من قبيل الصدفة ولكنه راجع الى ادراك قادة الجمعية الى العلاقة الوثيقة بين النمو اللغوي والنمو العقلي وضرورة اتقان اللغة لهضم مختلف المواد.

-كما ان الاهتمام باللغة في هذه المرحلة كان ضرورة اجتماعية وسياسية في آن واحد.

كذلك فإن المناهج لم تهمل مواد الايقاظ والمواد العلمية كالحساب والهندسة والعلوم الطبيعية وكذلك التاريخ والجغرافيا والتربية البدنية.

مما يبين جهود الجمعية في تطوير التعليم وبناء جيل واع ومتعلم ومثقف ومحافظا على أصالته ودينية ولغته وشخصيته العربية الاسلامية. له قدرات وكفاءات عالية لبناء المجتمع وتطوره وقيادة البلاد نحو مستقبل مزهر.

-تكوين جيل مسلح بالعقيدة الاسلامية المتينة، والوطنية الصادقة، والمعرفة العلمية الصحيحة، متشبع بالفكر الاصلاحي، قادر على مقاومة الانحراف، ومظاهر الجمود والخنوع واليأس، المتفشية في المجتمع، متمكن من الاسهام في تغيير واقع أمنه، والسير بهذا الواقع في الاتجاه الذي يستجيب لمتطلبات الكفاح من اجل اثبات الذات والذود عن الكرامة والشخصية الوطنية التي كانت الادارة الاستعمارية تسعى لنيل منها، وتدمير الاركان التي تقوم عليها.

-المضامين التعليمية وطرائق التدريس

تتكون -كما أسلفنا- كل من المراحل التحضيرية والابتدائية والمتوسطة من ست سنوات في مجموعها، وكما رسمت الجمعية لخطها التربوي غايات وأهدافا سعت لتحقيقها من خلال مشروعها التربوي العظيم.

فإنها لم تهمل الوسيلة التي تراها الأمثل تتوسل بها في الوصول الى أهدافها وغاياتها.

ومن هده الوسائل المضامين والطرق التربوية الحديثة المعتمدة في عصرها.

-مضامين الأطوار الثلاثة في مدارس الجمعية :

اعتمدت الجمعية في السنتين الاوليين من (القسم التحضيري) المقررات والمضامين التالية:

1-كتاب سمير الأطفال للهراوي.

2-الجزء الاول من القرآن الكريم.

3-الجزء الأول من كتاب الحساب العربي.

4-الجزئين الأول والثاني من كتاب مبادئ القراءة الرشيدة – أو القراءة المصورة.

5-مكتبة كامل كيلاني للأطفال او ما يقاربها من المؤلفات المجودة

6-المحفوظات المدرسية للهراوي.

7-الجزء الأول من الانشاء العربي.

-مقررات ومضامين السنتين الأوليين من (القسم الابتدائي)

1-الاسلام ديني وكتاب الفقه الواضح في الدين والاخلاق.

2-**كتب** :مكتبة الأطفال في القراءة لكامل كيلاني.

أو كتاب القراءة واللغة العربية.

3-النحو الواضح الجزء الاول والثاني (الابتدائي)

4-كتاب التصوير الحديث.

5-كتاب " كراس الخط العربي " -للأستاذ الخماسي.

6-الإنشاء الصحيح، وكتاب " كيف أكتب " المقررات في المدارس البنائية.

7-كتاب الجديد في الحساب الجزء الثاني والثالث.

8-كتاب دروس التاريخ الاسلامي – للأستاذ خياط بالنسبة للتاريخ العام، وكتاب مبارك الميلي -وأحمد توفيق المدني، بالنسبة لتاريخ الجزائر.

9-كتاب الجغرافية الحديثة -البنائي جزءان ولكن مع تصرف – ما تقتضيه الوضعية الجزائرية.

جريدة البصائر – الكتب المقررة في مدارس جمعية العلماء عدد 59 ديسمبر 1948م.

-مقررات ومضامين – القسم المتوسط -:

1- القرآن الكريم – حفظ من المصحف – (يعتمد فيه كثيرا على المنزل في برنامج الواجبات المنزلية).

2- **التعليم الخلقي:** ويعتمد كتاب الأخلاق والواجبات.

3-**الفقه:** الكتاب المقرر الجزء الثالث (الاسلام ديني) ويستعين المعلم في اعداد مذكراته بكتاب الفقه الواضح من الجزئين الأول والثاني.

4- **النحو:** الكتاب المقرر – النحو الواضح الجزء الثالث.

5-**المطالعة:**كتاب القراءة واللغة العربية – او كتاب المطالعة المغربية – أو كتاب كليلة ودمنة.

6- **الانشاء:** من الانشاء الصحيح.

أما مرجع المعلم فهو الجزء الثاني والجزء الثالث من كتاب " كيف أكتب ".

7-**الحساب والهندسة:** كتاب الجديد في دروس الحساب.

8-**الجغرافيا** : مذكرات من اعداد المعلم بحسب المنهاج يرجع فيها الى كتاب الجغرافي الحديثة الجزء الثالث والجزء الرابع، وجغرافية القطر الجزائري للأستاذ توفيق المدني.

9- **التاريخ** : مختصرات من كتاب دروس التاريخ الاسلامي للخياط ومن تاريخ الجزائر للأستاذ الميلي او توفيق المدني، أما التاريخ الاثري فيرجع لاحسن ما عرف من من التفاسير والصحاح وكتب التاريخ عند تعرضه للنصوص القصصية المتعلقة بموضوع الدرس.(تركي رابح1981م)

اضافة الى بعض الكتب التي استعانت بها مدارس الجمعية مثل كتاب "المروج " والقراءة المصورة " و"المطالعة العربية " و " هداية الناشئ " و "الجديد في المحفوظات " و "البداية في التهجي "

والجدير بالذكر و الملاحظة في هذه المقررات والناظر فيها بعين الانصاف يجد ان الجمعية كانت تنشئ مدار س عصرية وأصيلة في وقت واحد، وأنها لم تكن قط نسخة من الزوايا أو المدارس التقليدية المنتشرة في عصرها.

-طرائق التدريس في مدارس الجمعية :

مما عابت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على جامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بالقاهرة – الطريقة التقليدية الجامدة المعتمدة في التعليم بهما والاعتماد الكلي على الكتب ومقالات المؤلفين، وكأنها بديهيات أو مسلمات لا يرقى عليها النقد أو النقد أو أنها تنزيل من التنزيل.

وكذلك عدم اعمال الفكر فيما يعرض من مسائل ومعلومات كأن التعليم في نظرهم هو حشو اذهان التلاميذ بالمعارف. كما عابت الجمعية على هاتين المؤسستين مبالغتهما في العناية بفروع العلوم الشرعية وترك الاصول مع إغفال خطير " في العلوم – المقاصد والمبالغة في تحصيل علوم الوسائل من نحو وصرف ومن اجل ذلك اعتمدت الجمعية الطرق العصرية في التعليم والمتمثلة في الطريقة الحيوية المعتمدة على الحوار بين المعلم والمتعلم اي السؤال والجواب واعتبار المتعلم هو محور العملية التعليمية، بحيث لا يكون فيها " المتعلم مجرد متلق للعلوم ولكنه مشارك فيها من خلال الحوار المعتمد أساسا على السؤال والجواب.

وذلك جاء التأكيد على هذه الطريقة في مقدمة المنهاج الذي وضعه الشيخ العربي التبسي حيث يقول :" والتعليم يجب أن يكون حسيا في غالب الأحيان، والمعلم أثناء درسه يحاول أن يكون مكتشفا لا حاكيا، فبالطريقة الايجابية (سؤال وجواب) يتولد نشاط وحيوية بين المعلم وتلاميذه، وهكذا يخرج الطفل بأكبر قسط من الفائدة العلمية. "(مصطفى عشوي 1991)

وأخيرا نستطيع القول – ان الجمعية اعتمدت في تربية النشء على برامج و طرق تعليمية – أصيلة ومعاصرة في آن واحد فقد اهتمت بالقرآن الكريم و الفقه واللغة.

كما اهتمت بمقررات عصرية من – حساب وتاريخ وجغرافيا.حسب ما تقتضيه ظروف عصرها – وأتاحته لها إمكاناتها وطاقاتها خصوصا – وأن الجمعية لم تضع التعليم في المنزلة الأولى من اهتماماتها بقدر ما بوأت للتربية من مكانة.

ودليل على هذا ما اتفق غليه الشيخان الابراهيمي وعبد الحميد بن باديس في المدينة المنورة عند عزمها على انشاء الجمعية حيث يقول :

" كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في المدينة المنورة في تربية النشء هي أن لا نتوسع له في العلم وانما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا." (آثار محمد البشير الابراهيمي ج 5)

فقد بينت هذه الكلمة قيمة منهاج الجمعية التعليمي ذلك أنها لم تكثر في كثرة المعلومات التي تبرمج للمتعلمين وانما في نوعية التأثير الذي تحدثه في شخصية المتعلم.

فالاهتمام في الجانب النوعي وتربية الانسان على فكرة تخدم الدين والوطن هو الهاجس الذي يحيا في ضمائر رجال الجمعية رجال الجمعية وقادتها على الخصوص مما حملهم على تسطير برنامج تربوي حديث مبني على أساس من قواعد التربية الحديثة.

يربي تفكير المتعلمين وينهي خبراتهم وبصقل ملكاتهم العقلية ومواهبهم.

وقد علمت مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تربية النشء وتعليمه وتزويده بأنواع المعرفة والعادات والاتجاهات والقيم العربية الاسلامية والخبرات المتمثلة في :

1–غرس مبادئ الدين الاسلامي، وأداء واجباته و محاربة الخرفات والشعوذة وتربية الأبناء على الأخلاق الحميدة والاعتزاز بالوطن، والتراث العربي الاسلامي المشترك.

2– القدرة على فهم العلاقات الاجتماعية الصالحة، والتعود على ممارستها في معاملة الآخرين.

3–التمكن من وسائل المعرفة الأولية :كالقرآة و الكتابة والحساب.

4-عادة التفكير المنطقي المنظم، واقامة الأحكام على النقد والإقتناع.

5-عادة النشاط المنتج، وحسن استخدام أوقات الفراغ فيما ينفع الفرد والمجتمع.

6-التزود بقدر كاف من المعلومات العامة مع وضوح علاقتها بمواقف الحياة العلمية، والقدرة على تطبيقها.

7-تكوين جسم سليم، والتدريب على الحركات النظامية.

8-إدراك المشكلات التي تواجه المجتمع، وغرس الميل نحو المشاركة في حلها والتغلب عليها.

-عدد مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العديد من المدارس سواء الابتدائية أو التكميلية، و تطور عددها من عام الى أخر يبرزه الجدول التالي :

السنة	عدد المدارس	عدد المعلمين	عدد التلاميذ
1943	**123**	**175**	**-**
1944	**73**		
1947 **انشاء معهد ابن باديس**	**90** **-افتتاح المعهد**	**-** **12**	**20000** **700**
1948	**140**		
1951	**125**		
1954	**124**	**274**	**40000**
1955	**193-181**	**-**	**11000**

ملاحظة : إعداد شخصي المصدر : (أبو القاسم سعد الله 2007).'(رابح تركي1984)

ا

-<u>البرنامج التعليمي:(المقررات الدراسية)</u>.

لم يحدد ابن باديس و رفقاؤه المشرفون على التعليم المدرسي و الممارسون برنامجا تعليميا مفصلا، يتضمن المقررات الدراسية لكل قسم من اقسام المدرسة، على غرار التعليم المسجدي (في فترة رئاسة ابن باديس) ولم يحددوا كذلك الكتب و الطرائق التي ينبغي ان يتبعها المعلمون في تدريس المواد المقررة في هذه المرحلة فضلا عن توحيد

التعليم، فقد ترك ذلك لاجتهادات المعلمين، و مبادرات المدرسين و الجمعيات المحلية التي تشرف على المدرسة.(محمد صالح رمضان 2007).

و اكتفى ابن باديس –من خلال اجتماعاته بالمعلمين و العلماء بتقويم توجيهات عامة تفيد المعلم الذي يدرك ابعاد مهمته، و اهداف رسالته في تلك الفترة العصيبة، و ابعاد المهمة المتمثل في تعليم الاطفال الجزائريين لغتهم و دينهم و شيئا من تاريخ امتهم، و تربيتهم على قواعد السلوك الاسلامي و اخلاقيات المجتمع الذي ينتمون اليه، هذا هو الاساس الذي انشئ التعليم العربي الحر من اجله، بالإضافة الى تزويدهم بالمعارف العلمية و الثقافة العامة التي يحتاج اليها الطفل في حياته بصفته فردا في مجتمع او انسانا يعيش في عصر معين، و كان المطلوب من المعلمين كذا ان يبثوا في نفوس تلاميذهم الروح الوطنية و الاعتزاز بالشخصية الجزائرية ، و في هذا الاطار كانت توجيهات رجال الجمعية في اللقاءات التربوية او في الدروس المسجدية او في المحاضرات العامة، و المقالات التي تنشر في الصحف –تهدف الى بث روح جديدة في نفوس المواطنين جميعا، و هذا ما جعل جمعية التربية و التعليم تؤجل العمل الموجه لوضع برنامج تعليمي مفصل و موحد، و تأليف كتب مدرسية مناسبة، و اقتراح توجيهات تربوية تعتمد في التدريس لان المهمة العاجلة التي كانت على عاتق الجمعيتين (جمعية التربية و التعليم و جمعية العلماء) هي تأسيس شبكة من المدارس تستجيب لاحتياجات الشعب، و توفير العدد الكافي من المعلمين و مواجهة الاستعمار الذي كان يضيق على انفاس هذه المدارس و يتشدد في منح الرخص.

و مع ذاك فقد انطلقت المدارس في اداء مهمتها بالوسائل المتاحة و هي الخيرون من ابناء الشعب الجزائري، يساندون هذا المشروع بإنشاء المدارس و توسيع نطاق التعليم (كلما كان ذلك ممكنا)

–و قد عبر رجال الجمعية في المؤتمر الذي انعقد عام 1935 بالجزائر العاصمة

–ان ينظروا في قضايا التعليم في اجتماعهم السنوي بالنادي التركي.

و تم تحديد الموضوعات التي تدرس، و كلف بعض المعلمين العاملين بدراسة هذه الموضوعات و تسجيل ملاحظاتهم و اقتراحاتهم التي تستهدف العلاج و عرضها على المؤتمر ليبدي ذوو الراي اراءهم في طرف تنفيذها ، و من الموضوعات التي درست في هذا المؤتمر و المتعلق بالتعليم

1– الامية و اثارها و طرف مقاومتها.

2– التعليم بقسميه...و كيف ينبغي ان يكون.

3– دروس الوعظ و الارشاد.

4– التعليم المسجدي.

5- الاشراف المالي.

و قد دعت الجمعية عام 1937 الى عقد (مؤتمر عام للمعلمين الاحرار)لدراسة جملة من القضايا التعليمية، بهدف التوصل الى وضع تطور لترقية التعليم المدرسي و توحيد مناهجه.

-و حددت الموضوعات المراد مناقشتها، و طلب من المعلمين تقديم ابحاث و دراسات عنها و يتفق الذين عايشوا الحركة الاصلاحية على ان هذا المؤتمر لم ينعقد.

-المهم ان ابن بادي كان شاغرا بضرورة السعي في هذا الاتجاه، و لكن كثرة الاعباء التي كان يضطلع بها، و المعارك التي كان يخوضها في جبهات متعددة لم تترك له من الوقت ما يمكنه من انجاز هذا العمل الذي كان يرى انه موكول لذوي الاختصاص.

-و لكنه كان -يقدم توجيهات تربوية عامة تغير في وضع البرامج و اختيار الكتب و الطرائق لانها توجيهات معلم يعيش التعليم بكل جوارحه و انفاسه.

من هذه التوجيهات الاقتراح الذي اوردته "الشهاب"(ج8م:7) و نسبته الى ابن باديس.

لقد اشارت (الشهاب) الى ان الجمعية قررت وضع برنامج للتعليم ليعتمده المعلمون، فلجات الى المشروع الذي قدمه اليها الرئيس و وافقت عليه بالإجماع ، و يتألف هذا البرنامج الذي هو برنامج السنة الاولى من ثلاثة اقسام :

-**القسم الديني:**الذي يتضمن القران و الفقه و السيرة النبوية.

-**القسم اللساني** :الذي يتضمن تعليم اللغة العربية و قواعدها و المحفوظات الادبية.

-**القسم الحيوي:** الذي يتضمن مادتي: الحساب و الجغرافيا، و اللغة الفرنسية.

هذا ما تضمنه مشروع الاقتراح و الذي عبر ابن باديس عن التزامه بتطبيقه في قسنطينة في تلك السنة (الشهاب ج8م7-اوت1931)

و اذ كان هذا الاقتراح خاصا بتعليم الكبار -على ما يبدو- او بالتعليم المسجدي فانه يتضمن ايضا مضمونا تعليميا يتلاءم مع الصغار، فيه ما يعرفهم بلغتهم قراءة و كتابة و تعبيرا و ما يرشدهم الى حقائق دينهم من عقائد و فقه و قواعد سلوكية و تاريخ وطنهم.

و من هنا نستطيع القول ان المواد الاساسية التي كانت مقررة في كل مدرسة هي المواد اللغوية (القراءة و الكتابة و القواعد و المطالعة و المحفوظات)و المواد الدينية (تحفيظ اجزاء من القران و تفسيرها اجماليا، و دروس فقهية تتعلق بأساسيات الطهارة و العبادات يضاف اليها دروس في العقائد و السيرة النبوية (حسب المستوى) و اما المواد الاخرى التي تظهر حينا و تختفي حينا، مثل :الجغرافيا و الحساب و مبادئ العلوم او دروس الانشاء)، فهذه

المواد موقوفة على وجود المعلم القادر على تدريسها، و نظرا لهذا الاشكال القائم نجد بعض المعلمين يتقاسمون المواد المقررة للقسم الواحد بحيث يتولى كل واحد ما يقدر عليه، و يميل اليه، وقع هذا في مدرسة التربية و التعليم حيث تقاسم محمد الصالح رمضان و الشيخ الغسيري مثلا المواد المقررة للأقسام التي يعلمونها، فاخذ كل واحد ما يستطيع تدريسه، و الامر الذي يجب الاشارة اليه هو المبادرة التي كان يقوم بها بعض المعلمين و المتمثلة في اقتباس بعض المواد او الاساليب التي يجري العمل بها في المدرسة الحكومية و ادراجها في برنامج المدرسة الحرة لأهميتها، مثل دروس الحساب و الجغرافيا و المحادثة و الاشياء و الرسم، و يعني هذا ان المعلم الذي يدرك ابعاد مهمته يحرص دائما على الاحتكاك بالحقائق التربوية حيثما تكون ليأخذ منها ما يراه صالحا لتلاميذه خاصة اذا كان ما يقتبسه لا يتعارض مع الاهداف المسطرة، هذا ما يتعلق بالبرنامج اما الكتب التي كانت معتمدة فهي كتب غير جزائرية في معظمها (كتب مصرية في غالب الاحيان) و لكن التفكير كان قائما من اجا تأليف كتب جزائرية تلائم وضعية التلاميذ الجزائريين

، و لكن الظروف التي كانت تمر بها الحركة الاصلاحية لم تسمح بذلك.

–و تاريخهم و تاريخ وطنهم و يضاف الى ذلك ما ينبغي ان يتعلمه التلميذ في المجال الحياتي و العلمي، حتى ينشا نشأة طيبة يخرج معها من دائرة الجهل و الغفلة.

و نجد بعد ذلك في مجلة "الشهاب" تحديدا للمجالات التي ينبغي ان يستمد منها المضمون التعليمي الخاص بالبنات و هي كالاتي :

ا–**الديانة:** الدين الاسلامي بما يتضمنه من عقائد و اخلاق و احكام.

ب–اللغة: اي اللغة العربية بجميع فنونها (نحو، صرف، محفوظات، انشاء...الخ)

ج–القراءة و الكتابة: و نص هنا على القراءة و الكتابة(تعليم اللغة للبنات).

د–اتقان حرفة يدوية (اي تعليمها المهارات اليدوية)

هـ–مبادئ تربية الاولاد و رعاية الطفولة.

و–الشؤون المنزلية(اي التدبير المنزلي).

ز–الجغرافيا و التاريخ.

ح–الحساب.

و– يلاحظ هنا ان هذا البرنامج صالح للذكور كذلك اذا حذفنا منه ما هو خاص بالبنات.

و يلاحظ هنا ان هذا البرنامج الذي كان يقدم للأطفال المنتسبين الى المدرسة الحكومية لا يتضمن اللغة الفرنسية و لا المواد العلمية مثل الحساب و دروس الاشياء و الجغرافيا لانهم يتلقونها في اقسامهم –فهم بحاجة الى تعلم اللغة العربية خاصة و ان الوقت الفارغ لديهم محدود جدا فساعة واحدة او ساعتان في النهار لا تكفي لإتقان اللغة العربية فضلا عن تعلم المواد الاخرى.

و في الحقيقة ان مواد البرنامج التعليمي مرهونة بوجود المعلمين القادرين على تدريسها، لذلك نجد بعض المدارس تجتهد في اضافة مواد لها اهميتها، لأنها وجدت لدى بعض المعلمين استعداد لتدريسها.

–بيان عن الحركة العلمية بالجامع الاخضر و نفقاتها

–**الطبقات**:اربع

–**عدد التلامذة**:نحو الثلاثمائة.

–**العلوم التي تقرا**:–التفسير –الحديث –الفقه –الفرائض –العقائد –المواعظ –التجويد –الاصول –المنطق –النحو – الصرف –البلاغة –الادب –محفوظات –و مطالعات –و دراسة الانشاء –الحساب –الجغرافيا –التاريخ.

–**الكتب المدروسة**:–الموطأ–اقارب المسالك –الرسالة ابن عاشر –اليزدوي–(في اصول الفقه)المفتاح–التنقيح–السلم– المكودي–القطر–الاجرومية–الزنجاني–اللامية–السعد–الجوهر المكنون–من ديوان الحماسة–من ديوان المتنبي–آمالي القالي–من مقدمة ابن خلدون.

–**المعلمون الشيوخ**:–عبدالحميد ابن باديس –عبدالمجيد بن الحيرش–حمزة بكوشة –المتخرجون من جامع الزيتونة المعور، و **من كبار التلامذة الشيوخ**:البشير بن احمد، عمر دردور، بلقاسم الزغداني.

–**النفقة**:–لا تنقص يوميا عن ثلاثمائة فرنك مع ملحقات.**المصدر** (البصائر ديسمبر 1936م.الجزائر)

–وجهت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هذا النداء لرجال التربية و التعليمتحت عنوان:–**للدفاع عن الاسلام و القران و لغتهما**–

–ندعو كل معلم مكتب قراني او مدرسة طلب الرخصة من الادارة و لم يجب، و كل معلم مكتب قراني او مدرسة منع من التعليم، و كل معلم نزعت منه رخصته.

ان يكاتبنا بما وقع له من ذلك و يعرفنا بتفصيله و جميع ما يتعلق به لنسعي في نازلته السعي المشروع.

كما ندعو كل من تعدى عليه من معلمي الديانة في المساجد ان يكاتبنا و يعرفنا لنتتبع بطريق القانون كل من روعه و انتهك حرمة الدين و المسجد من رجال السلطة كائنا من كان.

كما ندعو كل جماعة يريدون تأسيس جمعية و فتح مدرسة لتعليم الاسلام و العربية ان يكاتبونا و يعرفونا لنرشدهم الى الوجوه القانونية اللازمة. (المصدر :البصائر 8افريل 1938م.)

مقررات المجلس الاداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الذي انعقد في اخر رجب 1352هـ.

قرر تقديم هذين الطلبين التاليين –برقيا– للوالي العام و وزير الداخلية و رئيس الوزراء، و رئيس مجلس النواب و رئيس مجلس الشيوخ.

المطلب الاول : بما ان المساجد كانت في القطر الجزائري مفتوحة في وجوه العلماء للوعظ و الارشاد و تعليم مبادئ الدين الاسلامي، و بما ان هذه الحالة بقيت بعد الاحتلال على ما كانت عليه قبله، و لم يقع فيها تغيير مدة قرن كامل و بما ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اهم غاياتها الوعظ و الارشاد، و ان القيام بهذه المهمة لا يكون الا في المساجد، و بما ان قرار عامل عمالة الجزائر احدث اضطرابا شديدا في افكار المسلمين الذين اعتبروه مسا بحريتهم الدينية، فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب بكل الحاح و بكل احترام فتح المساجد في وجوه الوعاظ و المرشدين بدون التجائهم الى طلب اذن خاص.

المطلب الثاني : بما ان تعليم اولاد المسلمين الجزائريين باللغتين العربية و الفرنسية من اكد الضروريات و من اعظم الواجبات، و بما انا تعليم الفرنسوية في المدارس و المكاتب الدولية من الامور التي تباشرها الحكومة بمقتضى القوانين و التراتيب الجاري بها العمل، و بما ان تعليم العربية من فروع التعليم الديني –و لا يمكن المسلم ان يتعلم علوم دينه بدونها– و بما ان الحكومة ليس في وسعها ان تقوم بالمدارس الفرنسوية و المدارس العربية في ان واحد

و ان الامة الجزائرية تكتفي من الحكومة باقل ما يمكن من الاعانة و المؤازرة و التشجيع، و بما ان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من اسمى غاياتها نشر التعليم بكافة انواعه، و السعي في تعميمه بجميع الوسائل و الطرق.

فان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تطلب من الحكومة ترك الحرية التامة للمسلمين الجزائريين في فتح الكتاتيب القرآنية و المكاتب العربية الحرة، و ان تقف ازاء القائمين بهذه المشاريع موقف المؤيد و المساعد.

المصدر :جريدة الصراط السوي السنة الاولى –العدد 11 بتاريخ 27 نوفمبر 1933م.

ب- الجوامع ودورها التوعوي:

والجوامع هي المعاهد الثانية التي اتخذتها جمعية العلماء أماكن للتربية والتعليم ونشر اللغة العربية، وبعث الثقافة العربية الاسلامية في الجزائر.

وكما نشطت في تأسيس المدارس على نطاق واسع في القطر كله، كذلك نشطت في تأسيي الجوامع والمساجد التي كانت مهمتها لا تقتصر على أداء فريضة لصلاة فقط وانما كانت الى جانب ذلك أمكنة لنشر العلم، وبعث الوعي واليقظة في الجزائريين بحيث أسست الجمعية بواسطة فروعها المنتشرة في مختلف انحاء البلاد عددا كبيرا من الجوامع والمساجد الحرة التي كانت تعتمد في بقائها وأداء رسالتها على ما تبذله الأمة من مساعدات نقدية، ومالية.

وعندما منعت دولة الاحتلال رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1933م. من القاء دروس الوعظ والارشاد في المساجد الخاضعة لإشرافها "(رابح تركي1974)" ثارت نخوة الأمة كما يقول *الابراهيمي "فأنشأت بمالها بضعة وتسعين مسجدا في سنة واحدة في أمهات المدن والقرى "* المرجع السابق ".

وتعليم جمعية العلماء المسجدي يعتبر امتدادا لتعليم ابن باديس الذي اتخذ من "الجامع الأخضر" بقسنطينة مركزا لنشر العلم واللغة العربية والحضارة الإسلامية طوال ربع قرن (1913-1940) وعندما توفي في عام 1940 واصلت الجمعية رسالته لأن " الجامع الأخضر " كما تقول الجمعية أصبح مركزا علميا للوطن الجزائري شرقه وغربه شماله وجنوبه " غير أن هذه الدروس انتقلت من الجامع الأخضر بقسنطينة الى مدينة تبسة في شرق الجزائر وهي تحمل نفس العنوان : "الجامع الأخضر " بسبب ظروف الحرب وقام بها ولأشرف عليها الأستاذ العربي التبسي الامين العام لجمعية العلماء بمساعدة مجموعة من علماء الجزائر المصلحين.

وتقوم جمعية العلماء في الجوامع بنوعين من التعليم :

النوع الأول:

هو الدروس المنظمة التي كانت تجري في بعض جوامع الجزائر الهامة في قسنطينة، وتبسة، وسطيف، وتلمسان، ومازونة وغيرها من جوامع العلم الأخرى، ويتعلم فيها عدد كبير من الطلبة الكبار في المستوى الثانوي على الطريقة، والكتب، والأسلوب المعروف في الجوامع الاسلامية الكبرى كالأزهر، والزيتونة، والقرويين.

-أما النوع الثاني:

فهو دروس وعظ وارشاد التي كانت توجه الى عامة المواطنين وهي غالبا ما تلقى بالليل بعد صلاة المغرب، وصلاة العشاء، وأيام الجمعة من كل أسبوع.

وتنشط جمعية العلماء عادة في دروس الوعظ والارشاد أثناء العطلة الصيفية وكذلك خلال شهر رمضان حيث تعمر المساجد بتلاوة القرآن والقاء دروس والاحتفالات الدينية.وتقوم الجمعية بتوجيه أعضائها الى مختلف المساجد

الحرة في القطر الجزائري. حيث يرابط كل منهم في المكان المحدد له للقيام بمهمته الثقافية والتهذيبية على الوجه المطلوب طوال شهر رمضان العظيم.

-<u>الزوايا والتعليم والمحافظة على السند:</u>

الزوايا مؤسسات دينية وتعليمية معترف بها، فهي بيوت للعبادة والعلم واستقبال الغرباء، وكثير منها كان يقوم بالتعليم واقراء القرآن.

ومعظم الزوايا التي كانت تقوم بهذا الدور كانت في الأرياف والمناطق النائية، وهي التي كانت تقدم الغداء الروحي للشعب أمام الجفاف الذي عانت منه التربية والتعليم طبقا للثقافة العربية الإسلامية، وهي التي حافظت على مصادر التراث الوطني كالمخطوطات (سعد الله 2007).

وكانت تستقبل أفواج التلاميذ الذين لم يجدوا مكانا لهم في المدارس الأهلية (فرنكو –ميز ولمان) أو الذين لم يرغب أباؤهم في ارسالهم الى هذه المدارس. أما الغذاء الروحي المحض فقد كانت الزوايا تقوم به باستقبال " المقدمين" والمريدين وانشاد الأذكار واقامة الحضرة و "الزردات" (الولائم) التي هي تجمعات للتعارف والاعلام والتجنيد والتمويل. كما كانت الزوايا تقوم بدور اجتماعي هام وهو الاصلاح بين الناس والمحافظة على الاستقرار الذي هو شيء أساسي للسلم الاجتماعي والانتاج الاقتصادي.

وقد صدق من أسماها " حراس الظل" لأنها حافظت على الهوية والثقافة الوطنية دون ضجيج ولا ادعاء.(صادق الهجرس 1980).

-حقيقة أن الفرنسيين حاولوا توظيف الزاوية لتحقيق مآرب سياسية خاصة بهم، ولكن الزاوية كانت أيضا تستفيد منهم المحافظة على دورها الاجتماعي والعلمي والاقتصادي.

-وقد بقيت الزوايا مؤسسات فاعلة طيلة عهد الثورة ولعب بعضها دورا ايجابيا لصالح الثورة رجعت به الى سالف عهدها في المقاومة، ولذلك عانت التخريب والاضطهاد، واضطر بعض زعمائها الى الاغتراب وانضم مريدوها الى الثورة وأبلوا فيها البلاء الحسن كان لبعض الزوايا دور بارز في الحفاظ على سند القرارات ، اي تجويد القرآن الكريم بقراءة خاصة.

فقد حافظت زوايا القبائل وزاوية الهامل وزاوية طولقة وبعض الزوايا في الغرب الجزائري على التعليم القرآني والعلوم الدينية واللغوية والتاريخ. وهناك زوايا لهم سجلات ومدونات واكتسبت شهرة واسعة بين الناس.

-وقد قام محمد السعيد أبو زار بدراسة مفيدة عن أحوال الزوايا في القبائل، وهي زوايا معظمها ترجع الى الطريقة الرحمانية التي اشتهرت بالعلم والمقاومة. فدرس أحوال زاوية سيدي منصور وزاوية عبد الرحمان البلولي وغيرهما. كما درس السند الذي اشتهرت به القبائل في القراءات وقواعد تجويد القرآن الكريم.

يقول الشيخ أبو زار إن على طالب العلم ان يصحب معه قلم ودواة ودفترا يسجل فيه شهادات شيوخه له بالحضور في الدرس الذي تلقاه مع زملائه عن شيوخهم مع ذكر اسم كل منهم. والمراد بالسند هنا هو سند تجويد القرآن وفن الرواية، وهو من أهم العلوم التي عني بها علماء القراءات. وأكمل سند عثر عليه الشيخ أبو زار هو سند الشيخ أبي القاسم أبو جليلي – فقد ذكر أبو الجليلي في كتابه (التبصرة في القراء العشر) ان سند قراءته يبدأ بافتتاحه قراءة القرآن على والده، ثم على الشيخ العربي بن الجودي بزاوية سيدي عبد الرحمن البلولي سنة 1261هـ ثم على الشيخ الطاهر الجنادي.

–في هذا الجهد المتواضع بعض الحقائق التي بينت جهود الجمعية في التربية والتعليم والتي اعترف بها العدو قبل الصديق، ومن ذلك ما جاء على لسان استاذ التاريخ المبرر "جاك مادول" في سنة 1954م قوله. أثناء زيارته للجزائر في وفد فرنسي : " أن أغرب شيء رأيته استوجب دهشتي الشديدة هو أن اللغة العربية التي هي لغة الأغلبية العظمى من سكان القطر الجزائري – تعتبر لغة أجنبية– وهذا هو الأمر الذي جعل المسلمين من رجال جمعية العلماء وغيرها ينظمون بجهودهم الخاصة وعلى حسابهم تعليم الأمة لغتها " (تركي رابح 1981م)

كما أعلن عن ذلك رئيس الوفد المذكور نفسه " ميتران" بقوله: " رأينا التعليم الحر الذي تقوم بنشره جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعلمنا أن هذه الجمعية تشرف على ما يزيد على 150 مدرسة.إذ أنها تعلم قرابة 45 ألفا من البنات – والبنين تنتشلهم من بين أيدي الجهل والاهمال، فنحن لا يسعنا إلا ان نثني الثناء الحار على هذا المجهود الصالح الذي تقوم به هذه الجمعية." المرجع السابق.

الى أن يضيف قائلا :"لقد خرجنا بحقيقة لا غبار عليها ألا وهي أن الدولة (يقصد حكومة فرنسا) تعمل على قتل اللغة العربية وعلى تحطيم الدين الاسلامي وعلى تجهيل الأمة، والعلماء المسلمون يعملون في خط مناقض للخط الحكومي. فهم يقومون بالجهود المحمودة لإحياء الاسلاموتطهيره من الخرفات، ونشر اللغة ورفع الأمية عن الأمة غير مبالين بالعقبات ووسائل الزجر والتنكيل " (تركي رابح 1981م).

وبالفعل فإن الفضل بتقدم اللغة العربية في الجزائر وتطهير الإسلام من البدعة والخرافة يشهد للجهد الجبار الذي قدمته الجمعية للأمة. وضحت من أجله ورضيت بعده بالتعب والتصعيب في سبيل أن يعود لأمتها وشعبها المجد المفقود والتاريخ العربي الإسلامي المندثر والمداس بأقدام المحتل البغيض.

وهذا الجهد الذي قامت به الجمعية لم يكن جهدا جزافيا ولكنه كان جهدا مبنيا على خطة حكيمة مدروسة – أعادت للأمة روحها ونصاعة عقيدتها وفكرها وأحييتها بالعلم وقومتها بالأخلاق وفق منهج تربوي يصدر عن فكر نير نابع من فلسفة الاسلام وروحه متقولب يقالب العربية ولباسها الجميل.

فلم تكن مدارس الجمعية ولا فكرها تقليديا جامدا منحطا ولكنه كان أصيلا معاصرا، ولا شك أن هذا كان راجعا الى عوامل أهمها روح الاخلاص وحب العمل، لدى رجالها ومعلميها والاقبال الكبير على تلقي العلم من قبل التلاميذ

كما يرجع ذلك ابداع الجمعية في وضع مناهج دراسية حديثة راعت المرحلية والتدرج والتنوع في تغيير أساليب التدريس واعتماد أسلوب التشويق.

ج–النوادي :

وتعتبر جمعية العلماء النوادي التي تنشئها في مختلف المدن والقرى الجزائرية جنبا الى جنب مع المدارس، والمساجد.(محمد البشير الابراهيمي 1963)

ويضيف قائلا :"وسطا بين المدرسة وبين الجامع "، لأن طبقات الأمة ثلاث:

–صغار تضمهم المدارس الابتدائية وكبار تجمعهم المساجد، وشباب تختطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور، فإذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم لا في المساجد، ولا في المدارس، لذلك لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم دعوة الدين والعلم الا في النوادي.

وقد كانت الجمعية توجه عنايتها من خلال النوادي الاجتماعية الى تربية الشباب تربية خلقية، ودينية، ووطنية، تجعلهم أحرص على مقومات شخصية وطنهم العربية والاسلامية، وهي اللغة، والدين، والوطنية الجزائرية، ولذلك كانت الجمعية تعمل على تنظيمهم في منظمات وطنية كالكشافة، والجمعيات الرياضية، والثقافية، والفنية، بقصد ربطهم في شبكة محكمة من العلاقات الاجتماعية، والدينية، والوطنية من أجل تحقيق الأهداف الآتية :

1– حماية الشباب من عوامل الانحراف السياسي، والفساد الأخلاقي والانحلال الديني خصوصا في مرحلة المراهقة.

2–استغلال طاقات الشباب المتدفقة استغلالا ناجما فيما يعود عليهم وعلى الأمة والوطن بالنفع العميم والفائدة.

3–تربية الشباب تربية عربية اسلامية حتى لا يجرفهم تيار الفرنسية والتغريب الذي كان يهدد الوطن الجزائري.

–هذه هي مؤسسات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

نشر التعليم العربي "الحر".

وقد أثمرت جهودها في تكوين أجيال جزائرية مسلحة بالعلم والفضيلة، والأخلاق الاسلامية العالية.

كانت عماد النهضة الجزائرية في العصر الحديث.

ويشير الشيخ محمد البشير الابراهيمي الى ذلك قائلا:"–يجمعهم كلهم ايمان واحد، وفكرة واحدة، وحماس متأجج، وغضب حاد على الاستعمار".–من آثار الشيخ الابراهيمي ج5–

والواقع ان الفضل في ازدهار النهضة التعليمية والثقافية باللغة العربية التي شهدتها الجزائر في هذه الفترة تعود الى جهود جمعية العلماء الرائعة.

في هذا الميدان: وهنا نجد الشيخ الابراهيمي يصف هذه الجهود فيقول : "هذه الحركة العلمية الجليلة القائمة بالقطر الجزائري –هي أساس المتين للوطنية الحقيقة، وهي التوجيه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي اليها هي تصحيح القواعد المعنوية، من عقل، وروح، وفكر، وذهن وتقوية المقومات الاجتماعية من دين ولغة وفضائل، وأخلاق، وتلك هي الأسس الثابتة التي بنيت عليها الوطنيات في الأمم.

هذه حقيقة لا يماري فيها الا مكابر، وهذه الحركة التعليمية لم يضع أصولها العلمية، ولم ينظم قوافلها، ولم يحم حماها من كل دساس وكل خناس، الا جمعية العلماء، ولا يعلي بناءها، ولا يرفع سمكها في المستقبل الا جمعية العلماء." (البصائر عدد 54أكتوبر 1948م)

وقد اسهمت مدارس الجمعية اسماها عظيما في تنشئه الناشئين الجزائريين نشأة عربية كانت الأساس الذي حفظ مقومات الشخصية الجزائرية من محاولات الاحتلال للقضاء عليها ومحوها من الوجود.

–كما يرجع نجاحها الكبير في الميدان التربوي الى انها كانت –الجمعية كلها– ثورة على أسلوب الطرفية المنتشر أنداك في تعليم الصغار والتباع القائم على التقليد الأعمى لشيخ الزاوية.

كما يرجع نجاحها الى استفادتها من التراث الفكري والتربوي الاسلامي من جهة ومن جهة أخرى الى مناهج المدارس الحديثة والفرنسية خصوصا المنتشرة في عهدها.

– معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس (1947–1957)

يعتبر معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أنشئ في عام 1947م. امتدادا للدروس العلمية " الجامع الأخضر" في قسنطينة التي كان يقوم بها امام النهضة العربية الحديثة في الجزائر – الشيخ عبد الحميد بن باديس في الفترة (1913 حتى عام 1940).

فقد أرادت جمعية العلماء مواصلة الجهود في نشر التعليم العربي "الحر" وبعث الثقافة العربية الاسلامية في الجزائر فأنشأت المعهد المذكور في مدينة قسنطينة، وأطلقت عليه اسم "عبد الحميد بن باديس" وذلك كي يكون بمثابة "قنطرة يمر منها أبناء الأمة الذين قطعوا مرجلة التعليم الابتدائي الى التعليم الثانوي" (البصائر أكتوبر 1951م) وتنظر جمعية العلماء الى معهد ابن باديس على أنه "تاج لمدارسها، وغرة لأعمالها، بل أعظم أعمالها، وأعلاها قدرا. وأكثر نفعا، لأنه يعمل على تهيئة أبناء الأمة لأن يصبحوا قادة لحركاتها، ومسيرين لنهضتها في جميع الميادين الحيوية، ومنه تخرج البعثات العلمية التي ترسلها الجمعية الى معاهد وجامعات البلاد العربية في المشرق ومن صفوفه يتخرج الوعاظ والمرشدون والخطباء والكتاب، والمعلمون الذين تعتمدوا عليهم الجمعية في تأدية رسالتها في نشر التعليم العربي والاصلاح الديني والاجتماعي ومحاربة الخرفات والشعوذة."(أحمد حمان 1984م).

والمعهد المذكور يعتبر ثانويا بالنسبة لمدارس جمعية العلماء الابتدائية ولكنه ابتدائي بالنسبة لجامع الزيتونة بتونس – وهو أحد فروعه.

فقد قررت الجمعية ضرورة أن يكون "معهد ابن باديس" مرتبطا بجامع الزيتونة علميا تحقيقا لهدف كبير ترمى الى الوصول اليه وهو توحيد التعليم في المعاهد العربية الاسلامية الكبرى – تمهيدا الوحدة الفكر. والتجاه بين المثقفين في العالم العربي الاسلامي وقد لبت شيخة جامع الزيتونة رغبة الجمعية فاصبح المعهد فرعا لجامع الزيتونة بالجزائر.

وكانت تهدف الى تحقيق غاية أخرى وهي تسهيل سبل الدراسة امام الشباب الجزائري الذي يسافر الى استكمال دراسته في جامع الزيتونة بتونس.

وبرنامج الدراسة في "معهد ابن باديس" هو برنامج السنوات الأربع الابتدائية في جامع الزيتونة فيما عدا مواد التاريخ، والجغرافيا، والأدب العربي، فإنه يختلف عنه بعض الشيء حيث كانت تعطى أهمية خاصة لتاريخ الجزائر وجغرافيتها وتاريخ أدبها العربي ونصوصه.

وفيما يلي محتوى برنامج المعهد المذكور.

خطة الدراسة

المواد العلمية	السنة الأولى عدد الساعات	السنة الثانية عدد الساعات	السنة الثالثة عدد الساعات	السنة الرابعة عدد الساعات
–القواعد	5	5	4	4
–القرآن والدين	5	5	5	6
والأخلاق	1	1	1	1
–التوحيد	2	2	2	2
–الجغرافيا	1	2	3	3
–التاريخ	2	2	2	2
–النصوص الادبية	2	2	2	2
–البلاغة	2	2	2	2
–تاريخ الأدب	1	1	1	0
–الرسم والاملاء	1	0	0	0
–التجويد	2	2	2	2
–اللغة الفرنسية	4	4	4	4
–الحساب والهندسة	2	2	2	2
–العلوم				
المجموع	50	30	30	30

–وكان عدد الأساتذة بالمعهد يبلغ خمسة عشرا أستاذا متفرعا بالإضافة الى عدد أخر من الاساتذة غير المتفرغين يقومون بتدريس العلوم الدينية، واللغوية، والاجتماعية. (أحمد حماني 1972م). أستاذ بالمعهد)

أما المواد العلمية فيقوم بتدريسها الاساتذة غير المتفرغين وهم غالبا متطوعون ولا يتقاضون أجورا عن عملهم.

(البصائر عدد90 –5 سبتمبر 1948م).

–وقد جاء في قانون تأسيس المعهد ما يلي:

يسمى المعهد – معهد عبد الحميد بن باديس –وتتألف إدارته من ثلاث هيئات متضامنة، وكل واحدة منها مسؤولة فيما يخصها من الأعمال للمجلس الإداري لجمعية العلماء.

–الأولى– الهيئة العلمية.

–الثانية– الهيئة المالية.

–الثالثة– هيئة المراقبة والضبط.

ويرأس مدير المعهد هو نائب رئيس جمعية العلماء الأستاذ العربي التبسي وللمجلس الاداري لجمعية العلماء الاشراف على نشاطات المعهد.

والهيئة العلمية تتكون من المشايخ المدرسية – ووظيفتها وضع البرنامج الدراسي للمعهد وتنفيذه، واختيار الكتب الدراسية الملائمة، وامتحان التلاميذ في آخر العام، وتوزيعهم على السنوات بحسب الأهلية والاستحقاق الى آخره." (محمد البشير الابراهيمي 1963م)"

وتختص الهيئة المالية بجمع المال، وضبطه، وصرفه، في مصالح المعهد التي تقررها الهيئات الثلاث مجتمعة.

أما هيئة المراقبة والضبط، فإنها تقوم بتسجيل أسماء التلامذة ومراقبتهم خارج المعهد، مراقبة دقيقة، وملاحظة سلوكهم العام من استقامة واعوجاج، وتطبيق لائحة المعهد الداخلية عليهم، وتقوم بأمر النظر في النظافة، والصحة، وعلاج التلاميذ...الخ.

وواضح من هذا النظام الدقيق أن هدفه هو ضمان تكوين أجيال جزائرية تجمع بين السلوك الطيب الجميل، والتحصيل العلمي القوي، والتربية السليمة، حتى يكونوا قدوة لغيرهم في علمهم وأخلاقهم وسلوكهم، ووطنهم.

وكان طلبة المعهد يمثلون جميع مناطق الجزائر وقد بلغ عددهم في آخر العام الدراسي 1957 للمعهد قبل اغلاقه– زهاء ألف طالب.

ووصل عددهم في العام الدراسي قبله (1955–1956) الى 913 طالبا.

موزعين على السنوات الدراسية الأربع كالآتي:

السنة الأولى	**310 طالبا**
السنة الثانية	**284 طالبا**
السنة الثالثة	**227 طالبا**
السنة الرابعة	**092 طالبا**

وقد استمر المعهد يؤدي رسالته التي أنشئ من أجلها بكفاءة ونجاح حيث صيف عام 1957م حيث صدر قرار من إدارة المحتل بإغلاقه والاستلاء على جميع مؤسساته، وبالاستلاء عليه تم تحويله الى ثكنة عسكرية – الى غاية الاستقلال 1962م.

طرق التدريس :

تختلف طرق التدريس في معاهد التعليم العربي " الحر" باختلاف نوعية هذه المعاهد.

ففي الزوايا والمساجد تسود طريقة (الحفظ والتلقين) او (طريقة المادة) التي تعتمد على الالقاء، والاملاء من جانب المعلمين والاستماع والحفظ من جانب المتعلمين، وهي الطريقة التي يكون فيها موقف المتعلمين سلبيا في معظم الاحيان.

فالمعلم هو الذي يعد الدروس، وهو الذي يشرحه، وهو الذي يحلل ما يحتاج منه من تحليل.

والمتعلمون عليهم ان يتقبلوا ما يقوله المعلم، بالقبول والتسليم في معظم الاحيان.

–اما التعليم في المدارس "العصرية" فإن طريقة التدريس المتبعة فيها في الغالب هي الطريقة "الحيوية " او – الحوارية –او الفعالة التي تعتمد على إجابيه المتعلم، وفعاليته، بحيث لا يكون متلقيا فقط ولكنه مشارك في الدروس من اوله الى اخره.

والحوار المتبادل بينه وبين المعلم. (البصائر عدد 239 سبتمبر 1953)

–هيئة التفتيش:

كانت مدارس جمعية العلماء مقسمة من ناحية التفتيش الى ثلاث مناطق رئيسية هي :

1–المنطقة الغربية، وتشمل عمالة " وهران ".

2–المنطقة الشرقية، وتشمل عمالة " قسنطينة ".

3–المنطقة الوسطى، وتشمل عمالة " الجزائر العاصمة ".

وكان هناك نوعان من المفتشين :

مفتشون جهويون، وتشمل اختصاصا تهم نواحي معينة فقط. ومفتشون عامون تمتد اختصاصاتهم عبر مدارس عمالة بأكملها ومن هؤلاء نذكر :محمد الغسيري المنصوري – ومحمد الصالح رمضان – وعلي مرحوم –وابراهيم مزهودي – والصادق حماني – واحمد حماني –وأحمد بن ذياب.

وكان هؤلاء المفتشون قبل عام 1953م يختارون من بين قدماء المعلمين في مدارس الجمعية الذين تتوفر لديهم خبرة كافية بالتعليم وايمان راسخ بفكرة الجمعية القومية، والدينية. أما بعد العام المذكور فقد صدر قرار من لجنة التعليم العليا – ينص الى جانب الخبرة والايمان بفكرة الجمعية، على وجوب اجراء مناضرة (مسابقة) لكل من يرشح نفسه للعمل في سلك التفتيش العام او الجهوي على شرط ان يكون من درجة (أ) او (ب) المسجلة في بطاقة المعلم، وقد حدد بلاغ اللجنة الصادرة في سبتمبر سنة1953م مواد هذه المناظرة في الموضوعات التالية :

أ–موضوع إنشائي في التربية والتعليم.

ب– تفتيش قسم أمام لجنة المناظرة وتقديد تقرير عنه.

ج–اقاء محاضرة في فنيات التعليم على اللجنة وبحضور جمع من المعلمين.

د–سؤال شفوي حول حركة جمعية العلماء وتطورها العلمي.

هـ–سؤال تطبيقي في الثقافة العامة (البصائر العدد السابق)

أما الوظيفة الرئيسة التي كان يقوم بها جهاز الاشراف التربوي فهي مساعدة المعلمين على تكوين أنفسهم وهو يباشرون مهنة التعليم، والعمل على الارتقاء بمستوى التعليم العربي " الحر "في المناهج والطرق التعليمية والادارة التربوية.

ويشرفون على تطبيق البرامج التعليمية التي تضعها لجنة التعليم العليا لمدارس الجمعية تحت اشراف المجلس الاداري للجمعية الى غير ذلك من متطلبات التعليم الفنية الاخرى. المصدر السابق.

–ادارة التعليم :

يخضع التعليم العربي " الحر " بكل معاهده من زوايا ومساجد ومدارس ومعاهد لإدارة الهيئات المشرفة عليها في كل كبيرة وصغيرة ويدار إدارة تشبه مركزية من طرف كل هيئة.

وفي مدارس جمعية العلماء تتقاسم عملية إدارة التعليم جهتان مختلفتان ولكنهما مرتبطتان ارتباطا شبه عضوي:

1–الجمعيات المحلية التي توجد في كل بلدة أو قرية بها مدرسة تابعة لجمعية العلماء، ووظيفتها القيام بأمور المدارس من الناحية المادية.

2-جمعية العلماء التي تقوم بأمور المدارس من الناحية الفنية التعليمية ومن هنا، فإن عملية إدارة التعليم تشترك فيها الجمعيات المحلية وجمعية العماء، وكل منها تختص بالقيام بجانب منها.

ويلاحظ ان التعليم العربي "الحر" لم تتم عملية توحيده في المناهج والنظم، والكتب المدرسية، والاشراف التربوي، وبصفة عملية شاملة الا بعد تكوين لجنة التعليم العليا سنة 1948م.

ففي 13 سبتمبر سنة 1948م قرر مجلس الاداري لجمعية العلماء تكوين لجنة خاصة بالتعليم اسمها " لجنة التعليم العليا " تتولى كل ما يتعلق بالتعليم من برامج، ولوائح، ومراقبة واشراف تربوي وتلقي شكاوي، وتعيين معلمين، الى أخرى، تحت اشراف رئيس الجمعية ومع مراجعته في أمهات المسائل.

وتم تشكيل اللجنة من عضوين من إدارة الجمعية وأحد عشر عضوا من قدماء المعلمين.

-وقامت اللجنة بتكوين مكتب دائم لها مقره مركز الجمعية بالعاصمة – يتألف من الأساتذة :

1-اسماعيل العربي رئيسا.

2-محمد الغسيري المنصوري عضوا.

3-أبو بكر الأغواطي عضوا.

وهذا المكتب هو الذي يتولى أعضاؤه عملية التفتيش على المدارس بأنفسهم طبقا لبرنامج خاص يضعونه لذلك.

وقد نشطت " لجنة التعليم العليا " بمساعدة و مساندة رئيس الجمعية والمجلس الإداري لجمعية العلماء في وضع اللوائح، والقوانين والضوابط المنظمة للتعليم تنظيما إداريا، وتربويا من جميع النواحي، بدأت بإصدار اللائحة الداخلية لمدارس جمعية العلماء في أوائل عام 1949م. وهي تقع في واحد وثلاثين نبدأ تتعلق بكيفية تنظيم العمل داخل المدارس في التعليم، والنظام، وطريقة قبول التلاميذ، وتأدبيهم وحراستهم في أوقات اللعب، داخل فناء المدارس، والعطلة الأسبوعية والسنوية وكيفية إعداد الدروس ولغة الدراسة في المدارس. الخ (المصدر : البصائر عدد 64- جانفي 1949م).

- تمويل التعليم العربي " الحر"

التعليم العربي "الحر" بكل مؤسساته، يعتمد في كل كبيرة وصغيرة من ناحية التمويل، على التبرعات، التي يتلقاها من المواطنين على اختلاف أنواع هذه التبرعات، كما يعتمد على الزكاة والأوقاف التي يوقفها علبه أهل البر

و الاحسان، ولا يتلقى اية مساعدة من حكومة المحتل من أي نوع كانت.

ومن المعروف أن التعليم العربي الاسلامي، كان قبل الاحتلال يعتمد في بقائه، وازدهاره، على الأوقاف الاسلامية، التي كانت كثيرة، والثروة، بحيث يكفي دخلها للانفاق عليه بسخاء كبير (تركي رابح 1974) وكانت الجزائر

من أغنى الأوطان الاسلامية بالأوقاف قبل الاحتلال وكان في مدينة الجزائر وحدها، ثمانية آلاف عقار تابعة للأوقاف الاسلامية لم يبقى منها عقار واحد، بعد دخول المحتل الى الجزائر عام 1830- لأنه صادرها جميعا منذ الأيام الأولى.(محمد البشير الابراهيمي 1955)

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعليم العربي يعتمد في بقائه ونشاطه على التبرعات الشعبية وحدها، سواء كانت نقدية أو عينية.

فالمدارس العربية الحرة كما قال أحد الكتاب : لاحظ لها في الميزانية العامة التي تمدها الأمة بالنصيب الأوفر من الدخل، ولكنها تحرم من الاستفادة منها في تعلم لغتها لأن شريعة الاستعمار في هذا الوطن (الجزائر) تعتبر اللغة العربية – لغة أجنبية وتعليمها – وان كان – لا يكون الا في نطاق ضيق، كبقية اللغات الأجنبية الأخرى – وتجعل لغة الأقلية الضئيلة من أبناء الاستعمار هي اللغة الرسمية وهي التي يجب لذلك – أن تحظى بالمقدار الضخم من الميزانية لتسود وتنتشر، وتقضى على هذه الضرة التي تجاورها وهي اللغة العربية.(علي مرحوم – البصائر ح 101 جانفي 1950)

-وقد كان التمويل في حركة جمعية العلماء التعليمية يتم عن طريق الجوانب الآتية :

– وما يدفعه أولياء التلاميذ مقابل دراسة أبنائهم في المدارس – واردات النوادي الحرة – الزكاة – وحصيلة المهرجانات الثقافية التي تقيمها المدارس خلال المناسبات الدينية والقومية و وفي أخر العام الدراسي. (العربي التبسي 1953).

وكانت الجمعيات المحلية هي التي تقوم بالدور الكبير في عملية تمويل التعليم العربي "الحر"وهناك التزام مقرر بين جمعية العلماء، وبين الجمعيات المحلية. وهو يقضي بأن تتولى الأولى عملية الاشراف العام على جميع الشؤون البيداغوجية المتعلقة بالتعليم. كالبرامج والكتب المدرسية والمعلمية والتفتيش، والادارة المدرسية الى غير ذلك من شؤون التعليم بينما تقوم الجمعيات المحلية التي تعتبر فروعا لجمعية العلماء بعمليات جمع المال اللازم لسير التعليم وبناء المدارس وتأثيثها، ودفع رواتب المعلمين وأجور العاملين في تلك المدارس من موظفين وحراس، وكهرباء ومياه وغيرها.(لجنة التعليم العليا – البصائر عدد67/فبراير 1949م)

فقد كانت الجمعيات المحلية هي التي تتولى عملية جمع المال لبناء المدرسة ثم تأثيثها بالأدوات الدراسية اللازمة من مناضد، وكراسي، وسبورات، وغيرها ثم بعد الانتهاء من ذلك تتقدم بطلب الى جمعية العلماء لقبولها في سلك نظامها التعليمي فتقوم الأخيرة باعداد البرامج للمدرسة، وتزويدها بالمدير، والمعلمين، والكتب ومتابعتها بالتفتيش والرقابة التربوية الى أخرى. وكانت الجمعيات المحلية كما يقول الابراهيمي : " هي المرجع الوحيد في ماديات المدارس وهي الحاملة للحمل الثقيل فيها" (الابراهيمي – مجلة مجمع اللغة العربية بالظاهرة عدد21 /عام 1966م)

–ومن هنا فإن ميزانية بناء المدارس كانت لا تدخل الى خزينة جمعية العلماء، بل تقبضها لجمعيات المحلية، وتقوم بانفاقها في عملية البناء والتجهيز، فإذا تم البناء جرى الحساب علنا بحضور أفراد الشعب وحضور رئيس جمعية العلماء ويقفل بابها نهائيا.(المصر السابق)

–وهنا ملاحظة تجدر الاشارة إليها في هذا الصدد وهي أن هناك نوعا من الاشتراكات كانت تربط بين مدارس جمعية العلماء تتمثل في ان كل مدرسة يفيض مدخولها على مخروجها يدخل المبلغ الفائض من مالها في خزينة جمعية العلماء. وهي ميزانية مستقلة عن مالية الجمعيات المحلية.

وكل مدرسة يقل دخلها عن مخروجها يعتمد لها من خزينة الجمعية ما يسر عن عجز ميزانيتها، مما يكون بين مختلف مدارس الجمعية نوعا من التعاون. (الابراهيمي 1966) بين بعضها من ناحية، وبين فروع الجمعية – والجمعيات المحلية من ناحية أخرى وقد بلغت ميزانية مدارس جمعية العلماء في عام 1952(100) مليون فرنك – اما ميزانية " معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس " بمدينة قسنطينة فإنها مستقلة عن ميزانية المدارس وكذلك عن ميزانية جمعية العلماء.

وقد بلغت هي الأخرى في العام الدراسي (1950–1951) 39، 340546 فرنك (البصائر العدد 172 عدد خاص أكتوبر 1951)

وهكذا كان الأمر في مدارس الجمعيات الخيرية بوادي – "ميزاب " فقد كانت الجمعيات القائمة بشؤون التعليم تعتمد في نفقاتها في الانشاء والبناء والتجهيز، والتسيير على اشتراكات أعضائها وتبرع للمحسنين من أبناء ميزاب الذين كانوا يستجيبون " برغبة وعنبطة الى ما يدعون الله من النفاق في سبيل الله.(بفيهة 1972)

–والواقع ان عملية تمويل التعليم العربي "الحر" كانت تمثل مشكلة كبيرة كبرى لكل من جمعية العلماء، وكل من الجمعيات الأخرى، نظرا لزيادة النفقات عاما بعد عام، واتساع وتطور حركة التعليم " الحر" مما أصبح الأمر معه يتطلب ميزانية ضخمة تكبر عاما بعد عام. ومن هنا صار المهتمون بهذا التعليم ينادون بوجوب تدبير موارد مالية ثابتة بدل الموارد المالية غير الثابتة.

–كتبت البصائر (عدد 93أكتوبر 1949 م) في هذا الموضوع تقول :"تعاني المدارس الحرة أزمات مالية شديدة، وقل ان تسلم منها مدرسة اللهم الا تلك المدارس التي كفل حياتها مشروع عمودي، تتغذى من ريعه وتعيش من فيضه...فإذا أردنا أن نخرج بمدارسنا من ذلك الجو الراكد...فعلينا أن نفكر جماعات وأفرادا في مشاريع اقتصادية يعود ربحها على المدارس حتى لاتبقى في سجنها الحديدي العتيق، ففي استطاعة أية جمعية محلية لأية مدرسة حرة أن تجمع رأس مال ولو تأخرنا قرضا. وتجعل بذلك المال دارا للسينما، أو ناديا، أو مقهى، أو حماما، أو نزلا(فندق) أو محلا تجاريا، أو سيارات نقل، أو أي مشروع من شأنه أن يعود بالفائدة على المدرسة الفنية والعلمية. " (عمر شكيري / البصائر العدد السابق)

وفي نفس الموضوع دعا رئيس المكتب الدائم للجنة التعليم العليا –الاستاذ العربي التبسي في منشور وجهة الى رؤساء الجمعيات المحلية لجمع المال اللازم للنهوض بمدارس الجمعية مثل:

- الاقتداء ببعض المدارس في فتح ناد أو غيره، نخم باسم المدرسة ويكون في الوقت نفسه بمثابة مركز التقاء لأنصار الجمعية وأعضائها والعمل على إحياء سنة وقف العقارات في المدارس والمساجد

– اقتداء بالمسلمين الأوائل الذين كانوا يحسبون الحقول والحوانيت و الحمامات للمصلحة العامة.

–والملاحظ ان الشعب كان بوجه عام. يقبل على التبرع لحركة التعليم العربي " الحر " لإيمانه العميق بأنها السبيل الوحيد للمحافظة على مقومات شخصيته الوطنية، ولذلك عاش هذا التعليم وازدهر رغم محاربة المحتل له محاربة ضاربة.

وكان المواطنون القادرون يسارعون الى تبني أبناء الفقراء في التعليم فيدفعون نيابة عنهم الاشتراكات الشهرية للمدرسة نظير دراستهم ويسددون لهم كل المصاريف المطلوبة، مما أوجد حماسا متزايدا في أوساط الشعب لرعاية حركة التعليم العربي، والقيام بكل متطلباتها الأساسية بقدر الإمكان.

ونستنتج من خلال محتوى التعليم " الحر " من خطة دراسية، وكتب مدرسية، ومقررات دراسية وتمويل وإدارة تعليمية، وتفتيش وغيرها ويتضح لنا أن هذا التعليم كان يهدف في المقام الأول الى المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية. وهي الدين، اللغة، والتاريخ، والثقافة، والوطنية، وكان يعمل على خط معاكس، لمناهج وخطط المدرسة الفرنسية، التي تعمل على نشر الفرنسية في الجزائر ومحاربة الشخصية القومية للجزائريين، وكان شعار حركة جمعية العلماء التعليمية" الاسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطننا "

ولا شك ان هذا الشعار لخص – أهداف وفلسفة حركة التعليم العربي "الحر" وهو شعار يقابل الأسس الثلاثة التي قامت عليها فرنسا سياستها التعليمية في الجزائر وهي " الفرنسية، والتنصير، والادماج ".

–وقد نجحت حركة التعليم العربي "الحر" رغم امكانياتها المتواضعة بالنسبة لامكانيات مدرسة الاحتلال، في مقاومة خطة الاحتلال، الرامية الى القضاء على الشخصية الجزائرية.

وعملت على بعث نهضة ثقافية عربية مرموقة كانت الدعامة التي استندت إليها الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة في كفاحها من أجل تحرير الجزائر من الاحتلال، في نطاق حضارتها العربية الاسلامية.

مراحل تطور نشاطات جمعية العلماء المسلمين

يلاحظ ان نشاطات العلماء المسلمين الجزائريين التعليمية قد مرت بعدة مراحل يمكن تقسيمها الى الثلاثة الاتية :

- المرحلة الاولى (1931 م – 1939م)

و تبدا من عام 1931م – و هو العام الذي تكونت فيه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – حتى بداية الحرب العالمية الثانية 1939 كانت هذه المرحلة – مرحلة نشاط ثقافي و اعلامي كبيرين قامت بهما الجمعية تعريفها بمبادئها – و محاولة نشر دعوتها بين المواطنين و اقناعهم بجدواها.

و في هذه المرحلة اسست عددا كبيرا من المدارس و المساجد و النوادي في اهم المدن و القرى الجزائرية التي استطاعت ان تصل اليها دعوتها.

و نسجل عدم العثور على احصاء شامل لها في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ تكوين الجمعية و بداية نشاطها التعليمي التربوي.

و قد امتد نشاطها في هذه الفترة الى فرنسا حيث تعيش جالية جزائرية كبيرة في مختلف المناطق للصناعية الفرنسية.

فأسست مجموعة من النوادي الثقافية التي كانت تقوم بمهمتين في وقت واحد ،

- المهمة الاولى :

ثقافة دينية تتمثل في القاء المحاضرات التوجيهية و دروس الوعظ و الارشاء بقصد المحافظة على شخصية هؤلاء العمال الجزائريين القومية، و قد اختارت الجمعية للقيام بهذه مجموعة من السمع اعضائها المقتدرين، برئاسة الفضيل الورتلاني و ذلك ابتداء من عام 1936 م جريدة (البصائر 1951)

- اما المهمة الثانية :

– فقد كانت تربوية تتمثل في الدروس التعليمية التي كانت تنظم لأبناء هؤلاء العمال في غير اوقات دراساتهم في المدارس الفرنسية لتلقينهم مبادئ القراءة و الكتابة، باللغة العربية، ومبادئ الدين الاسلامي حتى يرتبط هؤلاء الاطفال منذ الصغر بالحضارة العربية الاسلامية و بوطنهم الجزائر، و لا يذوبوا في الوسط الذي يعيشون فيه، و لا سميا ان عددا كبيرا منهم مولدون لاب جزائري و ام اوروبية – عبد الرحمان البعلاوي 1951 م – مما يكون خطورة كبيرة على شخصيتهم القومية مستقبلا بعد ان يشبوا و يترعرعوا في الوسط اجتماعي يعبر عن وسطهم الاصلي.

و قد وصف – عبد الرحمان البعلاوي– احد مسؤولي الجمعية في باريس – حالة هؤلاء الاطفال الجزائريين في تقرير قدمه الى الجمعية في العام 1951م.

فقال : " يوجد اليوم عدد يتراوح بين الخمسة عشر و العشرين الف طفل في سن الدراسة ولدوا من أب مسلم (جزائري) و أم مسيحية في الغالب لا يتلقون تعليما قوميا فيشبون على غير اخلاق ابائهم و اجدادهم و معتقداتهم حتى اذا ما كبروا تنكروا لجنسهم و اندمجوا في عصر الاكثرية فتفقد البلاد هذا الشباب المتعلم الذي هي في حاجة اكيدة اليه لصد غوائل الاستعمار المادية منها و الادبية " (البصائر العدد 172 – اكتوبر 1951)

و تبدو الخطورة على مستقبل هؤلاء الاطفال المولودين لآب جزائري و آم أوروبية في كثرة في كثرة عددهم فقد سجلت منطقة باريس وحدها فيما بين عامي (1941 م – 1944م)

خمسة عشر الف حالة ولادة لأطفال جزائريين بين ذكور و اناث " ولدوا من زواج مختلط " (حزب الشعب الجزائري – الهجرة – باريس 1951م)

- كما سجل جامع باريس في الفترة ذاتها ستة الاف حالة " ختان " للأطفال الجزائريين (المرجع السابق).
- و الواقع ان حالة الجزائريين المقيمين في فرنسا و اوروبا قد اثارت اهتماما كبيرا لدى مختلف المنظمات الوطنية، و لكن جمعية العلماء هي المنظمة التي اخذت زمام المبادرة لعلاجها محافظة على شخصيتهم العربية الاسلامية لانها المنظمة التي سخرت جهودها و نشاطها لنشر التعليم العربي و احياء اللغة العربية بين ابناء الجزائر داخل البلاد و خارجها،

يقول الشيخ الابراهيمي " في فرنسا جالية عظيمة من المسلمين الجزائريين تبلغ مئات الالاف متفرقة على مدن الصناعة عاملة على كسب القوت، بعد ان اجلاهم الاستعمار عن وطنهم بأساليبه المعروفة فخرجوا منه مكرهين كمختارين

و قد قضت عليهم الضرورة ان يعيشوا في وطن ليس فيه اسلام و لا عربية، و ان تطول اقامتهم فيه او تدوم، و قضت على بعضهم ان ينتق اليه زوجته المسلمة او يتزوج من اجنبية و ينسل، و قد بلغ عدد اطفالهم في باريس و ضواحيها نحوا عشرين الف طفل " ثم يقول " كانت جمعية العلماء فكرت في هذه القضية الخطيرة و تدبرت عواقبها قبل ان يبلغ العدد الى هذا الحد فرأت من الواجب عليها ان تلتفت الى هذه الطائفة، و تهتم بها و ان تتخذ الوسائل لإنقاذها من الكفر و الذوبان و الانسلاخ عن العروبة و الاسلام، و بدأت عملها التجريبي سنة 1936 م

(جريدة البصائر اكتوبر 1951)

و اسلامهم في داخل الجزائر نتيجة لسياسة الفرنسة و التنصير، التي تسير عليها ادارة الاحتلال بالتعاون مع المنظمات التنصيرية المسيحية في التعليم في التعليم، الادارة، و وسائل التعليم و الثقافة، فإن ذلك الخطر دون شك سيتفاقم و يشتد على هؤلاء الجزائريين في فرنسا نظرا لبعدهم عن محيطهم العربي الاسلامي، لذلك فإن مسلمي فرنسا الجزائريين معرضون للتحلل من الاسلام و العروبة بطول الامد، و تأثير الوسط خصوصا المولودين منهم لاب جزائري و ام اوروبية، فاذا لم تقم جمعية العلماء المسلمين بتعهدهم و رعايتهم بالوعظ و الارشاد لكبارهم و

تعليم الدين و اللغة العربية لصغارهم ضاع على الجزائر الاف من ابنائها يندمجون في دين غير دينها و جنس غير جنسها (البصائر عدد 04/ ماي 1947 م)

و من ناحية أخرى كانت هذه المرحلة (1931م – 1939م) مرحلة جهاد و صراع ضد أعدائها المتمثلين في الاحتلال و خصومها المتمثلين في بعض رجال الطرق الصوفية المنحرفين، و بعض السياسيين الظالمين مع الاحتلال في حرية مقومات الشخصية الجزائرية.

– المرحلة الثانية (1939– 1944):

أما هذه المرحلة فقد توقف فيها نشاط الجمعية إلا في نطاق محدود نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية و خضوع البلاد للأحكام العرفية و حرمان الجزائريين من كل نشاط عام سواء كان سياسيا أو غير سياسي، و في هذه المرحلة توفى رئيس الجمعية الأول – عبد الحميد بن باديس في 16 أفريل 1940(عيون البصائر 1963)

كما قام المحتل بنفي نائب رئيس الجمعية – محمد البشير الإبراهيمي – الى الصحراء في مارس 1940– حيث قضى في منفاه في"افلو" ثلاث سنوات ثم افرج عنه في أوائل عام 1943م

و بعد وفاة "ابن باديس"خلفه البشير الإبراهيمي في رئاسة الجمعية حيث انتخبه الاعضاء في غيبته بالإجماع، و أصبح منذ ذلك التاريخ يقود الجمعية و يسير أمورها و أعمالها من منفاه عن طريق الرسائل التي كان يتبادلها مع الأعضاء بواسطة الرسائل التقاة. (المرجع السابق)

– المرحلة الثالثة (1944– 1956)

تمتد المرحلة الثالثة و الأخيرة من جهود جمعية العلماء التعليمية(1944–1956) حيث توقف نشاطها عن العمل بعد قيام الثورة في الجزائر 1954م بحوالي عامين. و تعتبر هذه الفترة الانطلاق الواسع، في نشر التعليم العربي "الحر" و تكوين المدارس، وإقامة النوادي و تأسيس المساجد، حتى أن جمعية العلماء أسست في عام واحد سنة 1944 "ثلاثا و سبعين" مدرسة في مدن القطر الجزائري (الشيخ محمد الإبراهيمي 1963) و يمكن اجمال نشاط جمعية العلماء في ميدان التعليم العربي "الحر" في هذه الفترة في الأمور الاتية :– نظام التعليم –

– نظام التعليم:

المدارس و أنواعها –المعلمون و مؤهلاتهم

– بلغ عدد مدارس جمعية العلماء الابتدائية و التكميلية في عام 1948م حوالي 140 مدرسة. تغطي معظم مدن القطر و القرى (البصائر جانفي 1949) اما في عام 1951 فقد ذكر رئيس الجمعية في تقرير السنوي الى اجتماع الجمعية العام المنعقد في اكتوبر 1951. ان عدد مدارس الجمعية يبلغ 125مدرسة لا يدخل فيها المدارس المعطلة اداريا من طرف المحتل و هي تشتمل على 300 قسم دراسي، يدرس فيها 36.286تلميذ و

تلميذة منهم 16.286تلميذا متفرغا للدراسة في مدارس الجمعية بالنهار و هم الذين يطلق عليهم اسم التلاميذ النهاريين و من هؤلاء:

10.590 ذكور

05.692 اناث

اما الباقون و عددهم عشرون الف تلميذ و تلميذه، فهم من تلاميذ المدارس الفرنسية –الجزائريين الذين يحضرون للدراسة في مدارس الجمعية بعد انتهائهم من الدراسة في المدارس الفرنسية

و قد لاحظ التقرير ان هذه الاحصاء خاص بالتلاميذ الذي شاركوا في امتحانات اخر عام 1951 فقط و لا يشمل من لم يشاركوا فيه. و لذلك فان عددهم الاجمالي قد يتجاوز الاربعين الف تلميذ و تلميذة (البصائر المرجع السابق)

و قد نشرت الجمعية في عام (1950–1951) قائمة بأسماء مدارسها في جريدة البصائر الناطقة باسمها و ذكرت بالتفصيل المدن و القرى التي توجد بها تلك المدارس و اسماء المديرين لها

و تخرج منهم من يحمل – الشهادة الاهلية – في عام (1955) 40 طالبا، و قد واصلت جمعية العلماء نشاطها الحديث في تكوين المدارس و اقامة المعاهد و تطوير التعليم، حتى بلغت جملة مدارسها قبل 1954 اكثر من 150 مدرسة ما بين ابتدائية و اكمالية– بعضها يشتمل على اكثر من عشر اقسام، يتعلم فيها اكثر من خمسين الف تلميذ و تلميذة.

و قد تخرج من هذه المدارس، عشرات الالوف من ابناء و بنات الجزائر –" يحملون علما قليلا لكن معه فكر صحيح، و عقيدة قومية سليمة، و نظرة الى الحياة سديدة " (عيون البصائر 1963)

كما ساهمت مدارس جمعية العلماء في مكافحة الامية عن عدد كبير من الجزائريين رجالا و نساء، بواسطة الدروس الليلية بعد انتهاء اليوم الدراسي.

–مؤتمر المعلمين الأحرار:

انعقد مؤتمر رجال التعليم العربي الأحرار تحت اشراف جمعية العلماء بنادي الترقي يوم الأربعاء والخميس 22–23سبتمبر 1937– لتبادل الآراء فيما بينهم :التعليم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه، والغاية المنشودة من ذلك هي التوصل الى توحيد مناهج التعليم العربي، لذا طلب الحضور – الأساتذة القائمين بهذا التعليم – وطلب منهم اعداد خلاصة أراءهم ضمن تقارير تقدم للمؤتمر. (آثار عبد الحميد بن باديس)

وحددت المواضيع والمسائل التي تناقش في هذا اللقاء وهي كالآتي :

1–وسائل توحيد التعليم.

2–اسلوب التعليم.

3-اسلوب تربية الناشئة.

4-خلاصة تجاربهم في التربية والتعليم.

5-الكتب، وهل الاحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية.

6-رأيهم في تعليم البنت المسلمة ووسائل تحقيقه.

7-التعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته.

8-رأيهم في الوسيلة التي تعيد بها المرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلم.

9-تقارير مفصلة لدرجة اقبال الأمة على التعليم بأقسامه السابقة (كل في جهته)(البصائر سبتمبر 1937)

والمجلس الاداري لجمعية العلماء الح كل الالحاح على الأساتذة القائمين بمهمة التعليم الحر في أنحاء القطر الجزائري ألا يتأخروا عن الحضور في هذا المؤتمر العلمي النافع الذي يكون روعته وفوائده على مقدار جهودهم ومباحثهم، وكتب دعوات خاصة لكل معلم أو أستاذ عرف اسمه وعنوانه بالضبط -وكانت الدعوة عامة لكل العاملين في التعليم العربي الحر.رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبد الحميد بن باديس

الصدر : البصائر : السند 2-العدد80-سبتمبر 1937م

-وقد انعقد المؤتمر المذكور يومي 22-23سبتمبر 1937م.

ودرس المسائل المذكورة وأصدر بشأنها مجموعة قرارات وتوصيات تستهدف تطوير التعليم العربي "الحر" والسعي وراء النهوض به في شتى المجالات مما ساعد على توحيد هذا النوع من التعليم في البرامج والكتب، والنظم -في مختلف مدارس جمعية العلماء (باعزيز بن عمر 1969)

وكانت الجمعية تركز في برامجها الدراسية على القرآن الكريم فهي تعطيه جزءا كبيرا من عنايتها لأنه كما يقول الشيخ الابراهيمي :

"سلاحها الذي به تناضل، وسيفها الذي به تصول، وعدتها في الشدة، وعلى الدعوة اليه بنت مبدأها الإصلاحي، وفي الدعوة إليه لقيت الأذى ورميت بالعظائم "(سجل مؤتمر جمعية العلماء 1935)

وقد كان هدف هذه جمعية العلماء من هذا الاهتمام بالتعليم العربي "الحر " هو تكوين رجال يكونون بناة نهضة، ودعاة اسلام، وجهاد ونضال، ووقوف بالمرصاد للاستعمار الذي أقام سياسته على أساس محاربة، مقوماتنا الروحية، والثقافية، حتى يسهل عليه ان يبتلعنا ويقضي على شخصيتنا قضاء مبرما "(باعزيز بن عمر 1969م)

مؤتمر المعلمين التمهيدي بقسنطينة:

وعندما عقد مؤتمر(المعلمين وهيئات المدارس الحرة) بمدينة قسنطينة في 16مارس 1946م. (أحمد حماني 1984م).

وكان هذا المؤتمر تمهيدا لمؤتمر المعلمين الأحرار الذي انعقد تحت اشراف جمعية العلماء في سبتمبر 1946م. وبمركزها بالجزائر العاصمة وترأسه المرحوم الشيخ محمد بن العابد السماتي أحد أفراد المعلمين الأحرار.وهذا المؤتمر هو الذي أعلن (العصيان المدني) ضد قرارات فرنسا القاضية بتعطيل جميع المدارس الحرة والمنع من فتح القديم منها وانشاء الجديد الا برخصة وتحت اشراف الأكاديميات، وقالوا: (اطلبوا الرخصة نعطيكم اياها)

فقلنا : لانعترف بالقانون الذي يمنعننا من حرية تعليم ديننا ولغتنا، ومنذ أكتوبر 1946م.افتتحت أبواب مدارسنا متعرضة للغرامة والغلق وسجن المعلمين.

–وعندما اندلعت الثورة في اول نوفمبر 1954م.كان الشيخ محمد العلمي في مدرسة العرفان بعين مليلة (جنوب قسنطينة) بجانب أخيه وصديقة الشيخ محمد بن العابد السماتي.اما الشيخ ابن العابد فقد صعد الى الجبل وشارك في الثورة كجندي من أول رصاصة أطلقت رغم كبر سنه.

ففي مساء يوم 31أكتوبر 1954م.سلم ابن العابد مفاتيح المدرسة لزميله محمد العبد وقال له: أنا ذاهب ولكنه لم يلبث الا قليلا واعتقل وعذب عذابا اليما حتى فقد بعض حواسه. وحكم عليه بالأشغال الشاقة أما صديقه محمد العيد فقد ألقي عليه القبض 1955م.وزج به في سجن قسنطينة وبعد بضعة أشهر خرج من السجن وبقي تحت الرقابة الدائمة المشددة والإقامة الجبرية في مدينة بسكرة فعاش معزولا عن المجتمع.(المرجع السابق)

–وجاءت أحداث 8 ماي 1945م. وبعد أغلقت جميع مدارس جمعية العلماء.ثم تقرر مؤتمر من المعلمين الأحرار ورؤساء جمعيات التربية والتعليم بولاية قسنطينة فانعقد هذا المؤتمر يوم 16 مارس 1946م بمدينة قسنطينة وحضره عدد عظيم.

من المعلمين ومن رجال الجمعيات والمسؤولين عن التعليم.وقدمت تقارير هامة.ورفع ما تقرر فيه – من وجوب فتح المدارس – الى رئيس جمعية العلماء –وكانت هذه المدارس قد أغلقت كلها بأمر عام صدر في الأسبوع الثاني من شهر ماي 1945م.

نصه: (أوقفوا كل نشاط)

–ثم وقع في الجزائر العاصمة مؤتمر ثان للمعلمين على المستوى الوطني –اثر الاجتماع العام لجمعية العلماء في سبتمبر 1946م.تحت رئاسة المرحوم الشيخ محمد بن العابد السماتي.

واشراف الابراهيمي – وتقرر فيه ايضا وجوب فتح هذه المدارس، وهكذا افتتحت جميع المدارس المغلقة من قبل في اول أكتوبر 1946م. وكان هذا تحديا مستمرا وعصيانا مدنيا. واثرت هذه الأوضاع أرسلت برقية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين نصها : (افتحوا مدرستكم) –الى كل مدرسة مغلقة.(أحمد حماني 1984م).

–وفي سنة 1947م بدأ الاستعداد لإنشاء معهد ابن باديس الثانوي

–وتأسست لجنة التعليم العليا.

–وتأسست مصلحة التفتيش للمدارس.فأول من اسند اليه التفتيش على المستوى الوطني هو المرحوم الشيخ محمد الغسيري، وأخر من قام بذلك الأستاذ ابراهيممزهودي وكان ممن اسند إليه التفيش أيضا : الصادق حماني – محمد صالح رمضان – محمد بابا أحمد – علي مرحوم الخ.

وقد استمر المعهد في أداء مهمته التثقيفية، ولحق به الأكفاء من العلماء كما استمرت لجنة التعليم العليا في عملها، واستطاعت ان توحد التعليم –في مواده وبرامجه وتوحيده على مستوى الوطن كله.(أحمد حماني 1948م).

كما استطاعت أن تحسن مرتبات المعلمين –نسبيا– وأن تضع نظاما محكما للتسمية والترقية والايقاف – عند الضرورة –والانتقال. وكان الأساس هو المصلحة العامة والطاعة التامة.

<u>–كلمة الابراهيمي للمعلمين الأحرار</u>

وليس من قول بليغ وأبلغ من قول رسولنا الكريم –عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.–انما بعثت معلما –
هكذا يلخص رسالته العظيمة في أعظم منهج تربوي وهو تعليم الأمة وهل احد يقوم بالتعليم من غير المعلم ؟ فما أعظم هذه الشهادة وما أكبر هذه المسؤولية. وتتأكد مقولة الرسول –صلى الله عليه وسلم –فيما قاله المعلم الجليل العلامة محمد البشير الابراهيمي في مدونته المشهورة "مرشد المعلمين"
"أي أبنائي المعلمين انكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك، رعاياها أطفال الأمة، فوسوسوهم بالرفق والإحسان وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة في التربية الى مرحلة أكمل. إنهم أمانة الله عندكم وودائع الأمة بين أيديكم، سلمتهم اليكم أطفالا لتردوهم اليها رجالا، إن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل الا إذا كان هو فاضلا ولا يستطيع اصلاحهم الا اذا كان هو صالحا لأنهم يأخذون منه بالقدوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين "من آثار الشيخ الابراهيمي 1963)
ويضيف قائلا : (كل نقش تنقشونه في نفوس تلاميذكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل....رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة ، و أما ما يأخذه بالتلقين من العلم و المعرفة فهو ربح و فائدة) المرجع عيون البصائر 1963)

-الرخصة رقم 41

-ان هذه الأعجوبة تتمثل في رخصة لتعليم اللغة العربية، تحمل رقم 41، مؤرخة بوهران في 1915/04/27، وممضاة من طرف ابن الحضارة وسليل الثقافة، عامل عمالة وهران – أي الوالي.

لقد سلمت هذه الرخصة الى شخص يسمى عبد الله بلقاسم ولد محمد، الذي وصف، في التقرير الذي أجراه عنه الأمن الفرنسي بأنه " مخلص لفرنسا "

والشرط الوارد في هذه الرخصة. وهو شرط أقسم بالله –غير حانث– أنه فرد صمد فيما عرف الناس منذ ادم عليه السلام الى الآن من شروط وهذا الشرط هو ان لايعلم ذلك المعلم – المخلص لفرنسا – أكثر من تلميذين.

إننا نتفهم ان لاتسمح فرنسا لأي شخص بالتعليم الا برخصة منها، ونتفهم ان لاتسمح بالتعليم لمن يعارض وجودها في الجزائر، ويهدده، فتلك طبيعة الاستعمار عموما، والاستعمار الفرنسي خصوصا، ولكن الذي لايقبله عقل، ولا يستسيغه ذوق، ولا يرتضيه منطبق هو أن تصنف السلطات الفرنسية المعلم بأنه مخلص لفرنسا، ولا تعترض على المكان بالضيق، وعدم الملائمة لصحة الأولاد مثلا. ومع ذلك تشترط هذا الشرط العجيب الغريب.

ان الأمر الذي نؤمن به ونستيقنه هو ان نار الحقد الفرنسية على الاسلام واللغة العربية – قديما وحديثا – لنتطفئها مياه الارض السطحية منها والجوفية. (الهادي الحسني 2007م)

-كتاب مفتوح الى معلمي الفرنسية الأحرار بالعمالات الثلاث :

– انتم – يا رجال التربية و التعليم – أعلم لناس بفضل التربية والتعليم على الأمم وقيام بنائها عليهما وأحرص الناس على تعميمهما وتثبيت أصولهما وحياطتهما بالحرية الواسعة وصونهما من عبث العابثين.

فلا تنسوا ان في الأمم جانبا وجدانيا لا يمكن انتزاعه ولا التسلط عليه ولا بد من اعتباره عاملا أساسيا في تربيتها الخاصة ومقوما أولا لوسائل تلك التربية

وهذا الجانب هو الدين واللغة التي تعبر عن حقائق ذلك الدين وأنتم تعلمون كذلك أن الأمة الجزائرية أمة اسلامية الدين وعربية اللسان يستحيل عليها ان تتخلى على ذلك الدين الا باللسان العربي. وان الاسلام والعربية هما أول ما تعهدت فرنسا بحفظها وعدم مساسه من مقومات هذه الأمة ومقدساتها من أول عهدا احتلالها لهذا القطر. ولكنها بدأت تتنكر للإسلام ولغته وتضييق في تعليمهما الخناق ؟ تارة بالتشريعات وتارة بالعاملات الادارية – وتطبيق إداري جائر لاغاية لها الا محو التعليم الاسلامي العربي من قطر خلقه الله اسلاميا عربيا.

في هذه السنة على الخصوص جرت أعمال شاذة من أقفال المدارس وتعطيل رخص واهمال مطالب – وكانت خاتمته استصدار قرار 08 مارس 1938م الأخير تكليلا لسلسلة القرارات الجائرة. وهي اشهار حرب على أعز عزيز لديها

-إن الامة الجزائرية التي تعرف لكم حقكم وتعتمد عليكم في تثقيف أبنائها واعدادهم لنصف الحياة الانسانية – تنتصر بكم اليوم لدفع هذا الظلم الذي يفقد أبناءها نصف الحياة الإنسانية الأخرى وتصارحكم بأنه جهودكم التي تبذلونها في التثقيف المدني العقلي كلها تذهب هباء بالنسبة لأبنائنا إذا فاتهم التثقيف الروحي الديني.

وان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تحمل معكم امان التعليم الثقيلة وتتحمل معكم تبعات التربية والتثقيف وتشكر لكم جهودكم في تثقيف أبناء هذه الأمة باللغة الفرنسية وتحض عل تعلمها وتعدها لغة الحياة – ترجو ان تشكروا لها جهودها في تكميل أعمالكم وفي تثقيفها لأبناء هذه الأمة تثقيفا دينيا أخلاقيا، ان تعاونوها في مقاومة هذه القرارات الجائرة. وانكم تكونون من وراءها قوة في دفاعها القانوني المشروع.

وتقبلوا فائق الاحترام من المخلص

عبد الحميد بن باديس البصائر : العدد 110– 22 أفريل1938

البعثات الطلابية للجمعية العلماء المسلمين الى البلدان العربية:

و كان من الطبيعي بعد اتساع حركة جمعية العلماء التعليمية و شمولها لمراحل التعليم العالي. الا يتوقف جهودها عند هذا الحد من النشاط و النجاح. ففكرت في عام 1951 في توجيه البعثات الطلابية الى المعاهد و الجامعات العربية في مختلف البلاد العربية، و كانت اول بعثة لها خارج نطاق المغرب العربي (تونس– الجزائر – المغرب) هي التي ارسلتها الى مصر في العام الدراسي (1951– 1952) و قد ضمت خمسة و عشرين طالبا و طالبة واحدة (البصائر عدد 262 مارس 1952) توزعوا على مختلف اقسام كليات الآداب و دار العلم، والكليات الأزهرية، و بعض الثانويات في القاهرة. ثم توالت البعثات في السنوات الموالية – كما ارسلت بعثة اخرى الى العراق في العام الدراسي (1952 – 1953) بلغ عدد افرادها إحدى عشر طالبا التحقوا كلهم بدار المعلمين العالية التابعة لجامعة بغداد ما عدا طالبا واحدا التحق بكلية الحقوق (تركي رابح 1974).

و في نفس العام ارسلت بعثة ثالثة الى سورية تتكون من عشر طلاب التحقوا كلهم بمدارس دور المعلمين الابتدائية في دمشق و حلب. (البصائر العدد السابق)

و في نفس السنة (1953) ارسلت بعثة رابعة الى ثانويات الكويت تتكون من اربعة عشر طالبا – المصدر : (البصائر عدد 326 جويلية 1955)

ثم توالت بعثاتها بعد ذلك الى مصر، سورية، العراق، الكويت، و المملكة العربية السعودية بحيث وصل عدد بعثاتها الى معاهد المشرق العربي سنة 1955م الى 109 طالبا و طالبة (المرجع السابق)) ثم ارتفعت اعدادهم بعد قيام الثورة في 1954 بسنوات قلائل الى عدة مئات

– الشروط التي يجب ان تتوفر في طلبة بعثة جمعية العلماء:

لم تكن جمعية العلماء في بداية توجيه بعثاتها الطلابية الى البلاد العربية تشترط فيهم ان يكونوا من المتخرجين مدارسها و انما تشترط فيهم فقط – ان يكونوا من المؤمنين بمبادئها، حتى و لو لم يدرسوا في مدارسها، و لكنها ابتداء من عام 1954 اصبحت تشترط في طلاب بعثاتها ان يكون فعلا من المتخرجين من مدارسها او من تلامذة (معهد ابن باديس) و قد اصدرت لجنة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء بلاغا حددت فيه الشروط التي يجب ان تتوفر في كل طالب من يريد ان ينضم الى بعثات الجمعية اى المشرق العربي و تلك الشروط هي :

1–لا يقبل إلا خريجو مدارس الجمعية والمعهد

2–ان يكون خريج المدرسة متحصلا على الشهادة الابتدائية ولا تتجاوز سنة ستة عشر عاما

3–يلحق خريج المدرسة تلاميذ السنتين الأولى والثانية من المعهد على ان لا تتجاوز السن ستة عشر عاما

4–ان يكون خريج المعهد متحصلا على الشهادة الاهلية ولا تتجاوز سنة عشرين سنة (البصائر عدد 283 سبتمبر 1954)

5–ان يعد الطالب تسعين ألف فرنك (90000 فرنك) مع جواز السفر

- الدستور الاخلاقي لأعضاء البعثات الطلابية لجمعية العلماء:

الى جانب الشروط التي ينبغي ان تتوفر في عضو البعثة فإن هناك التزاما نحو الجمعية يجب عليه ان يقبل به، و يمضيه قبل قبوله رسميا فيها و أن يتقيد بنصوصه أثناء دراسته و بعد تخرجه. و جاءت نصوصه كالأتي :

1- أن أنظر الى الجمعية نظرة الفكرة، و المبدأ و الجهاد في سبيل المعاني المذكورة و أن انظر إلى فائدتها وممثليها نظرة الولد البر الى ابيه الرحيم والتلميذ المهذب الى الاستاذ الناصح.

2- أن اعتبر نفسي جنديا مخلصا تحت رايتها اكافح لتهيئة نفسي علما و عملا و تربية صالحة لحمل الامانة المقدسة كما حملوها او احسن مما حملوها بمعونة الله.

3-أن التزم بالنظام و اكون ممثلا لفكرة الجمعية بأقوالي و خاضعا لأنظمها بالمعروف الى غاية ما يحتمله جهدي، و أن أكون عنوان شرف لها و للجزائر و للإسلام و ان احاول ان تكون جميع تصرفاتي شاهدة على ذلك

4- أن أخضع لإدارة البعثة التي يمثلها من يعتمده رئيس الجمعية او من يقوم مقامه.

5- أن أكون عند رأيها بعد انتهائي من مراحل التعليم المعتادة فيما توجهني اليه من أنواع التخصص لأنها أعلم بما بنفع وطني الجزائر.

6- أن أرجع إلى وطني الجزائر التي هي ميدان الكفاح حين انتهائي من التعليم و لا أرضى بالإقامة في وطن أخر و لو صب علي فيه الخير صبا

7- أن أقتحم من يوم رجوعي للجزائر- ميدان التعليم لأصرف معلوماتي في نفع امتي تحت اشراف جمعية العلماء على أساس أن لي من الحقوق المادية ما لأخواني و علي من الواجبات ما عليهم، و لا خيار لي في الخروج من سلك التعليم الا بعد أربع سنوات من العمل.

8- ان أبني أمري مع ادارة البعثة على خلق المؤمن في المعيشة اذا وجد شكر، و اذا صبر، فأتقاضى ما تدفعه الحكومة وأبني عليه ميزانية و لا أرجع إلى إدارة البعثة الا في الضروري الازم في تقديرها هي و لا ارهقها بطلب ما أستطيعه أنا و لا يطلب مالا تسطيعه هي، لاعتقادي أنها حريصة على مصلحتي، و أنها لا تدخر وسعا فيما ينفعني و يريحني.

9- الا تراني الجمعية الا حيث يسرها و لا تسمع مني ولا عني الا ما يرضي الله و يرضيها و يشرف وطني

10- أن أكون منسجما مع إخواني في البعثة أحبهم و أحسن إليهم ما استطعت و أنفعهم بما عندي من خير، وأنتفع بما عندهم من كمال، و أتعاون معهم على البر و التقوى و أخالفهم فيما هو ضد ذلك

و أعاهد الله و الجمعية أن أجعلها طريقي الله في ديني و دليلي الى الحياة الشريفة في دنياي، و مدربي على الرجولة و البطولة حتى اكون عضوا صالحا لشعبي نافعا لأمتي الاسلامية كلها، و ارجو من جمعيتي الموقرة قبول طلبي مستعينا بالله على ما إلتزمت و حسبي الله و نعم الوكيل. (البصائر عدد 283 سبتمبر 1954)

ويلاحظ أن شروط هذا الالتزام تنبع من روح مبادئ الجمعية و فلسفتها التي تعمل من اجلها، و هي نشر التعليم العربي، و فكرة الاصلاح و السلفية و المحافظة على الشخصية العربية الاسلامية للجزائر، و العمل على تكوين جيل قرآني قائد في الجزائر، يعمل على لانتشالها من وهدة السقوط التي وقعت فيها بعد الاحتلال و غربة الثقافة العربية الاسلامية في البلاد، و قد كان هذا الهدف الكبير في الواقع هو مطمع المصلحين من رجال مدرسة (التجديد الاسلامي)

في كل أنحاء العالم الاسلامي منذ منتصف القرن التاسع عشر

فقد كان على سبيل المثال مطمع الامام محمد عبده الذي اقترحه على السيد جمال الدين الافغاني في باريس بعد توقف مجلة العروة الوثقى – عن الصدور بأن يعملا معا على تكوين مدرسة خاصة لإعداد القادة الذين يعملون في نشر الاصلاح الديني و الاجتماعي، و تحرير البلاد العربية و الإسلامية

تطور البعثات الطلابية للجمعية العلماء

:– عدد الطلبة الجزائريين الذين أرسلتهم جمعية العلماء للدراسة بجامعة الزيتونة بتونس

السنوات	عدد الطلبة و توزيعهم على الولايات
1932	21 منهم 18 طالبا من جيجل، سوق أهراس، قالمة، المسيلة، الأغواط، قسنطينة
1933	61 طالبا من عمالة قسنطينة، منهم 6 من الجزائر العاصمة، 1 من وهران، 1 من تقرت، 1 من ورقلة
1934	100: منهم 90 من قسنطينة، 9 من الجزائر العاصمة
1935	116: منهم 103 من قسنطينة، 13 من الجزائر
1937/1936	150: منهم 118 من قسنطينة، 19 من الجزائر، 5 من وهران، 1 من ورقلة
1946	230

ونلاحظ أن جمعية العلماء اهتمت بالبعثات الطلابية ويتجلى لنا ذلك في المراسلة التالي:

رسالة من الشيخ عبد الحميد بن باديس الى الفضيل الورتلاني حول البعثة الازهرية:

– الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و اله

بقسنطينة 8 جمادى الثانية 1357هـ – 5 اوت 1938م، الى الابن الكريم الشيخ الفضيل الورتلاني و سائر الاخوان العاملين في سبيل الله و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته.

و بعد فان البعثة الازهرية تتوقف على امرين اذن السفر و النفقة، فأما الاذن فقد ذكرتم انه سهل الحصول عليه من هنا لكم، و اما النفقة فالجمعية غير مقتدرة عليها الان لان ماليتها لا تدخل الا في اخر سبتمبر ان شاء الله، فأريد منكم اولا ان تتحققوا التحصيل على الاذن من هنا لكم و ان تعرفوني بما يلزم كل تلميذ لنفقة سفرة لأنظر اذا كان يمكنني تحصيل المطلوب، و اما اعضاء البعثة ان شاء الله فهم المشايخ : الفضيل الورتلاني –ة اسماء اعراب، محمد الغسيري، احمد حماني، مصعب بن سعد الجيجلي او بعضهم عند العجز عن كلهم.

و اما البعثة الشامية فإنني اختار ان تكون من جمعية التربية و التعليم القسطنطينية ، اذا يمكن ان ترسل من تلاميذها و تلميذاتها ستة او ثمانية و لا مانع من ان يكون الطلب الموجه الى الوزارة من جمعية العلماء و البعثة من جمعية التربية و التعليم اذ هما كشيء واحد، فأرجو ان تعرفوا الاخ خمي بهذا و في هذا المساء قد كاتبته شاكرا او مبينا له عدد البعثة منتظرا جوابه، سلامي الى الاخوان كلهم من أفارقه و شرقيين و غربيين و السلام من اخيكم عبد الحميد بن باديس

المصدر : اثار عبد الحميد بن باديس ج 6 ص 229

– و في أواخر الثلاثينات علم الشيخ ابن باديس عن طريق الصحافة أن هناك مدرسة الثانوية خاصة بالبنات المسلمات في سوريا تابعة لجمعية – دوحة الادب – تشرف على إدارتها سيدة من حفيدات الامير عبد القادرالجزائري فكاتب رئيسة الجمعية في الموضوع و أبدى لها رغبة جمعية التربية و التعليم في إرسال فوج من الطالبات اللواتي أكملن دراستهن الابتدائية في مدارس جمعية التربية و التعليم، و تلقى الإجابة بالقبول، و بدأت الاستعدادات لإرسال البعثة التي كانت تضم عشر طالبات، لكن بوادر الحرب العالمية الثانية حالت دون تحقيق هذه الرغبة.و بعد سنة – توفي إبن باديس وتوفي معه المشروع.

أما قائمة الطالبات فهي كما يلي : فاطمة رودس لي – عائشة دمق – ياسمينة دمق– فاطمة صويلح – فلة بوالبارود – الرامضة بو عبد الله – سليمة بن البوح – سليمة حافظ – نعناعة ونيسي .حليمة ونيسي. (من أثار الإمام ابن باديس ج5

– و لم تكتف الجمعية بالتعليم في الجزائر فحسب بل و بداية من سنة 1951 فكرت الجمعية في توجيه البعثات الطلابية الى المعاهد و الجامعات العربية، و الجدول الأتي يبرز عدد الطلبة و الدول التي كان يتجه إليها الطلبة.

السنة	الدول	عدد الطلاب
1951	مصر	25
1952	العراق سوريا	11 10

كما توالت البعثات العلمية الى الدول أخرى كالكويت و السعودية حيث وصل عدد بعثاتها العلمية نحو المشرق العربي سنة 1955 إلى 109 طالب و طالبة.(تركي رابح 1984)

– و في نوفمبر 1953 أعلن الشيخ خير الدين في حفل افتتاح دار الطلبة، إن بعثات الجمعية قد بلغت ستين طالبا، وإنها ستصل الى ثلاثمائة (300) طالب. و وعد سامعيه بأن الجمعية تخطط لإرسال طالبات ايضا إلى المشرق، و أنها تتوقع ، أن يكون لها اختصاصيون في مختلف المجالات العلمية (المنار 20 نوفمبر 1953). لا نعرف بالضبط عدد الطلبة الجزائريين في مصر قبل شروع جمعية العلماء في إرسال بعثاتها.كان القسم العام في الازهر الشريف هو الجهة الوحيدة تقريبا في المشرق التي تستقبل الطلبة الجزائريين الذين تقطعت بهم سبيل الدراسة، و تشير بعض الوثائق الى وجود طلبة جزائريين في مصر قبل بعثات الجمعية و إن كنا لا نعرف عددهم بالضبط، فقد نشرت المنار مراسلة من قاسم الجزائري – قاسم زيدون – ذكر فيه تضامن الطلبة الجزائريين، جامعيين و مدرسين و ازهريين، حسب تعبيره مع مصر في يوم الشهداء. و لكن المراسل لم يذكر عدد و لا أسماء المشاركين في الظاهرة التي جرت في القاهرة (المنار 11 سبتمبر 1951)

– نشرت البصائر لسان حال جمعية العلماء شروط المشاركة في بعثات جمعية العلماء، و من أولها أن يكون الطالب قد تخرج من مدارس الجمعية او من معهد عبد الحميد بن باديس، و أن يكون حاصلا على الشهادة الابتدائية و أن لا يتجاوز عمره ستة عشر سنة، كما يمكن ان يلتحق بخريج مدارس الجمعية تلاميذ السنتين الألى و الثانية في المعهد، وحدد خريج المعهد بأنه هو الحاصل على الشهادة الأهلية و لم يتجاوز عمره العشرين سنة و أخر الشروط أن يوفر الطالب تسعين ألف فرنك و جواز سفر، بهذه الشروط إستطاعت الجمعية أن ترسل عددا من الطلبة و هم في سن المراهقة و هي سن و هي سن لا تؤهله للغربة الطويلة و البعيدة عن الاهل و الوطن. و في ذلك مغامرة جنت منها العائلات و الطلبة والجمعية نفسها مشاكل كثيرة رغم الهدف النبيل الذي كان وراء ارسال البعثات و رغم الاحتياطات التي اتخذتها الجمعية ليكون الطلبة تحت انظار صارمة و رعاية حكيمة. و قد توقفت البعثات الطلابية بسبب اندلاع الثورة التحريرية، و من المعروف ان جمعية العلماء بدأت في ارسال البعثات الى المشرق العربي في الفاتح 1952 الى كل العواصم العربية (بغداد، دمشق، القاهرة، الكويت) (رابح التركي، البصائر العدد 26–12مارس 1954م)

– و قد اعترف الكثير من الباحثين الأجانب بقدرة الجمعية على تحقيق تعليم نوعي للجزائريين، رغم القوانين الجائرة الفرنسية، فالباحثة الفرنسية شارلوت كوراي– من المعهد الوطني للغات و حضارة المشرق بباريس، تثني على الجمعية و نصفها بقولها : " إن جمعية العلماء المسلمين نجحت كثيرا في نشر التربية و التعليم و التكوين في وسط الأمة، بالرغم من عقبات الإرادة الفرنسية للحد من نشاط المدارس التي فتحتها الجمعية خلال الثلاثينيات ".....و تضيف " كانت تعتمد على استراتيجية مزدوجة في تربية و تعليم و تكوين الأمة الجزائرية امتزج فيها التعليم التقليدي بالعلوم الأخرى، و ان هده الاستراتيجية كانت تكمن في تعليم علوم الإسلام و اللغة العربية مدعمة بتكوين في الحساب والتاريخ و الجغرافيا.. المرجع السابق

سنت جمعية العلماء سنة حميدة و هي ارسال بعثات طلابية للدراسة في معاهد الشرق العربي و الاسلامي، ويبدو أن تمويل هذا المشروع كان بمساع قام بها الشيخ الفضيل الورتلاني و آخرون ثم جهود الشيخ الابراهيمي، مسايرة للنهضة العربية الاسلامية، و كان التمويل قد انطلق من مصر و باكستان و السعودية، ثم توسع الى دول عربية اخرى كالعراق و سوريا و الكويت، وكان الشيخ الابراهيمي قد سافر الى المشرق في فاتح عام 1952 من أجل اجراء اتصالات شخصية لتدبير المنح للطلبة المبعوثين او الذين تعتزم الجمعية ارسالهم، بالإضافة الى حضور مؤتمر في باكستان و التعريف بالحركة الاصلاحية في الجزائر (سعد الله 2007)

و تاريخيا نجد رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان يهتم بالبعتاث الطلابية و يتجلى لنا ذلك في المراسلة التالية.

– و في حديث نشرته جريدة المجاهد للأستاذ توفيق المدني وزير الثقافة في الحكومة المؤقتة 1958 ذكر فيه عن (وضعية الطلبة الجزائريين في الخارج) جاء فيه:

– إن عددهم عند ئذ أكثر من ألف طالب موزعين كالآتي:

تونس: – 650 طالبا(دون تحديد المستوى)

مصر: – 100 طالب في الجامعات المصرية

سوريا: – 65 طالبا في جامعة دمشق

العراق: – 65 طالبا في جامعة بغداد

الكويت: – 30طالبا (دون تحديد المستوى)

المغرب: – 100 طالب (دون تحديد المستوى)

أما في أوروبا و الولايات المتحدة فهناك 170 طالبا في جامعات غير فرنسية (سويسرا – يوغسلافيا– الإتحاد السوفياتي – ألمانيا الشرقية – إسبانيا) (جريدة المجاهد العدد 33 – 8 ديسمبر 1958)

و جملة الطلبة في الخارج 1200 طالبا – يضاف إليهم طلبة يواصلون العلوم العسكرية و الطيران، و البحرية في معاهد المشرق العربي – و إنهم يتقاضون منحا من الحكومات العربية و لكنها لا تفي بحاجاتهم، و لهم معونة من طرق الحكومة الجزائرية. (أبو القاسم يعد الله 2007)المصدر : عامر مريقي2010

– و نلاحظ أن جمعية العلماء اهتمت بتربية المرأة وتعليمها و ليس هناك من سبيل لجعل المرأة قادرة على بعث الحياة في المجتمع و الإسهام في

رقيه إلا بتربيتها و تعليمها و إعدادها علميا و فكريا يمكنها من ممارسة وظائفها بيسر و نجاح، و قد يبدو من تفضيل المرأة قادرة على بناء الاجيال و صنع الرجال أكثر من حاجته إلى إمرة قادرة على ممارسة بعض الأعمال. لأن الأعمال يمكن أن يضطلع بها غبرها و أما بناء الأجيال فلا احد يستطيع ان يعوضها في ذلك.

و من هذه الأمور الهامة التي أولتها الجمعية بعد تأسيس التعليم الحرالذي فتح المجال واسعا امام البنات اللواتي اقبلن على التعلم بشغف، هو التفكير في إنشاء مؤسسة تعليمية ثانوية خاصة بالبنات اللواتي أكملن الدروس الابتدائية حتى لا يحرمن من مواصلة الدراسة الثانوية.

من مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

مدرسة دار الحديث:

توجد هذه المدرسة في مدينة تلمسان بالغرب الجزائري، وهي المدينة العريقة في التاريخ و الحضارة، وقد تشرفت بزيارة الأستاذ عبد الحميد بن باديس في سنة 1932م برغبة ملحة من أهلها الذين رحبوا به، و الاقتباس من نور علمه وواسع اطلاعه....

.... " فألقى درسا أحدث به دويا كبيرا، و تأسف الكثير من الذين لم يتسع المكان لحضورهم لسماعه، فأعلن أنه سيلقي محاضرة في المساء، فقام أهل تلمسان و هيئوا رحب المكان في قاعة الأفراح، فما كادت تصل الساعة المحددة حتى كان المكان المهيأ غاصا بالجماهير التي أقبلت لسماع ابن باديس لأول مرة في حياتهم وفي مدينتهم فأعجب الجميع (العام و الخاص و الصديق و العدو) لفصاحة لسانه و بيانه، و واسع علمه واطلاعه، ودام في محاضرته نحو ساعة و نصف لم يتوقف أثناءها وقفة، و لم يجر وراء شاردة و لما انتهى من محاضرته نزل ضيفا في ديار أحد المصلحين أين قضى ليلته، فاحتفت به جماعة من علية القوم و وجهاء البلد، و أنصار الحركة الإصلاحية، فدار حديثهم معه على من عسى يكون قائد الحركة العلمية و الفكرية، فوعدهم بأنه سيعمل على إرسال من تتوفر فيه كل الشروط لتلمسان، دون أن يعلن عن اسم الأستاذ الإبراهيمي.

وفعلا فقد وفى بوعده، فعندما عاد الى قسنطينة عرج على أخيه و رفيقه في الكفاح الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي، وألقى إليه رغبته في الالتحاق بتلمسان ليكون به مركزا إشعاع الحركة الإصلاحية و النهضة العلمية و الأدبية في الغرب الجزائري كله.

فاستجاب الأستاذ الإبراهيمي لهذه الميزة التي خصه بها الأستاذ ابن باديس و التحق – دون إبطاء –بتلمسان و كان ذلك في أوائل سنة 1933م، فما إن نزل بها حتى احتفى به أهل تلمسان كبيرهم وصغيرهم يستفيدون من علمه وخبرته وإطلاعه، و شرع في أداء رسالته التي جاء من أجلها فنظم دروسا كثيرة يبدؤها بدرس الحديث بعد صلاة الصبح، وينهيها بدرس التفسير بعد صلاة العشاء، علاوة على محاضرات كان يلقيها على الشباب و الطلبة في النوادي التي تأسست آنذاك. مثل النادي الإسلامي و نادي الشبيبة و نادي السعادة و نادي زقاق الرمان، و في مراكز جمعيات

ثقافيـــة، و فـــي أحـــواش و بســـاتين الســـكان التلمســـانيين التـــي اســـتحالت كلهـــا مـــدارس. ومجالس التجمعات لسماع دروس العلم و الوعظ و الإرشاد، وقد ضم إليه الشاعر الأديب الأستاذ الهادي السنوسي لمساعدته في تعليم الصغار بأحد هذه النوادي.

....و لما كان عمل الإبراهيمي قد أحدث – في مدة قصيرة –انقلابا مدهشا في العقيدة، و تطورا سريعا في العلم و الأفكار وكون أرضية صلبة و خصبة وعقولا نيرة كان لابد من إحداث مشروع يضم هذه الحركة المتسعة التي انبثقت عنها مسؤوليات جسام، اتفق الجميع على بناء مدرسة تضم شتات التلاميذ و الشباب، و مسجد يأوي إليه كبار الناس لأداء شعائرهم، و لسماع دروس الوعظ و الإرشاد (1)

و قد اجتمع رجال العلم و الإصلاح و البر و هيئوا أرضا تسع لبناء المسجد و المدرسة وكلفوا المعماري ابن مدينة تلمسان ابن قلفاط بتصميم المخططات و رسمها، و بعد انجازها في ظرف قياسي هبة مدينة تلمسان بشبابها و شيوخها تساهم في انجاز هذا المشروع المبارك، و لأدع الإمام عبد الحميد بن باديس يصف لنا بقلمه كما جاء في " افتتاحية البصائر السنة الرابعة عدد 142، الصادرة بتاريخ 10 شوال 1357هـ / 2 ديسمبر 1938م ما شاهده و عاينه، يقول:

«حضرت تلمسان أيام بنائها و التلمسانيون في نشوة من الفرح والنشاط عجيبة، يبذلون في نفقات البناء بسخاء، و يتسابقون في مشاركة العملة و الصناع، فتغبر أيديهم و أرجلهم و ثيابهم في سبيل الله، بعيني رأيت الشيوخ المتقدمين في السن من أهل تلمسان يأتون فيعملون، و هل أنسى ذلك الشيخ المعماري الفنان ابن قلفاط و هو يعمل و ينظم ليل نهار جادا (1) – محمد الحسن فضلاء1999

محتسبا، أربعمائة ألف فرن أنفقت على تشييدها عشرات الأيدي الجزائرية بثمن وبدون ثمن عملت فيها »...

و خلال سنة واحدة أكتمل بنائها على نسق هندسي أندلسي أصيل، لتكون بإذن الله مركز إشعاع ديني و علمي و ثقافي في أرض الجزائر الطاهرة.

افتتاح دار الحديث:

فكر الإبراهيمي في إقامة احتفال كبير بمناسبة افتتاحها فقام بدعوة علماء و وفود من المغرب و تونس، أما في الجزائر فقد حضر الاحتفال الألوف من أبنائها البررة يتقدمهم كل أعضاء جمعية العلماء الجزائريين الإداريين و العاملين و المؤيدين، و كذا العاملين بمعظم المؤسسات التعليمية التربوية و الجمعيات الدينية و الثقافة الجزائرية.

لقد كان افتتاحها في يوم الاثنين 21 رجب 1356هـ الموافق ليوم 27 سبتمبر 1937م، أي بعد سنة من الشروع في بنائها، وعندما تدخل من باب (دار الحديث)تواجهك لوحة رخامية مثبتة على الحائط تقرأ عليها ما يلي:

«تأسست مدرسة دار الحديث على يد العلامة الفاضل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بمساعدة شعب تلمسان، و قد افتتحها صاحب الفضيلة الإمام عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الاثنين 21 رجب 1356هـ الموافق ليوم 27 سبتمبر 1937م ».

و قد أسند شرف فتح المدرسة إلى الإمام عبد الحميد بن باديس الذي قام بقطع الشريط الحريري، و تقدم الى الباب يحف به إخوانه العلماء، و أفاضل الأمة التلمسانية وعدد كبير من المعلمين و الأساتذة و الشعراء، وبجانب الباب وقف الأستاذ الإبراهيمي وسلم مفتاح المدرسة للشيخ الرئيس ابن باديس قائلا: " أخي الأستاذ الرئيس، لو علمت في العالم الإسلامي رجلا في مثل حالتك له يد على العلم مثل يديكم، وفضل على الناشئة نثب فضلكم، لأثرته دونكم بفتح هذه المدرسة، ولكني لم أجد، فباسم تلمسان، و باسم الجمعية الدينية بالخصوص أناولكم المفتاح، فهل لهذه المدرسة أن تتشرف بذلك ؟ ".

تسلم الأستاذ ابن باديس المفتاح من يده قائلا: "بسم الله الرحمان الرحيم، ثم على اسم الإسلام و العروبة، و العلم و الفضيلة أفتح دار الحديث"، { رَبِّ أنزلني مُنزلا مباركا و أنت خير المنزلين } المؤمنون 29 { وقل ربي أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و اجعل لي من لدنك سُلطانا نصيرا (80) و قل جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا (81) }. الإسراء 80-81

ثم يتقدم الى الباب فيفتحه و يدخل، وتدخل معه الهيئة الإدارية لجمعية العلماء ثم تلتها الوفود و الأساتذة و المعلمون، فانتشروا في رحابها و أقسامها والابتهاج و السرور يعلو محياهم، وفي المدرسة وجه خطابه للجماهير المحتشدة المتعطشة لسماعه قائلا:

«يا أبناء تلمسان، أبناء الجزائر إن العروبة من عهد الفتح الى اليوم تحييكم، و أن الإسلام من يوم محمد صلى الله عليه وسلم الى اليوم يحييكم، و أن أجيال الجزائر من هذا اليوم الى يوم القيامة تشكركم و تذكر صنيعكم الجميل يا أبناء تلمسان كانت عندكم أمنة بين تاريخنا المجيد فأديتموها فنعم الأمانة أنتم، فجزأكم الله جزاء الأمانة و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته »(2)

و تشمل البناية على مسجد في الطابق الأرضي لإقامة الصلوات و دروس الوعظ و الإرشاد، و على قاعة المحاضرات بمنصتها مع إدارة المدرسة التي تحمل قلب لبناية في الطابق الثاني، و على ستة أقسام و مخزن في الطابق الثالث.

لا يمكنني أن أتعرض إلى ما قاله لخطباء في هذا الحديث العظيم من تاريخ الأمة التلمسانية و حسبي أن أشير إلى قصيدة الأستاذ محمد العيد التي ألقاها في هذا الحفل و مطلعها:

أحيي بالرضا حرما يزار..... و دار استظل بها الديار

و روض مستجد الغرس نضرا..... أربضا زهر الأدب النضار

حل الضيوف الوافدون من الشرق الجزائري و الوسط و الغرب في ديار الأكرمين من الأمة التلمسانية طيلة أيام إقامتهم، وقد دامت ثلاثة أيام كلها أعراس و أفراح بلياليها، و أعياد لم تألفها الأمة التلمسانية إلا في العهود التاريخي الزاهرة، تتجلى دار الدار كعروس تختال في أبهتها و بهجتها و عظمتها.(2)– نفس المرجع السابق

وبتلك البهجة و الأبهة و العظمة انطلقت تبني و تؤلف الرجال و النساء، و تعلم العربية وتنشر الإسلام والفضيلة في عزة و كرامة، فكان الأستاذ الإبراهيمي المدير الموجه و المرشد بمساعدة الأستاذ (بن عودة بوعياد) الذي عينه مدير إداريا فنيا

وتعرضت مدرسة دار الحديث لكل ما تتعرض له مدارس جمعية العلماء من مضايقات و اتهامات و إغلاق و حاكمة، فأغلقت بأمر من رئيس الدائرة (السوبر يفي) في سنة 1938م لقد أثار قرار غلقها غضبا شعبيا عارما صورته لنا جريدة البصائر في العدد 100 لشهر فبراير سنة 1938م، على النحو التالي:

«... من الصائب الاستثنائية على هذه الأمة أن القوانين تفرض عليها: أن تفرح بمقدار و أن تحزن بمقدار، لقد اجتمع الموجبان (موجب الفرح و موجب الحزن) حول مدرسة دار الحديث فتحناها فاحتشد في تلمسان عشرون ألف من أبناء هذه الأمة في حفلة ضاحكة يعلوها جلال العلم، و وقار الدين وسكينة التقوى و روعة النظام و تجمعها جامعة الابتهاج بأعظم معهد علمي ديني شيد بأموال الأمة في الجزائر الحديثة و في أول يناير صدر قرار بإغلاقها.... فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم »

و ظلت مغلقة إلى أن أعيد فتحها بعد شهور قليلة، وهذا بفضل الله و بفضل المساعي الحميدة التي قام بها الأستاذ الإبراهيمي و الأمة التلمسانية و النواب المسلمون و دفعا جمعية العلماء الذي يتمثل في رئيسها الذي قدم احتجاجا تلو الأخر الى الدوائر المسؤولة، و نشر في البصائر و الشهاب فضائحهم و مكائدهم.

و نشبت الحرب العلمية الثانية فكان لابد للمدرسة أن تتوقف و خاصة عندما نفي الأستاذ الإبراهيمي في 04 أوت 1939م الى أفلو الذي قضى في منفاه ثلاثة أعوام

ثم فتحت المدرسة بعد إطلاق سراح الأستاذ الإبراهيمي سنة 1943م فاستأنفت نشاطها و لم تتوقف إلا في29 جوان 1956م حيث أغلقت من طرف السلطات الفرنسية و جيشها كبقية المدارس في الغرب الجزائري. أما الأساتذة و المديرون الذين عملوا فيها فاذكر منهم: محمد الصالح رمضان – محمد بابا أحمد – أحمد الشاوي – عبد الله أبو عنان – المختار الصبان – محمد ملوكة – مصطفى بن ثابت – عبد المجيد مزيان – محمد بن يلس – الجلالي حجاج – عبد الوهاب بن منصور – بن عودة بوعياد– محمد بن عقيلة – حمزة بلعيد – صالح زروق – سليمان بشنون– عبد العزيز قروف – مولاي الحسن البغدادي.

و أما المعلمات فأذكر من بينهن الأوانس: خديجة بن ديميراد – ربيعة بن الأحبيب – زليخة كراري – فتيحة قورصو – خديجة خلدون – زليخة إبراهيم عثمان – خيرة إبراهيم عثمان – ربيعة بن ثابت – زبيدة بوصالح – كنزة بالخوجة – فضيلة سلعاجي – زاهية عبورة – فاتحة أمراد بودية – رشيدة بن ديمراد

و كلهن من طالبات دار الحديث و معلمات فيها و في مدرسة عائشة المجاورة.

و أذكر بمزيد من الفخر و الإعجاب الطالبة زليخة كوار – و هي المكفوفة – قد تحدت العمى من صغرها، وأخذت تعليمها عن طريق السمع و التلقين، و خاضت امتحان الشهادة الابتدائية العربية الذي نظمته جمعية العلماء فنالت الشهادة بتفوق (3)

تلاميذ دار الحديث شهداء حرب التحرير

انضم عدد كبير من تلاميذ دار الحديث الى الثورة التحريرية، و كانوا من جنودها الأوفياء، و هذه قائمة الشهداء الذين و قعوا في ميادين البطولة و الشرف خلال فترة الحرب التحريرية ضد المستدمر الفرنسي (1954–1962م) تواجهك أسماؤهم على لوحة رخامية في مدخل دار الحديث:(3) نفس المرجع السابق

1 مليحة حميدو
2 عويشة حاج سليمان
3 كمال قرصو
4 جمال أباجي
5 عبد الرزاق
6 عثمان محمد إبراهيم
7 عز الدين الصبان
8 مصطفى بابا أحمد
9 شرقي أحمد يحياوي
10 عبد الرزاق بختي
11 محمد الصغير برحيل
12 حاج حناوي
13 محمد حساين بوفردة
14 علي خديم
15 سيد أحمد مازوي خياط
16 بن علي بودغن (العقيد لطفي قائد الولاية الخامسة التاريخية)
17 عبد الحفيظ بوذراع (من عائلتنا الكريمة أبو مريم الجزائري)
18 منير ديب
25 قادة مرزوق
26 منير مغلي
27 جلالي دالي يوسف
28 قويدر مهاجي
29 أحمد بن شقرة
30 محمد شقرون
31 جلالي صاري
32عبد الرزاق صاري
33 حسين علالي
34 شكري علالي
35 عبد الكريم بوعياد
36 محمد سليمان
37 جلول غزلاوي
38 محمد غزلاوي
39 رشيد رضا قارة
40 نور الدين
41 محمد قادة قلوش
42 محمد خير الدين قروزان

19 محمد ولد أحمد رمضان 43 عبد الحميد قرطي

20 عبد الحميد بالسعود 44 حسين قوار

21 حسن شحمي 45 منير قوار

22 مصطفى بن شعرة 46 محمد الكبير كاهية ثاني

23 عبد الكريم بن شعرة 47 محمد بن يحي

24 عبد كرزابي

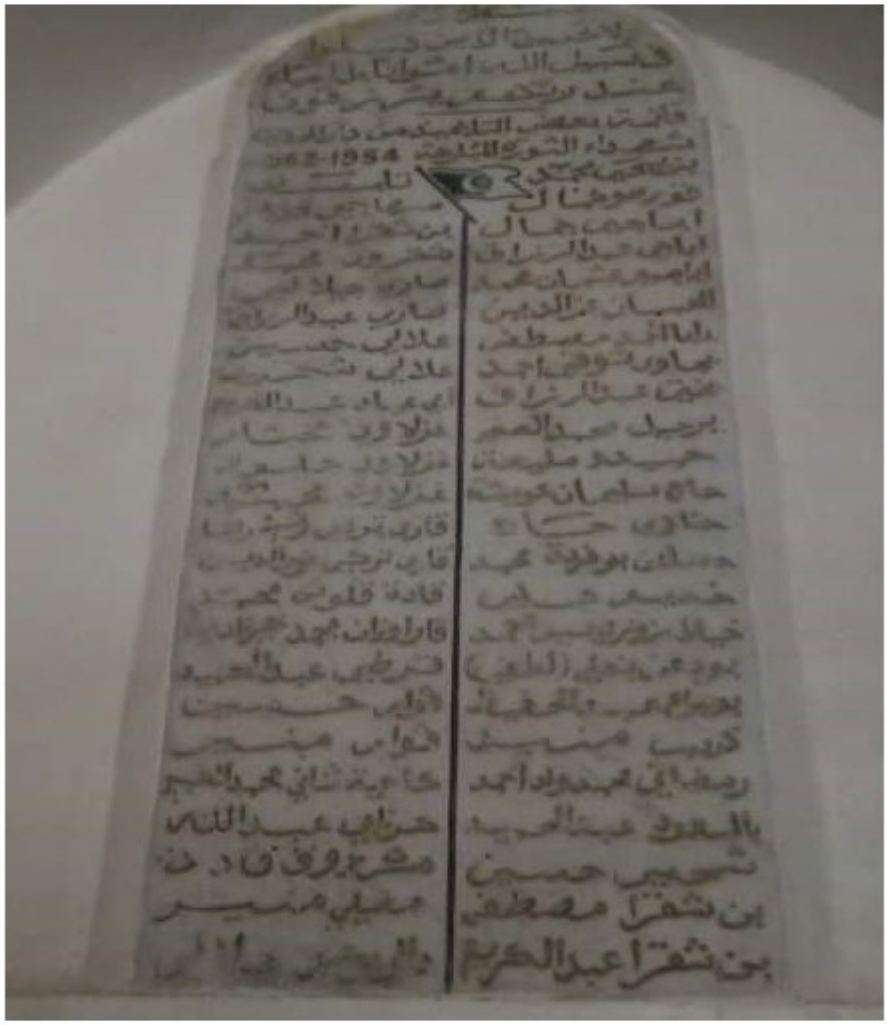

لوحة رخامية في مدخل مدرسة دار الحديث تحمل اسماء الطلبة الذين انظموا إلى الثورة التحريرية واستشهدوا في ميدان البطولة والشرف – رحمهم الله (1954– 1962).

أسست مدرسة دار الحديث
على يد العلامة الفاضل الشيخ محمد
البشير الابراهيمي مساندة شعب تلمسان
وقد افتتحها صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحميد
بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين يوم الاثنين ٢١ رجب سنة ١٣٥٦ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٣٧

الفصل السابع

المحافظة على القيم الاجتماعية

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المحافظة على قيم المجتمع الجزائري:

تمهيد:

القيم بمختلف أنماطها تلعب دورا كبيرا في تشكيل شخصية الفرد وتكوين الأمة والمحافظة على أصالة المجتمع.ولكن ما أصاب المجتمع الجزائري سياسة الاستعمار و الاستعمار أخلقيا هو نكسة أصاب الإنسانية فقد قمعت الشعوب المستعمرة و تعرضت للقهر و التسلط، و تفتيت البنية الاجتماعية و الاقتصادية. وذلك بالتأثير على القيم الروحية و الرموز الثقافية و التجهيل في المجال الثقافي و الديني و محاربة الأصالة و القيم الدينية و الأخلاقية و الاجتماعية والإنسانية للشعب الجزائري.

تعريف القيم:

لقد لاحظ محمد عابد الجابري من خلال المعاجم العربية، أن كلمة القيم تعود إلى بُعد اجتماعي من قبيل الثمن، فالقيمة لها دلالة اجتماعية وانتقالها من المعنى الاجتماعي والتجاري إلى المعنى الأخلاقي. ثم من خلال الترجمة من اللغات الأجنبية الحديثة التي تم فيها الارتقاء بمعنى القيم من معناها الاقتصادي إلى المعنى الأخلاقي، فأصبحت ترادف الفضائل، الكلمة الأكثر استخداما في الكتب التراثية قبل أن تحل محلها في المجال التداولي العربي المعاصر. –رضوان زيادة –2010

ثم جاءت بعد ذلك تعاريف كثيرة لمفهوم القيم حسب الميادين المعرفية واستخدامات المفهوم، لكن تبقى تدور دائما في مستوى الفضائل والتوجيهات والمواقف والمعتقدات والمبادئ والمثل.

يرى أحمد مهدي عبد الحليم: " أن مفهوم القيمة يشير إلى حالة عقلية ووجدانية، يمكن معرفتها في الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مؤشرات، هي المعتقدات والأغراض والاتجاهات والميول والطموحات والسلوك العملي، وتدفع الحالة العقلانية والوجدانية صاحبها إلى أن يصطفي بإرادة حرة واعية وبصورة متكررة نشاطا إنسانيا يتنسق فيه الفكر والقول والفعل يرجحه على من عداه من أنشطة بديلة متاحة فيستغرق فيه، ويسعد، ويحتمل فيه ومن أجله أكثر مما يحتمل فيه غيره دون انتظار لمنفعة ذاتية. (نفس المرجع)

أمّا ماجد عرسان الكيلاني فيري: "القيم محطات ومقاييس تحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها، أو من حيث سوئها وعدم قيمتها وكراهيتها أو في منزلة مهنية بين هذين الحدين. (نفس المرجع)

وتحتل القيم موقعين بالنسبة للفرد موقع مثالي وموقع واقعي يتجلى في التصرفات والسلوكات، وبما أنها كذلك فهي نسبية وسلمية ومتغيرة وبتغيرها تقدم أدلة وعلامات على اتجاه تطور المجتمع، وعندما نتحدث عن تغير القيم في مجتمع ما فإننا عادة نعني تحول سليم للقيم وليس خلق قيم جديدة.

ومن هنا تأتي مسألة صراع القيم وهي التعارض بين المثالي والواقعي من جهة، والتعارضات المتولدة عن التحول من حيث صعود قيم ونزول أخرى من جهة ثانية، ويعرفه (ويلاردويلر) بأنه تضاد بين اتجاهين أساسيين من اتجاهات القيم كالتضادبين القيم المنبثقة عن التنظيم الاجتماعي، وتلك التي ترتبط بمثل الإنسانية أشبه ما تكون مثالية.

(– ماجد الزيود –2006)

إن القيم العامة والقيم الاجتماعية حقل واسع أن القيم ليست امرا ملموسا أو محسوسا بل هي أفكار مجردة لا تتجسد الا في طريق سلوك الفرد الذي يؤمن به

وقد اختلف العلماء والمفكرون في تحديد مدلول القيم حيث أن كلا منهم ينطلق من منظور فكري يختلف عن منظور الآخرين فيذهب(اميل دوركايم)إلى أن "لكل مجتمع من المجتمعات البشرية نظاما أخلاقيا يمثل حقيقة اجتماعية ولقد لعب هدا النظام الأخلاقي دورا في نظام تقسيم العمل كما أن القاعدة الأخلاقية لا تنبثق عن الفرد ولكن المجتمع هو أساس القيم ومصدر القيم وأنها انتاج اجتماعي لعوامل اجتماعية تحدد من خلال ما هو مرغوب فيه اجتماعيا.

وتعرف القيم على أنها تصورات تتميز بالعمومية والالتزام وترتبط بإجراءات جزئية لكن تضمن الامتثال لقواعد السلوك فهي من صنع المجتمع أي إن المجتمع هو أساس القيم

وهكذا يتضح إن القيم عند دوركايم وليدة العقل الجمعي وترتبط بحياتنا العملية ارتباطا شديدا وليس بمعزل عن هذه الحياة – نورهان منير فهمي 1999–

مصادر القيم:

إن القيم لا تأتي من الفراغ بل هي مستمدة من البيئة بمعناها الواسع فيمكن تحديد مصادر القيم باختصار فيما يلي:

- **<u>الأسرة</u>:** تعتبر الأسرة من مصادر القيم السائدة لأنها تشكل وحدة إنتاجية فالأسرة هي مصدر القيم والتصرفات التي يبينها الفرد من صغره، لأنها المؤسسة الأولى التي تحتضن الطفل وينشأ ويترعرع فيها، وبالتالي تغرس فيه القيم التي تتبناها، وأكد **دوركايم** في قوله أن الفرد : يكتسب لغته ودينه وعاداته وتقاليده وطموحاته من الجماعة التي يحتك بها و يتعامل معها
- **<u>الجماعة التي ينتمي إليها الفرد</u>:** إن عضوية الفرد في الجماعات تعتبر مصدر آخر للقيم، فالفرد يغير أحيانا قيمه بفعل تأثير ضغوط الجماعة عليه، فبعض ممن نشأوا نشأة دينية تتحول وتتغير قيمهم آدا انخرطوا في عضوية جماعة غير دينية وتصبح قيمهم مع قيم الجماعة
- **<u>الخبرة السابقة</u>:** تعتبر خبرات تخص مهمة وتظهر في أوزان القيم التي يعطيها للأشياء فالمسكين الذي ذاق طعم إنجاز الحرية، يفترض انه يقدر قيمة الحرية أكثر لأنه عانى من كبت وإهدار حريته
- **<u>الثقافة السائدة في المجتمع</u>:** إن مصدر القيم والعادات الاجتماعية هو ثقافة المجتمع الذي تنبثقان منه. ولما كانت كل الثقافة تمتاز بالتفرد، وتختلف من ثقافة إلى غيرها من الثقافات، فإن القيم والعادات الاجتماعية تختلف من ثقافة إلى أخرى.

- **<u>الدين</u>:** يعتبر الدين مصـدر هام للقيم الاجتماعية المتمثلة في القيم الدينية والقيم الإنسـانية التي تحافظ على توازن المجتمعات والمتعلقة بالأسـلوب الاجتماعي كالتعاون والتسـامح والتواضـع والتراحم والألفة والعطف والكرم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيم الحب والوطنية وغيرها. من القيم الأخلاقية التي تحاول جعل المجتمع مجتمعا متوازنا بعيدا عن التفكك والانحلال.

3- تصنيف القيم:

قدم (نيكولاس ريشر N.Recher)(محاولة تتضمن عرض مختلف أسس تصنيف القيم النحو التالي:

- **التصنيف على أساس القيم:**

يتركز اهتمامه على الأشخاص الدين يتبنون قيم معينة، حيث لا يهتم بالقيم في نواتها من حيث المحتوى أو الموضوع وإنما يسلم بوجود بعض القيم كمعطيات.

- **التصنيف في ضوء موضوعات القيم:**

ويكون هدا التصنيف على أساس طبيعة الموضوعات أو الظاهرة التي تحظى بالتقويم.

- **التصنيف على أساس الفائدة أو المنفعة:**

وفيه ترتبط القيم عادة بفائدة أو منفعة يحققها أولئك الذين يحفظونها، ومن ثم يجب البدء بالتصنيف الفائدة أو المنافع الخاصة أولا، وان أفضل تصنيف في هدا العدد هو تصنيف الحاجات والرغبات والاهتمامات الأساسية.

لقد قام(**سبرانج**) بمحاولة تصنيف القيم استنادا لبعدها النوعي أو محتواها وقد قدم في ذلك أنواع من القيم هي:

القيم الاقتصادية: اهتمام الفرد بما هو نافع: واستثمار الأموال واستهلاك البضائع

القيم الاجتماعية: العلاقات الاجتماعية بين الإفراد والجماعات والتفاعل بينها وضد هدا الأخر

القيم النظرية: اهتمام الفرد بالكشف عن الحقائق عندما يوازن بين الأشياء

القيم السياسية: الحصول الفرد على القوة بهدف السيطرة على الاخرين وتوحيد مصيرهم.

القيم الدينية: بمعرفة ما وراء العالم الظاهر، ومحاولة ربط نفر بهذه القيم

القيم الجمالية: اهتمام الفرد بكل ما هو جميل في محيطه، ونظرة تقدير من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي.

إن القيم توجد مجتمعة في كل فرد بكل ما هو تتباين في تدرجات من فرد لأخر حسب قوتها وضعفها داخل نفسية الفرد والمحيط الذي يعيش فيه.

4-خصائص القيم:

- القيم معرفة فلسفية وتتبع الطبيعة الفلسفية لظاهرة القيم على أنها تصور.
- ان القيم مصبوغة بصبغة العمومية فهي عامة تمثل فئات كثيرة من المجتمع.
- القيم معرفة اخلاقية تعبر عن فكرة مثالية لأن الثقافة السياسية تضع لها أهدافا ذات طابع مثالي.
- ان القيم تعبر عن خصائص حضارية ففي كل فترة زمنية هناك تصور كامل للقيم، لما هو مقبول وما هو مرفوض، تتبع الحضارة التي تعيش فيها.
- القيم السياسية في الحياة كل إنسان سوي، فهي بمثابة مرشد وموجه لكثير من النشاط الحر الإرادي للإنسان.
- القيم تصطبغ بالصبغة الاجتماعية، اي انها تنطلق من اصار اجتماعي.
- القيم تصطبغ بالصبغة الاجتماعية والتربية في نطاق الجماعة.
- القيم ذات ثبات واستقرار نفسي واجتماعي نسبي.
- يتميز بعض الافراد بقيم خاصة تهيمن على جل وقتهم ونشاطاتهم، ودوافعهم وسلوكهم من نوابغ الأعلام والمفكرون والمخترعون والفنانون والقادة العسكريون، الذين استفادت منهم المجتمعات الإنسانية في شتى المجالات.

5-وظائف القيم:

إن أهمية القيم تظهر في تنظيم المجتمع، من خلال سلوك الآخر أو اليومي حسب مصلحة المجتمع.

- القيم رمز أو صور المجتمع في عقول الآخرين أو في توجيه السلوك بطرق مختلفة. تساعدنا في تقديم الحكم عن أفعالنا وأفعال الآخرين.
- القيم هي المدعمة للأنظمة الاجتماعية، والتي تحافظ على التماسك الاجتماعي.
- إن القيم تؤمن التماسك الاجتماعي، وينظر إليها كقيود وضوابط للحياة الاجتماعية.
- إن وحدة القيم تساعد الأفراد على اختيار أهدافهم الاجتماعية بدقة.

دور الجمعية في مجال غرس القيم:

سعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال نشاطاتها التربوية في إنشاء المدارس، وتخطيط المناهج التعليمية واختيار الطرائق التعليمية وإعداد المعلمين، واختيار الكتب المدرسية المناسبة. فأعدت جيلا صنع للأمة حريتها، ورجعت بالأمة إلى مجدها وقد آمنت أن بناء صرح الوطن يجب أن يُبنى على الأسس السليمة التي لا تكون الأمة أمة بدونها، وهي اللغة العربية والتاريخ الوطني والثقافة الإسلامية، والدين والوطنية الصحيحة. واعتقدت الجمعية أنه لا يأتي ذلك ولا يكون إلاّ بمدرسة أصيلة في مبادئها وأهدافها، تحفظ للأمة كيانها وتحقق آمالها. وتحافظ على مقومات شخصيتها

وقيمها الدينية والخلقية والاجتماعية. التي حاربها المحتل وأراد أن يمحوها من الوجود. ولكن الشعب الجزائري بقي محافظا على قيمه الاجتماعية والوطنية، ونجد أن جلّ القيم السائدة في المجتمع الجزائري مستمدة من القيم الإسلامية، التي تدعو للعمل وللإنجاز والجودة والوفاء بالوعد والصدق وأداء الأمانة والحزم والعزم وإتقان العمل ونبذ الزور والكذب والبهتان والفساد والتبذير ...والتضامن والتكافل الاجتماعي، واحترام الغير والتراحم بين الناس، وتجنب الغش، واحترام الوقت والتسامح –الأخوة –الكرم –العفة –الطهارة.

ويرتبط كل ذلك بدرجة الإيمان وما يقابله من ثواب وعقاب، كما توجد قيم أخرى كثيرة مشتقة منها، حيث لا نكاد نجد قيمة في حياة المسلمين إلاّ ولها اشتقاق وامتداد في الدين الإسلامي أي العقيدة الإسلامية.

لقد تعرضت– القيم الاجتماعية – للشعب الجزائري إلى تصدعات وانهيارات عبر التاريخ...إلى أن ترسّخت ثقافة الشّك والخوف وشاعت في الجميع. وبالمقابل عزز هذا الوضع الثقة القائمة على العلاقات والروابط الأولية بجميع أشكالها، وعلى رأسها الروابط الدموية...إلخ. ولهذا الوضع جذور تاريخية سببه البطش مرتبطة بالاستبداد والقمع والقهر، والحرمان والفقر والجهل واتباع سياسة – فرق تسد – والهدف كله من هذا العمل هو القضاء على قيم المجتمع الجزائري. وبالتالي طمس الشخصية الجزائرية. ولكن يقظة رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ونشاطهم التربوي في المدرسة والمسجد لعب دورا فعالا في المحافظة على هذه الشخصية العربية والإسلامية وقيمها السمحة. قال البشير الإبراهيمي: " المدرسة هي طريق الحياة وطريق النجاة وطريق السعادة وأن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا وديعة العرب في ذممنا، فمن حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بالمدرسة التي تبنيها الأمة، بمالها وتحوطها برعايتها وتجعلها حصونا تقي أبناءها من الانحلال الديني والانهيار الخلقي."(تركي رابح1981).

تستلزم تفعيل القيم المنتجة وتحويل القيم المثالية إلى إجراءات عملية ملموسة تمارس في الحياة اليومية، في الأسرة وفي المدرسة وفي ميادين العمل وفي الشارع وفي العلاقات والمعاملات العمومية، هذا بتفعيل الاجتهاد الفكري والمعرفي الذي له الدور الأول في هذا الميدان، والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى، بصفتها تجارب إنسانية.

قال النبي –صلى الله عليه وسلم – (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر و الحمى). هذا معنى عظيم في ارتباط كل فرد بأمته، ارتباط الجزء بكله وهذا الارتباط يقتضي أمورا كثيرة منها ما جاء في الحديث الشريف، ومنها ما يُؤخذ مما يقتضيه التشبيه.

ومن هذا أن الفرد منظور إليه في النظر الاجتماعي العام بما ينظر به إلى أمته، سواء أساواها في المستوى الذي هو فيه من رقي وانحطاط، أم كان أسمى منها أو أدنى فقيمته في النظر الاجتماعي العام هي قيمتها. فهذا

–**مهانير محمد** –أبو النهضة الحديثة في ماليزيا، يوضح في حديثه: –أنهم عند رغبتهم في الإنجاز التفتوا إلى الشرق وبالذات إلى القيم اليابانية التي تؤكد على أخلاقيات العمل: الإنجاز والإتقان والوفاء. فسرّ التطور كله يكمن هنا. فجودة المنتوج الياباني لا تُنافس كما لا ينافس الإنجاز–يضاف إلى ذلك النظام القيمي العام السائد في المجتمع الذي يحرص

على المحافظة على طاقات الناس وصرفها فيما هو مفيد من مال ووقت وجهد، بمعنى ان كافة أنظمة المجتمع تسعى إلى تلك الغايات مثل نظام النقل ونظام الإدارة ونظام الخدمات وغيرها من الأنظمة التي تتعامل مع الناس وتحرص على توفير جهدهم ووقتهم ومالهم.

بمعنى أن الفعل الإنساني الموجه بواسطة القيم لا وجود له إلا في إطار النسق العام للمجتمع، وهو نسق اجتماعي ثقافي، الذي يشكل المحيط المشجع أو المكبل للفرد في تفجير طاقاته و ابداعاته كما يزوده بطاقات وخبرات ويفتح أمامه أفاقا واسعة لتحقيق طموحاته الطبيعية، والمجتمع بأنساقه المختلفة هو الذي يساعد أو لا يساعد على تفجير مكنونات الإنسان. وامتلاك مفاتيح التقدم الكامنة في القيم.

القيم الأخلاقية:

يرتبط ميدان القيم الأخلاقية بالميدان التربوي ارتباطا كبيرا ويتمثل في ناحيتين:

1- نجد أن العملية التربوية السليمة لابد وأن توجهها أهداف ومفاهيم وقيم أساسية ترتبط بما يجب أن يتجه إليه النمو الإنساني الذي تعمل التربية على تحقيقه في أفراد البشر.

2- تهدف التربية في جميع عملياتها المختلفة وبأساليبها المتنوعة إلى تكوين الشخصية الأخلاقية لدى الصغار، هذه الشخصية الأخلاقية التي تكتسب في النهاية سلوكا أخلاقيا من نوع معين. وهنا كان على التربية أن تجد المفاهيم والقيم والأهداف التي توجهها حتى تتضح أمامها الرؤية الصافية في طريق التعليم وأن تعرف طبيعة الشخصية التي تهدف إلى تكوينها. وطبيعة السلوك الأخلاقي الذي تهدف إلى إكسابه للتلاميذ. (محمد لبيب النجيحي 1981)

تحديد القيم الإنسانية:

قام كل من(بيترسون و سليغمان(Peterson et Seligman 2004) وبالتعاون مع مجموعة من الخبراء في مجال العلوم الاجتماعية والفلسفية و التاريخ والرياضيات مع مختلف كبرى جامعات العالم بفحص التراث الفكري الإنساني بهدف الحصول على مقومات مشتركة فيما يتعلق بالقيم والفضائل الإنسانية التي من شأنها رفع مستوى الشعور بالرضا عن الذات و تحقيق السعادة، فتوصلوا لوضع تصنيف لأكثر الخصائص الإنسانية الإيجابية المستحبة بين الناس في ممارستهم اليومية فيما بينهم، ومنه على سبيل المثال لا الحصر "الرضا والتفاؤل والتسامح والعفو والعدل، الإنصاف، الحكمة، المعرفة والشجاعة والحرية، التعاطف، التقدير الاجتماعي، الاعتدال والوسطية، الامتنان والاعتراف بالفضل والأمل وحب الاستطلاع والتحكم الانفعالي في الذات وحسن إدارته و الالتزام والوفاء والروحانية (Des jardin 2006)، وهي خصائص تكاد تضمحل اليوم بين الأفراد في معظم المجتمعات الإنسانية بفعل التغير الحضاري الذي تعرفه هذه المجتمعات.

ونرى أن هذه الخصائص الإيجابية وغيرها التي تقود إلى تحقيق السعادة الشخصية للأفراد لأنها تساعدهم على اكتشاف قدراتهم وتنمي كفاءاتهم وتحسن من نوعية حياتهم، الشيء الذي ينعكس على صحتهم النفسية والاجتماعية والمهنية، ويقلل من مساحة عدم الانسجام بين التقدم التكنولوجي والتغيير الاجتماعي.

إذ يقول الله تعالى: " **من عمل عملا صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**" (سورة النحل الآية 97)

والعمل الصالح هنا يشمل كل الفضائل الإنسانية من عدل وإنصاف والتزام ووسطية وتفاؤل وتكافل وتسامح وغيرها من القيم الإنسانية.

القيم الفردية والجماعية والفعالية:

وفقا لما سبق فإن القيم إما أن تفعل و تحشد الطاقة الإنسانية من أجل الإنجاز وإما أن تثبطها وتجعلها راكدة خامدة ضائعة تصرف فيها لا تفيد، كما توجه الفعل الإنساني وجهة معينة في المجال الاجتماعي والاقتصادي وهي التي ترسم وتحدد نظرة الانسان لفعله بل إلى الحياة بأسرها فالإنسان بما يحمله من شحنات وغايات وليس بما يملكه من أشياء، رغم أهمية الأشياء للإنجاز غير أنها تبقى تفتقر للمحرك وطاقته المنتظمة في القيم.

وقد تعرض مالك بن النبي إلى مسألة الفعالية وربطها بالمجتمع الذي يزرعها في الإنسان حيث يذهب إلى أن الإنسان يمثل معادلتين: معادلة تمثل جوهره إنسان صنعه من أتقن كل شيء صنعه، ومعادلة ثانية تمثله كائنا اجتماعيا يصنعه المجتمع. ومن الواضح أن هذه المعادلة الأخيرة هي التي تحدد فعالية الإنسان في جميع أطوار التاريخ لا يتغير فيه شيء بل تتغير فعاليته من طور إلى طور. وهذا يعني أن شخصيته ليست بالبسيطة، وإنما هي مركبة تشمل على عنصر ثابت يحدد كيانه إنسانا وعنصر متغير يحدد قيمته كائنا اجتماعيا. وهنا نتساءل ما هي الظروف التي تجعل المجتمع يخلق في الفرد القيمة التي تبعث فيه الفعالية. (مالك بن النبي 2002).

ويذهب مذهب آخر إلى أن " عنصر الحركة في الانسان او ما نطلق عليه اسم الفعالية، يدخل في بناء الشخصية عن طريق التمثل النفساني لعناصر ثقافية معينة، يمتصها الفرد في الجو الاجتماعي الذي يعيش فيه، ولاشك أن الفعالية تتركب في بناء الشخصية بكل بساطة، عن طريق تنسيق حركي تأليفي للمقومات الأولية: الفكر، اليد، المال بمعناه الصحيح أي باعتباره العمل المخزون، فالطبيعة الإنسانية لا تتغير وإنما الذي يتغير هو المحيط القيمي الاجتماعي للإنسان سواء عبر الزمان أو المكان ومن ثم فهو المسؤول عن اختلاف البشر من مكان إلى آخر ومن فترة إلى فترة زمنية أخرى، وهكذا نجد الانسان فعالا في مجتمع وغير فعال في مجتمع آخر وفعال في فترة زمنية وغير فعال في فترة زمنية أخرى في ذات المجتمع كما تختلف من فرد إلى آخر ومن جماعة إلى جماعة أخرى في نفس الزمان والمكان ومرد ذلك كله إلى القيم التي يحملها كل إنسان، بمعنى فعاليته رهينة قيمه.

القيم الدينية:

الجميع يدرك أن القيم الإسلامية تدعو للإنجاز والجودة والوفاء بالوعود والصدق وأداء الأمانة والحزم وإتقان العمل ونبذ الزور والكذب و البهتان والفساد والتبذير..... وربط كل ذلك بدرجة الإيمان وما يقابله من ثواب وعقاب، غير أن واقع الحال يؤكد التهاون واللامبالاة وتدني الأداء وعدم الالتزام وقلة تحمل المسؤولية فما سبب هذه القطيعة بين القيم الإسلامية؟ وواقع المجتمعات الإسلامية؟ فعدم تفعيل القيم الإسلامية في حياة الناس وفي كافة المستويات أمر واضح، فما يعنيه الفرد المسلم على مستوى المثل شيء وما يعيشه على مستوى الواقع شيء آخر. فينعكس ذلك على حالته النفسية حيث يعيش حالة تأنيب ضمير مستمر سببته تلك القطيعة، بالإضافة إلى ما يقابل قلة الإنجاز من تدني في مستوى معيشته وفي توفيقه ونجاحه الاجتماعي، الأمر الذي قد يدفعه للوقوع في الفساد، لإشباع احتياجاته تحت غطاء القيم الشائعة. وهذا الأمر يشعر الشباب بإحباط كبير، عندما يشاهد الأمم الأخرى تتقدم وتفرض مكانتها بين أمم العالم وأمته لا مكان لها وتعيش الفقر والقهر والاستغلال والهيمنة الأجنبية والتدخل في شؤونها دون مقاومة.

فقلة تفعيل القيم الإسلامية تعني أنها لم تحول إلى إجراءات عملية باستحداث أنظمة قادرة على تجسيدها عمليا طبقا لروحها ومحتواها. وهذا ما أثر على كافة يوميات الإنسان المسلم، وهكذا نجد حياته مليئة بالتناقضات فعلى مستوى القيم والمثل يعيش في الكليات والأحكام العامة وعلى مستوى الممارسة اليومية يعمل بما طورته الثقافات الأخرى من الإجراءات المستمدة من روحها وليس من روح القيم الإسلامية التي يعيش المسلم على مستوى المثل بمعنى يتكلم بكليات القيم الإسلامية ويعمل بالجزئيات والقواعد المطورة عن قيم أخرى.

قيم التنشئة:

قيم الشباب هي انتاج اجتماعي، انتاج التنشئة الاجتماعية الأسرية والمدرسية والإعلامية وغيرها، فهي التي تصنع هويته الثقافية والقيمية منذ اللحظات الأولى من ولادته إلى أن تصبح جزءا من كيانه الاجتماعي–الثقافي.

وهكذا تعد الأسرة الوسط والمكان الأول الذي يتلقى فيه الشباب التعاليم المعاملتية المستمدة من العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية تدعمها فيما بعد المؤسسات الأخرى من مدرسة ومسجد ومسرح وسينما ونواد وأجهزة إعلامية وغيرها.

وقد أجريت دراسة حول الأسرة والتربية 2008 دراسة سوسيولوجية لأثر الضغوط الحصرية على الوظيفة التربوية للأسرة– بحث جامعي رقم: V/601/05/2003 مخبر الوقاية و الأروغتوميا– جامعة الجزائر– فرقة البحث/ بومخلوف محمد– صحراوي بوزيد– محمد الرؤوف الفاكي الحسين –مختار جعيجع– صورية سعدو.

تبين أن الأسرة تحرص على تلقين قيم معينة لدى النشء في تربيته والتي تعكس قيمها أي القيم التي تؤمن بها.

ويمكننا أن نستخلص أنه مع التغيرات المتسارعة في كافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية..... ومع ما يشاع عن التغير في القيم إلا أن ذلك يعني على مستوى الشكل والمظهر ولم يخرق الجوهر والعمق، فالأسرة مازالت تحرص

على غرس القيم والمعايير التي تؤمن بها والراسخة في المجتمع، وفي مقدمتها القيم الإسلامية التي اختلفت الأسر في تحقيقها وذلك بسبب الصعوبات والمعوقات الكثيرة، فالأسرة لم تفقد مرجعيتها ولا أهدافها التربوية مع ما تتعرض له من ضغوط كثيرة تُعيقها على أداء وظيفتها التربوية كما ترغب، ونجد ترتيب القيم عند الأغلبية كالآتي – القيم الدينية – القيم الأسرية – القيم التقليدية والقيم الوطنية.

ومن ثم فإن التنمية والنمو والتقويم الاجتماعي تقتضي بعث الثقة وهذه بدورها تحتاج إلى سياسة اجتماعية كفيلة بإعادة الأمور إلى مجراها الطبيعي، كما تستلزم تفعيل القيم المنتجة وتحويل القيم المثالية إلى إجراءات عملية ملموسة تمارس في الحياة اليومية في الأسرة والمدرسة وفي ميادين العمل وفي الشارع وفي العلاقات والمعاملات العمومية وهذا بتفعيل الاجتهاد الفكري والمعرفي الذي له الدور في هذا الميدان، والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى بصفتها تجارب إنسانية.

المعيارية القيمية:

تعني أن تصرف الإنسان منضبط بقيم المجتمع الذي ينتمي إليه، ولا يكون إلا المجتمع الإسلامي كقيمة الوقت والنظافة والإتقان والنظام والترتيب والهادفية والتأصيل والتأخير والتآزر والتعاون والاحترام والتكافل والتراحم، وغير ذلك من القيم الإنسانية المتحضرة أو قل المسلم الملتزم لا يكن أسعد إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء وإنما يوطن نفسه إن التزم الناس القيم عاملهم وفقها، وإن خالفوا القيم لا يخالفها. فإن آذوه لا يرد عليهم بالأذى، وإن قاطعوه وصلهم ويدرؤون بالسيئة الحسنة.

إن المعيارية أو القيمة تعني أن السلوك الحضاري محكوم بضوابط وقيم، وهي القيم الإيمانية بالنسبة للمسلمين في المجتمع الإسلامي، كقيمة التوحيد، العبودية، الحب، الانقياد والوقت والنظافة والجمال والمحافظة على البيئة، النظام، الإتقان والعمل والترتيب وغير ذلك من القيم القولية والفعلية، الحسية والمعنوية.

فالموحد العابد المحب المنقاد لله ورسوله لا يظلم ولا يعتدي، لأنه يتحرك بقيمة الإنصاف، كما أنه لا يلهو ولا يعبث، لأنه يحترم الوقت.

ومن ثم فذو السلوك الحضاري العامل بمبدأ المعيارية فهو دقيق التنظيم، متقن الأعمال، محافظ على الوقت، وبذلك يكتسب احترام الناس له.

وإذا أذكر السلوك الحضاري في مجال اجتناب الاختلاف والتنازع من أجل دعوة المتنازعين إلى محاسبة أنفسهم. وليطرح كل واحد منهم الأسئلة على نفسه.

–هل أنا متحضر؟ وأسلك سلوكا حضاريا؟ في التعامل مع جيراني؟ وإخواني وأصدقائي؟ هل أنا حليم رقيق متسامح؟ هل أنا أحب جميع المؤمنين و أؤمن بأخوتهم لي؟ هل أنا أعمل بحديث الرسول صلىّ الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" ؟

ليعلم كل مؤمن أن الله تعالى أمرنا بالاعتصام بحبله والتآخي في حبه، وليعلم المسلم أن الله تعالى هو الذي اختار له إخوانه، وأمره بحبهم ونصرتهم والتعاون معهم فقال سبحانه وتعالى: " فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة فإخوانكم في الدين " وفي الحديث الشريف: " المسلم أخ المسلم" معنى هذا أن التعامل بقيمة الأخوة لا يخضع لأهواء الناس وأغراضهم، ليختاروا من شاءوا ويناصرونهم لحسابات خاصة ويعادون الآخرين.

فإن قيمة الأخوة في ميزان القرآن تعني أن الله شرف للأمن هم إخوانك وأمرك بحسن التعامل معهم.

لعلنا أدركنا جميعا من خلال فهمنا لخصائص السلوك الحضاري أن التأدب وحسن الخلق عاملان أساسيان لإقامة التآلف والأخوة الإيمانية بين المؤمنين، قول أبي حامد الغزالي إذ قال: "اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التّحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق ثمر التباغض والتحاسد والتدابر ومهما كان المثمر محمودا كانت الثمرة محمودة وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلة وهو الذي مدح الله سبحانه وتعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام إذ قال: "وإنك لعلى خلق عظيم" 7/68

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أكثر ما يُدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق "وقال أيضا: "بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق" (كتاب أحياء علوم الدين ج ح ص 214).

ونؤكد التذكير بهذا ليعلم الناس أن سبب اختلافهم وما ينشأ بينهم من صراع وعداوة سوء أخلاقهم فإن حسُنت أخلاقهم تحسنت أحوالهم وتألفت قلوبهم.

إن حضارتنا تقوم على العلم والإيمان والأخلاق والعمل الصالح المنتج فيكون سلوك الأفراد في المجتمع الإسلامي محكوما بضوابط العلم وشعب الإيمان والأخلاق الحسنة والإنسان المتمرن الاجتماعي لا يعمل لنفسه بمنطق الأنانية وحب الذات وإنما يعمل لنفع إخوانه وإسعاد أمته وخدمة وطنه.

وكان الشهيد عميروش يقول: " ضرورة المحافظة على القيم العربية الإسلامية ونشر التعليم العربي بين الناشئة."

(أبو القاسم سعد الله 2007) ص127

وقد قال الشيخ عبد الحميد ابن باديس في موضوع حب الأخوة والإنسانية ما يلي:" إننا نحب الإنسانية ونعتبرها كلا، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا، ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها، ونبغض من يبغضها ويظلمها، وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه، ونبغض من يبغضه ويظلمه.

فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري، وتحبيب بنيه فيه، ونخلص بكل من يخلص له. ونناوئ كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه." (عبد الحميد ابن باديس 1925): (جريدة المنتقد: جويلية 1925م).

هذه القيم التي كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعمل من أجلها، ونشرها في الأوساط الشبانية والمواطنين، في النوادي الثقافية وفي دروس الوعظ والارشاد في المساجد، وفي تربية النشء في المدارس على هذه القيم الإنسانية، المستمدة من القيم الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وقد خاطب الله عز وجل نبيه الكريم (ص) بقوله: " وإنك لعلى خلق عظيم " وقال: "وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين " صدق الله العظيم.

ولذا نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اتخذت من التربية والتعليم وسيلة لتحقيق غاياتها وأهدافها، وبناء الإنسان الجزائري الجديد. الذي سيصبح أداة للتغيير الاجتماعي وتطوره وتحرره والنهوض به لرقى إلى مستوى المجتمعات المتقدمة. ومدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعبت دورا كبيرا في تكوين الأجيال الصاعدة، وقد زودتهم هذه المدارس بأنواع المعرفة والعادات والاتجاهات والقيم والخبرات الآتية:

1- غرس مبادئ الدين الإسلامي، وأداء واجباته ومحاربه الشعوذة والخرافات وتربية الأطفال على الأخلاق الحميدة.
2- القدرة على فهم العلاقات الاجتماعية الصالحة، والتعود على ممارستها في معاملة الآخرين.
3- التمكن من وسائل المعرفة الأولية: كالقراءة والكتابة والحساب.
4- عادة التفكير المنطقي المنظم، وإقامة الأحكام على النقد والدرس والاقتناع.
5- عادة النشاط المنتج، وحسن استخدام أوقات الفراغ فيما ينفع الفرد والمجتمع.
6- التزود بقدر كاف من المعلومات العامة مع وضوح علاقتها بمواقف الحياة العملية، والقدرة على تطبيقها.
7- تكوين جسم سليم، والتدريب على الحركات النظامية.
8- إدراك المشكلات التي تواجه المجتمع، وغرس الميل نحو المشاركة في حلها والعلم بطرق التغلب عليها.

ويقول أحد علماء الاجتماع وهو (ميرتونR.K.Merton): " إن الاتجاهات السائدة في المجتمع تؤثر في سلوك الناس حتى وإن كانوا لا يؤمنون إيمانا شخصيا بها. " (عبد الرحمن محمد عيسوي 1986)

ويضيف في قوله: إن الاتجاهات تتكون خلال هذه العوامل:

الخبرة المتصلة بتربية الطفل.

الاتصال بالأفراد الآخرين أو الجماعات الرسمية وغير الرسمية التي يلتقي الطفل بها.

الثقافة العامة السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، وما يحتويه من عادات وتقاليد وقيم وفلسفات وأعراف ومعايير، وفلسفة الحياة أو أسلوب الحياة السائدة. ولا شك أن الأسرة تسعى في سنوات الطفل الأولى إلى نقل معالم الثقافة إليه. (المرجع السابق)

ويرى فرانز ألكساندر (Franz Alexander) أن نمو السمات الشخصية يتوقف على العلاقات الشخصية في بيئة الفرد، على العلاقة بين الآباء والأبناء... وهي على الصور التالية:

- الجمود أو التحرر.
- الحذر والجرأة.
- الثقة بالنفس أو النقص.
- التفاؤل أو التشاؤم.
- النقد الذاتي أو عدم الاهتمام.
- العدوان أو الخضوع.
- الاعتماد على الذات أو الاعتماد على الغير.
- الكرم أو البخل.
- النظام أو الفوضى ، وعدم الدقة و الإهمال.

وعلى ذلك فبعض سمات الشخصية ترجع أصولها الأولى إلى الخبرات الأولية في حياة الفرد، ولذلك فإنها تقاوم التغيير بشدة، وترجع مقاومتها للتغيير إلى أنها تعود إلى المراحل الأولى من حياة الفرد. (عبد الرحمن عيسوى 1986)

الأخلاق القرآنية:

نجد في القرآن قاعدة لتنظيم نشاطها أخلاقيا، ووسيلة لرفع جهدها ورحمة للضعفاء ومثلا للأقوياء... وأدنى ما يمكن أن نقوله في الأخلاق القرآنية أنها تكفي نفسها بنفسها على وجه الإطلاق، فهي أخلاق متكاملة.

وللأخلاق العملية عدة نواحي وهي كالآتي:

أولا:الأخلاق الفردية: والمتمثلة في –تعليم أخلاقي – جهد أخلاقي –طهارة النفس –الاستقامة والعفة والاحتشام وغض البصر، والتحكم في الأهواء ثم الامتناع عن شهوتي البطن والفرج، وكظم الغيظ، الصدق، الرقة والتواضع، التحفظ في الأحكام واجتناب سوء الظن، الثبات والصبر، القدوة الحسنة، الاعتدال، الأعمال الصالحة، التنافس، حسن الاستماع والاتباع، إخلاص السرائر.

ثانيا:النواهي: مثل: الانتحار – الكذب والنفاق – الأفعال التي تناقض الأقوال – البخل – الاسراف – الرياء – الاختيال– الكبر والعجب – التفاخر بالقدرة والعلم – الحسد –الطمع – الخبائث...إلخ. (أحمد عبد الحميد عطية 1998)

الأخلاق الأسرية:

الواجبات نحو الأصول والفروع وهي: الإحسان إلى الولدين، طاعتهما، احترام حياة الأولاد – التربية الأخلاقية للأولاد وللأسرة عامة. المودة والرحمة – المساواة في الحقوق والواجبات، التشاور والتراضي، التعامل الإنساني، المعاشرة بالمعروف حتى في حالة الكراهية.

ثالثا: الواجبات نحو الأقارب.

الأخلاق الاجتماعية: –عدم القتل، السرقة، الغش، القرض بفائدة –الإخلاص –أكل مال اليتيم –خيانة – الأمانة–الظلم –التواطؤ على الشر –الخداع –الفساد –شهادة الزور –كتمان الحق –قول السوء –سوء معاملة اليتيم–السخرية – الاحتقار.

الأخلاق الدينية: الواجبات نحو الله – الإيمان بالله –وبما أنزل من حقائق – الطاعة المطلقة لله.

تدبير آياته وصنعه، شكره على نعائمه والرضا بقضائه والتوكل عليه مع عدم اليأس من رحمته، دوام ذكر الله، تسبيحه وتكبيره، وأداء الصلاة المفروضة، وحج البيت، والدعاء، والتوبة إلى الله وطلب مغفرته، حب الله وأن يكون حبه فوق كل شيء.

أمر بالعدل وهو قمة الفضائل –احترام الحياة الإنسانية والأمر بفضيلة الصدق والنهي عن رذيلة الكذب – الرفق بالوالدين –الأخلاق الشخصية و الأخلاق الاجتماعية والأخلاق السياسية– الضمير و الإلتزام الخلقي –الواجب والمسؤولية والجزاء الخلقي – الانسان كائن أخلاقي.

الأخلاق في الإسلام، سمو الأخلاق وصلاح المجتمع، أثر القدوة في حسن الخلق – خلق الرسول (ص) – الأخلاق و إصلاح النفس الإنسانية –الحرية النفسية والعقلية أساس الأخلاق.

إن الأخلاق الإسلامية أصيلة في مصدرها لأن مصدرها الوحيد هو القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولا يجوز بأي حال من الأحوال أنه يُقال إن للأخلاق الإسلامية مصدرا آخرا، فالأخلاق الإسلامية ولدت كاملة في القرآن. (أحمد عبد الحليم عطية 1998م)

وهذا ما دفع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تربية النشء على الأخلاق القرآنية والسنة النبوية المطهرة، وعملت على المحافظة على جنسيتنا وقوميتنا وربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة.

وقد جاء في قانونها الأساسي أن " القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية: كالخمر، والميسر، والبطالة، والفجور، وكل ما يفسد على الناس عقولهم، أو يضيع عليهم أموالهم، فهو من الآفات" ومن هنا "حاربت الجهل والجمود، والدجل، والخرافة، وكل أنواع الأباطيل" (مجلة الشهاب نوفمبر 1936م). كما حاربت كل من يقف في وجه التعلم والتعليم سواء باللغة العربية أو باللغات الأجنبية.

القيم الاجتمـــــــــاعية:

نجد في المجتمع الجزائري مجموعة من القيم الدينية و الخلقية و الاجتماعية و الانسانية.ومعظمها مستمدة من الدين الاسلامي الحنيف، المتمثلة في التعاون و التراحم، التزاور، صلة الرحم، التكافل الاجتماعي العدل، الأخوة، الكرم، الحب، العام، الرحمة، الأصالة، التحية، الفضيلة، التضامن، التأزر، التويزة، حب الناس، احترام الناس...العزة و الكرامة العفة والطهارة- التسامح- الصدق- الوفاء- الأمانة- علو الهمة.

الاحترام قيمة انسانية عامة أولتها البشرية عناية و اهتماما، لكن السلام أعطاها مكانة كبيرة جعلتها تمتد لتشمل كثيرا من العلاقات التي تربط الانسان المسلم بغيره، بل امتدت لتشمل المجتمع و العلاقات الاجتماعية جميعها.

ان خلق الاحترام من أكثر القيم الأخلاقية التي نعاني جميعا من نقصانها في مجتمعاتنا المعاصرة.

فالأخلاق تزرع في الأساس لدى الأطفال ثم تجنى ثمارها في الكبر.

و ان تعليم الطفل صفة الاحترام و قيمتها من الأمور المهمة التي يجب احاطتها بالرعاية المستمرة و ترسيخها عند الأطفال يكون في السنوات الأولى من عمره، فالطفل الذي ينشأ على صيغة الاحترام منذ الصغر يكون عضوا صالحا في المجتمع و قاعدا أفضل في المستقبل.

نلاحظ في مجتمعاتنا اليوم أن كثيرا من الناس يسئ الأدب مع الاخرين لا يحترم امرأة أو شيخا أو طفلا صغيرا عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال:

قال الرسول صل ى الله عليه و سلم "ليس منا لم يرحم صغيرنا و يعرف شرف كبيرنا"، ان تربية الاسلام

و تعاليمه في الوقت الذي تبنى فيه فكر الانسان المسلم و مشاعره على أساس عبادة الله وحده و توحيده و الالتزام بدينه الحق فإنها تركز في نفس الوقت و احترام الانسان كانسان مها كان هذا الانسان قريبا أو بعيدا مؤمنا كان أم كافرا و احترام الانسان يعني حرمة حقوقه المادية كجسده و ماله و حقوقه المعنوية و حريته وكرامته و اختياره لدينه، من هنا يرفض الاسلام اضطهاد الناس على أساس دينهم و معتقداتهم أو فكرهم أو مذهبهم بل يوصي الاسلام أبناءه بأن يكونوا المثل الأعلى في الأخلاق و حسن التعامل مع الأخرين حتى لا تحسب تصرفاتهم غير اللائقة على الاسلام فتشوه سمعته و تنفر الأخرين منه و ان القرآن الكريم يشجع المسلمين على البر و الاحسان للكفار غير المعادين المحايدين يقول الله تعالى: 'لا ينهاكم الله عن اللذين لم يقتلوكم في الديار و لم يخرجوكم نن دياركم أن تبروهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين'

واذا كان المطلوب من المسلم أن يدعو الى دينه و أن يوضح البطلان و الفساد و الديان الأخرى الى أن ذلك يجب أن يكون بأسلوب لائق لا يحرج مشاعر الأخرين و لا ينفرهم يقول الله تعالى: 'ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم '

ما أروع تأديب الاسلام لأبنائه و تربيته لهم على احترام الأخرين حينها ينهى القرأن الكريم المسلمين سب أصنام الكفار وأوثانهم و ؟لماذا؟ لأن الكفار يعتبرون الأصنام مقدسات لهم كل انسان يدافع عن مقدساته و ان كانت زائفة باطلة .

فاذا اعتدى المسلمون و أهانوا مقدسات الكفار فستكون ردة فعل الطبيعي للكثيرين اهانة و سب لمقدسات المسلمين و لا يرضى الاسلام تبادل الاهانة و السب كلغة الحوار و التعامل بين أصحاب الأديان.

فلنتأمل الآيات الكريمة التالية و لنتدبر في أبعادها العظيمة يقول الله تعالى: ولا تصبوا الذين يدعوا من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبأهم بما كانوا يعملون'.

ان احترام مطلب كل انسان محترم في أي مؤسسة أو علاقة في الأسرة في العمل، في الشارع، في السوق أو في أي مكان يحتاج الى تعامل فيه مع الأخر فان فقد الاحترام نسفت العلاقات و أصبحت الحياة كريهة متعة تشوبها المنغصات و الحزن فالإنسان المسلم يعيش و في داخله رغبة لأن يكون محترما و أن يحترم الأخرين فهو ينتظر أن يحي في ظل القيم التي ارتضاها الله جل و عل للمسلمين لينعم المجتمع بالراحة و السكينة و السعادة و حين ينعدم الاحترام فمرد ذلك الى انعدام التربية الايمانية و السلوكية و انتشار المفاهيم الخاطئة عن الله عز و جل و فهم خاطئ للإسلام.

هذا وقد تعددت صور الاحترام ي الاسلام لتشمل احترام النفس بتقوى الله و الابتعاد عن المعاصي و عن ايذاء الأخرين و التكبر عليهم و احترام الوالدين ببرهم و الاحسان اليهم.

احترام المرأة بتكريمها و عدم ايذائها و حرش بها و احترام المجتمع و عدم ايذاء شعور الأخرين و احترام أمن المجتمع و عدم الاخلال به و احترام كبار السن و احترام غير المسلمين بحفظ كرامتهم و أدميتهم و احترام الأنظمة

و القوانين و احترام العلماء و المعلمين ذلك لدورهم في مجال التربية و الارشاد الى الطريق الصحيح قال عليه الصلاة و السلام ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يوقر كبيرنا'

و يعرف لعالمنا حقه يقول المولى عز و جل 'يرفع الله الذين أمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات و الله بما تعملون خبير'

وسئل أحد الحكام السابقين لما لم تكرم معلمك فوق كرامة أبيك: فقال ان أبي سبب حياتي الفانية و معلمي سبب حياتي الباقية .

ان احترام مشاعر للأخرين و التعاون الراضي و المتحضر معهم صناعة اسلامية، فالإسلام ألزم المسلم بالاحترام و تقدير كل من يتعامل معهم و تقديم كل عون مادي أو انساني لمن يحتاج هذا العون، و لذلك فان المنبهرين بسلوكيات الغربيين الحضارية عليهم أن يعودوا الى تعاليم و الأخلاقيات دينهم الاسلامي أولا و يترجموها الى سلوكيات عملية وواقع حي عندها سوف يكتشفون أن السلوك الحضاري لهؤلاء تعلموه من الاسلام الذي ربانا على أحسن خلق.

و من أجل ترسيخ هذه القيم الحضارية في النفوس لابد من جهود كبيرة تبدأ من داخل البيت حيث يجب أن يقوم الآباء و الأمهات بواجبهم التربوي و ينبغي أن تكون سلوكياتهم أمام أباءهم هو نموذجا للتحضر و الرقي و تنطلق القيم الاسلامية أيضا من المدرسة مفنظم التعليم في بلادنا العربية و السلامية يجب أن تولى منظومة القيم و ما تحتاجه من اهتمام فلا قيم للعلم أو الفكر أ الثقافة يحمالها أناس لا يحترم معها الأخرين و يتصرفوا بشكل غير لائق معهم

قال الله تعالى: **'كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله'**سورة آل عمران الآية10-

وفي الأية الكريمة ما يجسد الشخصية العامة للأمة و ما يدل على أن الشخصية الفردية تنبثق منها و تتسم بطابعها لأن الخير في أمة انما يقاس بمعيار الخير في أفرادها فرادى و مجتمعيين ولا يتسنى لها أن تكون خير أمة الا إذا كان الفرد فيها خير فرد في اطار هذا الهدف.

ان التعامل و القيم الاجتماعية في المجتمع الاسلامي على تكوين شخصية الفرد وسبيلها الى ذلك أن تتخذ من الفكر و المثاليات و المبادئ و القيم في الاسلام ما يساعد على تكوين شخصيته التي تتميز به فيما يصدر عنها من قول وتصرف و حتى تكون بحق شخصية مؤمنة خيرة تعبر بصدق بانتمائها الحضاري للأمة العربية الاسلامية و هذا ما كانت تهدف اليه جمعية علماء المسلمين الجزائريين وسبيلها في ذلك تربية النشء تربية اجتماعية و اسلامية صحيحة يعرفون بها حقوق التي أقرها الاسلام لأبنائه و يكفل لهم بها أسباب الحياة الكريمة و ليقيم عليها مجتمعا نظيفا تظلله المساواة و الحرية و الخاء و العدالة الاجتماعية و الروح الأسرية العامة .

ويعرفون بها أيضا واجبات التي فرضها عليهم من عبادة و طاعة و عمل و صداقة و زكاة فيوفر لنفسه أسباب الحياة السعيدة ويساهم في بناءه على أسس سليمة كما يتمثلون سلوكيات التي تدعم هذا النظام من تراحمهم و توادهم وتعاطفهم و التعاون و التكامل و يقتنعون بخيراتها و لمجتمعهم فيقبلون عليها و يتمسكون بها عن رغبة ذاتية قوية و تلقائية و يحثنا ديننا الحنيف على الأخلاق الكريمة و لقد منح الله الرسول صلى الله محمدا ص عن مكارم الأخلاق حيث قال 'وانك لعلى خلق عظيم' و الرسول الكريم (ص) يقول: -انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق –

وللأخلاق قواعد وأسس وهي على التوالي:

-**أخلاق فردية** متمثلة في طهارة النفس و الاستقامة و العفة و غض البصر و التحكم في الأهواء ثم الامتناع عن الشهوات: شهوة البطن و الفرج و كظم الغيظ الصدق الرقة و التواضع، التحفظ للأحكام و اجتناب سوء الظن الثبات و الصدق و الصبر و القدوة الحسنة الاعتدال الأعمال الصالحة التنا فس، حسن الاستماع و الاتباع الاخلاص

-**أخلاق أسرية:** الاحسان الى الوالدين، طاعتهم و احترامهم وواجبات بين الأزواج العلاقات المحرمة و المحللة المودة و الرحمة المساواة في الحقوق و الواجبات التشاور و التراضي التعامل الانساني و المعاملة بالمعروف.

-**الأخلاق الاجتماعية:** أداء الأمانة، أداء الشهادة الصادقة، اصلاح ذات البين، الاحسان الى الفقراء، تثمير أموال اليتيم، العفو، الدعوة الى الخير، نسر العلم، الأخوة و الكرم العدل الحب العام الرحمة و الحسان .

-**أخلاق الدولة:** احترام النظام العام، صون المال العام و عدم المساس بها، تجنب الفساد، طاعة الشروط، المثل العليا، التشاور في القضايا العامة، المحافظة على القضايا الدينية .

كرامة الأمة في احترام قيمها الأصلية :

ان علاقة الأمة بأصالتها كعلاقة الشجرة بجذورها ، ولما كان بقاء الشجرة شامخة عالية شروط بتواصلها مع جذورها، فالأمر نفسه بالنسبة للأمة تماما، فبقاؤها قوية مستمرة محافظة على ذاتها الحضارية مرهون بتمسكها بأصالتها، وأي تجاوز من قبل أفراد الأمة لهذه الأصالة و الخروج عنها هو تنكر منهم لذاتهم و هويتهم، و كل ما يدعو الى هذا التوجه يدعو الى تضحية الأمة بهويتها و جوهرها، و في ذلك دعوة لزوال الأمة في تاريخها، و الأمة الفاقدة لهويتها أمة فاقدة لوجودها غريبة عن أهلها و مكانتها ومن هذا ترتبط شخصية الامة ارتباطا وثيقا بثقافتها و أصالتها (زكي نجيب محمود1984)

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ترسيخ القيم الإسلامية:

لقد قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بما عاهدت الله عليه داخل التراب الجزائري من تهذيب الكبار بدروس الوعظ و الارشاد، وتربية الأبناء الصغار و تعليمهم اللغة العربية و الدين الإسلامي، و ذلك حتى لا يقعوا فريسة بين مخالب الاستعمار الذي يعمل، بدون هوادة على طمس شخصيهم و مسخ هويتهم، لذا ألت جمعية العلماء على نفسها أن تنهض لأداء واجبات بتخليص أبناء الشعب الجزائري المسلم من الفسخ و المسخ و الاندثار.

وقد تمكنت جمعية العلماء من تحمل الأمانة بكل ثقلها و أوزارها، وقامت بواجبها أحسن قيام، في وقت عصيب.

ورغم الصعوبات و العراقيل فقد حققت أهدافها التربوية و التعليمية المتمثلة في تأسيس المدارس و تعليم اللغة العربية لأبناء الشعب و توجيه الشباب للمحافظة على الدين الاسلامي و القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري و العزة

و الكرامة و الأصالة الجزائرية و الحضارة العربية الاسلامية وقد طالب الشيخ عبد الحميد ابن باديس سلطات الاحتلال قائلا: "وانتم تعلمون كذلك أن الأمة الجزائرية أمة اسلامية الدين عربية اللسان يستحيل عليه أن يتخلى على ذلك الدين ويستحيل أن تفهم حقائق ذلك الدين الا باللسان العربي.

وأن الاسلام و العربية هما أول ما تعهدت فرنسا بحفظه و عدم مساسه من مقومات هذه الأمة و مقدساتها من أول عهد لاحتلالها لهذا القطر، فمالها منذ سنوات بدأت تتنكر للإسلام لغته و تطبيق في تعليمه النفاق ؟

تارة بالتشريعات الاستثنائية و تارة بالمعاملات الادارية حتى وضعت حولهما شبكة من القرارات و وكّلتها الى التطبيق الاداري الجائز لا غاية له الا محو التعليم الاسلامي العربي

من الفطرة خلقه الله اسلاميا عربيا في هذه السنة على الخصوص جرت أعمال شاذة من إغلاق المدارس و تعطيل رخص و اهمال مطالب لا نظير عليكم بعدها و كانت خاتمة استصدار قرار 08 مارس1938 الأخير تكليلا لسلسلة القرارات الجائرة فارتاعت الأمة الاسلامية العربية واعتقدت أن لهذا القرار و ما سبقه من مناورات انما هو اشهار للحرب على أعز عزيز لديه و هو دينها و لغتها (البصائر: 1938م)

يندد هذا القرار المشؤوم الذي يعاقب بسجن من يعلم اللغة العربية بلا رخصة ومضت سنوات في غلق مكاتب قرآنية ومكاتب تعليم الدين الإسلامي و استرجاع الرخص الممنوحة.

قال الشيخ ابن باديس " انني أعاهدكم على انني اقدي بياضي على العربية و الإسلام كما قضيت سوادي عليهما، و انها لا وجبات... و اتي سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن و لغة الإسلام و القرآن هذا عهدي لكم و الب منكم شيئا واحدا و هو ان تمونوا عن الإسلام و القرآن و لغة الإسلام و القرآن، و ان زارع محبة و لكن على أساس من العدل و الأنصاف و الاحترام مع كل احد من أي جنس كان و من أي دين كان " الشهاب ج7 اوت 1939م.

الديــن وأثره في تربية الفرد والمجتمع:

–دين الله فطرة إنسانية، فطرة الله التي فطر الناس عليها و التنكر لهذه الفطرة يفسد حياة الفرد و المجتمع فينقلب الانسان في حياة الشقاء و يتردى المجتمع في مزالق الفساد وتنتشر الرذائل وتختفي القيم والمبادئ ولا يجد الفرد والمجتمع شفاء من هذه الآفات الاجتماعية الا بالاعتصام بدين الله، دين الفطرة السليمة قال الله تعالى :'فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ' سورة الروم الآية 30

1/الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده.

الإسلام الحنيف هو دين الفطرة السليمة الذي ارتضاه الله لعباده وأتم به النعمة على البشرية قال تعالى 'اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا' سورة المائدة الآية 03

و رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين فلا نبي ولا رسول بعده ورسالته خاتمة الرسالات السماوية ولذلك تكفل الله عز وجل بحفظ الكريم ليظل الدين الذي ارتضاه للبشرية صافيا نقيا .يطالعه الانسان في كتاب الله فيأخذ بيده الى الخالق الى الطريق المستقيم في كل زمان ومكان قال تعالى 'انا نحن نزلنا الذكر وان له لحافظون ' سورة الحجر الآية 9.

2/**أثر الإسلام في تربية الفرد:** الاسلام خضوع لله عز وجل وطاعة لتشريعاته الحكيمة، والانسان الذي صادق الايمان ينشئه قوية ويربيه حكمة تصقل مواهبة وملكاته الروحية والعقلية و الجسمية، وتحقق له التوازن والاعتدال في حياته ويظهر أثر ذلك واضحا فيما يلي:

- **العقيدة الصحيحة:**

فالإسلام يمد المسلم بالعقيدة الصحيحة التي تقوم على الايمان بالله الذي لا اله الا هو، خالق الكون و مدبره، وهذا الايمان يقدم للإنسان التصور الصحيح للحياة و الأحباء، ويحرره من العبودية لغير الله –عز وجل– و الايمان بالرسل و الكتب السماوية يرسم له المنهاج الصحيح في حياته، والايمان بالأخرة ومافيها من ثواب و عقاب يجعله يحرص دائما على الحق والعدل والخير والبر قال تعالى:'ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور ' سورة لقمان الآية –22–

- **السلوك الحميد:**

وبهذه العقيدة الصحيحة يحرص المسلم على تنفيذ شريعة الله والاقتداء بسنة رسول الله –صلى الله عليه و سلم تستقيم حياته، وتمتلئ بالأعمال الصالحة والسلوك القويم والأخلاق الكريمة. فالعبادات الاسلامية تجعل المسلم على صلة دائمة مع الله عز وجل، يرجو رحمته ويخشى عقابه فتأتي أعماله زكية طاهرة و المحافظة على العبادات الاسلامية التي تلازم الانسان في حياته تؤتي ثمارا طيبة من تربية المسلم على الصدق والصبر والخير والبر والتعاون والايثار.

والمعاملات في الاسلام تربي المسلم على تحري الحق والحرص على العدل والمحافظة على حقوق الأخرين والاحسان في المعاملة قال تعالى:' **ان الله يأمر بالعدل والاحسان و ايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** ' سورة النحل 90

والأخلاق في الاسلام تقيم نظاما عاما في الحياة يؤسس على الفضائل التي يجتهد المسلم في التمسك بها، والحرص عليها ونشرها في المجتمع، وهو نظام يقضي على الرذائل ويغلق كل النوافذ التي تؤدي اليها ويربى المسلم على النفور منها والاشمئزاز من الوقوع فيها، ومحاربتها بكل ما يستطيع من وسائل، ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم صفات الأمة الاسلامية قال الله تعالى: 'كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله' سورة أل عمران الآية –110–

الحرص على مصلحة المجتمع:

صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تبين أثر التربية الاسلامية في توجيه المسلم الى الحرص على مصلحة المجتمع وتجعله يخاف أن تنشر المنكرات في مجتمعه، فيعمه الفساد، ويحل به الدمار قال تعالى :**'واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** 'سورة الأنفال الأية–25–

ولذلك يقول الرسول –صلى الله عليه وسلم–"**يا أيها الناس ان الله يأمركم بالمعروف وينهاكم عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروننني فلا أنصركم". رواه ابن ماجة**

فالإسلام يربي المسلم تربية اجتماعية سليمة، ففي العبادات :فرض عليه الجمعة ووجه إلى الحرص على صلاة الجماعة لتقوى روابط المحبة بين أفراد المجتمع، وفرض علية الزكاة ليقضي بها على مظاهر البؤس والفاقة في مجتمعه وأوجب عليه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ولي الحديث: "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع". رواه البخاري

وأن يكون شديد الاهتمام بشؤون مجتمعه، حريصا على سلامته، فالمجتمع في الاسلام كالسفينة التي تشق الأمواج وتحمل الأفراد نحو تحقيق أهدافه ولذلك يجب على كل فرد فيه أن يسهر على رعايتها، والحفاظ على سلامته لكي ينجو السفينة من الغرق، وتصل الى الهدف المنشود، فقد جاء في الحديث "مثل القائم في حدود الله و الواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها اذا استقو من الماء مروا على من فوقهم فقالوا :لو أن خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ ومن فوقنا فان تركوهم وما أرادو هلكوا جميعا، وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا" رواه البخاري

3/أثر الاسلام في المجتمع:

–تكوين الأفراد الصالحين :–وبهذا يتبين أن لك الاسلام الحنيف يربي الأفراد تربية سليمة، تجعل دعائهم يقوم عليه فصلاح المجتمع بصلاح الأفراد .

-الأخوة والمحبة بين أفراد المجتمع:

الاسلام أقوى رابطة تجمع بين أفراد وتوحد بينهم فيكرمون كالجسد الواحد "مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد أذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى" رواه مسلم.

-التعاون والتكافل:

يوجه الاسلام اتباعه الى التعاون على الخير والبر والسير بالمجتمع قدما في مدارج الرقي قال تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان" صورة المائدة الآية -2-

ويحث الاسلام على تكافل الناس فيما بينهم بالقضاء على مظاهر البؤس والفاقة قال تعالى: "والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم" سورة المعارج-25- و الاهتمام بالبيئة التي يعيشون فيها، فيصلون الأقارب ويحسنون الى الجيران

-الوازع الديني:

للإسلام أثره المنير في صيانة المجتمع من عوامل الانحراف لان المسلم يؤمن برقاية الله عز وجل ولذلك فلا يتجه الى الانحراف وان كان في منجى من العقاب المجتمع، وواضح أن ذلك يقي المجتمع كثيرا من عوامل الضعف والانحلال .كما أن الايمان برقابة الله عز وجل -يدفع المسلم الى اتقان العمل واجادته وهو أساس الرقي ودعامة الحضارة.

قال الله تعالى: "وما تكونوا في شأن وما تتلوا منه من قرأن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه" سورة يونس -61.-

وهكذا خاطب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحاكم العام للإدارة :

يا جانب الوالي اسمحوا لي أن أقول لكم : "ان مطلب حرية تعليم الدين ولغة الدين هو مطلب الأمة الجزائرية كلها، حتى أن الميعاد الطرفي الذي سلم جميع الحقوق السياسية لم يستطع الا أن يصبح بمطلب حرية التعليم. وأن مقاومة تعليم الاسلام ولغة الاسلام تجزئة الأمة كلها بأنها واقعة مقصودة ما عندها في ذلك ريب.

فباسم العلم الذي تحترمونه كفرنسي عظيم نسأل أن تزيل من طريق المسلمين ما يعرقلهم عن تعلم دينهم و لغتهم بمنح الرخص وللإدارة مراقبة التعليم.

يا جانب الوالي: ان ما سألناه هو مصلحة فرنسا ومصلحتنا ومصلحة الادارة وأنتم مؤمنون على الثلاثة :فما هم المسلمون ينتظرون منكم ما ينتظره الحق و العدل و الأمانة .لكم الاحترام. (البصائر ماي 1938م)

دور القيم في تكوين الفرد:

تمثل القيم التربوية خلق الفرد، و دافعه الى الخير، فهي تشكل اطارا عاما للجماعة، و نمطا من انماط الرقابة الداخلية في حركتها، و معايير تصرفها، بما يجعل الفرد يقترب من اطاره الثقافي و ماضيه التاريخي و مستقبله الذي ينبغي ان يصنعه وفق قدراته الفكرية العليا، و لكي يحافظ المجتمع على تماسكه و سلامة بنيانه، لابد من اشتراك اعضائه في قيم معينة تسود بينهم و تعمل على وحدته و تساعد على حسن التفاعل بين افراده .

و القيم تتغلغل في حياة الافراد و الجماعات و ترتبط عندهم بمعنى الحياة، لان القيم ترتبط بدوافع السلوك و الآمال والاهداف، فالإنسان يبدل طاقته و جهده للحصول على شيء ذو قيمة، فاذا فقد هذا الشيء قيمته قل دافعه لبذل الجهد و الطاقة و الحماس تجاه هذا الشيء .

و القيم من المفاهيم الاساسية في جميع مجالات الحياة السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، و تمس جميع العلاقات الانسانية لأنها ضرورية جدا.

و الفهم الحقيقي لماهية القيم و طبيعتها يتطلب ايمانا بالله تعالى، و فهما دقيقا لطبيعة الكون و حقيقة الحياة الدنيا وطبيعة الذات الانسانية و سر وجودها و مصيرها في هذا الكون.

و تأتي اهمية القيم و دورها في التربية في تشكيلها و اشاعتها في عالمنا المعاصر في ظل التقدم العلمي و التقني المذهل، الذي اصبح يمس كل مكون من مكونات حياة الانسان.

لذلك على الامة ممثلة بمفكريها مراجعة امور التربية فيها خاصة جمال القيم، لان فقدان التربية للقيم التي تبنى عليها الشخصية، يفقدها روحها.

ان تنمية القيم التربوية في الشخصية المسلمة تعتمد على تكوين الوازع الذاتي في النفس البشرية، اذ يصبح الانسان كائنا ذا ضمير حي و احساس مرهف، يراقب و يحاسب نفسه بنفسه، و تعد القيم صمام امان في مجتمعنا المعاصر وهي كفيلة بضبط علاقات الافراد بربهم و باسرهم و بمجتمعهم.

و القيم بمجملها لا تأتي من فراغ بل من البيئة بمعناها الواسع. و نظرا لأهمية القيم فلابد من العمل على ترسيخها في الفرد، فهي ان ترسخت فيه ظهر اثرها على سلوكه في حياته الاجتماعية .

فتعني القيمة الاستقامة، و هي اعتدال الشيء و استواؤه.(ابن منظور، لسان العرب جزء5)

و منه قول الله عز و جل :«ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم»(سورة الاسراء الآية 09)

ان مفهوم القيمة في الاصطلاح الشرعي :معيار نابع من الشرع و ينبثق من العقيدة الاسلامية ليجدد سلوك الافراد تجاه الاشخاص، و الافعال، و يكون محل التزام من الجميع .(الريان، محمد هاشم 1991)

و القيمة ايضا هي "مكون نفسي و عقلي و وجداني، الهي المصدر يوجه السلوك نحو مرضاة الله تعالى .(الفرحان، اسحاق و توفيق 1988)

و القيم من منظورها الاسلامي–انها مجموعة الانظمة و القوانين و التشريعات و المقاييس التي يبينها الحق سبحانه

و تعالى في كتابه العزيز و سنة رسوله الكريم، اما الامور التي لم ترد فيها نصوص شرعية فان قيمتها تكمن فيها تحققه من خير للناس و المجتمع و انسجامها مع الدين الاسلامي و تعليماته .(الحياري .حسن احمد 1994).

تدريس القيم:

تقول الباحثة الامريكية في المجال التربوي "ماري بيكون فاريس" (bicovarisMARY) يمكن تدريس القيم والاخلاقيات فقط عندما تقرر الاتفاق على امور مثل : من نحن ما المبادئ الاساسية التي تقوم عليها حضارتنا ما القيم العامة التي نحترمها (ماجد زكي الجلاد 2007)

نستشف من هذا ان منظومة القيم التي تدرس ينبغي ان تولد من رحم المجتمع و من مبادئه و تطلعاته.

اما الباحث (جاك دولاني dullaney_JACK) يقول

(يجب ان تكون البيئة المدرسية مكانا لا يجري فيه تدريس القيم و المعنويات و الامانة و المسؤولية منعزلة او كإضافة الى موضوع او مادة اخرى تستهلك الوقت المخصص للتعليم، هذه القيم يجب ان تكون المثال او القاعدة و الطريقة التي تجري وفقا لها عملية التعليم و التدريس على كل المستويات .(المرجع السابق).

–هذا الباحث يحذرنا من تدريس القيم كمادة او نشاط مستقل عن بقية المواد .–و القيم تأخذ حيزا مهما في اهتمامات المنظومة التربوية لهذا تسعى الى بثها عبر انشطة التدريس المختلفة .لهذا يحرص واضعوا المناهج التربوية على اختيار النصوص التي تتوفر فيها جملة من المعايير اهمها التخطيط لتدريس القيم .(و هو عملية تصور لمجريات الاحداث المستقبلية يتوقف عليها مجموعة اجراءات و تدابير لتحقيق اهداف محددة) المرجع السابق.

ان التربية تتجاوز –التعلم و التعليم– لا يستغنى عن تغذية النفس في مسار متواز مع تغدية العقل لتنمية شخصية المتعلم في جوانبها المختلفة.

قال الشاعر:

اقبل على النفس و استكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان.

و قد لا يهتم كثير من المدرسين بتعليم القيم اعتقادا منهم ان تنمية العقل و الجسم اولى من تنمية النفس في حين ان تعليم القيم لا يقل اهمية عن تعليم المعارف.' ماجد زكي الجلاد 2007)

–اهمية القيم التربوية:

هناك اهمية للقيم التربوية على المستويين الفردي و الجماعي، فعلى مستوى الفرد يحتاج الانسان في تفاعله الاجتماعي الى نظام من القيم يعمل بمثابة موجهات لسلوكه، و تشكل هذه القيم مكونا هاما من مكونات مفهوم الذات، و محددا

رئيسيا للسلوك، فلكل فرد نظام قيمي يحكم سلوكه و يحدد اهتماماته و حاجاته، بالإضافة الى النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه.

و للقيم دورها المهم في توجيه ميول الافراد، و اهتماماتهم نحو ايديولوجية سياسية او دينية او اجتماعية او اقتصادية معينة، فهي الوسيلة التي من خلالها يعبر الفرد عن نفسه للأخرين و تساعده على التبرير المنطقي للسلوكيات

و الاعتقادات و الاتجاهات و التصورات غير المقبولة اجتماعيا.(البطش وليد 1990)

اما على المستوى الاجتماعي فنجد ان القيم :-

1-تحفظ للمجتمع مثله العليا و مبادئه الثابتة المستقرة .

2-تنقي المجتمع من الانانية و النزعات و الشهوات الطائشة .

3-تعمل على وحدة و تماسك المجتمع.

4-يمكن استخدام القيم في مجال التوجيه و الارشاد النفسي و انتقاء الافراد الصالحين لبعض المهن .

5-المجتمع الذي يحمل اصحابه قيما و اخلاقيات مجتمع له حضارة عريقة و يتنبأ له برقي و ازدهار .(ابو العينين، علي خليل مصطفى 1983)

-مصادر القيم التربوية في الاسلام :

<u>اولا</u>: القران الكريم :

يعتبر القران الكريم المصدر الاهم و الاساسي للقيم الاسلامية بدليل الكثير من الآيات القرآنية التي حثت على القيم قال تعالى :"ان الله يأمر بالعدل و الاحسان"(سورة النحل الآية 90)

و العمل مطلوب في كل نواحي الحياة .

كما دعا الاسلام الى قيمة الشورى و اهتم بها، قال تعالى :"و شاورهم في الامر"(سورة ال عمران الآية 159)

و هناك علاقة وثيقة بين الشورى و العدالة من اجل تحرير الفرد المسلم و اطلاق طاقاته في الابداع و المشاركة الفعالة .(التل بسام 1996)

و القران الكريم يرشد الانسان الى الطريقة المثلى التي يكتسب بها المعرفة، و من الآيات التي تحث الانسان على التفكير في الكون .(النجلاوي عبد الرحمان 1979) قوله تعالى :"ان في خلق السماوات و الارض و اختلاف الليل

و النهار لآيات لأولي الالباب."(سورة ال عمران-اية 190).

فالقران الكريم يحثنا على ان نبدأ العلم و المعرفة بالنظر فيما يحيط بنا في عالم الشهادة، ثم يطالبنا بعد ذلك بالانتقال الى عالم الغيب و الايمان بالله، فقد تضمن القران الكريم طرقا متعددة في التربية منها القصة و المثل و القدوة .فالقران الكريم يحثنا على مطابقة القول بالعمل.(فريحات، تهاني 1998)

ثانيا:-السنة النبوية :

و للسنة النبوية دور بارز في ايضاح المنهج التربوي الاسلامي المتكامل، و بيان التفاصيل التي لم ترد في القران الكريم، و استنباط الاسلوب التربوي في حياة الرسول –صلى الله عليه و سلم- مع اصحابه.(المرجع السابق).

و تساعد السنة النبوية –الانسان- على كيفية تطبيق منظومة القيم التربوية و ذلك من خلال طرح القصص و الامثال و ذكر تصرفات الرسول (ص) و وضوحها.(الحياري، حسن احمد 1999).

ثالثا:-الاجماع:

ان الاجماع مصدر للقيم، و الفقه مشهور له بالحجة و الاعتبار، و يمكن الافادة منه في الاحكام الشرعية للوقائع الجديدة في الوقت الحاضر.

و مسند الاجماع قد يكون نصا من الكتاب او السنة، و قد يكون قياسا او عرفا ...الخ

فالإجماع على ان ميراث الجدة السدس مسندة الى سنة الاحاد، و الاجماع على تحريم شحم الخنزير مسندة الى القياس على تحريم لحمه.(زيدان عبد الكريم 1987)

-خصائص القيم الاسلامية :

1/-انها تستمد من الاحكام الشرعية –و تأتي القيم في صورة امر بالفعل او امر بالترك و هي بهذا توجهات الانسان في حياته حيال الاشياء و المواقف تاركة له مساحة من الاختيار (-شومان -علي سعيد 1993)

2/-تتميز القيم الاسلامية بالشمولية و العمومية، حيث انها ترتبط بجميع مجالات الحياة، و ترسم لكل مجال منهجا سلوكيا يستهدف تطور البشرية (العاجز، فؤاد، و العمري عطية 1999)

3/-انها ترتبط بالجزائيات الدنيوية و الاخروية .و الهدف ارضاء الله عز و جل.(التل، بسام 1996)

4/-تتصف القيم الاسلامية بالضرورة، انها تلازم الانسان في كل لحظة من لحظات حياته و في كل تصرف من تصرفاته .(المرجع السابق).

5/-انها تقوم على اساس الضبط و التوجيه و التنمية و التربية لذا اهداف التربية في اي مجتمع انما تشتق من هذه القيم التي تهتم بجوانب الانسان المختلفة و بصورة كاملة .(قمحية جابر 1987).

6/-انها جامعة للثبات و المرونة، فهناك قيم عليا ثابتة لا تقبل الاجتهاد او التغيير او التبديل، كالقيم العقدية، و قيم العادات و قيم الامر بالمعروف و النهي عن المنكر، اما القيم الاخرى فهي نسبية (المرجع السابق).

و هناك تصنيف القيم حسب الفوائد المنتظرة او المتوقع تحقيقها و تتمثل في :

قيم مادية و جسمانية :الصحة، الراحة، الامان. **قيم اقتصادية:** الانتاج، الكفاية.

قيم اخلاقية :الامانة، العدالة، المساواة. **قيم اجتماعية:** التعاطف، الاحسان.

قيم سياسية: العدالة، الحرية. **قيم جمالية:** حب الجمال.

قيم دينية: الصلاة، الحج، الزكاة. **قيم عقلية:** صفاء الذهن، التعقل.

قيم مهنية: الوعي المهني، النجاح المهني. **قيم عاطفية:** الحب رضا.

-تباين القيم:

تتباين القيم وفقا لتباين الافراد في العديد من العوامل منها عمر الفرد و مستوى نضجه و الجنس و القدرات و الخبرات التعليمية .

و الوضع الاقتصادي و الاجتماعي و الخلفية الثقافية – و للخبرات المدرسية اثرا في تشكيل القيم التربوية لدى التلاميذ و التي ترتبط مباشرة بالعمل المدرسي، و مفهوم الذات –و انها تساعد على تكوين و توجيه العلاقات الاجتماعية .

و ان هذا التباين يكون بين الافراد و الجماعات، و قد يعود الى التباين الطبقي و الاقتصادي و الاجتماعي و المهني

و من هنا يمكن الحديث عن نسبية القيم، اي ان لكل امة قيمتها الخاصة و التي ترتبط بثقافتها فالقيم تختلف من ثقافة لأخرى .فالقيم تختلف باختلاف الطبقات و الجماعات حتى داخل الجماعة الواحدة.

-علاقة القيم بالتربية في التصور الاسلامي :

ترتبط التربية الاسلامية ارتباطا وثيقا بالقيم الاسلامية كارتباط الروح في الجسد .انها تحرص على تربية الانسان الصالح و المصل و تنمية جميع جوانب حياته العقدية و الاجتماعية و الخلقية وفق ما يريده الاسلام .كقيم العقيدة

و التشريع و الاخلاق و المعاملات .

و ارتباط التربية الاسلامية بتلك القيم لتحقيق هدف التربية في تحقيق الخلافة لله في الارض .(شومان، علي سعيد 1993)

-اهمية القيمة التربوية الاسلامية في بناء الامة:

لكل امة فلسفتها التربوية التي تؤمن بها، اما التربية الاسلامية فهي تربية متميزة عن غيرها لان مصدرها مرتبط بعقيدة موحي بها من عند الله عز و جل، فهي اقوى على التغيير و البناء، فهي تدعو الى بناء الانسان الصالح المصلح و هو غايتها و هدفها.

و هذا المنهج التربوي –انتج امة تحترم القيم و المبادئ، كقيمة الصدق، و الوفاء بالوعد، و الامانة و التضحية و قيمة الخلق القويم.

–تشكيل القيم

–تتشكل القيم من ثلاثة عناصر اساسية و هي الجانب العقلي، المعرفي الذي يقتضي التعرف على القيمة و ادراك معناها و الجانب الانفعالي الذي يقتضي اختيار القيمة و تقديرها، و الاعتزاز بها و السعادة باختيارها –و الجانب السلوكي الذي يقتضي تمثل القيمة سلوكا في واقع الحياة بحيث توجه صاحبها الوجهة السليمة.(الريان محمد هاشم 1991).

الفصل الثامن

دور التعليم في المحافظة

على الشخصية الجزائرية

دور التعليم في المحافظة على الشخصية الجزائرية:

و لما كانت المدرسة هي المؤسسة التي يقع عليها عبء تعليم ابناء الامة و تربيتهم تربية مقصودة، تهدف الى تكوين شخصيتهم تكوينا علميا سليما , في اطار الشخصية القومية للجماعة بكل مقوماتها الثقافية , و اللغوية , والاخلاقية التاريخية , و الدينية و الوطنية لذلك فان التعليم بمختلف مراحله يلعب دورا هاما في بعث , و ازدهار الشخصية القومية لكل جماعة من الناس ثم المحافظة عليها في اطار الاصالة و التفتح.ومن هنا يمكن دراسة الشخصية الوطنية من جوانبها المختلفة،ودور التعليم في تحقيقها والمحافظة عليها وذلك الاتي:

اولا : – معنى الشخصية القومية للجماعة و مفهومه

– المعنى اللغوي عربيا و اجنبيا للشخصية

كلمة " الشخصية " انها مشتقة من شخص و هي ذات دلالات هامة في امهات المعاجم العربية – كما يلي :

أ– الاسم " الشخص " هو الانسان كله حين تراه من بعيد : " جمعه في القلة اشخاص"

ب – الفعل : شخص : شخص الانسان من بلد الى اخر اذا ذهب اليه و شخص النجم اذا طلع و اصبح مرئيا مشاهدا

ج– اسم فاعل " شخص شاخص " اذا ارتفع و علا و اصبح ظاهرا , فيقال شاخص البصر اذا ارتفع بصره عاليا , و شاخص العينين اذا فتح عينيه فلا يطرف و صوت شاخص اذا كان عاليا جوهريا .

د – الصفة (الشخيص) : الجسيم مع بهاء و روعة و كذلك السيد , هذه المعاني لكلمة شخص و مشتقاتها تتجمع في صفات انسانية بارزة : فهي تعني الانسان كله كما يراه الناس من حولهم , كما تعني صفة بارزة في العلو و الارتفاع في بصره او عيونه او صوته كما تفيد معاني ضخامة الجسم مع بهاء الطلعة و كذلك معاني السيادة , ذلك هو المصدر اللغوي العربي لكلمة الشخصية و الشخص , اما الكلمة المستخدمة باللغات الاجنبية الانجليزية (personnality.) او الفرنسية (personnalité) فإنها مشتقة اساسا من اللغة اليونانية التي تعني القناع (personne ;le masque de l’acteur) الذي يضعه الانسان على وجهه للتمثيل و التقليد و التصنع – و هكذا نجد ان الكلمة العربية الاكثر صدقا من الناحية العلمية الموضوعية في الدلالة على مفهوم الشخصية في الدراسات النفسية الحديثة لتضمنها السمات الهامة الكامنة في الانسان كله و ما يميزه و ليس مجرد قناع على الوجه يتبدل من حال الى اخر و يضعه وجه انسان او اخر حسب ادوار التمثيل . و هذا يعني ان هناك شخصية تتكون ابتداء من شخصية ذات طابع عنصري و جماعي تتجه نحو عالم الخيرات بصورة اختيارية , كما انها تتعدل و تتطور بفضل ما تتلقاه من خيرات , و ليست شخصية الفرد سوى نتاج قوى داخلية تمارس فاعليتها حيال القوى الخارجية كما تتأثر بفاعلية هذه القوى.

و نستعرض بعض الآراء و النظريات التي تتحدث بجلاء و دقة عن الشخصية الانسانية , وما يتكون في اعماقها من تفاعلات سلوكية و استجابات انفعالية , و يمكن القول ان مقومات القومية للجماعة تنقسم الى قسمين :

– القسم الاول : – عوامل و مقومات موضوعية : يمكن التحقق منها مثل : اللغة – الوطن – وحدة الدين – التاريخ – و الثقافة و الجنس

– القسم الثاني : عوامل او مقومات معنوية او ذاتية مثل : العامل الارادي – القرابة الروحية – الوعي بالانتماء القومي – و كلها عناصر لا يمكن التحقق منها الا بناء عن تعبير الانسان او استفتائه فيها مباشرة .(عبد الكريم احمد 1970).

– و يمكن حصر مقومات الاساسية للشخصية القومية للجماعة كالاتي :

– اللغة المشتركة

– التاريخ المشترك

– الوحدة الدينية و المذهبية

– الثقافة المشتركة

– الوطن (وحدة الوطن)

اللغة المشتركة : تعتبر اللغة المشتركة عند معظم الباحثين في تاريخ نشأة القوميات هي " معيار" القومية و الاساس في تكوين الامة , و بناء القومية ,لأنها بمثابة القلب و الروح من الامة , لذلك فان الشعوب التي تتكلم لغة واحدة , فوحدة اللغة توجد نوعا من وحدة الشعور و التفكير لدى المتكلمين بها . و تكون أقوى الروابط التي تربط الافراد بالجماعات و لذلك قالوا : – ان اللغة و الامة امران متلازمان و متعادلان . ويقول مصطفى صادق الرافعي : " و اما اللغة فهي صورة وجود الامة بأفكارها و معانيها و حقائق نفوسها , وجودا متميزا قائما بخصائصه " (ساطع الحصري 1963)

– و تناول الشخصية من وجهة نظر علم الاجتماع , و الانثروبولوجية ضمن اطار علاقتهما بالتربية و التعليم التي تعالج الشخصية باعتبارها أحد الاعمدة الاساسية التي تقيم الحقيقة الاجتماعية للجماعة.

و لذلك فإن علماء الاجتماع يرون ان الشخصية هي نتاج التفاعل الاجتماعي , و أن مكوناتها تقوم جميعا على اسس ثقافية و اجتماعية , و لهذا فان دراسة الشخصية لا يمكن ان تكون كاملة , بدون دراسة الثقافة و المجتمع .

فالمجتمع هو المكان الذي يتم فيه التفاعل , و الثقافة هي التي تصب هذا التفاعل في قوالب معينة , و تعطي للفرد انماط السلوك , و مختلف القيم و المعايير التي يحدث بها التفاعل و يحقق اغراضه , و قد عرفها ساتر, بأنها "

تنظيم يقوم على عادات الشخص و سماته ,و تنبثق من خلال العوامل البيولوجية و الاجتماعية و الثقافية (برنارد نوتكلت 1959) و نلاحظ أن الشخصية ليست جزءا من الفرد , بل هي عبارة عن مجموع سماته التي تميزه عن غيره من الاشخاص , و على غرار شخصية الفرد تكون شخصية الجماعة .

مقومات الشخصية القومية للجماعة

لم يتفق الباحثون في نشأة القوميات في العصر الحديث على تحديد المقومات الاساسية للشخصية القومية للجماعة و يذكر الاستاذ(الساطع الحصري) في هذا المجال "ان مقومات الاساسية للشخصية القومية لأية جماعة بشرية تنحصر في مقومين اثنين فقط :

- **المقوم الاول : هو اللغة المشتركة**

- **المقوم الثاني : هو التاريخ المشترك**

فاللغة المشتركة تكون وحدة الفكر : و التاريخ المشترك يكون وحدة الضمير و هما الاسس التي تستند اليهما الشعوب في بروز قومياتها الخاصة.(المرجع السابق).

اللغة العربية:

ان حرس جمعية علماء المسلمين الجزائريين على اعلاء شأن القيم العربية الأصيلة والمثل الإسلامية الصحيحة :كالشرف والكرامة والعزة الوطنية وقيم الدين والتقوى والتضامن الاجتماعي.

أن تصبح اللغة العربية لغة علم ومعرفة لا لغة حديث وأدب وذلك بإغنائها بمصطلحات العلوم الحديثة والتأليف في شتى ألوان المعارف والتخصصات حتى يجد الدارسون في جميع الفنون والعلوم حاجاتهم في المؤلفات العربية مسيرة وعميقة في أن واحد.

الحرس الدائم على أن تكون لغة الحديث اليومية ولغة المناقشة العلمية هي اللغة العربية سواء في الوسط التعليمي أو الاجتماعي فهذا من شأنه أن يهيئ جوا ملائما لسمو الاتجاهات والقيم الجديدة وسيادة روح الفكرة العربية الإسلامية ومن يدعم اللغة العربية في المجتمع في شتى جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة.

وقد لعبت اللغة العربية طوال قرون عديدة دورا كبيرا في التماسك الاجتماعي للمجتمع الجزائري .

كما يذكر الدكتور(تركي رابح) في مقال له بعنوان "التربوية الشخصية الوطنية يمكن حصرها في عاملين أساسيين"

1/ كون اللغة العربية لغة قومية للجزائريين تربط بعضهم ببعض من ناحية كما تربط بالمجتمع العربي من جهة أخرى وتحدد انتماءهم المصيري في ثقافة اللغة العربية وحضارتها "الحضارة العربية الاسلامية"

2/ كون اللغة العربية هي لغة القرآن النابعة من الإسلام في القرآن ومنه لغة الإسلام الذي يدين به الجزائريون ويتصل بواسطته الفرد الجزائري بمنابع الإسلام في القرآن و الحديث و الفقه وغيرها من التراث الفكري و الروحي للإسلام.

ويقول الشيخ البشير الابراهيمي "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية" ومن ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ,ولهذه الأمة الجزائرية والشعب الجزائري "حقان أكيدان :كل منهما يقتضي وجود تعلمهما اذا اجتمعتا حق من حيث انها لغة دين الأمة ,بحكم أنها مسلمة و حق أنها لغة جنسها بحكم أن الامة عربية الجنس ففي المحافظة عليها محافظة على الجنسية والدين معا (عيون البصائر 1963).

واللغة العربية من جهة أخرى هي كما يقول الامام عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر سنة1939."هي الروابط التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأغر ومستقبلها السعيد وهي لغة الدين والجنسية والقومية واللغة الوطنية العربية ولما كانت اللغة العربية تمثل مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية بل مقوما أساسيا لأنها لغة جنس و دين وقومية في وقت واحد ,حاول الاحتلال الفرنسي أن يقضي عليها بكل الوسائط المتاحة له لكي يقضي على الشخصية الجزائرية.وبذلك من ابتلاع الجزائر في كيانه الخاص كما هو معروف في تاريخ الجزائر في ظل الاحتلال البائد....

ولما كان هذا الحال فانه كان من الطبيعي أن يتمسك الشعب الجزائري بلغته العربية الوطنية وأن يجعلها لغة التعلم وأن يعمل على تطويرها لتأخذ مكانتها بين اللغات العالمية وخاصة أنها غنية تحمل في طياتها تاريخ أمة أو مجد حضارة أو ثقافة أصلية متشبعة بالإسلام وما أغناه!

لقد عمدت فرنسا بعد استكمال قبضتها على الجزائر الى اغلاق المدارس واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية كما منعت تدريسها .وقد ظل التعليم منذ 1830 الى 1944 بالنسبة للجزائريين معدوما أو شبه معدوم اذ وصل عدد التلاميذ في هذه الفترة أي سنة"1944 " الى 41 الف تلميذ من أصل 1.8 مليون طفل في سن الدراسة واضافة الى ذلك تجريد الجزائريين من تراثهم بغية القضاء على كل وعي أو شعور بأنهم من شعب عظيم له ثقافته الخاصة وحضارته المميز (محمد رزيق–2002–.)

اللغة وجود انساني:

تعريف اللغة:

من أبرز تعريف وجودنا عند علماءنا هو تعريف ابن جني الذي يعرف فيه اللغة بأنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أعراضهم "محمد علي النجار1981–

و هو التعريف القديم الحديث .أما الدارسون الجدد يقدمون تعريفات عدة للغة من بينها بأنها (منظومة من العلاقات التي تعبر عن فكرما)

(فريديان 03 سويسبر) محاضرة في الألسنية العامة ترجمة يوسف غازي و حميد النصر –1986–

أو (انها أداة تواصل و تبليغ) أو(أن اللغة هي علم الثقافة الانسانية التي يتواصل بها الناس لتحقيق حاجاتهم) أو انها (رمز واع دال على معنى محدد بذاته)

و اللغة نظام واع تحكمه مجموعة الوظائف التي تمارس مختلف أشكال الاتصال التفاهمي و المعرفي و الثقافي .

منير الحافظ– –2005–

و مهما كانت التعريفات للغة فأنها لا تبتعد في تصورنا عن أن نصف اللغة بأنه سر الحياة الانسانية .بل اللغة هي ما يميز الكائن البشري عن الكائنات الأخرى .ومن هنا نستنتج–أن نعتبر اللغة سر الحضارة الانسانية (المرجع السابق).

اذ لا نتصور حضارة من دون لغة يتفق من خلالها الفكر البشري و يتبلور, و صدق من وصفها بأنها :تعبير واع عن المعني الحقيقي لوجود الانسان , و افصاح عن خصائص القيم الجمالية المستوطنة في خواص الوجود و القابلة للارتقاء ,فاللغة اذا هي عبارة عن نظام واع يصنع عبر الحضارة , ويرتقي به الفكر ,فاذا كانت هذه المفاهيم التي يفهم عبرها الباحثون , وهذه المفاهيم تجعل اللغة أسمى ميزة يتميز بها الكائن البشري ,فهي ميزة ترفع من شأنها و مكانتها ولهذا يجب الاعتزاز بلغتنا الوطنية لأنها سر حضارتنا العربية الاسلامية المتمثلة في أمة اقرأ.

و نستنتج بوضوح مدى سر اهتمام الأمم بلغاتها واعتزازها بأخلاق بعضهم (من فقد لغته فقد ايمانه) و من الفعل اقرأ تبرز مكانة اللغة في المجتمعات البشرية, ومنه مجتمعنا العربي الاسلامي , ومن هنا وجدنا الأمم تكشف سر وجودها الحضاري,و يظل سر وجودها البشري أليس الفرق بين البشر و غيرهم من المخلوقات الأخرى هو اللغة؟ اللغة هي السمة الفارقة بين الانسان و سائر الكائنات الحيوانية الأخرى ومن هنا عرف الانسان بأنه حيوان ناطق.

فالميزة التي تميز الانسان عن الكائن الحي هي النطق ويقصد هنا النطق الوظيفي الاتصالي الايصالي التبليغي ,هذا النطق الذي يصنع الحضارة الذي تعجز عن صنعها الكائنات الحيوانية الأخرى غير الناطقة ,من هنا تبرز مكانة اللغة في المجتمعات البشرية ,اذ بها تتلى الكتب السماوية المقدسة , وبها تدون أسمى آيات الوجود الانساني ,بها يتم التخاطب و التواصل الاجتماعي و بها تبرم العهود و المواثيق و المعاهدات و الاتفاقيات.

بها توصف العلوم و تنظم وتبلغ ,بل بهاتصاغ النظريات العلمية الراقية في شتى العلوم و المعارف ,بها اعتبرت الانسانية انسانية و البشرية بشرية ولأجل هذه الوظائف الجليلة للغة اعتبرها القرآن الكريم أية اذ قال في محكم تنزيله:

"**ومن آياته خلق السماوات و الأرض و اختلاف ألسنتكم و ألوانكم ان في ذلك لآيـــات للعالمين**" سورة الروم – الاية 22–

فاللغة تعتبر في قرأننا أية من آيات الله يجب احترامها و الاهتداء بها ومن ثم تعلمها و اكتسابها ونرى أن تعلم أي لغة من لغات البشرية هو اكتساب لتلك الأية والاهتداء بها , و هذا احترام لها و أي نكران للغة من اللغات هو نكران لتلك الأية و احتقار لها اي احتقار لأية من أيات الله, ومن هنا عظمة اللغة في نفوس كل أمة فوجدنا كل أمة من الأمم الا و تعظم لغتها ,ووجدت من ثم الأمم العظيمة تعظم لغتها و تقدسها لأنها علامة تميزها عن سائر الأمم ولهذا نجد الأمم تسمى نسبة الى لغتها فنجد اللغة العربية نسبة الى لغتها و الأمة الانجليزية والأمة الألمانية...

ومن أجل هذا عرف فيخته الألماني الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية اذ يقول:ان الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة و ان كانت غير مرئية. (محمود أحمد أليد 1989 .)

ويعتبر(فيخته) اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به و تحفظ فيه فيقول :(ان لغة الأباء و الأجداد مخزن لكل ما للشعب من نظائر الفكر و التقاليد والتاريخ و الفلسفة والدين ,ولكن قلب الشعب ينبض في لغته وروحه يكمن في لغة الأباء و الأجداد).المرجع السابق.

من هنا رأى الباحثون أن اللغة احدى المقومات الأساسية للأمة–اية أمة– بل هي تعبير واع عن المعنى الحقيقي لوجود الأمة فوجودها مرهون بلغتها,يقول– منير الحافظ – في هذا الشأن (كانت معظم الشعوب و الأمم و ما فتئت ان تتخذ من الوعي اللغوي أبرز مقومات وجودها الروحي والمعرفي)المرجع السابق .

كما يعبر عن ذلك منير الحافظ نفسه اذ يقول (ان النهوض العقلاني يتطلب وعيا لغويا متفتحا على حقائق ذاتية,فبقدر ما ينمو الوعي اللغوي الخلاق تكبر الحضارة المعقلنة) المرجع السابق.

ولعلى هذا هو الذي دفع ببعض الباحثين الى القول:(بأن كل أمة تفقد بنائها اللغوي تظل أمة عضوية مجسدة مثلها مثل الكائنات الطبيعية البهيمية ومن ليس لديه بعد لغوي ليس لديه بعد معرفي و بالتالي ليس له بعد ذاتي وتسوقه دلالات غريزية و عفوية...أما الانسان العقلاني فهو كائن لغوي بطبعه) المرجع السابق.

وهكذا اتخذوا الأقوال من العلماء و الباحثين في تعظيم اللغة و الرفع من شأنها الى درجة التقديس حتى عرف الانسان بأنه كائن لغوي,وحتى اعتبرت الأمم اللغة مكون هويتها حيث تتميز به عن غيرها من الأمم الأخرى,من هنا فان استعرنا لغة أمة أخرى نكون قد فقدنا شخصيتنا أو فقدنا أحد مميزاتنا التي نتميز بها عن غيرنا.ان الباحثون يرون أن اللغة تملك رويدا في فهم الحياة وتنتج قيما معيارية في التعاملات التي تفصح عن القيم الجمالية التي تؤسس عليها الحقائق .

وبفضل الحياة اللغوية حافظت الأمم على خصائصها الحضارية وهي المكانة التي يجب أن تكون عليها اللغة.

ان محاربة اللغة العربية في الجزائر بإصدار قانون 08 مارس 1938 الذي أصدره وزير الداخلية الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية في الجزائر. و قد كانت نتيجة هذا القرار أن أصبحت مدارس التعليم العربي الحر و معلميه عرضة

للاضطهاد و التنكيل, و مختلف المضايقات الإدارية. (تركي رابح1975) و هدفها هو القضاء على اللغة العربية و الثقافة العربية الإسلامية و بالتالي القضاء على الشخصية الجزائرية, لأن اللغة مقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية و موتها يعني موت الشخصية الوطنية.

اذا كانت اللغة العربية هي روح الامة , فإن التاريخ هو ضميرها , لذلك فإن التاريخ المشترك يعتبر الى جانب اللغة المشتركة من اهم عوامل الشخصية القومية للجماعة .(صلاح العقاد 1967) , و هناك اجماع بين الباحثين على أن التاريخ " المشترك " بين ابناء الوطن هو من اهم دعائم وطينتهم فالأمة الواحدة لها تاريخ مشترك . ذلك ان التاريخ بوصفه السجل الثابت لماضي الامة و باعتباره ديوان مغامرها و مدخر ذكرياتها , و هو الذي يميز الجماعات البشرية بعضها عن بعض.

3- الوحدة الدينية و المذهبية :

و الوحدة الدينية و المذهبية بين الشعوب عامل هام من عوامل تماسكها الاجتماعي , و بناء وحدتها على اسس قوية , باعتبار الدين يكون مصدرا من مصادر القوة و التماسك بين افراد الجماعة الواحدة .

ولهذا نجد مدارس التعليم العربي الحر اهتمت بالمحافظة على اللغة العربية و الدين الإسلامي و الثقافة العربية الإسلامية و تعليمهم لأبناء الجزائر.

يقول الشيخ البشير الابراهيمي: (ان هذه الأمة تعتقد – و تموت على اعتقادها ان لغتها جزء من كيانها السياسي و الديني و شرط بقاءها. ادرك قادة الاحتلال – ان الأمة التي تفقد لغتها تفقد معها ثقافتها و شخصيتها بل وجودها) (عيون البصائر 1963)

و أن دور الدين في التماسك الاجتماعي و المحافظة على كيان الجماعة ,امر لا يمكن ان ينكره احد . يقول اسماعيل القباني : " و إذا كانت دروس التاريخ قد علمنا شيئا , فهو أن كل نهضة عظيمة فيه قد قامت على اساس حركة روحية و فكرية , و دليلنا في ذلك ان اشير الى نهضة العرب في صدر الاسلام , و النهضة العالمية التي اصبحت الثورة الفرنسية ..... فكل هذه النهضات سبقتها حركة فكرية روحية عنيفة , مهدت لها السبيل "

(ابراهيم انيس 1970). فليس ثمة شك في ان سيادة دين واحد , في جماعة معينة , يكون من عوامل تماسكها و قوتها . كما هو شأن الدين الاسلامي في اقطار المغرب العربي مثلا .

و يذكر الفيلسوف الالماني – هردر أن " اللغة القومية هي بمنزلة الوعاء الذي تتشكل به , وتحفظ فيه و تنتقل بواسطته افكار الشعب " ثم يضيف " و لكن لغة الشعب تمثل في كل الاحوال – روح الشعب – ان لغة الاباء و الاجداد , مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر , و التقاليد والتاريخ و الفلسفة و الدين . إن قلب الشعب ينبض في لغته , إن روح الشعب تكمن في لغة الاباء والاجداد" (ساطع الحصري 1963)

و يقول الفيلسوف الماني اخر هو فيخته "Fichte" " إن اللغة هي الاساس في تكوين الامة " و "اللغة هي جهاز الاجتماع في الانسان " و " اللغة و الامة امران متلازمان و متعادلان " (المرجع السابق)

فإن أي شعب من الشعوب لا يفقد حياته و كيانه الا عندما يفقد لغته , و يصبح من الناطقين بلغة حكامه (لغة المحتل) عندئذ يكون الشعب قد ذاب و انصهر في بوتقة الفاتحين , و اندمج فيهم اندماجا يفقده كل ماكان له من حياة خاصة به .

و من هنا تبدو خطورة اللغة الوطنية في التماسك الاجتماعي , و لذلك اولاها الباحثون , و المربون , و الساسة المكانة اللائقة بها في مجالات التربية و التعليم – و الشخصية و الفكر و الثقافة . وعلى هذا فاللغة تبقى ما بقيت الامة , و تزول بزوالها , و لو أن الجزائريين تخلوا عن لغتهم تحت ضغط المحتل , و استبدلوها بلغة الفرنسية – لكان الذي ينهار ليس هو اللغة العربية وحدها , و لكن تنهار معها الشخصية الجزائرية بكل ميراثها الثقافي و الحضاري

(مجلة " الشهاب ج12 فبراير 1937)

– ونستطيع أن نقول إن تأثير رابطة اللغة في هذه الدنيا أقوى من تأثير رابطة الدين (المرجع السابق)

و سواء اعتبرنا وحدة الدين و المذهب مقوما من مقومات الشخصية القومية للجماعة أم لا , فإن الدين الإسلامي في حالة المجتمعات العربية بالذات قد ساعد على تكوين مقوم هام من مقومات القومية العربية و نقصد بذلك "التاريخ المشترك" فالإسلام هو القوة الروحية التي دفعت عرب الجزيرة إلى فتح البلاد التي أصبحت عربية فيما بعد.

كما ظل الإسلام المحور الذي تجتمع حوله هذه البلاد في وحدة سياسية , و حضارية واحدة , و لا ننسى أن القرآن هو الذي حافظ على بقاء اللغة العربية من الانحلال الى لهجات عربية متباينة , و بذلك ساعد على بقاء وحدة الثقافة والتعبير في العالم العربي , و القرآن هو كتاب الإسلام الخالد.(محمد انيس 1961)

ويبدو أن الوحدة الدينية والمذهبية قد لا تكون مقوما من مقومات الشخصية القومية للجماعة في حالتين فقط:

– الحالة الأولى: عندما تتعدد الأديان و المذاهب في قومية واحدة كالهند و بعض البلاد العربية (لبنان) . و يبقى كيانها القومي مضعضعا بسبب اختلاف الدين.

– أما الحالة الثانية: فعندما يتحد الدين في جماعة واحدة و لكن تختلف بينها اللغات مثل أقطار أوروبا بالمسيحية , و مثل الأقطار الإسلامية (تركيا – إيران – باكستان – العرب)

أما عندما تتحد الوحدة الدينية و المذهبية مع وحدة اللغة مثل بلدان المغرب العربي (ليبيا – تونس– الجزائر – المغرب) فإن الدين يصبح من مقومات الشخصية للجماعة و كانت الحركة الوطنية تعتبر الإسلام مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية

– يقول محمد عزت دروزة : " قد لا تكون الوحدة الدينية و الروحية في الحضارة الاجتماعية الحديثة ضرورة لقيام الوحدة السياسية , أو ركنا من أركانها , حيث تتوطد اليوم هذه الوحدة في كثير من البلاد التي تتعدد فيها الأديان و المذاهب , غير انه لا ينكر أن هذا التعدد كان إلى ما قبل مائة سنة , عقبة في طريق الوحدة , كما ان توفر الوحدة الدينية و الروحية في وطن ما يجعل قيام الوحدة بين أبنائه و اجزائه , أيسر تحقيقا و دعى إلى التوافق و الترابط بين ابناء الوطن و اجزائه " (ساطع الحصري 1957)

كما أن السيد جمال الدين الأفغاني – كما تقول المصادر التي كتبت عنه – لا يعتبر هو الأخر وحدة الدين عاملا أساسيا من عوامل الشخصية القومية للجماعة ,فيقول :" لا سعادة إلا بالجنسية و لا جنسية إلا باللغة – إن الروابط التي تربط جماعات كبيرة من الناس , اثنتان : – وحدة اللغة و وحدة الدين – و وحدة اللغة هي الأساس , الذي تقوم به الجنسية (القومية) و اللغة أشد ثباتا , و أكثر دواما من الدين , لأننا نعرف أمما غيرت دينها خلال ألف سنة بل ثلاث مرات دون أن يطرأ خلل على وحدتها اللغوية و القومية لذلك فإن القول بأن الدين لا يعتبر من مقومات الشخصية للجماعة في جميع الأحوال و في جميع البلدان قول لا يستقيم مع الوقت .

إذن فالدين إذا كان واحدا يلعب دورا كبيرا في بلورة المشاعر الوطنية و في المحافظة على كيان الجماعة ضد عوامل الهدم و التخريب اللتين تتعرض لهما.و يزعم اميل دوركايم ان وظيفة الدين هي:(تقوية الأواصر التي تربط الفرد بالمجتمع الذي ينتمي اليه).

و قد كان الإسلام و لا يزال عاملا أساسيا في بعث النهضة في أوساط الشعب الجزائري , كما كان عاملا رئيسيا في المحافظة على اللغة العربية من الاندثار لأن الإسلام هو القرآن , و بالتالي هو الذي حفظ مقومات الشخصية الجزائرية – و منها اللغة العربية مدة فترة الاحتلال الطويلة (1830– 1962) من الذوبان في كيان فرنسا , و لا عجب في أن يكون الإسلام مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية لأنه مقوم هام و أساسي من مقومات الثقافة العربية التي هي ثقافة القرآن و ثقافة الجزائريين الوطنية .<< و يقوم عليه الكثير من قوانيننا , و تقاليدنا , و عاداتنا , و قيمنا , و لذلك أصبح الواقي لنا من كثير من الهزات الثقافية .>> (محمد لبيس النجيحي 1971) التي تعرضت لها بلاد أخرى في مختلف مراحل التاريخ .

وكانت مقاومة جمعية العلماء لأهداف سياسة المحتل ضد الإسلام تتمثل فيما أنشأته من مدارس و مساجد ونواد لنشر التعليم العربي الديني و بعث التفافة العربية الإسلامية و مقاومة الحركة التنصيرية الرامية الى القضاء على الإسلام و نشر المسيحية بين الجزائريين (تركي رابح 1975).

4–الثقافةالمشتركة:

و الثقافة المشتركة بين الجماعة الواحدة عامل أخر من عوامل بناء شخصيتها القومية لان الشخصية القومية هي نتاج الثقافة القومية المشتركة و على هذا فالثقافة العربية مثلا هي تراث أربعة عشر قرنا للأمة العربية في مختلف الميادين الواسعة

تعريف الثقافة:

يعرفها تايلور FA.TAYLOR عالم الانتروبوجبا الإنجليزي بأنها : (الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات و الاخلاق و الفنون و القانون و التقاليد و الإمكانيات و العداة التي يكتسبها الانسان كعضو في مجتمع

و للثقافة معنيان: معنى في اللغة, و معنى في الاصطلاح.

فالثقافة لغة: معناها التهذيب و الصقل, يقال ثقف الشيء أو الرمح أي سواه, و أقامه و ثقف: صار حاذقا, و على هذا فالشخص المثقف هو الشخص المهذب المصقول

– أما الثقافة في الاصطلاح : فهي مجموعة الأفكار , و القيم , و العقائد , التي تعمل في مجموعها على تكوين السمات العامة التي تميز إنسانا على إنسان , أو جماعة عن جماعة , أو هي بعبارة أخرى , حياة, و قيم , وأفكار و أحاسيس و معنى هذا أن ثقافة الأمة تتسع لكل ما أبدعته عبقريتها خلال مراحل التاريخ التي مرت بها منذ بدأت تعيش حياة اجتماعية منحطة حتى وقتنا الحالي , و يتضح من هذا التعريف أن الثقافة تتضمن عناصر معنوية , و أخرى مادية . فالعناصر المعنوية تتمثل في اللغة, و الفنون, و العلوم, و الآداب, و النظم و القوانين, و العادات والتقاليد و الأخلاق

أما العناصر المادية: فهي تتضمن كل مرافق الحضارة المادية التي يستعملها الأفراد من أبناء الجماعة,كالمواصلات, والمباني, و الطرق , و أنواع الملابس , و أنواع المصانع , و كل ما تزخر به الحضارة في كل مجالات الحياة المادية

فالمؤكد أن الثقافة المشتركة هو أحد العوامل الرئيسية في تكوين الأمة, و بناء القومية – ولذلك تختلف الثقافات باختلاف الشخصية القومية لكل جماعة .

و الثقافة في جوهرها ظاهرة اجتماعية نفسية تحتل مكانها في عقول الأفراد و لا تجد تعبيرا عن نفسها إلا عن طريق هؤلاء الأفراد , لذلك فإن شخصية كل فرد في المجتمع إنما تتطور , و تؤدي وظيفتها على أساس وجود ارتباط دائم بينها و بين الثقافة التي تنتمي إليها.

يقول محمد البشير الابراهيمي في تحليل دوافع حقد الاستعمار الفرنسي على الإسلام و العروبة في الجزائر (جاء الاستعمار الدنس يحمل السيف و الصليب ذلك للتمكن, و هذا التمكن فملك الأرض و استعبد الرقاب و فرد الجزي وسخر العقول و الابدان و لكنه لم يكتف بذلك بل كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا, وقف للإسلام بالمرصاد من اول يوم, و انتهك حرماته من اول يوم, فأبتز امواله الموقوفة بالقهر, وتصرف في معابده بالتحويل و الهدم, و تحكم في الباقي منها بالاحتكار و الاستبداد و تدخل في شعائره بالتضييق و التشريد, كل ذلك بروح مسيحية رومانية تشع بالحقد و النفور بالانتقام)(المرجع اعيون البصائر 1971)

وعلى ذلك فالشخصية تؤثر في الثقافة كما أن الثقافة بدورها تؤثر في الشخصية، ذلك أن الشخصية الإنسانية هي نتائج الثقافة

– ويذكر إسماعيل القباني ثلاثة مستويات للثقافة هي:

المستوى الأول: يشمل القشرة الظاهرة للحضارة أو ما يصطنعه الناس في حياتهم من طرق، ووسائل مادية مثل ك المأكل،والملبس وما إلى ذلك.

والمستوى الثاني: يشمل النظم الاجتماعية مثل نظام الأسرة،ونظام الزواج، و الطلاق، و العادات، و التقاليد، و مراسيم الشخصية، و المجاملات و الأفراح، و أساليب اللهو، و أساليب الحكم، و التنظيمات الاجتماعية المختلفة، وتدخل في هذا المستوى اللغة باعتبارها الوسيلة للتفاهم و التعبير.

أما المستوى الثالث: فيشمل سيكولوجية الجماعة و أي القوى النفسية الكامنة التي تحرك سلوكها من دوافع , ورغبات , و أفكار , و معتقدات و قيم إلى أخرى , و هذه المستويات مرتبطة بعضها ببعض و لكن المستوى الثالث هو الأهم لأنه أساس المستويين الاخرين , و لذلك كان هذا المستوى هو جوهر الثقافة.

أما الوظيفة الأساسية للثقافة في حياة المجتمع فهي إنها وسيلته الرئيسية في الإبقاء على حياته و شخصيته. ومن هنا كانت الثقافة مقوما أساسيا من مقومات الشخصية القومية للجماعة, و المحافظة عليها, و بناء على ذلك فإن الأمة و شخصيتها القومية هي مفهوم ثقافي في الأساس. و قد حقق التعليم العربي الحر نجاحا كبيرا حيث عمل على ربط الجزائر ثقافيا و حضريا بالثقافة العربية الإسلامية و حضارتها. (المرجع السابق)

5– وحدة الوطن :

و الوطن لغة : – معناه محل سكن الانسان فيقال : استوطن الشخص مكانا معينا أي أقام فيه .

أما الوطن في الاصطلاح: فهو تلك البقعة الترابية من العالم التي ترتبط بها معنويات الشخص و يتعلق بحبها , أو تلك الأرض التي نشأ عليها و اختلط بأهلها

و تعلم منهم طريقة الحياة فأصبح يشعر بأنه جزء لا يتجزأ منهم , و الوطن يعتبر عاملا هاما من عوامل استكمال مقومات الشخصية للجماعة , لأن اشتراك جماعة ما على وطن واحد هو الذي يوحد بين عواطفهم و طرق حياتهم و أفكارهم و مصالحهم و أهدافهم ثم ان هناك تأثير البيئة الطبيعية في تكوين الشعب الذي يعيش عليها و هو أمر لا ينكر أحدا , و قد أكد على ذلك ابن خلدون فقال :"ان وحدة البيئة تؤدي في الأخير الى وحدة الأخلاق والعادات " (انور رفاعي 1967) ,كما أكد رينان :"الامة تجد اساسها قبل كل شيء في وحدة الارض ,ومن هنا تختلف شخصية الجماعة القومية باختلاف طبيعة الاقليم الذي تعيش فيه و اهمية الوطن في تكوين الشخصية القومية للجماعة من وجهة نظر علماء الاجتماع تعود الى ان الاستقرار في بقعة معينة و لمدة طويلة من شأنه ان يعزز الروابط بين الافراد وهو يتبع تبادل المنافع , و تفاعل المشاعر و الاحاسيس و احتكاك الآراء و الأفكار و تبادل وجهات النظر بصدد المشكلات التي تعن لهم , و من ثم تنشأ الرابطة القومية بينهم " (مصطفى الخشاب1958)

يقول الفيلسوف الألماني "فيخته" عن عامل الاقليم و الوطن: «فكما أن الدين هو العنصر الدائم و الاساس لحياتنا الروحية العليا كحياة روحية بمعنى الكلمة , فإن حب الوطن هو العنصر الدائم و الأساس لحياتنا المدنية كمواطنين "(مجلة الثقافة ماي 1971). ومن هنا فإن وحدة الوطن تعتبر عاملا من عوامل تكوين الشخصية القومية للجماعة و التماسك القومي و الاجتماعي بين افرادها . فعاطفة حب الوطن عاطفة غريزية في الناس في كل زمان ومكان. فكلنا نحب الوطن الذي نسكنه و نعيش تحت سمائه و ننعم بمناظره, و نأكل من خيراته و نتغذى , فأصبحنا نحبه حبا فائقا , و نعيش من أجل خدمته . ونموت في سبيل الدفاع عنه وحمايته.

الشخصية الوطنية: نقصد بها استرجاع العناصر الصالحة من حياتنا الماضية التي حاول الاستعمار تمصها خلال فترة الاحتلال و من أهمها:

–القيم اجتماعية و الدينية و الأخلاقية و الثقافية و ثاراتنا و توابيتنا و لغتنا و بأحياء هذه القيم و نقلها للأجيال عن طريق الاسرة و المدرسة و وسائل الاعلام) (أبو القاسم سعد الله 2007)

ثالثا: التعليم كأداة لتحقيق مقومات الشخصية والمحافظة عليها:

تعتبر التربية عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الشخصية الوطنية للجماعة , لأن التربية هي علم , او فن صناعة المواطنين.. على رأي بعض الباحثين ومن ثم هي وسيلة الجماعة للإبقاء على نفسها ثقافيا و المحافظة على كيانها قوميا. و المقصود بالتربية هنا هو التربية بمفهومها الخاص

وهو ما يتم في المدرسة و يقع على المواطن وهو ما يزال صغيرا و تبدو أهمية دور التعليم في تكوين الشخصية الوطنية للجماعة في أن رسالة التعليم الأساسية هي تكوين الشخصية الوطنية للمتعلمين ,سواء على المستوى الفردي أو الجماعي, لذلك تهتم الأمم بالمدرسة اهتماما بالغا و تتيح لها من الإمكانيات المادية و الأدبية ما يساعدها على القيام بوظيفتها التربوية على أفضل وجه ممكن.

و لعل خطورة دور المدرسة في هذا المجال هو الذي جعل الدول الواعية على اختلاف نظمها السياسية تباشر عملية الاشراف الكامل على شؤون التعليم في بلادها حتى تضمن عدم انحراف المؤسسات التربوية على أهداف الجماعة و المجتمع, الذي تتحقق في ظله شخصيتها الوطنية بكل مقوماتها الأساسية .

و تبدو أهمية المدرسة في المحافظة على كيان الجماعة , و شخصيتها القومية الخاصة في أنها هي التي تعد الأطفال الصغار من أبنائها لأن يكونوا أعضاء صالحين فيها عن طريق تزويدهم بالتراث الثقافي الخاص بها بهدف دمجهم في مجتمعهم , و تطبيعهم بالطابع الخاص بأمتهم بواسطة برامجها , ونشاطاتها التربوية المختلفة .

و لذلك كانت احدى وظائف المدرسة الأساسية في مناهجها التعليمية وبرامجها التربوية في المجتمعات الإنسانية عبر مراحل التاريخ هي المحافظة على التراث التفاعلي للجماعة (محمد لبيب النجيحي 1971) عن طريق نقله من السلف الى الخلف من جيل الى جيل , لأنها هي التي تعلم لغة الجماعة , و تاريخها و ادابها وعلومها و

فنونها و تقاليدها لأبناء الأمة منذ نعومة أظافرهم ,وتغرس في نفوسهم حب هذا التراث , والاعتزاز به , و بهذه الطريقة يبقى للجماعة كيانها الخاص , و تماسكها الاجتماعي , وشخصيتها المتميزة بها عن بقية الجماعات الأخرى.

والمعروف ان التعليم يهدف الى العمل على التماسك الاجتماعي للجماعة , لأنه يعمل على توسيع دائرة المصالح المشتركة بين أفراد الجماعة الواحدة .وبالتالي يؤدي الى زيادة التماسك الاجتماعي الاجتماعي بينهم .و هذا هو السر في اقتران الناهضات الاجتماعية و الحركات الوطنية بإصلاح التعليم , و لهذا كانت التربية هي المؤسسة التي تتجه اليها الانظار دائما لا عداد الشخصية الوطنية لأبناء الأمة , ومحاولة تطويرها و تطهيرها من العوامل السلبية. و المنهج التربوي هو وسيلة المجتمع لا حداث هذا التغيير المطلوب في الشخصية الفردية لأبنائه و كذلك تحقيق اهداف المجتمع .

ان هذا الاهتمام البالغ بالدور الذي يجب ان تقوم به المدرسة في عملية التغير الثقافي في الجماعة و في العملية التعلمية بوجه عام يعود الى خطورة رسالتها في مجال تكوين الشخصية الوطنية للمتعلمين سواء على المستوى الفردي و المستوى الجماعي ومن الملاحظ تاريخيا ان الشعوب المقهورة كانت تعتمد في كفاحها على التربية و التعليم من اجل استرجاع شخصيتها و سيادتها .

يعتبر التعليم قوة بحكم موقعه في العملية الاجتماعية و التاريخية للجماعة. فهو قادر بحكم امكانياته الهائلة على تشكيل شخصية الافراد وتكوينها والمحافظة

على قيمهم , كما يؤثر في تطور أنظمة المجتمع . ورقيها وحركة القوى الاجتماعية فيه.

و من هنا كانت التربية عاملا اساسيا في تحرير الشخصية الانسانية للجماعة و ازدهارها واكتمالها , واكتسابها كرامتها الذاتية , و نظرا لخطورة دور التعليم في بناء كيان الافراد و الجماعات , قال أحد المربيين ما معناه :"اعطني إدارة مدرسة و أنا كفيل بقلب نظام العالم " (أبو الفتوح رضوان 1965) , والمدرسة كما يمكن أن تكون عامل بناء ودعم لكيان الشخصية القومية للجماعة , فإنها كذلك يمكن أن تكون عكس ذلك عامل هدم و تخريب لمقومات هذه الشخصية . فقد جعلت فرنسا مثلا من التعليم و المدرسة سلاحا ماضيا لمحاربة الشخصية الوطنية للجزائر و محاولة القضاء على مقوماتها الأساسية , التي هي اللغة العربية و التاريخ ,و الدين الاسلامي و الوطنية الجزائرية . وقد لعبت المدرسة الفرنسية بإمكانياتها الهائلة دورها المرسوم بكل دقة و مهارة في هذا الميدان ,كما خططه لها قادة الاحتلال حتى كادت اللغة العربية و الثقافة العربية تندثران في الجزائر بعد مرور مائة عام على الاحتلال.

وقد كانت اولى توصيات قادة الاحتلال في باريس لجيشهم الزاحف على الجزائر في بداية الاحتلال سنة 1830 هي قولهم :"علموا لغتنا ,و انشروها حتى تحكم الجزائر , فإذا أحكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة " (مازن المبارك 1971) , و كان الاحتلال الفرنسي يوجه التعليم في مستعمراته توجيها يخدم اهدافه , وتقاوم الثقافة الوطنية , وتفرض على أهلها اللغة الفرنسية و التعليم الفرنسي , والمدنية الفرنسية , وتهدف الى جعل اهل مستعمراتها فرنسيين لحما و دما. حتى يندمجوا فيها , ويكونوا جزءا لا يتجزأ من فرنسا الكبرى (ابو الفتوح رضوان 1968)

ومن الاقوال المأثورة عن جمال الدين الأفغاني في بيان دور التعليم في بناء الشخصية القومية للجماعة و المحافظة عليها . قوله :"لا جامعة لقوم لا لسان لهم , ولا لسان لقوم لا أداب لهم , ولا عزة لقوم لا تاريخ لهم , ولا تاريخ لقوم اذا لم يقم منهم اساطين تحمي و تحيي آثار رجال تاريخها , فتعمل عملهم , وتنسج على منوالهم , وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن ووسطه الوطن و غايته الوطن (عبد الرحمن الرافعي 1961)

ان المجهودات الحميدة و الفعالة التي بدلتها مدارس التعليم العربي (الحر) من كتاتيب القرآنية و الزوايا وجوامع و مدارس عصرية و نواد وطنية, في المحافظة على اللغة العربية و الدين الإسلامي و الثقافة العربية الإسلامية و التاريخ العربي الإسلامي و في التوعية وإحياء الضمير وإنقاد الروح الوطنية الصحيحة في نفوس الجزائريين ضد الاحتلال و في تغذية روح الجهاد المقدس فيهم من اجل تحرير الوطن.

التربية والتغير الاجتماعي:

للتربية وظيفة بالغة الأهمية في حياة المجتمع و خاصة المجتمع المعاصر , يتعرض لظروف تغير سريع في الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و السلوكية و ذلك يعني انه في حالة التغيرات السريعة اذا لم يتوفر للمجتمع فرصة التكيف مع تلك التغيرات , أو أن يتكيف معها بطريقة غير متكافئة ..بمعنى أن يتم التكيف في جوانب دون أخرى , كأن يتكيف مع التكنولوجيا دون ان يتكيف مع الجوانب اللامادية من الثقافة , فإنه يتعرض لحالات من التفاوت , أو ما يسميه –وليم أوجبرن– بالهوة الثقافية , كما انه عندما يحدث انشطار بين فئات المجتمع , أي بين الصفوة و الأفراد والجماعات في المجتمع , نتيجة لتمثل الصفوة للتغيرات السريعة دون ان يمثلها الأفراد و الجماعات, يعاني المجتمع من حالة عدم التكامل.

وقد توصل عالم الاجتماع الانجليزي –كارل مانهايم– الى أن المدرسة التقليدية في الماضي كانت تقوم بمهام التدريب للتكيف مع المجتمع المنظم و القائم , في حين أن المدرسة الحديثة ينبغي أن تكون مدخلا للمجتمع الدينامي واذا ما واجهت المدرسة التقليدية المجتمع المعاصر فإن شيء من سوء التكامل سوف يحدث للمجتمع , و هذا لأن المعرفة الجديدة ينبغي ادراجها ضمن المناهج المدرسية , نظرا لأن المدرسة تسهم بفعالية في تحقيق التكامل الاجتماعي و الثقافي و الوظيفي و الشخصي من خلال الوظائف التي تقوم بها , حيث أنها تحقق التكامل الثقافي بتنمية و ادراج المعرفة الجديدة ضمن مقرراتها الدراسية إضافة لدعم النسق القيمي للمجتمع لدى أعضائه بالإضافة لإكسابهم القيم المستحدثة و التي لا تتعارض مع قيم المجتمع و تناسب الأوضاع التكنولوجية و المعرفة العلمية الجديدة , كما أنها تدعم التكامل الاجتماعي بتنمية أهداف المجتمع لدى الأفراد , وذلك بدعم عوامل انتمائهم للنظام الاجتماعي القائم . وتحقيق الاتفاق بين الصفوة القياسية للمجتمع و أعضائه , كما أنها تسهم في تحقيق التكامل الاجتماعي و الثقافي للمجتمع , و تحقق التكامل الشخصي للأفراد بتنمية مفهوم الفرد عن نفسه , وعن مجتمعه و عن العالم المحيط به .

والواقع أن كل شيء داخل المجتمع يتغير وينمو بالصورة التي نسميها بالتغير الاجتماعي , ومن ثم اهتم بعض المفكرين و العلماء للتمييز بين انماط التغير , حيث حصروها في ثلاثة انماط اساسية تم تحديدها من قبل المتخصصين و هي كالآتي :

-**التغير الحضاري:** هي تعكس تلك التغيرات التي تتضمن العناصر الفيزيقية في المجتمع, مثل المخترعات التكنولوجية

-**التغير الثقافي :** وهو يتعلق بالتغير في المعرفة و في اشكال الفنون و الآداب و الطقوس .

- **التغير الاجتماعي :** تلك التغيرات المحصورة في تغيير العلاقات الاجتماعية و أشكال توزيعها , ومثل تلك الأشكال لتغيرات اجتماعية و حضارية و ثقافية , و مما لا شك فيه ان تلك التغيرات تترك بصماتها على مشبكة العلاقات الاجتماعية في المجتمع ,سواء بتحقيق توازنه او عدم توازنه في علاقة الانسان بحضارة مجتمعه و ثقافته وايضا تفاعله مع غيره في المجتمع .

ولا شك أن قبول الافراد او رفضهم للتغير يؤثر على فعالية التغيرات بالنسبة للمجتمع و ذلك ما تعرف عليه – موريس جينز يرج –حيث ذهب الى أن التغير في المجتمع يتأثر برغبات الأفراد و قراراتهم , و ذلك ما هو واضح في حالة تنظيم النسل و الاقبال على استخدام الوسائل التكنولوجية و التعليمية الحديثة و غيرها من صور التغير التي تحدث في المجتمع.

و مهما كان التغير, فإن التغيرات المتعلقة برغبات الأفراد و قراراتهم تظل من العوامل الأساسية المؤثرة على فاعلية تلك التغيرات , ومن ثم كان الاهتمام بالتربية باعتبارها عاملا أساسيا وفعالا لإحداث التغير و ترجع أهمية التربية هذه الى كونها ذات فعالية و تأثير على رغبات الأفراد وقراراتهم , فضلا عن كونها من العوامل الأساسية والفعالة في احداث التغيرات بأشكالها الثلاثة في المجتمع و ذلك يرجع لكون التربية تلعب دورا كبيرا في اكتساب الافراد في المجتمع أنماط السلوك , والاتجاهات و الطرائق الجديدة في الحياة.

و يعتبر النظام التربوي احدى النظم المتضمنة في هذه العملية و ذلك لأن التربية نظام محافظ و يسعى لتوصيل المورثات الثقافية للمجتمع و تأكيدها لدى الأفراد . ومن ثم ذهب عالم الاجتماع – كارل مانهايم – الى أن التلاميذ الذين يشتركون في عملية التربية تزداد مشاركتهم , وذلك لأن التربية تنمي اهتمامهم و هذا ما يساعد على نمو ادراكاتهم و اهتماماتهم و فهمهم لغيرهم من البشر , وتنمية قدراتهم على التكيف و التوافق مع التغيرات الاجتماعية, وعلى الاساس ذلك ذهب مانهايم الى ضرورة السعي لتحسين المناهج التربوية , بحيث تساعد على دعم أنماط الثقافة المتوازنة , و الثقافة العصرية و المستقبلية , بحيث يتأكد للمجتمع لدى الفرد مع تحمله المسؤولية قبل الآخرين و في ضوء ذلك تقوم العلاقة بين التربية و التغير الثقافي على أساس أن التغير يكون نافعا و مفيدا للعديد من الناس (المرجع السابق).

ولما كانت هدف التعليم العربي الحر يتمثل في المحافظة على الشخصية الجزائرية في وجه سياسة الفرنسة والتجنيس و التنصير و الادماج اتجه هذا التعليم في برامجه و كتبه و فلسفته اتجاها لغويا و دينيا للوقوف في وجه سياسة المحتل الرامية الى القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية. لذا نجد تلاميذ مدارس جمعية العلماء يدرسون مبادئ لغتهم وآدابها وأصول دينهم وتاريخ قومهم على البرنامج يجمع بين ضرورات العلم وبين إيجابيات التربية الإسلامية الصحيحة.

و بهذا تلعب التربية دورا واضحا في حراك الافراد و تقبلهم للأقوال و الأفعال , وبالتالي تنتج الأفراد والذين يتوفر لديهم مستويات ثقافية عالية تساعدهم على تحقيق التكيف و التأقلم مع التغييرات الاقتصادية و ما يصاحبها من أحوال اجتماعية .

و في ضوء ذلك تتضح أهمية التربية بالنسبة للفرد لما تحققه له من فرص التكامل على مستوى المجتمع , والتكامل على المستوى الشخصي و الاجتماعي و الثقافي , و ذلك لأن التربية تدعم عوامل التكامل و التوافق بما تقدمه للشخص من امكانية و فرص لاكتساب الطرائق الجديدة , الامر الذي يجعل الفرد بمستوى عال من الوعي والادراك الثقافي الذي يمكنه من التكيف و التوافق مع التغييرات الاقتصادية و الثقافية والاحوال الاجتماعية المتجددة في المجتمع, ويتجلى ذلك في مدى مساهمة التربية في دعم توافق و تكامل الفرد و تكيفه في المجتمع من خلال وظيفتين أساسيتين : تتمثل أولاهما في نقل الثقافة بين الأجيال , و الثانية في تنشئة الأفراد في سياق الثقافة الخاصة , متمثلا لتقييم المجتمع ..

وهكذا نجح التعليم العربي الحر رغم الصعوبات والعراقيل في المحافظة على الشخصية الجزائرية وعمل على بعث ونشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية وكان له الفضل في عدم اندثارهما في الجزائر لمدة 132 سنة وربط مسير الجزائر ومستقبلها السياسي والحضاري بالعالم العربي والعالم الإسلامي. وأحدث تغييرات كبيرة في وسط المجتمع الجزائري وحارب كل الاتجاهات المنحرفة المختلفة التي كانت تحاول ربط الجزائر بفرنسا وبثقافتها وحضارتها ودمجها في كيانها العام.

وخرجت الجزائر والشخصية الجزائرية من تلك المحنة والصراعات المختلفة والمتنوعة وفي نهاية الامر منتصرة في افشال سياسة الفرنسة والنصير والادماج. وقد خاطب إبن باديس الشباب الجزائرى فى إحدى المناسبات قائلا : إن اعهدكم علي انانى اقضى بياضى على العربية والأسلام كما قضيت سوادى عليهما وانها لواجبات..... واطلب منكم

شيئا واحدا وهو ان تموتو على الإسلام والقراءن ولغة الإسلام والقرءان //مجلة الشيهاب اوت 1939//

ولا يمكن ان نفهما شخصية الشعب الجزائرى الوطنية إلا بعدا ان نفهما خصائص الفرد الجزائرى اللدى تتكون منه هده الشخصية . ومعا مرعاة مسيرة تاريخه التي اورثتهو مجموعة من الفضائل ومعانته الحضارية ومؤسسته الإجتماعية اكسبتهو خيصال من مكارم الأخلاق ومقاومته الصلبة للإستعمار وهبت له مجموعة من الخصائل النادرة ؛

وتلك كلها تكون مجموعة من القيم السلوكية التي جعلت منه إنسانا متميزا فى حياته الفردية والإجتماعية . // تركى رابح 1975// ومن ابرز هده القيم التي يتميز بها الفرد الجزائرى هى :

-إنه إنسان اصيل وفي لهده الاصالة ومتسامح

-إنة إنسان مناضل ومكافح

-إنه إنسان يحب الموساوات والعدل ويعشق الحرية

-إنه إنسان إجتماعى النزعة؛ يوئمنو بلجماعة

إن هده الخصائص التى يتميز بها الفرد الجزائرى هى التى تتكون منها الشخصية الوطنية الجزائرية وبها تختلف فى بعض جوانبها عن شخصيات الشعوب الاخرىسواء منها الشقيقة او الصديقة.

-<u>الجمعيات الخيرية و رسالتها الإصلاحية في الجنوب الجزائري</u> .

- ظهرت في منطقة " وادي ميزاب " بجنوب الجزائر نهضة تعليمية بالغة العربية ناجحة و متميزة ، و ذلك ابتداءا من نهاية الحرب العالمية الأولى . و ذلك بفضل جهود مجموعة من علمائها من رجال الإصلاح الغيورين على دينهم و لغتهم و ثقافتهم الإجتماعية .

و قد بدأ نشاط الجمعيات الخيرية في تنظيم و نشر التعليم العربي ، و الإصلاح الديني ، و الإجتماعي في الظهور للوجود في أواخر العشرينات من القرن الماضي . في جمعيات منظمة محددة البرامج ، و الوسائل و الأهداف .

وهكذا نشأت في عام 1928 جمعية " الإصلاح " الخيرية في غرداية و قد قامت بفتح مدرسة ، وفي نفس السنة أنشئت مدرسة ثانية في مدينة " بريان " و مدرسة ثالثة في مدينة " العطف " 1932 (تركي رابح 1975)

وفي عام 1937 تأسست جمعية " الحياة " بالقرارة ثم جمعية " النهضة " بالعطف عام 1944 ، و جمعية " النور " ببنورة 1945 ثم جمعية " الفتح " ببريان سنة 1947 و أخيرا جمعية " قدماء التلاميذ " بالقرارة عام 1949 .

وقد كان الهدف من تكوين هذه الجمعيات الخيرية بمنطقة " وادي ميزاب " هو تكوين المدارس ، و إقامة النوادي وبناء المساجد الحرة لنشر التعليم العربي و إحياء الثقافة العربية الإسلامية . محمد علي دبوز- 1971-

ومن بين نشاطاتها إرسال البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة بتونس و جامعات المشرق العربي - القاهرة - دمشق - بغداد و غيرها و يلاحظ أن نشاط الجمعيات الخيرية في " وادي ميزاب " في ميدان نشر التعليم العربي " الحر " كان معاصرا لنشاط

" جمعية العلماء " التربوي و التعليمي في شمال البلاد (1931 - 1956) برئاسة " ابن باديس " ومكملا لنشاطها ، وكان التعاون بين الجميع وثيقا ، نظرا لوحدة الهدف و الغاية و هو المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية

و إذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد شملت بنشاطها جميع انحاء البلاد (ماعدا منطقة ميزاب) فإن الجمعيات الخيرية في وادي ميزاب قد استطاعت ان تنهض بعبئ التعليم العربي " الحر " في هذه المنطقة من البلاد . (تركي رابح 1975)

و بذلك أنقذوا منطقتهم و شبابهم من خطر الفرنسية و التفسخ الأخلاقي ، و الإنحلال الإجتماعي الذي كان يهدد البلاد . (محمد علي دبوز 1971)

و يمتاز سكان " وادي ميزاب " بوجه عام بخصائص تتمثل في التضامن والتعاون المنظم فيما بينهم و الطاعة لقادتهم . لذلك استطاعوا ان يحافظوا على شخصيتهم القومية (العربية الإسلامية) و كيانهم المذهبي . و تعتبر جمعية " الحياة " بمدينة القرارة من أهم الجمعيات – وقد عمل على تكوينها و تولي رئاستها الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض أحد علماء " ميزاب " المصلحين . عمل على نشر التعليم العربي الإسلامي و رعاية الحركة الإصلاحية في " وادي ميزاب " وقد كان عضوا في مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لعدة سنوات و قد قامت جمعية " الحياة " بإنشاء عدد من النوادي و المدارس و المكتبات و معهد ثانوي هو معهد الحياة . و أصبح عدد طلبته يزيد عن (200) طالبا .

– <u>الوضع الإداري لمدارس الجمعيات الخيرية الميزابية</u>

أما مدارس الجمعيات الخيرية في وادي – ميزاب – فإن عملية توحيد التعليم فيها و التنسيق ، بين مدارسها قد تمت في منتصف الأربعينات حيث سعت الجمعيات الخمس و هي :

جمعية " الإصلاح " و " الحياة " و " الفتح " و " النور " و " النهضة " إلى توحيد برامج مدارسها في وادي " ميزاب " ومدن الشمال الأخرى التي يوجد بها أبناء " ميزاب " ووضعت لذلك قانونا إنضوت تحت لوائه جميع مدارسها الإبتدائية ، و أصبح لها مفتشا عاما واحد يجري تفتيشه مرة كل عام . (ابراهيم بيوض 1972) .

أما النظام الإداري لمدارس الجمعيات المذكورة فقد بقيت كل جمعية مستقلة بإدارة شؤون المدرسة ، أو المدارس التابعة لها و لكن يوجد بينها تنسيق بصفة عامة . (تركي رابح 1974) .

– <u>الوضع الإداري للزوايا و المساجد من الناحية التعليمية</u>

أما الزوايا و المساجد ، فقد ظلت تعمل كل واحدة منها منفردة عن الأخرى من ناحية المناهج التعليمية و الأساتذة و غير ذلك من فنيات التعليم . كما كانت كل واحدة مستقلة من ناحية الإدارة التربوية ، ولم يكن بينها أي تنسيق – إلا في الخط العام ، الذي تعمل في دائرته ، و هو المحافظة على القرآن الكريم و العلوم الدينية ، و اللغوية ، بقدر إستطاعتها .

<u>أفكار رواد الحركة الإصلاحية في الجنوب</u>

– ولعل ميدان الصراع الذي اتخذته المعارضة ذريعة لتأنيب العامة البسطاء على الحركة الإصلاحية، هو دعايتها المغرضة ضد البعثة العلمية إلى تونس حين تجاوزت ميدان الإجتماعات و الملتقيات العامة إلى المؤلفات و النشرات . و الحق أن ذلك الصراع كان من أسباب التثبت بالبعثة و الإصرار على بقائها . ومدها بالمعونة

المادية والمعنوية والروحية ،فكانت المدرسة التي تخرج منها الزعماء .والآدباء والمفكرون والعلماء وكان الفضل العظيم يعود الى أولئك الرواد من أمثال أبي اسحاق وأبي اليقظان والثميني والشيخ بيوض , وغيرهم ممن جاؤوا بعدهم .

– ولعل الفضل الكبير يعود الى هذا المنهج التربوي الاسلامي الواضح الذي التزمته الحركة الإصلاحية وهو الذى يديره ابو اسحاق فيما يلي :

ان المسلك الذي اانتهجه المخلصون في تربية الشباب العلمي هو تنمية الشعور الديني وتقويته وإيجاد المسلكات الاسلامية والبواعث على التمسك بالدين بالوجوه المقنعة والبيانات المؤثرة و إظهار أسراره ومزاياه وبيان ان لا حياة للمسلم إلا بدينه ولا سعادة إلا بالتمسك بأهداف تربيته الفاضلة والتحلي بأخلاقه الطاهرة التي بها يكون المرء فائزا في الحال والمآل .....

– ان هذا المنهج السوي هو الذي نطلق عليه اليوم بحق الأصالة و المعاصرة ,

فقد كان منهاجا متطورا متقدما ، يهدف الى بناء الشباب بناء كليا يجمع بين الحفاظ على أصالته المتجذرة ،لغة ودينا ، وتفتحه على العالم من حوله مواكبا ،مسايرا، فاعلا ، متفعلا ، ومأأجدرنا

اليوم ان نتذكر ونعمل بهدى المباد ئ

– وفي هدا الاتجاه يقول أبواسحق :

هل يعقل ان يبقى هذا الدين العظيم الذي اسعد البشر بكمالاته صورة في نفوس أهله أو يزعم بعض من ينتهي إليه أن العلم الحيوي يخالفه.....

فيفضي به الآمر الى الاختلاف والاعتراض بالسوء و الطعن على كل ما يبدو بشيء من العلوم النافعة إن الإسلام لايؤيد بالسيئات والعيوب.وإنما يؤيد بالحسنات ومحاسن الاعمال ولاالتفات الى أقوال واستعمال المواهب العقلية واستخدام العلوم حيث يكون ديننا في عزة ومنعة بقوة أهله لاتؤثر فيهم كرهان الذين لم يبذلوا جهدا في مقاومته بدعاة مبشرين تحت ماتسميه حكوماتهم بحرية الأديان مانهى الدين قط أن يكون المسلمون في العزة و الرفاهية التى عليها الأوربيون بإستخدام اللوازم وإستنتاج دقائق الحياة و إستفراغ الجهد و الطاقة . قال " ص" إعملو ولا تغتروا فكل ميسر لما خلق له . و ابو إسحاق ببصرته النافذة و إطلاعه الواسع يدرك ضرورة العلوم الحديثة ويدرك و يوضح للمعارضين أن الدين الذي ينتسبون إليه معارضة هذه العلوم باطلا ، هو الدين نفسه الذي لا يكمل إلا بهذه العلوم .

– وأبو إسحاق ينطلق في ضرورة هذه العلوم المعاصرة للأمة من زاويتين من زاوية ككونها سلاحا ضروريا للأمة الإسلامية لتكون قوية معتمدة على نفسها وعلى مكوناتها وحدها ومن زاوية كونها سلاحا إستراتجيا ، لأن سياسة الإستعمار تسعى إلى جعل الأمة الإسلامية ضعيفة دوما حتى يتسنى لها بذلك فرض سيطرتها عليهم و إستنفاذ مصادر ثروتها .و لهذا فهو لا يستهان بأي سلاح يقف إتجاه هذه المخططات و من ثم يكون تعليم العلوم الحديثة ضرورة واجبة على الأمة لتستغني عن الأجانب أعداء الإسلام و المسلمين و خدماتهم .

– **<u>الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش</u>** –

– ولد أبو إسحاق إبراهيم أطفيش بن الحاج محمد سنة 1886 ببلدية بني يسقن في حضن عائلة كريمة عريقة في العلم . تعلم بالكتاب القرآني ببلديته القرآن الكريم و حفظه ، ثم إنتقل إلى المدرسة الإبتدائية ببني يسقن ، وبعدها إنتقل إلى الجزائر العاصمة و إلتحق بإحدى مدارسها وكان من أبرز أساتذته بها الشيخ عبد القادر المجاوي ، الذي كان في هذه الفترة من ابرز علماء الجزائر و مصليحها وفي سنة 1917 توجه ابو إسحاق إلى تونس و في تونس برزت مواهبه في الميدان السياسي و الإجتماعي (محمد ناصر 1986) ووجد في جامع الزيتونة منهلا فياضا يروي ظمأ فيه إلى الشريعة الإسلامية، و حبا شديدا للإطلاع على العلوم المعاصرة . لم يكون أبو إسحاق طالب العلم فحسب ، و إنما كان يتحمل مع زميله ابي اليقطان – و محمد الثميني – مسؤولية الإشراف على أفراد البعثة الميزابية بتونس، وكانت مساهمته في توجيه الطلاب و تعليمهم و تربيتهم عظيمة (المرجع السابق) لم تكون عين الإستعمار و عملاؤه في كل من الجزائر و تونس غافلة عن نشاطات هذه الحركة الوطنية . عملت على محاربة هذه الحركة و القضاء عليها و هكذا صدرت قرارات النفي و الإبعاد في حق كل نشطاء هذه الحركة ومن بينهم – بو إسحاق – و هكذا جاء قرار الإدارة الإستعمارية و مضمونه .

" الحكومة الفرنسية تدعوك إلى الكف عن كل حركة عدائية ، واختر لنفسك أي بلد شئت خارج هذا التراب " (محمد ناصر 1986) و قد سبق أن نفي ابو إسحاق من الجزائر إلى تونس ، وهكذا إختار القاهرة منفى .

وهكذا أصبح نفي النفي إثباتا على حد رأى زميله أبي اليقضان حيث يقول :

رامو الإساءة جفوة وسفالة لكنهم قد احسنوا إحسانا

قد أبعدوه عن المهانة و الشقى وإلى السعادة و العلا فعلانا

ونفوه من رق إلى حرية و من الممات إلى الحياة عيانا

قد أوصدوا أبواب تونس عنه بل فتحوا لهو ابواب مصر مجانا

حسب المشاغب ان هذا كله نفي فطار لأجله جذلانا

لكن تناسى أن نفي النفي إثبات فتاه لطيشة ولهانا

وقد صنف هذه القصيدة بديوانه في قسم التهاني (ديوان ابي اليقطان ص61) وهكذا صار يوم 03 فيفري من عام 1923 يوم نفي و إثبات في حياة أبي إسحاق .

– ووجد في القاهرة مجالا واسعا للعمل في الميدان السياسي ، فأنطلق بكل حماسة للتعريف بقضية الجزائر و ما يعانيه الجزائريون من الحكام الفرنسيين ، فكانت مقالاته النارية في المناهج فضا كاشفا لكل المخططات الفرنسية والتنصير و المسخ ولكل سياسات الإدماج .

ومن اعماله في القاهرة عضويته الفعالة في جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا ، هذه الجمعية كانت تجمع تحتها امال و الام شعوب المغرب العربي الكبير إضافة على عضويته في اللجنة المؤسسة لجمعيات الإخوان المسلمين إذ كانت تربطه بزعيمها الشهيد حسن البنا صداقة حميمة .

ومن سمات وطنية أبي إسحاق إعتزازه القوي بجزائريته ، فقد عرضت عليه الجنسية المصرية فرفضها ، كما عرضت عليه السلطات الفرنسية السماح له بزيارة الجزائر بعد نفيه 1930م ، بأن يتعهد بعدم الإشتغال بالسياسة و تسمح له بزيارة و البقاء في وطنه ، فرفض ، لأنه ادرك بأن الإستعمار يستدرجه ليقضي عليه ، بعد أن رآى أن وجوده في المنفى أكثر خطرا على فرنسا الإستعمارية من وجوده داخل وطنه ، (د/محمد ناصر 1986)

- أبو اليقظان في سطور

- ولد بالقرارة (جنوب الجزائر) في05 نوفمبر 1888
- درس بالكتاب ثم عند الشيخ اطفيش بني يسجن – في سنة 1912 التحق بتونس للدراسة.
- في سنة 1914 ترأس أول بعثة علمية جزائرية الى تونس- التحق بالمنظمة السرية للثعالبي في سنة 1917 و أصبح عضوا في الحزب الدستوري سنة 1920 .- في سنة 1925 عاد الى الجزائر للعمل الوطني و الإصلاحي و أسس في سنة 1926 أول صحفه (وادي ميزاب) في اول أكتوبر 1926 م .
- في سنة 1931 أسس المطبعة العربية وأدت خدمة جلية للثقافة في الجزائر.

شارك في تأسيس جمعية العلماء وكان من اعضاء إدارتها – بعد 1938 تفرغ للتآ ليف وترك ما يقرب من ستين مؤلفا .- توفي بالقرارة في 30 مارس 1973 . – د/ محمد ناصر 1983

- وفي سنة 1920 أشتد الصراع بين أنصار الحركة الاصلاحية في الجنوب , وبين معارضيه من المحافظين , واستهدفت المعارضة اول ما استهدفت البعثة العلمية الدراسية بتونس و التى كان يرأسها كل من اسحاق أطفيش والشيخ الثميني محمد والشيخ ابي اليقضان , و روجت المعارضة ضد االبعثة دعايات مغرضة مفادها أن هؤلاء الرؤساء لا يقومون بواجبهم التعليمي و التربوي لأنهم مشغولون بالسياسة , وان التلاميذ على صغر سنهم لا يجدون منهم الرعاية الأخلاقية الكافية ، (المرجع السابق) .

- الشيخ إبراهيم بيوض و رسالة الاصلاح

الشيخ إبراهيم بيوض (1889- 1981) رائد من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر – فلم يقتصر جهوده على إحياء الدين الاسلامي ، و اللغة العربية و ترسيخ القيم الاجتماعية الفاضلة ، بل امتد نشاطه على تنوير العقول وتحرير الأبدان من اجل بناء نهضة حقيقية في الجزائر و العالم الاسلامي . فالعلماء المصلحون هم الذين ايقظوا الرأي العام من سباته ، وإن مجددي فكرة الوطن الجزائري هم بالأحرى هؤلاء الذين آسسوا جمعية العلماء ، و إن ما قدمه العلماء لإثارة احساس الجزائريين بالوعي الديني و القومي يفوق ما قدمه غيرهم ، حيث يلعب هؤلاء العلماء دورا كبيرا في اشعال الروح الدينية لدى الشعب ، و في دفعه إلى الثورة ضد المحتل . و قد كان الامام ابراهيم بيوض – رحمه الله- نجما ثاقبا وشهابا رصدا ، وكوكبا دريا ، توقد من نور القرآن الكريم في تلك المجموعة

المباركة ، فأمتد جهاده ستين عاما . ويتجلى ذلك الفهم في الشعار الخالد وهو : الإسلام ديننا – العربية لغتنا – الجزائر وطننا – فخطة هذه الحركة الإصلاحية يتمثل في : – إحياء المقومات التي ماتت أو ضعفت أو تراخت من دين و لغة و جنس ، و أخلاق ، و تاريخ ، وتقاليد ن وتصحيح قواعدها في النفوس ، ثم المطالبة بالحقوق الضائعة ، و الحرية و هي بطبيعتها تؤخذ ولا تعطى – " وهي كالشمس لابد منها للحياة " أبو اليقظان 1983.

أدركت فرنسا أن العلماء بدأوا يعدون من اجل " معركة فاصلة " بينهم و بين المحتل لان مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية ، و الاسلام الذي يمارسونه هو مدرسة حقيقية للوطنية " الشيخ محمد البشير الابراهيمي 1963 "

ميادين الإصلاح

لقد بدأ الشيخ بيوض مشروعه الاصلاحي – بإحياء الدين بتحريره من البدع و الخرافات – و تزعم الحملات الرامية على حذف كل مظاهر الشرك في المنطقة وإن ادى ذلك إلى غضب سلطة الاحتلال كما جاء في بعض التقارير الفرنسية د/ مولود عويمر

ومن جهة أخرى دعا الشيخ بيوض إلى تغيير الذهنيات و تطوير مناهج التعليم – و إرسال البعثات الطلابية إلى تونس لمواصلة التحصيل العلمي رغم المعارضة الشديدة من طرف بعض العلماء الذين رفضوا ذلك بحجة الحفاظ على هوية الطلبة و خوفا على ذوبانهم في الحياة العصرية التي كانت تسود في المجتمع التونسي المتأثر انذاك بالحضارة الغربية . و اهتم كذلك بنشر الأخلاق الحسنة و محاربة الآفات و الانحرافات التي ظهرت في المجتمع الميزابي المحافظ . ذلك من خلال دروسه المسجدية خطبه في المناسبات المختلفة كالأعراس و التجمعات العشائرية و الجنائز – وفي كتاباته الصحفية و في مذكراته التي قدمها إلى لجنة الإصلاحات سنة 1944 م طلب فيها إلغاء دور الفساد و البغاء ومنع اللعب بالميسر و بيع الخمور . (ميلود عويمر) و كان يركز على تربية الإنسان الذي هو أساس التغيير – فكان يتابع طلبته ، و يسهر على توجيههم سواء أثناء دراستهم في القرارة أو في المعاهد العلمية خارج الجزائر فالفرد المستقيم هو الذي يؤسس المجتمع السوي المبني على الأخوة و القائم على التعاون والتضامن فال الشيخ بيوض في هذا المعنى " على الانسان ان يعرف أنه مربوط بالمجتمع , لايعيش بطريقة فردية ..... هذا من جهة ومن جهة أخرى على المجتمع ان يعرف ان كل فرد له علاقة بالمجموع صلاحه ينفعنا ، وفساده يضرنا ."

– ولم تشغله القضايا الاجتماعية و التعليمية المحلية عن الاهتمام بالقضايا الكبرى للأمة الاسلامية ومتابعة الأحداث الكبرى في العالم الاسلامي من خلال الجرائد والمجلات التى كانت تصل الى الجزائر عبر قنوات مختلفة ، وفي هذا السياق شارك في عام 1948 م في تأسيس لجنة إغاثة فلسطين مع محمد البشير الإبراهيمي – والطيب العقبي – وأحمد توفيق المدني – وفرحات عباس وغيرهم ، وأرسلت هذه اللجنة مائة متطوع للجهاد في فلسطين ومبلغا ماليا قدره (7 ملا ين فرنك) كما كان يحرص على التواصل مع الشخصيات العلمية في العالم العربي سواء بالمرسلات او استقبالهم في القرارة . (محمد ناصر 1994) وله علاقات بعدد من اعلام الفكر والثقافة في العالم العربي .

– **وسائل الاصلاح:** استعان الشيخ بيوض بعدة وسائل من أجل تجسيد أفكاره الاصلاحية – لخصها في قوله ''لا يحيا الدين وترتفع رايته بالدموع بل بالأعمال الصالحة بإنشاء الجمعيات الخيرية الثقافية والمدارس العربية الاسلامية والنوادي وخدمة الآمة بجميع الوسائل المنتجة " – لقد شكل المسجد في تاريخ الاصلاح الاسلامي – قديما وحديث – الفضاء الاول الذي يعمل فيه العالم المسلم ، فلم تكن المساجد اماكن للعبادات فقط وإنما كانت أيضا فضاءات للتعليم وتكوين الفرد وبناء المجتمع وهكذا اشتعل بيوض مبكرا بالدعوة والإرشاد والوعظ في مساجد القرارة والعطف وغيرها من المدن والقرى الميزابية – وقد اهتم بالتعليم في المدارس ، ونادي بتعليم البنات رغم المعارضة التي وجدها من المحافظين الرافضين لذلك ، وقام بتأسيس معهد الحياة سنة 1925 م

والذي وصفه د/ابو القاسم سعد الله2007 أول معهد حقيقي أصبح منارة في الصحراء وتجاوبت لذلك أصوات النهضة العلمية في قسنطينة وتلمسان والجزائر وميزاب "(عويمر2016) ومازال المعهد قائما حتى اليوم يقوم بجهود جبارة في مجال التربية والتعليم والبناء الاجتماعي، ساهم الشيخ بيوض في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – رفض بيوض مشروع فصل الصحراء عن الشمال بل ساهم في حركة الجهاد الوطني خلال الثورة في منطقة الصحراء.

من أجل ذلك راحت فرنسا تسطر الخطة تلو الاخرى ، وتنفذ المكر بعد الاخر للقضاء على هذا التيار تنظيما و أفرادا " ومن ذلك:

1– انشاء جمعيات ضرار تضار بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن بين هده الجمعيات الضرار التي صنعت على عيون مديري الشؤون الأهلية في الولاية العامة " جمعية علماء السنة ، وجمعية الزوايا وغيرهما .

2– السعي و الضغط لتغيير قيادة " جمعية العلماء ، مرة بمحاولة إخراج الإمام ابن باديس منها ن ومرة بمحاولة فرض شخص لقيادة الجمعية بعد وفاة الإمام ابن باديس .

– وتجدر الملاحظة هنا أن فرنسا لم تحاول التدخل لفرض رئيس تنظيم في الجزائر أو إبعاده عنه – إلا بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

3 – منع العلماء من الوعظ و الإرشاد في المساجد التي كانت تحت إشراف السلطة الفرنسية و سيطرتها

4 – منع العلماء من التجول في الجنوب الجزائري الخاضع للحكم العسكري .

5 – منع جرائد العلماء من الصدور ، إبتداء بجرائد المجاهد ابي اليقظان الثمانية إلى جرائد السنة و الشريعة والصراط

6 – فرض الإقامة الجبرية " الإجبارية " على العلماء مثل : ابن باديس ، الشيخ الابراهيمي ، الشيخ بيوض ، الشيخ العربي التبسي و غيرهم .

7 – إغلاق مدارس العلماء و رمز هذه المدارس هو مدرسة دار الحديث بتلمسان ، ولم تكتفي فرنسا بغلق المدارس ، وإنما سجنت العلماء و المدرسين ، وإذا كان هؤلاء قد أجرموا – فما هو ذنب التلاميذ حتى يحرموا من التعليم بغلق المدارس .

8 – إرتكاب جرائم قتل و إتهام " العلماء " بالتحريض عليها ، ومن ذلك إغتيال الشيخ كحول ، و إتهام الشيخ الطيب العقبي بالتحريض على إغتياله و إطلاق النار على الشيخ أحمد الجيباتي ، إتهام الإمام ابن باديس بالتحريض على اغتياله ، وذلك في شهر اوت 1936، بعد اسبوع من اغتيال الشيخ كحول .

9 – تدبير محاولات إغتيال قادة هذا التيار قبل تأسيس " الجمعية " كما وقع للإمام ابن باديس ، و بعد تأسيسها كما وقع للإمام ابراهيم بيوض .

– نقول بكل موضوعية ، إن المهمة التي اضطلع بها العلماء هي بعث مفهوم " الأمة " و إحياء مقوماتها في الجزائر ، وهذه الأمة هي التي استرجعت هذه الدولة ، فلو زالت الأمة لما أمكن استرجاع الدولة ، ولو استرجعت الدولة بدون مقومات الأمة و خصائصها لكانت صورة شوهاء من الدولة التي انفصلت عنها ، فالبقاء للأمم ، أما الدول فقد تزول ، و لكنها إذا حافظت على مقوماتها فلا شك انها ستعود .

<u>بعض منجزات الإمام بيوض و أعماله الخالدة :</u>

– كان الشعار الذي الهم الله الغمام بيوض إليه هو " الحياة " والحياة الحقيقية لا تكون إلا في ظل الكرامة والحرية ، فأسس معهد الحياة ' 'وكون' '"جمعية الحياة" وأحيا الأمة بما لا حياة لها الا بهما ، كتاب الله ، وسنة حبيبه (ص) مصداقا لقوله تعالى . " يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله و للرسول إذا دعاكم لما يحييكم " الأنفال الأية 24 . فسقاها – الأمة – بهما ماءا غدقا ، وشرابا طهورا ، حيث شرح لها كتاب الله لفظا و غاية ، وضاق عن أي به و عضات ، و بين لها سنن رسول الله (ص) فاتخذتها إلى المجد سنن ،

و أسسهم مع إخوانه البرر وأصفيائه الخيرة في تأسيس خير جمعية أخرجت للناس ، و دبج مقالات جعلت الكفار في أمر مريج ، و جعلت المؤمنين في حال بهيج ، و القى دروسا كانت قواصم على المضللين ، و عواهم للمتوسمين ، و مدعينية على خارج وطنه ، إلى فلسطين ، حيث يعاني اخوانه من المنكر اليهودي ، و الحقد الصليبي ن و الاستكبار المادي ، فسعى مع الكرام من خلانه ، إلى تأسيس لجنة لمساندة فلسطين و مساعدتها رغم قلة ذات اليد ، فكان بيوض و اخوانه كالأنصار " و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ." سورة الحشر الأية 09

– وجاء امر ربك ، فأعلن الشعب الجزائري الجهاد ، فكان " العلماء" ومنهم الإمام بيوض – أول المؤيدين لها الهادي الحسني 2007) إن الإمام ابراهيم بيوض كان صادق الوطنية ، و قد ظهر هذا الصدق في ساعات العسرة ، حيث بقي مع شعبه يقاسمه السبع الشداد ، و يثبته بالقول الثابت ، و يحرضه على الجهاد ويجمع الأموال للثورة .

اما المنقبة التي لا يقدر عليها إلا أولو العزم ، و لا يأتيها إلا أولو الحزم ، فهي وقوفة كالطود الطماح الذي لا تنكسر له هامة في وجه الاحتلال الذي اراد ان يفصل الصحراء عن الشمال ، فقال الإمام بيوض قولة بهت لها الذي كفر ، و صعقت لها الذي خبت وفجر ، و هي : " لن نستبدل الشمال بالشمال ولن نبيع جنوبنا بالمال "

إن عمل الإمام بيوض لم ينقطع بوفاته ، فهاهو تفسيره يقرأ ، و عمله ينشر و معهده يثمر و اولاده يدعون له بالخير ويواصلون على دربه السير . و نقول ما قاله في تأبنيك إبنك الصالح – محمد بن صالح ناصر

نم هانئا حفظت عهودك أمة يسري بطلعتها دم الفرقان .

– و نقول ما قاله الأستاذ / محمد الخضر السائحي رحمه الله .

المعهد الحر مازالت تراويحه هاد الشجون و منفكت تغادينا

و ماتزال على ابوابه حلق تشتد حاضرنا في عنق ماضينا

تحدث الجيل عن ماض يشرفه ماكان لولاه في الصف المجالينا

كل المواضيع في اسفار نهضته خطت لها يد " بيوض " العناوين

الفصل التاسع
جمعية العلماء
و الثورة التحريرية

دور جمعية العلماء في ثورة التحرير

تمهيد:

إن مفهوم حركية تطور المجتمع الجزائري في فترة الاحتلال الفرنسي و معرفة التنظيمات الأكثر تأثيرا في صياغة هويته و تشكيلها و تحديد انتمائه الحضاري و تصحيح مساره التاريخي. و انطلاقا من هذه الرؤية الشاملة تأخذ جمعية العلماء الجزائريين موقعا خطيرا و استرتيجيا ضمن الحركة الوطني الجزائرية ، باعتبارها الحركة التغييرية الوحيدة التي استهدفت جهودها تغيير الفرد الجزائري، و بعث تاريخه و ثقافته و تحريره من رواسب الإنحطاط و التخلف التي كانت تتحكم في تفكيره وسلوكه وحياته الاجتماعية و السياسية عامة.

و إذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد سارت على نهج الإصلاح الشامل و التربية الأصيلة و التعليم الديني و الوطني من أجل بعث (الأمة الجزائرية) و المجتمع الجزائري من جديد والنهوض به. وفق خطة منهجية مدروسة واستراتيجية مظبوطة ؟!

غايتها تكوين الفرد الجزائري للحياة ، لحي حياة العزة و الكرامة و تهيئة الأجيال الصاعدة لتحمل المسؤولية و تحقيق آمال و طموحات الشعب الجزائري و تكوين قيادات ثورية لتغيير الأوضاع المتردية في الجزائر و بناء نهضة شاملة في المجتمع.

اعتقد أن لهذه الثورة جوانب، فهناك المحتوى الأساسي وهي الثورة الاجتماعية و الثقافية، أو الثورة الدينية التي كان يعتمد عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله وهناك جانب العمل السياسي الذي ارتبط بهذه الحركة، لاشك أن هذه الحركة في مجموعها كانت ثورية باعتبارها كانت تهدف الى تغيير جذري للمجتمع الجزائري، بل أنها لم تكتف بالدعوة النظرية بل أنها اتخذت أساليب عملية لتطبيق هذه الثورة في العمل اليومي. وهذا ما يميز حركة الإصلاح الديني في الجزائر عن بقية الحركات الإصلاحية التي قامت في المشرق العربي. (تركي رابح 1984م)

إن ابن باديس كان يرمي الى استعادة الشخصية الجزائرية من الناحية الاجتماعية و الثقافية و السياسية أيضا و هناك نصوص كثيرة يقول فيها لا يمكن أن نقول أن الشعب الجزائري لا يصبح في يوم ما من الأيام مستقلا سياسيا، وقال أنا لا أرهب هذه الكلمات و أنا أول ما نادى أن الوطن قبل كل شيء أن يعرف أبناء الجزائر معنى الوطنية، و فعلا كتب هذا الشعار في معهده وفي جرائده: الوطن قبل كل شيء و المعروف في قصيدته الصغيرة التي قالها ابن باديس: "**هذا نظام حياتنا بالدم خط و باللهب، هذا تعبير ثوري سياسي يدعو الى الثورة المسلحة**"

هي صورة الوعي الثقافي التربوي الاجتماعي، المتمثل في مقاومة النقائص الأخلاقية. في صورة نهضة ثقافية تربوية، و لكنه لم يفصلها تمام الانفصال من النواحي السياسية. ابن باديس كان ثائرا

إن هذه الثورة لم تكن تتضمن البعد السياسي الثوري، لأن الذي نلاحظه أن حركة ابن باديس كان تعبيرها السياسي هو الشعار الطبيعي، شعارات حزب الشعب الجزائري أو حركة نجم شمال إفريقيا.

إن التطور في الثورة الجزائرية لم يكن يسير بنفس السرعة ففي المجال الديني و الاجتماعي كانت الثورة و الأسلوب الثوري المعتمد من طرف جمعية العلماء و لكن هذا العمل الثوري و المفهوم الثوري السياسي كان مختصرا إذ ذاك على فئة قليلة و إن الالتحام الذي كان لابد منه لم يتم إلا بعد فترة معينة، وعند ذلك اجتمع المفهوم الثوري الديني والاجتماعي، والمفهوم الثوري السياسي في ثورة 1954م (الأصالة العدد 2 مايو 1971م)

لأن في عصر ابن باديس كان الدين هو كل شيء، و يمكن أن نقول هو كل الشخصية المميزة بالنسبة للجزائري.

نحاول قبل كل شيء أن نذكر بالمراحل التي سطرها الاستعمار الغاشم للتعليم ابتداء من 1830م لطمس الهوية الجزائرية و القضاء عليها عن طريق المدارس المخصصة للأهالي، فشرعت في تنفيذ هذه الخطة عند تطبيق القوانين المتعلقة بالتعليم العمومي الفرنسي بموجب المرسوم المؤرخ في 1883/02/13م في عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة.

فقال في هذا الصدد الدكتور محمد عمارة: « كانت فرنسا قد شرعت في احتلال الجزائر سنة 1830م و أخذت في تثبيت استعمارها لها لكنه لم يكن احتلالا كغيره من أشكال الاحتلال...، ولم يكن استعماراً كالذي شاهدته أو شهده كثير من البلدان في أسيا أو أفريقيا.....، فهو لم يقف عند اغتصاب المستعمر الدولة و الإدارة و الحرية و الأرض والثروة التي كانت للجزائريين على أرض وطنهم، وإنما ذهب المستعمر الفرنسي فأراد سحق الهوية القومية للشعب، وإلغاء عروبتهم، لأنها رمز مغايرتهم للفرنسيين، وإنما الامتداد الإفريقي للوطن الفرنسي عبر البحر المتوسط، كما ذهب هذا المستعمر أيضا الى مسح الإسلام حتى يزيل طابعه القومي العربي في البيئة العربية الجزائرية، وينزع منه عوامل المقاومة، فيتحول من شوكة بحلق الاستعمار الى قيد يثقل خط المناضلين في سبيل الحرية و الاستقلال » (محمد عمارة 1982م)

و حتى يتحقق هذا الاستعمار الاستيطاني للمستعمرين الفرنسيين بالجزائر العربية كان السعي الحثيث و العنيف لسحق قومية الجزائريين العربية و نزع هويتهم المتميزة وهي العروبة و الإسلام طالما كان الإسلام محافظا على عروبتهم ومغايرتهم للفرنسيين، فسعوا الى فرنسة الجزائر لغويا بإحلال الفرنسية محل العربية.

وكتبوا بأحد التقارير التي وضعت سنة 1847م أن الجزائر لن تصبح فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها، و العمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالي الى أن تقوم مقام العربية وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا و تمثيلهم بنا و إدماجهم فينا، وجعلهم فرنسيين (محمد عمارة 1966م)

لقد أسهمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنضالها مع إخوانها في التمهيد للثورة والكفاح المسلح، و لعل أبلغ وصف لهذه الجهود ما قاله شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

وفي الدّار جمعية العلماء تُغذّي العقول بوحي السّماء

وتهدي النفوس الصراط السّويّ وتغرس فيها معني الإباء

لم تقف جمعية العلماء عند حدود القضايا الوطنية، رغم الظروف القاهرة التي كانت تحيط بها و محدودية وسائلها، بل اهتمت بقضايا الأمة المصيرية كقضية تحرير فلسطين و مشروع المغرب العربي الإسلامي.

وهذا خير دليل على رؤية العلماء الواسعة، وبعدهم القومي، إذ أمنوا بوحدة الأمة العربية و مصيرها المشترك تحت ظل الدين الإسلامي.

و ثورة جمعية العلماء هي ثورة اجتماعية و ثقافية و دينية، كانت تهدف الى تغيير جدري للمجتمع الجزائري، بل أنها لم تكتف بالدعوة النظرية، بل أنها اتخذت أساليب عملية لتطبيق هذه الثورة في العمل اليومي، كان يرمي الى استعادة الشخصية الجزائرية من الناحية الاجتماعية و الثقافية و الدينية والسياسية أيضا.

مضايقة رجال الجمعية:

كان الشيخ عبد القادر الباجوري قد هاجم الطرقية و هاجم الإدارة، فتحالفتا ضده وحكمتا عليه بالنفي و السجن و التغريم، كما أن الذين يصنفون أعضاء جمعية العلماء بأنهم (رجال دين و تعليم) فقط عليهم إن يعيدوا النظر في أحكامهم فكل رجل منهم كان مناضلا سياسيا وطنيا عن طريق جمعية العلماء و تحت عنوان الإصلاح و الدفاع عن الإسلام و العربية، و إذا كانت جمعية العلماء في هذا الإطار تتفق و تمثل أراء و طموحات حزب الشعب الجزائري.

ويقول الشيخ عبد القادر الباجوري على نفسه أنه اعتنق مبادئ دعوة (جمعية العلماء) الثقافية، الدينية، الاجتماعية، القومية و الوطنية و الكفاحية. (أبو القاسم سعد الله 2007)

و هذا رد واضح على من يزعم أن جمعية العلماء هيئة دينية ثقافية، أو على من يذهب الى أنها لم تلعب دورا قوميا و وطنيا نضاليا. و نجد الشيخ بن باديس يقول: " **يوم 18 أفريل 1938م عج واد سوف بالجنود و العتاد والمدافع الرشاشة، و أرعدت أجزاؤه بأزيز الطائرات، فأوشك أهله و نساءه و أطفاله و بيوته و نخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع و وضعت نحو ثلاثين امرأة حملها .... أصبح الوادي على حين بغتة و قد عطلت أسواقه و سدت طرقاته و منع عنه الداخل و الخارج و ضرب عليه نطاق شديد محكم من الحصار، وقد دام ثلاثة أسابيع على الأقل إنها ثورة إذن ؟ ولكن هل هي ثورة حقيقية أو توهمها الواهمون فقط؟** "ذهبت السلطات الفرنسية المحلية الى أن هناك تحضيرا لثورة بالتنسيق مع أطراف " أجنبية " و هي تعني بذلك إيطاليا، جاءت لجنة فقيل لها أنه ليس في الأمر ثورة و إنما هو سيناريو لإفشال به مشروع الإصلاح بالمنطقة

(الوادي) وضرب الخلية الإصلاحية و ذلك باعتقال أعضائها و ضرب الأنصار، و إرهاب الناس حتى يحسوا بوطأة الإدارة و بطشها. و هكذا ألقت السلطات القبض على الشيوخ عبد العزيز بن الهاشمي و عبد القادر الباجوري، و علي بن سعد و عبد الكامل، باعتبارهم نواة التعليم بالزوايا و من أنصار جمعية العلماء، و من التهم التي وجهت الى الشيخ الهاشمي أنه نظم ثورة ضد أمن الدولة و إن له صلة بجبهة أجنبية، و سيق الجميع الى سجن الكدية بقسنطينة، وبقي هناك دون محاكمة واحدا وعشرين شهرا، ثم حوكم عليهم عسكريا و فرضت عليهم غرامة ثم ألزموا الإقامة الإجبارية الحضورية من سنة 1938م الى صدور العفو سنة 1946م.

وقد عالج ابن باديس هذا الموضوع في عدة مناسبات في جريدة (البصائر) فقال في أحدها أن ذنب الشيخ الهاشمي أنه نظم مظاهرة بدون رخصة، طالب فيها الناس بحرية التعليم و الإعانة بالخبر و شكوا فيها من ظلم بعض القياد. (البصائر 1934)

ودافع ابن باديس عن السجناء الأربعة بقوله: أنهم « ضحية عقيدتهم الإسلامية و قيامهم بواجبهم الديني نحو إخوانهم المسلمين أهل ديار سوف ».وقال إن ما قاموا به كان ضمن دائرة القانون العام و طبقا لمبادئ الجمعية التي ينتمون إليها وهي جمعية العلماء، وفي هذا الصدد كتبت جريدة (تونس الفتاة) أيضا تتساءل عن مصير المعتقلين فقالت " منذ 11 شهرا سجنت فرنسا عبد العزيز الهاشمي و عبد القادر الباجوري و علي بن سعد عبد الرحمان بن نوار والعربي بن محمد و عبد الكامل،وغيرهم و لا زال أغلبهم حتى الآن (أفريل 1939م) يترقبون المحاكمة، وهم مسجونون مع السفاكين و المجرمين بالسجن العسكري بقسنطينة يذوقون الأمرين من سوء المعاملة. (المرجع السابق)

وهؤلاء كان دورهم تعليمي و تثقيفي و إصلاحي و نشر الإسلام و العربية في وطنهم فلماذا يحول بينهم و بين أداء مهمتهم الدينية و التعليمية في المساجد و الزوايا بينما يسمح للآباء البيض و إخوانهم أن ينشروا المسيحية في أواسط المسلمين ؟ إن بعض المناطق في الشمال و الجنوب كانت بؤرة للنشاط التبشيري الحر، بينما حرمت نفس المناطق على رجال جمعية العلماء تماما تساعدهم على إخراج أبناء المسلمين من الإسلام في ورقلة و غيرها. (اثار عبد الحميد ابن باديس ج 5)

وبذلك نلاحظ أن جهاد العلماء يختلف عن جهاد الأمير عبد القادر و بوعمامة و المقراني ... الخ ولكنه جهاد يختلف عن ذلك رغم أنه يهدف الى ما كان يهدفون إليه، و هو تحرير الجزائر و الدفاع عن شخصيتها العربية الإسلامية...

إن هؤلاء العلماء كانوا الجسر الذي يربط بين كفاح جمعية العلماء و كفاح حزب الشعب، فقد أخذوا من الجمعية حرارة الإيمان بالقضية الوطنية و بالعروبة والإسلام، و أخذوا من حزب الشعب الشجاعة في المواجهة و ارتياد السجون والعقيدة الراسخة في حرية الوطن و استقلاله.

وعلى إثر أحداث 08 ماي 1945م فعاد النشاط يدب ببطء في أوصال الحياة السياسية و الاجتماعية والثقافية و قد ظهرت الأحزاب الجديدة و جددت جمعية العلماء مجلسها الإداري و في سنة 1956م انضمت الجمعية الى جبهة التحرير الوطني علنيا و رسميا.

و كانت الجمعية قد اتخذت مواقف و قررت قرارات تهم الجزائر و غيرها و كان مجلسها الإداري هو الهيئة العليا التي تدرس وتحكم و تصدر القرارات و المواقف، و من جملة ذلك إنشاء معهد ابن باديس بقسنطينة 1947م

و يمثل المعهد اهتمام الجمعية بالتعليم العربي على المستوى المتوسط، وكانت سابقا تهتم بالتعليم العربي الابتدائي، وكانت تهيئ التلاميذ للالتحاق بعد ذلك بالزيتونة و القرويين، و لكن الظروف لا تسمح لمختلف التلاميذ بالتوجه الى هاتين المؤسستين لذلك فكرت الجمعية في إنشاء نواة جزائرية أخرى و ثانويات تستقبل خريجي المدارس التابعة للجمعية.

ويذكر الشيخ محمد الصالح ابن عتيق اعتقاله مع عبد القادر الباجوري يوم 29 مارس 1956م فقال متحدثنا عن التقائهما و افتراقهما في معتقل (بوسوي) ما يلي «و عز عليّ أن أفارق إخوانا ألفت بيننا المحن، وربطتنا حوادث الزمن، و من بين هؤلاء الأستاذ العبقري عبد القادر الباجوري الذي إذا ذكر اسمه ذكر معه الكفاح

و التضحية »، و الذي حرمت من لقائه و توديعه يوم ارتحالي من المعتقل) إذ حال بيني و بينه جدار كان يفصل بيننا، ولم يمنعه هذا أن أرسل إليّ يودعني بقصيدة شعرية رائعة، و هذه قطعة منها:

غيض بحر العروض يا ابن عتيق و دموعي تسيل سيل العقيق
و لو أن الدموع تغرق ناري فأكون الغريق وسط الحريق
ضاع شعري وضاع عمري و أنتم يا زميلي أدرى بكل رفيق
و سلام عليكم ما أقمتم أو ذهبتم سلام داع شفيق

و بعد أن افترقا حوالي سنة ونصف في معتقل بوسوي التقيا ثانية في معتقل (سيدي الشحمي) وسجل الشيخ ابن عتيق عن زميله الياجوري عندئذ الانطباعات التالية:

«قضى شبابه وكهولته و شيخوخته أيضا في سبيل الحركة الإصلاحية و الوطنية، قضى معظم حياته في المعتقلات و السجون، عالم محقق، و مفكر مدقق، متواضع في عزة و في كبرياء عاقلة، تخرج من جامع الزيتونة بتونس، و يحمل شهادة العالمية ». (أبو القاسم سعد الله)– 2005.

وكان البحث عن المال و الأمكنة الدراسية في المدارس و الجامعات العربية جزءا من هذا المخطط، وهو البحث الذي قام به رئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي ابتداء من سنة 1952م.

و قد نجحت الجمعية في توجيه عدة بعثات الى المشرق العربي ابتداء من سنة 1953م، بالإضافة الى الأفواج التي كانت تتوجه الى تونس و فاس، و هكذا توسع المشروع التعليمي عند جمعية العلماء. و كانت الخلية النشطة والمسؤولة عن تنفيذ هذا المخطط الطموح هي الهيئة المسماة (لجنة التعليم العليا) و التي كان يتولى رئاستها الشيخ العربي التبسي، و نائبه الشيخ عبد القادر الباجوري، و من بين القرارات الهامة التي اتخذت على هذا المستوى هو ربط معهد ابن باديس بجامع الزيتونة، فأصبح المعهد " فرعا " من فروع الزيتونة و هذه المؤسسة العتيدة هي التي تقر برامج المعهد و تشرف على امتحاناته و تؤهل التلاميذ لاستكمال دراستهم بتونس.

وعندما اندلعت الثورة أصبح أعضاء الجمعية (البصائر 1956) وسيلة ناجعة لأداء مهمة الثورة في الاتصال بين أجزاء الوطن و في جانفي 1956م أعلن المجلس الإداري للجمعية قراره التاريخي بالتأييد الصريح للكفاح المسلح والانضمام العلني و الرسمي لجبهة التحرير الوطني. (أبو القاسم سعد الله 2007)

و الواقع أن قرار الجمعية بالانضمام الى الكفاح المسلح و احتضان الثورة قد أدى الى اعتقال الكثير من رجال الجمعية ممن اعتقلتهم السلطات الفرنسية عندئذ لم يعرفوا السجون و المعتقلات من قبل.

اضطهاد المثقفين

مع ثورة التحرير ازداد اضطهاد المثقفين الجزائريين ضراوة و قوة، و شمل الاضطهاد كل أنواع التعذيب و القمع بل وصل الأمر الى الاغتيال بطريقة شنيعة.

و قد حدث ذلك للمناضلين السياسيين و القادة أيضا، وقد شاعت قصص اغتيال الدكتور بن زرجب ، والمحامي ولد عودية، و المحامي علي بومنجل، و قاسم زيدون، و الأمين العمودي/ أحمد رضا حوحو، و السعيد الزاهري، و العربي التبسي، والربيع بوشامة، و عبد الكريم العقون، و مولود فرعون، .... إن مطاردة المثقفين و القادة كانت سياسة منظمة قامت بها عدة أطراف بعد اندلاع الثورة.

و قد اعتادت البصائر أن تنقل لقرائها أخبار الثورة في أسبوع عن المعارك التي جرت أو عن الأشخاص الذين اعتقلوا أو التصريحات السياسية من الجزائريين و الفرنسيين حول الثورة، وقد استمرت لهجتها في تصاعد و حدّة الى أن اعلنت صراحة أنها تدعم الثورة بنشرها بيان المجلس الإداري لجمعية العلماء.

و في هذا الصدد يقول ابن عتيق أن الفرنسيين نقلوهم من سجن البرواقية الى سجن بودي ثم ثنية الحد، ثم توجهوا بهم عبر السرسو الى سوقر، و واصلوا السير الى أفلو حيث جمع معتقلهم نخبة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب و حزب البيان، و كانت إدارة السجن العسكرية تعامل الجميع بالشدة، فكانت تطلق سراح البعض ثم يقتلونهم في الطريق غدرا.

و بعد بقاء ابن عتيق ثمانية و عشرين شهرا في معتقل بوسوي، غادره متأسفا عن فراق بعض زملائه مثل الشيخ عبد القادر الياجوري الذي ودعه (أي الياجوري) بأبيات شعرية.

وفي مذكرات محمد الصالح بن عتيق تكلم عن " الشيوخ الذين التقيا في سجن واحد أحيانا و هم: عبد القادر الياجوري، علي بن سعد، السعيد صالحي، محمد الشبوكي، أحمد سحنون، والجيلالي الفارسي، حمزة بوكوشة، مصباح الحويذق، و جميعهم أعضاء بارزون في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفيهم الأديب و الشاعر و الخطيب والواعظ.... كان ذلك سنوات 1956م / 1959م، وقد ذكر بن عتيق أن هناك شخصيات أخرى سياسية و علمية مثل: الدكتور رابح كربوس، د/ أحمد عروة، د/ ابن خليل، د/ بوعباد، د/ بن عربية، د/ بلوزداد، و السيد محمد زرطال والمحامي ابن تومي، الى جانب هؤلاء كان هناك مجموعة من طلبة الزوايا قال إنهم تحت التعذيب يصرخون و هم يعذبون بالماء و الكهرباء و قطع الأظافر فكان صراخهم تصطك منه الأبدان و قد فكروا في الهروب عبر قناة و كانوا على اتصال بالمجاهدين.(أبو القاسم سعد الله 2007)

كانت وسائل إعلام جبهة التحرير دائمة الحديث عن تعذيب و اغتيال المثقفين العاملين في صفوفها، من ذلك ما حدث للمحامي علي بومنجل، و الأديب أحمد رضا حوحو، والشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء.

أما في سنة 1955م فقد كانت جمعية العلماء تملك 181 مدرسة منها 58 مدرسة ذات تعليم راق، و لكن عدد التلاميذ انخفض الى 11000 تلميذ.

وكان برنامج التعليم عند جمعية العلماء يكاد ينحصر في مواد اللغة العربية و الدينية، بينما أهملت تقريبا المواد العلمية،و من فضل هذا التعليم أنه يكوّن شبابا طليق اللسان و القلم في اللغة العربية.(سعد الله 2007)

جمعية العلماء قد تريثت في الدعوة للجهاد جهرا من الجزائر لأنها كانت تعرف أنها جمعية غير سياسية و لها رسالة محددة، ولم يكن الجهاد و الثورة و العمل السياسي المباشر داخلاً في برنامجها، أما رئيسها الشيخ الإبراهيمي فقد أعلن من القاهرة تأييده للثورة و الجهاد دون ذكر دعاتها.المصدر (سعد الله 2007).

ساهمت تلك المؤسسات في إنقاذ الأساسيات العقائدية، و دعم أخلاقيات مجتمعنا العربي الإسلامي، و نشر المعارف و القيم الحضارية بين أبنائه، و تثبيت شخصياتهم الوطنية و صونها من أمية الانتماء التاريخي.

أما جمعية العلماء يرون تسليم الشؤون الإسلامية الى جماعة المسلمين لأنها و حدها الكفيلة و المؤهلة لإدارتها، رافضين أي تدخل فيها من الإدارة، كما كانوا يطالبون الإدارة بإعادة الأوقاف الى جماعة المسلمين أيضا، وهي الأوقاف التي استولت عليها فرنسا منذ الاحتلال، و طالب العلماء منذ ماي 1950م بإنشاء مجلس إسلامي أعلى مؤقت يتكفل بالتعاون مع رؤساء الجمعيات الدينية الجديدة المنتخبين بإدارة الأوقاف و الموارد الرئيسية الضرورية لأجور الموظفين الدينيين، و قد ظلت هذه القضية تراوح مكانها الى اندلاع الثورة، وكانت من القضايا التي زادت في بعد المسافة بين العلماء و الإدارة.

و مهما كان الأمر فإن العلماء لجئوا بعد فشلهم الى إنشاء المساجد الحرة التي انطلقوا منها في دروس الوعظ و الإرشاد وهي مشيدة بأموال و مجهودات أنصارهم، وقد نجحوا في ذلك نجاحا كبيرا. أما المجال الأخر الذي نشط فيه

العلماء و نجحوا فيه فهو نشر اللغة العربية و الدفاع عنها، بالإضافة الى أنهم طوروا الصحافة العربية و أسهموا في حركة الطباعة العربية، وكلها كانت مظاهر لنهضة تعليمية و أدبية واضحة.

كان العلماء قد انضموا رسميا الى جبهة التحرير الوطني منذ نهاية 1954م و قد كان من سوء حظهم انه لم ينظر إليهم بوضوح بوصفهم بناة الاستقلال علما بأن عملهم التربوي و الثقافي العميق كان يتمثل في إعادة بناء الشخصية الوطنية الجزائرية بأناة و صبر، و بهذه المثابرة يحق لهم على غرار الآخرين بمطالبة الآمة الجزائرية باسترجاع حقوقها واستقلالها على الساحة الدولية.(علي مراد 2007)

وفي السنوات التي تلت مباشرة نهاية الحرب العالمية الأولى، بدأت الإدارة الفرنسية تلين إزاء الأهالي، وهكذا أثمرت الوعود المقدمة لهؤلاء قبل الحرب و بعدها بوصفها تعويضا على ضريبة الدم و التضحيات التي قامت بها جماعتهم، في شكل قانون مؤرخ في 04 فيفري 1919م ينص على ما يلي:

1. القانون ينص على أن الأهالي جديرون بالدولة، هذا ما يعلي من شأنهم لدى الجالية الأوروبية و يجعلهم يثقون في أنفسهم أكثر.

2. يفتح الطريق أمام التحرير السياسي و الاجتماعي للجماعة الإسلامية و هذا بالنظر الى الحاكم القاضي ب: أن الأهالي المسلمين ممن لا يحملون المواطنة الفرنسية بإمكانهم على غرار المواطنين الفرنسيين، و وفق نفس شروط القبول أن يشغلوا الوظائف و الأعمال العمومية، المادة XIV

استقبلت النخبة الإسلامية هذا القانون كإعلان جديد للحقوق بعد ذلك أخذ يستظهر في كثير من الأحيان كميثاق حقيقي للمسلمين الجزائريين، يسمح لهم بإنشاء مدرسة يرأسها ابن باديس في قسنطينة و الإبراهيمي في تطبيق العقيدة في بسكرة.

بالنسبة لتاريخ 1925م فهو يسمى نقطة انطلاق النشاط الإصلاحي المتفق عليه و المنظم، إنشاء صحيفة " المنتقد " الإصلاحية هكذا برزت الحركة الإصلاحية للوجود و جهات نظرها و برنامجها الديني و الاجتماعي والثقافي.

تنص المادة 34 من هذا القانون على أن الأهالي المسلمين غير المتجنسين بالجنسية الفرنسية يمكنهم أن يشغلوا على غرار المواطنين الفرنسيين و وقف شروط الكفاءة، الوظائف و العمالة العمومية.(المرجع السابق)

إن مقالات الشيخ العربي التبسي تتناول الكتابة عن الإسلام من حيث أوضاعه و ما علق به من الجهالة والانحرافات و تصدى بقوة و حزم لخصوم الإسلام من المستغلين أو المناهضين لبعث سند لتنويه وإبراز التصور الإسلامي لأوضاع التخلف و مقاومة الاستعمار.

يقول الشيخ العربي التبسي في مقال بعنوان: «هذه جزائركم تحتضر أيها الجزائريون فأنقذوها» والذي نشره في جريدة النجاح عدد 238 بتاريخ 1925/10/13م و هو مقال يربط الإسلام باللغة العربية و يجعلها صنوان، و يتضمن توجيهات للشباب الجزائري.

و يقول في مقال آخر بعنوان «الجزائر تصيح أيها الجزائري أينما كنت »نشر في جريدة الشهاب عدد 34 بتاريخ 1926/07/01م

وما يحزن الجزائري أن يرى بلاده ليس فيها مدرسة واحدة أهلية عربية لتعليم المبادئ الأولية من لغة العرب ودين الأمة الذي لا سبيل لنا إليه غير اللسان العربي الذي أصبح أثرا و بعدا في أمة من أعرق الأمم ،لولا أنه الله حفظ هذا الدين و لم يكن حفظه إلينا لكنا في عدد المندثرين ركزت الجمعية عملها على ثلاثة محاور رئيسية هي:

1. تطهير الدين الإسلامي من البدع و الخرافات و العمل على إحيائه و نشره
2. تجديد التعليم العربي الإسلامي.
3. إحياء قيمنا الثقافية و الحضارية و التاريخية.

الواقع أن ابن باديس كان يعطي الأهمية الأولى للثورة الثقافية لأنها هي الأساس التي ستعتمد عليه فيما بعد الثورة السياسية و نجد له كلاما في هذا الموضوع كثيرا، مثلا عندما زار تونس بمناسبة ذكرى بشير صغر المؤرخ التونسي المعروف، فطلبوا منه أن يحاضر فحاضر بعنوان – العلم و السياسة – وقال: لا يمكن أن نفصل بين النواحي الثقافية و بين النواحي السياسية بالنسبة للأوضاع التي نعيشها في المغرب العربي.

قال: أنا لا أتكلم بصفتي رئيسا لجمعية العلماء وإنما أتكلم باسمي الشخصي، أنا أؤمن أن الناحية السياسية والناحية الثقافية تسيران جانبا الى جانب، و لكن من الناحية العلمية نجد أن ابن باديس قد سار خصوصا في المرحلة الأولى من حياته الثقافية الثورية على أساس المنهج التربوي، من تكوين الوعي عن طريق التعليم و عن طريق الرجوع الى الأصول، الكتاب و السنة، و هذا يساير فيه ابن باديس طريق الشيخ محمد عبده الذي اعتمد على التعليم حتى هاجمه أستاذه جمال الدين الأفغاني، و قال له أنك رجل مثبط، إنك تعتمد فقط على التعليم، و التعليم يحتاج الى مرحلة طويلة، ونحن ليس عندنا الوقت لننتظر هذه المرحلة الطويلة و يبدو أن ابن باديس كان في المرحلة الأولى عبدويا إن صح هذا القول، ثم بعد ذلك رأى نفسه مضطرا لأن يخوض غمار السياسة، و قد عقد المؤتمر الإسلامي في جوان 1936م و هنا قام بنشاط متميز و عرض عليه أن يترأس هذا المؤتمر و لكن سلم الرئاسة لابن جلول في ذلك الحين.

و نلاحظ أن ابن باديس كان يرمي الى استعادة الشخصية الجزائرية من الناحية الاجتماعية و الثقافية

و السياسية أيضا وهناك نصوص كثيرة يقول فيها – لا يمكن أن نقول أن الشعب الجزائري لا يصبح في يوم من الأيام مستقلا سياسيا، وقال أنا لا أرهب هذه الكلمة، و أنا أول من نادى أن الوطن قبل كل شيء أن يعرف كل أحد في الجزائر معنى الوطنية، و فعلا ثبت هذا الشعار في معهده وفي جرائده، الوطن قبل كل شيء، و المعروف في القصيدة الصغيرة التي قالها ابن باديس:

"**هذا نظام حياتنا بالدم خط و باللهب** "هذا تعبير ثوري سياسي يدعو الى الثورة المسلحة

أنه الثائر نجد في تاريخنا دائما ينطلق منه هو " الدين " سواء كانت هذه الثورة ثورة مسلحة أو ثورة إصلاحية في شكل تغيير وضع موجود بطرق سلمية و أكبر دليل على ذلك هو الإسم الذي يطلق على الثوريين في الجزائر هو "المجاهد " قد حاول محاولة نقدية ثورية في الجانب الديني والاجتماعي وأراد أن يرجع الى أصل الإسلام الأول والقرآن و السنة وحاول بكل ماله من قوة أن يقاوم هذه البدع و التقاليد التي نسبت الى الدين ، و قاوم الفساد الديني المتمثل في محاربة الطرقية التي تمثل الحقيقة الدينية في ذلك الوقت قاومها ليقيم الإسلام على أصوله الأولى.

الشعر الإصلاحي

فضل أحمد سحنون أداة رسالته في الشعر و الوعظ و الإرشاد و توجيه الشباب الجديد فكان يخاطب المعلم بهذه الأبيات الحية المتفائلة بمستقبل الوطن و الأمة:

هات من نشء الحمى خير عتاد و أخرهم لغد جند جهاد
هات نشئا صالحا يبني العلا و يفك الضاد من أسر الأعادي
هاته جندا قويا باسلا إن دجى خطب يكن أول فاد
حطه بالإسلام من كل أذى و احمه بالخلق من كل فساد
أهده بالعلم فالعلم سني و من القرآن زوده بزاد
صغه للإسلام سيفا صارما و مثالا من ذكاء و اجتهاد
قد الى العلياء أشبال الحمى و الى تحريرهم كن طير حاد
لا تقل شمس بني الضاد اختفت و طوت أيامهم سود عواد
إن ذوي النبت فإن البذر في باطن الأرض لينمو في ازدياد
لا نضق ذرعا ولا تهلك أسى أمة الضاد ستحظى بالمراد

و بنفس اللهجة المتفائلة خاطب أحمد سحنون التلاميذ الذين رمز به الى الجيل الجديد، الجيل الذي رفع راية الجهاد في النهاية و قاد الثورة، فهو يخاطب التلميذ قائلا:

لك في كل حشا نبع وداد يا رجاء الضاد يا دخر البلاد
شعبك الموثق لم يبق له من عتاد فلتكن خير عتاد
لج الاستعمار في طغيانه كل يوم منه ألوان اضطهاد
لغة الضاد التي ما برحت لغة الإعجاز سيمت بكساد
دينك الإسلام في أوطانه ناله المكروه من أيدي الأعادي
و ليكن حاديك تحرير الحمى إن تحرير الحمى للحر حاد

إن هذا الشعر التعليمي يعتمد التوجيه والتأثير في الشباب، ينفخ فيهم الروح الوطنية الإسلامية و الأخلاق الفاضلة والشجاعة و الإثارة و الاعتماد على النفس. (مفدي زكريا)

ألقى قصيدته المؤثرة التي عبر فيها عن خيبة أمله في الأحزاب و السياسة و أعلن فيها دعمه لمنهج جمعية العلماء وقد جاء فيها:

و ما الزعامة أقوال و شقشقة — إن الزعامة إصلاح و تشييد

و ما النضال احتجاجات على ورق — إن النضال كفاءات ومجهود

و ما الجهاد إصدار أنت تكتبه — إن الجدار كبعض الناس جلمود

هذى بعثات العلم شاخصة — للشرق يكلأها في الشرق تأييد

جاء (البشير) فزكاها و أرسلها — فصائلا كلها عزم و تأكيد

جمعية العلماء المسلمين و من — للمسلمين سواك اليوم منشود؟

خاب الرجأ في سواك اليوم فاضطلعي — بالعبء من فر دجال و رعديد

سيروا ولا تنهوا فالشعب يرقبكم — وجاهدوا فلواء النصر معقود

أمانة الشعب قد شدت بعاتقكم — فما لغيركم تلقي المقاليد

فابنوا المدارس في عرض البلاد فما — غير المدارس للتحرير تمهيد

أما محمد العيد في قصيدته السياسية المبشرة بالثورة و التي عنوانها (يا قوم هبوا) وقد جاء فيها:

يا قوم هبوا لاغتنام حياتكم — فالعمر ساعات تمر عجالى

الأسر طال بكم فطال عناؤكم — فكوا القيود و حطموا الأغلالا

لا أمن إلا ظلال مرفوف — حر لنا عال ينير هلالا

ظهر نشيد (قسما) الذي وضعه مفدي زكريا 1955م و قد دخل السجن و تعرض للقمع في سبيل هدفه الوطني، فلا غرابة أن ينفجر حماسه للثورة و أن يتميز تعبيره عنها بالصدق و التلقائية و القوة و الفخامة، و منه هذا المقطع:

نحن جند في سبيل الحق ثرنا — و الى استقلالنا بالحرب قمنا

لم يكن يصغى لنا لما نهضنا — فاتخذنا رنة البارودي وزنا

و عزفنا نغمة الرشاش لحنا — و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا ... فاشهدوا ... فاشهدوا

(1) المنار 5 أكتوبر 1951م (2) المنار 8 ماي 1952م

إن اغلبية الشعراء الذين ظهروا في هذه الفترة كانوا يحملون بذور الفكرة الإصلاحية. وقد أشار الدكتور عبد الله ركيبي قائلا (هذه الأفكار من تجنيس واندماج وما صاحبهما من الدعوة الى التنصير ومحاولة التفرقة بين العناصر التي تشكل المجتمع الجزائري. كل هذا أدى الى أن تظهر الفكرة الإصلاحية لتصارع هذه التيارات الأجنبية وتدافع عن الشخصية الوطنية وعن الحضارة العربية الإسلامية (عبد الله ركيبي 1980).

و هكذا أصبح الشعر وسيلة شريفة تخدم المشروع الإصلاحي.

قال الشيخ ابن باديس:« إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، و نهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شرّ من الموت »

" أثار عبد الحميد بن باديس "

ثم أضاف قائلا : «فسيروا على بركة الله، و بعونه و توفيقه، الى ميدان الكفاح المسلح، فهو السّبيل الوحيد الى إحدى الحسينيين، إما موت وراءه الجنة و إما حياة وراءها العزة و الكرامة »

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصّباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها و خض الحروب و لا تهب

" من أثار عبد الحميد بن باديس "

عاش الشيخ عبد الحميد بن باديس لحرية الجزائر و عروبتها و إسلامها، مرددا:

فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر و العرب

السياسة في نظر العلماء

بهذه الأبيات ختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس خطابه التاريخي في الجلسة الختامية للمؤتمر الثاني لجمعية العلماء في سنة 1937م

أشعب الجزائر روحي الفدى لما فيك من عزة عربية

بنيت على الدين أركانها فكانت سلاماً على البشريةِ

خلدتم بها وبكم خلدت بهذه الديار على الأبدية

قدموا على العهد حتى الفتا و حتى تنالوا الحقوق السنية

تنالوها بسواعدكم و إيمانكم و النفوس الأبية

فضحوا وها أنا بينكم بذاتي و روحي عليكم ضحية

المصدر: الشهاب أوت 1937

اشهدي يا سماء

اشهدي يا سما و اكتُبَنَ يا وُجُود

إننا للحمى سنكون الجنود

فنزيح البلا ونفكُّ القيُود و نُنيل الرضيمن وفى بالعهود

و نذيق الرَّدى كلّ عات كنود

فيرى جيلنا ذكريات الجدود

و يرى قومنا خفقات البنود

ويرى نجمُنا للعُلا في صعود

فنضم راسمنا صفحات الخلود

هكذا هكذا هكذا سنعود

فاشهدي يا سما و اكتبن يا وجود

إننا للعلا أننا للخلود

هذا النشيد ارتجله الشيخ عبد الحميد بن باديس في حفل إقامته مدرسة التربية و التعليم بقسنطينة يوم 27 رمضان 1356هـ بمناسبة إحياء ليلة القدر. (البصائر 24 ديسمبر 1937م)

و يستشهد البعض على أن عميروش قد وقف مع التعليم و الثقافة بكونه أقام في مدرسة خاصة لأبناء الولاية الثالثة بالذات.

و يستند هؤلاء الى ما قاله عميروش لضابط فرنسي اعتقله الثوار:«إذا فقدنا الحياة فليس لذلك من أهمية على الإطلاق لأن قوتنا الحقيقية تكمن في شبابنا المثقف و في النخبة الشابة التي تتعلم حاليا في خارج البلاد ».

في إحدى المناسبات صرح فرحات عباس أن الثورة استطاعت في سنوات أخيرة أن تكون منهم إطارات للجزائر المستقلة أكثر مما كون منهم الاحتلال خلال 130 سنة(أبو القاسم سعد الله 2007)

إن تأثير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يمتد إلى أجيال سياسية أخرى سابقة، وإن الذين حضروا لانطلاق ثورة أول نوفمبر **1954**هم من المناضلين المنتمين إليها.

فإن هؤلاء شربوا حليب الوطنية من مدارس جمعية العلماء المسلمين وتشبعوا بالقيم الاجتماعية والثقافية والدينية الصحيحة، وهي قيم وأفكار برزت واضحة في بيان أول نوفمبر **1954**.

رحم الله شيخنا محمد الشبوكي الذي ترك لنا نشيده الرنان

جزائرنا يا بلاد الجـــدود نهضنا نحطم عنك القيـــود

رحم الله الرئيس الراحل هواري بومدين، حيث أجاب عن سؤال صحفي أجنبي عن مقال أدلى به رئيس فرنسا بعد تأميم البترول – (إن بترول الجزائر ملون أحمر لا يصلح للاستعمال.)

أجابه بومدين (حقا أنه امتزج البترول بدم الشهداء الذي ارتوت به الأرض إلى النخاع) يا له من موقف جريء.إنه شعار كل عضو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدى حياتهم.

في ظل نشر العلم توعية الشعب الجزائري بطريقته بهدف إيصال رسالته النبيلة. ركزت الجمعية على التعليم الديني واللغوي لا غير، ونشر الصحف وإبراز المواقف الجريئة ضد العدو لثلاث غايات هي:

1. لتوعية المثقفين الجزائريين بكل مستوياتهم العلمية وانتماءاتهم.
2. لإخراج القضية الجزائرية خارج الوطن لطرحها في المحافل الدولية.
3. بناء المساجد ونشر المدارس في المدن والقرى والبوادي وإقامة النوادي وتنشيطها بالمحاضرات.

مواقف ابن باديس من مقاومة الاستعمار:

عندما أصدر الاستعمار قانون **08** مارس **1938** ينص عن منع التعليم إلاّ برخصة من السلطات الحاكمة، كتب مقالا تحت عنوان: "بعد عشرين سنة في التعليم نسأل هل عندنا رخصة" (جريدة الصراط السوي 1939).

وكتب مقالا آخرا تحت عنوان: "يا الله – الإسلام والعربية – وللجزائر كل من يُعلم بلا رخصة يغرم ثم يسجن" وأضاف يقول: "وإننا نعلم لخصوم الإسلام والعربية عقدنا على المقاومة المشروعة عزمنا، وسنمضي بحول الله تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، ولن يصدنا عن ذلك شيء، فنكون قد شاركنا في قتلهما بأيدينا، وإننا على يقين من أن العاقبة ـ وإن طال البلاء – لنا، وأن النصر سيكون حليفنا.(البصائر أفريل**1938**)

ومن مواقف الإمام ابن باديس تحرير هويته في الدنيا يبين لنا في قولته المشهورة: "لمن أعيش؟"

السؤال : لمن أعيش؟ – الجواب: " أعيش للإسلام وللجزائر، أما الجزائر فهو وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص، وتفرض علي تلك الروابط لأجله –كجزء منه– فروضا خاصة". وفي النهاية أجاب المستمعون كلهم بصوت واحد: ليحيا الإسلام ولتحيا الجزائر.

وجهاد الجمعية يتمثل في مواقف رواد النهضة إما كتابته في الجزائر هنا وهناك وإما كلمات واعظة في المناسبات كتحريض الشعب عن نفض الغبار والكسل والإقدام الجهري ضد الغزاة. ويعتبر تمهيدا للثورة ورفع السلاح خاصة تجلى ذلك بعد حوادث **08** ماي **1945**م. وتكسير القوانين الفرنسية التي تهدف إلى التجنيس والدخول في المسيحية، لكن الجمعية كانت لها بالمرصاد.

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، كانت حججه على الفرنسيين الطغاة من أبرز تلك المواقف رسالته المبعوثة إلى الرئيس الفرنسي سنة **1949** يشكوه تعسف حكومته وقوانينه الجائرة تجاه الشعب الجزائري المظلوم.

" أيها الرئيس إن الشعب الجزائري قد أصبح من طول ما جرب ومارس في حالة بؤس و يأس من العدالة، وتسفيه الوعود والعهود، وكفر بهذه الديمقراطية التي يسمع بهاولا يراها، وأنه أصبح لا يؤمن إلا بأركان حياته الأربعة ذاتيته الإنسانية وجنسيته الجزائرية ولغته العربية ودينه الإسلام. لا يستنزل عنها برقي الخطب والمواعيد الخالفة ، ولا ينبغي عنها حولا ولا بها بديلا" (البصائر عدد **81 – 1949**).

ويستطرد في مقالته الختامية شكواه بقوله: " فنعيدكم بشرف الحرية وحرمة الضمير الإنساني، كرامة العلم أن تعتزوا بما تسمعونه من خطب، وبما ترونه من مظاهر، فكل ذلك مهب لتغطية الحقيقة والتضليل عنها، فالتمسوها في جذب العقول لا في خصب الأرض، وفي فوضى الحياة لا في نظام المواكب، وفي بؤس البادية لا في نعيم المدينة تجدونها ماثلة للعيان، ناطقة بالبرهان، صادقة في البيان."

وعن إحدى المذاهب الفلسفية التي تكررها فرنسا وتلوكها كما يلوك الحمار النبات الشوكي فلا يطلقه لأنه جائع، ولا يستطيع ابتلاعه لأن فيه وجع، ألا وهي (اللائكية).

وها هو الشيخ محمد البشير الابراهيمي المحنك يرد عليها بهذه العبارات الجياشة تحت عنوان (هل دولة فرنسا لائكية؟) (عيون البصائر **1950**م)

يقول فيها: " إدّعت فرنسا أنها جاءت بالتمدن إلى الجزائر بأربعة مضامين تستطيع أن تترقى بها الجزائر. المعلم – الراهب – الطبيب – الجندي، للعلم – للتدين – للعلاج – للحماية. فيرد الشيخ ليظهر مهام كل منهم فيقول:

" إن فرنسا قذفت هذا الوطن بأربعة أنواع من القوى مختلفة التأثير، متحدة الآثار، متباعدة الميادين، ولكنها تلتقي على هدف واحد، وهو التمكين للاستعمار، وأنها حاربته بأربعة أصناف من الأسلحة البشرية، أخفها فتكا وأقصرها مدى. الجندي!"

جاءت فرنسا إلى الجزائر بالراهب الاستعماري لتفسد به الدين على المسلمين وتفتتهم عن عقائدهم! وجاءت بالمعلم الاستعماري ليفسد على أبناء المسلمين عقولهم، ويلقي الاضطراب في أفكارهم، ويستنزلهم عن لغتهم وآدابهم، ويشوه لهم تاريخهم، ويعلمهم علما ناقصا، الجهل شر منه!وجاءت بالطبيب الاستعماري ليجاري على صحة أبنائها قبل كل شيء، يبدو أنه لا يكون حتى إلا حيث يكون الأوروبيون لا في المداشر التي يسكنها المستضعفون ولا في القبائل المتجاورة التي تعد بمئات الآلاف منهم، أما هذا الطبيب بالنسبة للمسلمين كأنما جاء ليداوي علة بعلة، ويقتل جرثومة ليخلف جراثيم، ويجرب معلوماته كما يجرب المعلومات في الحيوانات الحقيرة كالضفادع والفئران، ثم يعيش على أمراضهم التي مكن لها الاستعمار بالفقر والجهل، وجاءت فرنسا بالجندي الاستعماري ففتح بالقوة ومهد بالقوة ، وسجل لها في تاريخ الإنسانية صحائف لا ندري ما لونها إلا إذا قرأنا رسائل "سانت أرنو" وتقرير لجنة البحث البرلمانية سنة **1833**م. وكتاب "كريستيان" وكلام النائب المنصف "روجي" في مجلس الأمة جانفي**1834**م. وهؤلاء الأربعة كلهم

أُجريت لهم عملية التلقيح بمادة "الاستعمار" وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص، فلم يبق المعلم معلما علميا، ولا الطبيب طبيبا إنسانيا ولا الراهب أبا روحيا، ولا الجندي جنديا مسالما، وإنما جاؤوا في ركاب الاستعمار ليخدموه ويثبتوا أركانه، وبعد فهل تتسع الصدور لمناقشة هذه الكلمات الصريحة بكلمات صحيحة. (عيون البصائر عدد**103** سنة **1950**م)

لقد كان الإمام عبد الحميد بن باديس يؤمن إيمانا قويا بأن نهضة الجزائر من كبوتها، لن تكون إلا على سواعد شبابها فعمل على إعداده تعليما وتهذيبا بواسطة مساجد الوعظ و الإرشاد، ومدارس التربية و التعليم، و نوادي التثقيف والتوجيه، و جمعيات التكوين و التنظيم و الصحف والمجلات، لتحرير الوطن من أغلال الاحتلال والاضطهاد، مؤدا بالأسلحة الضرورية لتحقيق النصر، حيث يقول:

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصَّباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تحب

وقد طبق رجال ثورة نوفمبر الظافرة خطته المحكمة هذه بعد أربعة عشر عاما من وفاته – وهي تتمثل في:

★ سحق الظالمين المحتلين و أَذِقْ نفوس الظالمين بالسُّمَّ يُمزج بالرهب

★ استئصال جذور الخائنين الذين أعمتهم أنانيتهم عن واجبهم الوطني المقدس:

و قلع جُذور الخائنين فمنهم كلُّ العَطَب

★ تعبئة الجامدين حتى يكونوا للوطن لا مع أعدائه

و اهزُزْ نفُوس الجامدين فرُبَّمَا حيي الخشب

★ أن يكون الاستقلال وسيلة الى بناء مجتمع الكفاية و العدل:

وارفع منار العدل و الإحسان واصدم من غضب

وقد صدقت الأيام رأي إمامنا الحكيم، فإن الجزائر لم تنتزع استقلالها و حريتها، ولم تحقق سيادتها الكاملة إلا بتضحيات جسام، تتمثل في مليون و نصف المليون من الشهداء الأبرار – رحمهم الله.

فابن باديس خير نموذج يقتدي به شباب الجزائر في الحاضر و المستقبل، كما عبر عن ذلك شاعر النهضة الجزائرية الحديثة – محمد العيد آل خليفة – رحمه الله في منجاته لروح الإمام عبد الحميد بن باديس إذ يقول:

عبد الحميد لعلّ ذكرك خالدٌ ولعل نُزْلَكَ جنَّة و حريرٌ

ولعل غرسك في القرائح مثمر ولعل وريك للعقول منير

نم هادئا فالشعب بعدك راشد يختطُّ نهجك في الهدى و يسير

لا تخش ضيعة ما تركت لنا سُدى فالوارثون لما تركت كثير

ملاحظة:

هذه الأبيات الشعرية من مقطوعة ارتجلها الشاعر محمد العيد عندما وقف لأول مرة على قبر الإمام عبد الحميد بن باديس و قد نقشت على رخامة ضريحه – رحمه الله.

إن التحضير للنهوض بثورة التحرير كان يسير سيرًا عاديا، وهو تحضير روحي غير ظاهري فالأمر بالنسبة لجمعية العلماء كان عاديا و إصلاح المجتمع و محاربة الجهل و الأمية و الخمول وإصلاح المجتمع الجزائري ونوعية الشعب وتربية و تعليم الشباب يعني التهيؤ لثورة التحرير (تركي رابح 1984م)

و مدارس جمعية العلماء كانت عبارة عن ثكنات عسكرية يتهيأ فيها الشعب تهيؤا روحيا وهو أكبر سلاح يتسلح به الإنسان فالنهضة الفكرية قد هيأت الأمور بكل هدوء و الشعب كان يتسلح تسلحاً روحيا بمعرفة دينه اليقين و تاريخه المجيد و إذا صححت العقيدة انبعث الجهاد و هي القاعدة الصلبة التي لا تعرف الخمول و هكذا كانت التهيئة الروحية على يد جمعية العلماء، في أواخر الأربعينيات و بداية الخمسينيات تحول الأمر من نهضة فكرية الى حركة تحريرية فأصبح مفهوم التحرير على عاتق الحركة السياسية بعدما تهيأت مسألة التحرير على يد النهضة الفكرية أحسن تهيئة، فراحت الحركة التحريرية تحمل الرسالة على عاتقها ووجد الشعب أمامه أرضية خصبة مهيأة للجهاد، وصار المناضلون يعملون بنية خالصة وعملوا بما أمر الله به جل جلاله، " اعملوا فسيرى الله عملكم"، وهكذا كانت نية المخلصين فثبت الله خطاهم وهداهم لنصر مبين، فكانت نية الشعب تصبوا للتحرير و النهضة الفكرية قد هيأت لهم هذه الأرضية و التقت الروح الطاهرة بالعمل الجليل و تحقيق النصر المبين الذي أذهل قوة الطاغين و تركهم في أسفل السافلين، فهذا الحدث كان علامة من علامات انهيار عهد الانحطاط على يد فطاحل الجهاد في أرض الجزائر الحبيبة.

فالنهضة الفكرية يوم ما شكلت جمعية العلماء عمل لتعليم أبناء الشعب، تعلمه دينه و لغته وتاريخه المجيد،لينهض و يتحرر من قيود الاستعمار، هذه النهضة كانت قائمة على أسس سليمة ومتينة و مآلها النصر المبين، إذ قامت على تاريخ راسخ منبعث من الحضارة الإسلامية على خط العلماء المصلحين الذين أضاءوا العالم بفكرهم الوقاد وعلى هذا المنهج قامت مجهودات جمعية العلماء المسامين الجزائريين لبناء نهضة فكرية لتعيد المجد العظيم و تزيح عنه الخمول وترشد الأمة للعهد الذي كان عليه سلفها الصالح، عهد القيم العظيمة التي قامت عليها النهضة الفكرية بقيادة رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

إن الثورة الجزائرية هي معجزة العصر، و الذين أحسنوا صنع هذه العظمة هم أعلام الفكر ورواد النهضة، نهضة العصر من السبات و الركود الذي أصاب القيادة الإسلامية، فهؤلاء الأعلام هم رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والنهضة معناها النهوض من الركود الذي باتت عليه الحضارة الإسلامية، هذه الحضارة التي بعثت العلم الذي ظل خالداً لن يخمد نوره أبداً.(عيون البصائر 1963)

و أساس الحضارة هي المدرسة و هذا الذي شرعت فيه النهضة الفكرية في الجزائر وهو إرساء أساس المدرسة المتين على يد رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فكان على جمعية العلماء أن تنهض في وجه الاحتلال، وبدأت النهضة الفكرية تحضر لتكوين القوة الروحية لكي تبعث بالقوة المسلحة.

يقول أبو القاسم سعد الله: (وقد روي لي شخصياً سنة 1989م بقمار الشيخ حمزة بوكوشة، أن الشيخ ابن باديس نصحهم بإتباع حزب مصالي إذا انهزمت فرنسا و وقع له هو مكروه). و عندما اندلعت الثورة في أول نوفمبر 1954م أصبح رجال الجمعية وسيلة ناجعة لأداء مهمة الثورة في الاتصال بجميع أجزاء الوطن.

وفي جانفي 1956م أعلن المجلس الإداري للجمعية قراره التاريخي بالتأييد الصريح للكفاح المسلح و الانضمام العلني والرسمي لجبهة التحرير الوطني (أبو القاسم سعد الله 2005)

إن بعد أشهر عديدة من اندلاع الثورة أي في مايو 1956م، قام الطلبة الجزائريين بالإضراب الطلابي المشهور الذي توقف فيه الطلاب الجزائريون بالمدارس و الجامعات الفرنسية عن الدراسة و الالتحاق بالثورة، بينما نجد طلاب المدارس الشعبية العربية و الزيتونة و القرويين و حفظة القرآن وعلى رأسهم طلبة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة و طلبة دار الحديث بتلمسان، قد التحقوا بجيش التحرير الوطني منذ انطلاق الثورة، وكوّنوا إطاراته الذي كان جنوده من الفلاحين، وتشاء الأقدار أن يلتحق بالقاهرة هؤلاء الطلبة المضربون الذين وجد بعضهم في المهرجان المذكور أعلاه وأن يترأسوا اتحاد الطلبة الجزائريين و يكونوا إطارات الحكومة المؤقتة

(عثمان سعدي 2007)

نداء جمعية العلماء الى الثورة

كانت جمعية العلماء قد وجدت نفسها وجه لوجه مع الوضع الجديد صبيحة الاثنين من الفاتح نوفمبر 1954م.

يقول الفضيل الورتلاني في افتتاحية البصائر الصادرة يوم 05 نوفمبر 1954م:

« إننا الى حد الساعة لا نملك التفاصيل المقنعة عن هذه الحوادث و أسبابها وليس بين أيدينا إلا ما تناقلته الصحف وشركات الأخبار ». (الفضيل الورتلاني – 2004)

ولهذا الرأي نلاحظ الارتباك الذي لف أعضاء جمعية العلماء للوهلة الأولى رغم أنه لم يصدر موقف رسمي عن القيادة في هذه الفترة وهذا ما أدى الى تشكيك البعض في موقف الجمعية و الطعن فيه وكثرة الأقاويل والتأويلات.

بعد مرور أيام أعلنت جمعية العلماء موقفها الرسمي بمساندة الثورة و دعوة الشعب الى تلبية نداء جبهة التحرير الوطني، حيث وقع 300 معلم من معلمي الجمعية ببيان للمساندة ،وفي 08 نوفمبر 1954م صدر بيان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من القاهرة دعا فيه الى الالتفاف حول الثورة. (عيمن البصائر 1963)

وفي المؤتمر الصحفي المشترك بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و فرحات عباس الذي اعقد بالقاهرة يوم 25 أفريل 1956م أعلن فرحات عباس عن انضمامه هو و قائد جمعية العلماء الى جبهة التحرير الوطني ومطالبتهم بضرورة الحصول على الاستقلال، الأمر الذي كان له أثره البالغ على السلطات الاستعمارية واعتبرته لطمة قوية وجهت لسياستها بالجزائر، ويعتبر هذا الأمر نصراً عزيزاً للثورة الجزائرية وقيادتها.(فتحي ديب 1984م)

إن الجمعية مهدت الأرض لانطلاق الثورة، وذلك بجهودها في التعليم ونشر اللغة العربية، و إيقاظ الجزائريين في كل مكان، و التصدي بحزم لكل ما من شأنه تدمير الوجود المستقل للجزائر، و يكفي أن نقول في هذا الصدد أن 70 ألف طالب كانوا قد يتخرجون من مدارس الجمعية، وكانوا هم قيادات الثورة و عناصرها النشيطة.(أبو الصفصاف عبد الكريم 1983م)

قد جند مكتب جبهة التحرير الوطني بالقاهرة عددا كبيرا من الطلبة الجزائريين المتطوعين سنة 1955– للإلتحاق بالثورة المسلحة. (أبو القاسم سعد الله **2007)**

إن جمعية العلماء هي التي أخرجت الجزائر من عزلتها الثقافية و أعادت ربطها بالأمة الإسلامية و حطمت المقولات التي خلقها الاستعمار وعمدت غلى إحياء اللغة العربية و التاريخ الوطني و طهرت الإسلام من الشوائب التي علقت بهو وحدت الشعب الجزائري تحت راية الإسلام،وأحبطت حركة الاندماجيين الرامية الى ربط الجزائر بفرنسا بواسطة جنسية المستعمر ولغته، وكونت الإطارات المخلصة التي فجرت ثورة 1954م.(د– أبو الصفصاف عبد الكريم 1983م)

و يصف الدكتور محمود قاسم في كتابه " الإمام عبد الحميد بن باديس " بأنه الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ويقول شاعر الثورة الجزائرية – مفدي زكريا – بمناسبة افتتاح دار الطلبة بقسنطينة في أكتوبر 1953م.

جمعية العلماء المسلمين و من للمسلمين سواك اليوم منشود

خاب الرجا في سواك اليوم فاضطلعي بالعبء مُذفرّ دجال و رعديد

أمانة الشعب شُدت بعاتقكم فما لغيركم تُلقى المقاليد

سيروا ولا تهنوا فالشعب يرقبكم و جاهدوا فلواء النصر معقود

1- الثورة في خطاب جمعية العلماء

لم تختر جمعية العلماء المجال السياسي في نضالها، بل كان مشروعها يقوم على هدف عظيم، وهو السعي نحو بناء جيل جديد، يؤمن بانتمائه الحضاري، و يجتهد انطلاقا من محتوى هذا الانتماء الى تحرير بلاده من الاستعمار.

ويقول ابن باديس في هذا الصدد:

«و الآن أيها العلماء قد شاء الله أن يهيئكم و يدخركم لهذه الظروف، لتتحملوا مسئوليتكم بكل شجاعة وتضحية، و أن يومكم هذا لشبيه بذلك اليوم الذي وقف فيه البطل المجاهد – طارق بن زياد – خطيبا في جيش المجاهدين على ربوة جبل طارق بعد أن أحرق سفنهم التي حملتهم الى الجهاد في الأندلس و قال مقولته الشهيرة: (أيها الناس أين المفر؟ البحر من وراءكم والعدو من أمامكم وليس لكم غير الموت أو النصر) و يضيف ابن باديس قائلا: أنا أقول لكم في هذا اليوم، لم يبق لنا إلا أحد الأمرين لا ثلث لهما، إما الموت أو الشهادة في سبيل الله منتظرين النصر الذي وعد الله عباده المؤمنين، أو الاستسلام أمام الأعداء فتكون النتيجة ما جرى ببلاد الأندلس.»

ويقول أيضا: «أنا أحارب الاستعمار لأني أُعلّم و أُهذب، فمتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض أجدبت على الاستعمار

و شعر في النهاية بسوء المصير».

و في كلمة صريحة يقول ابن باديس:

«إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا و قد استقلت أمم كانت دوننا في القوة و العلم والحضارة.... وستصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر».

ونقل عنه أنه قال مرة بصريح العبارة كلمة تدعوا الى الثورة وهي: " و الله لو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائرية يوافقوني على إعلان الثورة لأعلنتها ".

إن هذه العبارة تبرز فكرة الثورة في خطاب جمعية العلماء، بل هناك نصوص أقوى وأكثر وضوحا في إبراز فكرة الثورة.

وعندما قامت ثورة التحرير كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أول من احتضنها و أيدها، ذلك أن الشيخ كان قد تنبأ بهذه الثورة بعد أحداث 08 مايو 1945م عندما قال " إنها ثورة ستعقبها ثورة "

وقال في خطاب ألقاه في باريس بمناسبة نيل ليبيا استقلالها في 1951م

" إن الجزائر ستقوم قريبا بما يدهشكم من تضحيات و بطولات في سبيل نيل استقلالها، و أبرز شخصيتها العربية الإسلامية –نقله ممثل العراق لدى الأمم المتحدة–

وفي اليوم الثاني من اندلاع الثورة أصدر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي و الفضيل الورتلاني بيانا يوضح موقف الجمعية من ثورة الشعب الجزائري يوم 02 نوفمبر 1954م بالقاهرة بعنوان "**هلموا الى الثورة** "

" الى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر اليوم حياة أو موت" وفي 15 نوفمبر صدر بيان عنوانه نداء الى الشعب الجزائري المجاهد

دور جمعية العلماء في التعريف بثورة الجزائر في العالم الإسلامي

خرج الشيخ الإبراهيمي من الجزائر عام 1952م قبل انطلق الثورة بسنتين حاملا على كاهله قضية بلاده، وكلما حط الرحال ببلاد إلا وقضية الجزائر همه الأول، فلا يتحدث إلا عن وضع الجزائر معرفاً و شارحاً و مبيناً حقيقة الاستعمار الفرنسي و ما فعله في هذا البلاد، و مبشراً بثورة الشعب الجزائري التي دوخت العالم و أعطت مثالا متفرداً في مقاومة المحتل الغاصب، فكانت رحلة الشيخ رحلة موفقة فقد تعرف العالم العربي و الإسلامي عن ثورة الشعب الجزائري، فما كادت أول رصاصة تطلق حتى هب الوطن العربي و العالم الإسلامي يساندها و يؤيدها متأكداً من استمرارها وانتصارها بفضل ما عرف عن الجزائر و الجزائريين من صمود و تصميم، و قد تولى بيان ذلك وتوضيحه الشيخ الإبراهيمي الذي كان بحق يُعد للثورة، و يُمهِّدُ و يهيئ لها الأسباب.

فلم يترك فرصة إلاّ و عرّف بقضية الجزائر، ففي القاهرة التي كانت قبلة حركات التحرير الوطني، كان للشيخ نشاطا ملحوظا سواء في مكتب جمعية العلماء أو في الجهات التي كانت تنشط في تلك الفترة التاريخية، كجمعية الشبان المسلمين، وقبل ذلك في حركة الإخوان المسلمين و مكتب المغرب العربي، ومن مصر سافر الشيخ الى أقطار العالم الإسلامي كبغداد و الشام و الحجاز وباكستان، وقد كان يتواصل مع الشخصيات الثورية التي كانت تقيم في مصر من أجل توحيد الجهود، و دعم الثورة في الداخل و الخارج كما كان على اتصال دائم برجال الجمعية في الجزائر، ومع كل هذا النشاط كان الشيخ يردد قائلا: «وقد فعلت ما أوجبه الله عليّ، على عجزي و بُعدي، والله لو كنت أستطيع حمل السلاح لما بقيت هنا لحظة، و منذ قامت الثورة و أنا أتقلى على الجمر، و أبذل كل جهدي من طرق خاصة في إعطاء الرأي و تحريض المؤمنين على القتال ».أثار الشيخ الإبراهيمي ج1

ولقد انخرط أعضاء الجمعية في الخارج جانبا الى جانب مع إخوانهم، أما في الداخل فما إن اندلعت الثورة حتى راح طلبة معهد ابن باديس يلتحقون بصفوف الجهاد باذلين الأرواح الزكية من أجل الوطن، بينما أساتذة المعهد و معلمو المدارس الحرة قد انخرطوا في الخلايا السرية لجبهة التحرير الوطني، و في صفوف جيش التحرير الوطني، وقد تجاوز عددهم 300 فرداً. (أثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1 1997)

ومن بين الشهداء العلماء نذكر الإمام الشيخ العربي التبسي رئيس الجمعية بالنيابة، و الأمين العمودي الأمين العام السابق للجمعية، رضا حوحو الكاتب العام لمعهد ابن باديس، و محمد العدوي والشاعرين عبد الكريم العقون و الربيع بوشامة، والشيخ العربي شريف و غيرهم كثيرون بذلوا دماء سخية في سبيل حرية الجزائر و كرامتها و استعادة هويتها العربية الإسلامية كاملة غير منقوصة.

و هكذا فإن الجمعية قد أدت مهمتها التي فرضها الله و الوطن عليها في الإطار العام للحركة الوطنية الجزائرية قبل الثورة المسلحة و أثناءها، وهي الآن مازالت قائمة توصل رسالتها نحوى الإسلام الهادي الى سواء السبيل في كل عصر وفي كل مصر.

بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 15 نوفمبر 1954م:

بسم الله الرحمان الرحيم

أيها المسلمون الجزائريون

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

حياكم الله و أحياكم، و أحيا بكم الجزائر، و جعل منكم نورا يمشي من بين يديها ومن خلفها، هذا هو الصوت الذي يسمع الآذان الصم، و هذا هو الدواء الذي يفتح الأعين المغمضة، وهذه هي اللغة التي تنفذ معانيها الى الأذهان البليدة، وهذا هو المنطلق الذي يقوم القلوب الغلف، و هذا هو الشعاع الذي يخترق الحجب و الأوهام.

كان العالم يسمع ببلايا الاستعمار الفرنسي لدياركم، فيعجب كيف لم تثوروا، و كان يسمع أنينكم و توجعكم منه، فيعجب كيف تؤثرون هذا الموت البطيء على الموت العاجل المريح، و كانت فرنسا تسوق شبابكم الى المجازر البشرية في الحروب الاستعمارية، فتموت عشرات الآلاف منكم في غير شرف و لا محمدة، بل في سبيل فرنسا، و توسيع ممالكها، وحماية ديارها، و لو أن تلك العشرات من الآلاف من أبنائنا ماتوا في سبيل الجزائر، لماتوا شهداء، و كنتم بهم سعداء.

أيها الإخوة الجزائريون.

اذكروا غدر الاستعمار و مماطلته.

احتلت فرنسا وطنكم منذ قرن و ربع قرن، وشهد لكم التاريخ بأنكم قاومتموها مقاومة الأبطال، وثرتم عليها مجتمعين و متفرقين نصف هذه المدة، فما رعت في حربها لكم دينا ولا عهدا، ولا قانونا ولا إنسانية، بل ارتكبت كل الأساليب الوحشية من تقتيل النساء و الأطفال و المرضى، و تحريق القبائل كاملة، بديارها و حيواناتها و أقواتها، ثم حاربتم معها وفي صفها، وفي سبيل بقائها نصف هذه المدة، ففتحت بأبنائكم الأوطان و قهرت بهم أعداءها، و حمت بهم وطنها الأصلي، فما رعت لكم جميلا، ولا كافأتكم بجميل، بل كانت تنتصر بكم ثم تخذلكم، و تحيا بأبنائكم ثم تقتلكم كما وقع لكم معها في شهر مايو سنة 1945م، وما كانت قيمة أبنائكم الذين ماتوا في سبيلها و جلبوا لها النصر، إلا أنها نقشت أسماء بعضهم في الأنصاب التذكارية، فهل هذا هو الجزاء؟

طالبتموها بلسان الحق و العدل و القانون و الإنسانية من أربعين سنة، بأن ترفق بكم و تنفس عنكم الخناق قليلا، ثم طلبتموها بأن ترد عليكم بعض حقوقكم الآدمية، فما رضيت ثم طالبتموها بحقكم الطبيعي، يقركم عليه كل إنسان، وهو إرجاع أوقافكم و معابدكم و جميع متعلقات دينكم، فأغلقت أذانها في إصرار و عتو، ثم ساومتموها على حقوقكم السياسية بدماء أبنائكم الغالية التي سالت في سبيل نصرها فعميت عيونها عن هذا الحق الذي يقرره حتى دستورها، ثم هي في هذه المراحل كلها سائرة في معاملتكم من فظيع الى أفظع.

أيها الإخوة الجزائريون الأبطال

لم تبق لكم فرنسا شيئا تخافون عليه أو تدارونها لأجله، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها؟ أم تخافون على الحرمة و قد استباحتها، لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض و خيراتها وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا، أسعدكم من يعمل فيها رقيقا زراعيا يباع معها و يشترى، وحظكم من خيرات بلادكم النضر بالعين و الحسرة في النفس، أم تخافون على القصور و تسعة أعشاركم يأوون الى الغيران كالحشرات و الزواحف؟ أم تخافون على الدين، ويا ويلكم من الدين الذي لم تجاهدوا في سبيله، ويا ويل فرنسا من الإسلام، ابتلعت أوقافه و هدمت مساجده و أذلت رجاله و استعبدت أهله و محت آثاره من الأرض، و هي تجهدفي محو آثاره من النفوس.

أيها الإخوة المسلمون

إن التراجع معناه الفناء، إن فرنسا لم تبق لكم دينا ولا دنيا، وكل إنسان في هذا الوجود البشري، إنما يعيش لدين و يحيا بدنيا، فإذا فقدهما فبطن الأرض خير له من ظهرها، و إنها سارت بكم من دركة الى دركة، حتى أصبحت تتحكم في عقائدكم و شعائركم و ضمائركم، فالصلاة على هواها لا على هواكم، والحج بيدها لا بيدكم، و الصوم برؤيتها لا برؤيتكم، وقد قرأتم و سمعتم من رجالها المسؤولين عزمها عن الحدث (إسلام جزائري) و معناه إسلام مسموح، مقطوع الصلة بمنبعه في الشرق و بأهله من الشرقيين.

إن الرضي بسلب الأموال، قد ينافي الهمة و الرجولة، أما الرضي بسلب الدين و الاعتداء عليه فإنه يخالف الدين، و الرضي به كفر بالله و تعطيل للقرآن، إنكم في نظر العالم العاقل المنصف لم تثوروا، و إنما أثارتكم فرنسا بظلمها الشنيع و عتوها الباغي، و استعبادها الفظيع لكم قرنا و ربع القرن، و امتهانها لشرفكم و كرمتكم و تعديها المربع على مقدساتكم.

إن أقل القليل مما وقع على رؤوسكم من بلاء الاستعمار الفرنسي يوجب عليكم الثورة عليه من زمان بعيد، و لكنكم صبرتم، و رجوتم من الصخرة أن تلين، فطمعتم في المحال، و قد قمتم الآن قومة المسلم الحر الأبي فنعيذكم بالله و بالإسلام أن تتراجعوا أو تنكصوا على أعقابكم، إن التراجع معناه الفناء الأبدي و الذل السرمدي.

إن شريعة فرنسا أنها تأخذ البريء بذنب المجرم، و أنها تنظر إليكم مسالمين أو ثائرين نظرة واحدة، و هي أنها عدو لكم و أنكم عدو لها، و والله لو سألتموها ألف سنة لما تغيرت نظريتها العدائية لكم، و هي بذلك مصممة على محوكم ومحو دينكم و عروبتكم و جميع مقوماتكم.

إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شر من الموت.

إنكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة فاملئوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة و الإسلام فيكم.

ما كان لمسلم أن يخاف الموت، وهو يعلم أنها كتاب مؤجل، وما كان للمسلم أن يبخل بماله أو مهجته في سبيل الله والانتصار لدينه، وهو يعلم أنها قربة الى الله، وما كان أن يرضى الدنية في دينه إذا راضيها في دنياه، أخلصوا العمل وأخلصوا بصائركم في الله، واذكروا دائما وفي جميع أعمالكم ما دعاكم إليه القرآن من الصبر في سبيل الحق، و من بذل المهج و الأموال في سبيل الدين، واذكروا قبل ذلك كله قول الله:

«انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون». التوبة 41

فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مُبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني و قوله تعالى:«ومن لم يطعمه فإنه مِنِي إلا من اغترف غُرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو و الذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت و جُنُوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله و الله مع الصابرين ». البقرة 249

أيها الإخوة الأحرار هلموا الى الكفاح المسلح

إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، و ذكرنا فضائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا و احتقرنا المسلمين، و خجلنا من الله أن يرانا و يراهم مقصرين في

الجهاد لإعلاء كلمته ، و كلما استعضنا الوجبات وجدنا أوجبها و ألزمها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب،و يدفع عنا و عن ديننا العار، فسيروا على بركة الله و بعونه و توفيقه الى ميدان الكفاح المسلح فهو السبيل الواحد الى إحدى الحسنيين، إما موت وراءه جنة و إما حياة وراءها العزة و الكرامة.

والسلام عليكم ورحمة الله و براكاته.

عن مكتب جمعية العلماء الجزائريين بالقاهرة – محمد البشير الإبراهيمي، الفضيل الورتلاني القاهرة 15 نوفمبر 1954م.

- وعليه فإن بيان أول نوفمبر يعتبر اول نجاح معنوي كبير للثورة الجزائرية، اذ سمح ذا البيان من تقديم مشروع عمل هام وحد الجزائريين وألهمهم آفاق معنوية عالية وهي للاستقلال والحرية أو الاستشهاد في سبيل الله والوطن.
- ان النهاية في كل الحالات تعتبر مشرفة وذات معنى نفسي وثقافي هام جدا بالنسبة للجزائريين وهو الوصول الى العيش في الحرية أو الاستشهاد في سبيل الله والوطن.
- **مضايقة العلماء و سجنهم:**

يقول الشيخ أحمد حماني: و كان أول معتقل منا هو الشيخ أحمد رضا حوحو ذهب به الشرطة و بقي عندهم نحو 24 ساعة، ثم رجع إلينا يقص علينا الأهوال – وفي يوم 30 مارس 1956م أعدم المجرم (سان مار سيلي) الكورسي مدير الشرطة بالقسم الثاني وهو مستغرب برع في مقاومة الجريمة فاغتر و استهان برجال الثورة و عاملهم معاملة محترفي الجريمة و أظهر استخفافا كبيرا بشأنهم متعاليا مفتخر. وبينما هو في صبيحة يوم الخميس 30 مارس بقرب جامع الأخضر – في الجزارين – تقدم منه فدائي صغير وصرعه برصاصة واحدة و أفلت. هاج قومه من (الكورس) و ماجو وحصرت البلاد و جمعوا ما استطاعوا و ساقوهم الى حي الكدية و بلغ عددهم الآلاف و دامت حالهم هذه حتى الصباح ثم اعتقلوا بعض أعيان المدينة منهم الأديب أحمد رضا حوحو و الشاب محمد الطاهر العجابي، و الحاج رابح بوشريط، والحاج إسماعيل بوعلاق، وعددهم 13 فأعدموهم، وكانوا عازمين أن يعدموا 50 شخصا، كما كان يفعل الألمان فيهم كما يقال المشايخ العربي التبسي و مزهودي، و أحمد بوشمال، وأحمد حماني، ولكن الوالي كان اشتراكيا ناقشهم في القائمة و أقنعهم بالاكتفاء بمن ألقوا عليهم القبض داخل المدينة و أغلقت الدراسة في المعهد إثر هذا الحدث.

كانت دار الطلبة التابعة للمعهد من معاقل الثورة (أحمد حماني 1984) بها ينزل رسلها الى الولايات في ذهابهم إليها و رواحهم منها كالشهيد عمارة رشيد رحمه الله، وقد تولى المسؤولية الأولى في الاتصال الأخ الأستاذ إبراهيم مزهودي (بعد انقطاعه لمدة عام تقريبا)، كما شهد بذلك العقيد ابن طبال ثم اكتشف أمره فتجند و استخلف من بعده الأستاذ مصطفى بوغابة فقام بأعبائها حتى اكتشف و كاد يقع في يد الشرطة لولا يقظة و شجاعة الشهيد أحمد بوشمال رحمه

الله، ثم استخلف من بعده المرحوم الطاهر سعدي حتى جويلية 1957م ثم هاجر الى تونس و استخلف من بعده الأستاذ الصادق مخلوف. و أثناء هذه الفترة يقول " أحمد حماني " كنا قد نظمنا الاتصال بين الولايات و عينا للجبهة في كل مدينة مسؤولا تعتمد عليه من عنابة الى الجزائر العاصمة.

دور علماء الجمعية في السجن

و أثناء محنة السجن لم نتخل عن الواجب المقدس، فكان لنا في سجن الكدية بقسنطينة وقد مكثنا فيه 15 شهرا تلاميذ أما في سجن تازولت المركزي الرهيب، فإن الأوامر الواردة من جبهة و جيش التحرير صريحة في وجوب مواصلة التعليم و التعلم. (أحمد حماني 1984م)

- و يقول الشيخ أحمد حماني «و لأول مرة دخلت فناء المسجونين الواسع تقدم مني شاب مهذب هو الأخ فتحي كاهية و رحب بي، و سألني هل أنا فلان؟ ثم قال لي: متى تبتدئ التعليم؟ قلت أي تعليم؟ فقال: الأوامر التي عندنا من الجبهة واضحة على كل مناضل مثقف داخل السجن أن يعلم إخوانه، فإن لم يكن مثقفا فعليه أن يتعلم،
- و أنا أعلم إخواني دروس الفرنسية و تعلم العربية ». (نفس المرجع)
- وكان في سجن تازولت ثلاثة إخوان من العلماء: الشيخ أحمد بوزيدي خريج القرويين و تلميذ الإبراهيمي رحمه الله، والشيخ محمود عيسى البابي خريج جامعة العراق وكليتها العسكرية، و رفيقي في القضية الشيخ الصادق مخلوف المتخرج من الزيتونة، فقررنا تنظيم التعليم في السجن كله بحيث لا نقتصر فيه على رفع الأمية، بل نجعله برنامجا تثقيفيا كاملا يشمل فنون العربية من نحو و صرف و إنشاء و بلاغة و لغة، و علوم الدين من توحيد، و فقه

و قرآن و حديث و سيرة و رياضيات من حساب وهندسة و جغرافيا و تاريخ و أشياء (علوم). وفرزنا الطلبة فجعلناهم أقساما و سنوات و استطعنا أن نُكوّن قسما تكميليا (المتوسط) اشتركنا كلنا في تعليمه، وساعدنا على هذا التنظيم التحسن الطارئ على المساجين و معاملتهم سنة 1959م، ثم استطعنا أن نستورد الكتب حتى من تونس طلبناها من وزارتنا للتربية – وكان يتولاها الأخ عبد الحميد مهري عضو اللجنة المركزية – بواسطة الشيخ محمد كحلوش بحيلة جازت على السجانين، كما أن إدارة السجون أسعفتنا بإنشاء مكتبة للمطالعة اخترنا كثيرا من كتبها (أحمد حماني 1984م)

- و يضيف – و لا ندري من دفع ثمنها أهو الهلال الأحمر ؟ و أخيرا كوّنا سنة 1961م مجلة سميناها (صوت السجين) – وكان الأستاذ الصادق مخلوف يكتبها بخطه ونسحبها، إن هذا التعليم المنظم المستمر تقريبا من ثلاث سنوات، قد أعطى بعض ثماره اليانعة، فقد كنا نجري امتحانات منظمة، ونعقد اجتماعات اسبوعية يخطب فيها التلاميذ و يعرضون مقدرتهم الإنشائية، و قد أصبح كثير منهم يتقنون العربية فهماً و إنشاء و محادثة و إلقاء، أذكر من هؤلاء الأخ المجاهد عبد الله فاضل – وزير الشبيبة و الرياضة سابقا – و الأخ المجاهد فرحات

بلمان بمنظمة الجاهدين و السادة الأستاذ حمدان بن طبال، و رابح زدام، والأخضر فدوح، .....الخ. و كل منهم تابع الدراسة من بعد الاستقلال و حصل على شهادة الليسانس، واندمجوا في سلك التربية و التعليم معلمون أكفاء أو مفتشون.

- لم نكن وحدنا الذين صنعنا هذا في سجن تازولت الرهيب، و لكن هناك من العلماء المناضلين، كانوا في جميع المعتقلات و السجون يؤدون مثل هذا أو خيراً منه لإمكانياتهم في المعتقلات أحسن من كنا عليه في الزنزانات.

(أحمد حماني 1984م)

- جاء في مذكرات محمد الصالح بن عتيق عن " الشيوخ " الذين التقوا في سجن واحد أحيانا هم: عبد القادر الباجوري، و علي بن سعد، و السعيد صالحي، و محمد الشبوكي، و أحمد سحنون، والجيلالي الفارسي، و حمزة بوكوشة، و مصباح الحويذق، و جميعهم بارزون في جمعية العلماء، وبينهم الأديب و الشاعر و الخطيب و الواعظ ..... كان ذلك سنوات 1956م / 1959م. وقد ذكر الشيخ بن عتيق أن هناك شخصيات أخرى سياسية و علمية مثل: دكتور رابح كربوس، د- أحمد عرون
- د- ابن خليل، د- بوعياد، و د- جناس، د- ابن عربية، د- ماطي (المعطي)، د- بلوزداد، واليد محمود زرطالو المحامي ابن تومي، واليد بن ملحة، و أحمد خطاب، و علاوة السعيد، و محمد بن تفنة، وعبد القادر عابد، و علي يحياوي، و سعيد ماموش، و العربي رولة، الى جانب هؤلاء مجموعة من طلبة الزوايا – قال أنهم كانوا تحت التعذيب يصرخون و هم يعذبون بالماء و الكهرباء، و قطع الأظافر، فكان صراخهم تقشعر منه الأبدان و قد فكروا في الهروب عبر قناة و كانوا على اتصال بالمجاهدين.
- و كلما تقدم قطار الثورة اشتدت السلطات الفرنسية في القمع و استعمال وسائل التعذيب للحصول على الأخبار، وسرعان ما بدأت تكتشف الفظائع التي كان يستعملها رجال متخصصون في التعذيب الذي طبق على الشيوخ و الطلبة والشباب ، بل حتى على النساء و الأطفال.
- وقد صودرت عدة كتب تنعي على " زبانية " الإدارة استعمالهم الوسائل المحرمة، ولكن الضمير العالمي ومنظمات حقوق الإنسان عندئذ كانت في غيبوبة، و كان ما كان يمارس في الجزائر لا يجري على الأرض بل في كوكب أخر، و كانت الأخبار التي لا تكاد تصدق تتسرب من بعض أفراد الجيش الفرنسي الهاربين أو المسرحين و منهم أفراد فروا من فرقة اللفيف الأجنبي، و من الذين استيقظت ضمائرهم من رجال الكتيبة وبعض السياسيين الذين كانوا يريدون أن يحتفظوا لهم بمكانة في المجتمع و السياسة، و بعض المثقفين الذين دفعهم وخز الضمير الإنساني الى التصريح و الاستنكار.
- كيف يعذب الفرنسيون المثقفين و غير المثقفين في المعتقلات التي أقاموها لهم، أما المثقف فقد كان يدعى الى التعاون معهم و البحث له عن مبررات، وبذلك يصبح مجبرا على أداء أحد دورين: 1- التخلي عن الوطنية

ومهاجمة قناعته الفكرية و يكون المطلوب منه التحدث " بحرية " مع المعارضين للوطنية وتقديم أبحاث عن انجازات فرنسا و فضائل الاستعمار، وفي هذه الحالة يحيطونه بضباط الشؤون الأهلية (المخابرات) والنفسانيين المختصين. 2- أما الدور الثاني فهو مساءلة أطروحة الثورة و التنكر لوجود أمة جزائرية أو شعب جزائري و التنكر للوطنية، ومن ثمة يصبح الثوار أناسا مجرمون في نظره.

- بذلك يصبح المثقف أداة في يد السلطة الاستعمارية تستعملها لصالحها و يصبح المثقفون ممثلين مسرحيين بطريقة مقنعة، كما على المثقف في هذه الحالة أن يبرهن بأبحاثه على طريقة مقنعة أيضا و هو لا يترك وحدثه هـ بل يكون محاطا بالمستشارين الذين يعطونه نقاط على أبحاثه و أهميته و لا يترك وحده في عزلة بل يكون دائما في جماعة و قد يعدونه بالخروج إذا أحسن التعامل معهم، و لكنه يوجه وخز الضمير و نظرة الآخرين إليه.
- محاربة فرنسا لشيوخ الجمعية و ملاحقتهم و سجنهم
- الشيخ عبد القادر الياجوري الذي كان من أولئك العلماء الذين جمعوا بين الولاء للعلم و التربية وبين الإخلاص للفكر السياسي العملي الذي يخوض صاحبه غامرات المواجهة ضد خصمه مع تحمله في سبيل هدفه الشريف كل البلايا والمحن، وذلك هو نموذج ابن تيمية و جمال الدين الأفغاني و محمد عبده. (سعد الله أبو القاسم 2007)
- إن الجمعية مهدت الأرض لانطلاق الثورة، وذلك بجهودها في التعليم ونشر اللغة العربية، وإيقاظ الجزائريين في كل مكان، والتصدي بحزم لكل ما من شأنه تدمير الوجود المستقل للجزائر.
- إن جمعية العلماء هي التي أخرجت الجزائر من عزلتها الثقافية، وأعادت ربطها بالأمة الإسلامية، وعمدت على إحياء اللغة العربية والتاريخ الوطني وطهرت الإسلام من الشوائب التي عُلّقت به، ووحدت الشعب الجزائري تحت راية الإسلام. وأحبطت حركة الاندماجيين الرامية إلى ربط الجزائر بفرنسا بواسطة جنسية المستعمر ولغته، وكونت الإطارات المخلصة. وإن أكثر من سبعين ألف طالب من مدارس الجمعية التحقوا بالثورة وكانوا هم بالتحديد قيادات الثورة وعناصرها النشطة التي فجرت ثورة 1954 المظفرة.

ملاحظة : أنظر ملحق 10 يحمل أسماء طلبة الجمعية – أعضاء في جيش التحرير الوطني 1955

استنتاج

عـام

استنتـاج عــام

تمهيد: إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي تبنت منهج التربية و التعليم و الإصلاح الديني و الاجتماعي أدركت أن أهدافها الإصلاحية في هذه المجالات، مرتبطةّ ، بإصلاح علمي و تربوي ، و ذلك من خلال إحداث نهضة فكرية و ثقافية شاملة في المجتمع الجزائري حتى تتحقق وحدة الإصلاح في شموليته و أهدافه .

و يرجع اهتمام بمسألة الإصلاح التربوي و العلمي، إلى إدراك علمائها بمدى خطورة المشروع الثقافي الاستعماري الفرنسي، الذي استهدف ضرب الشعب الجزائري في مقوماتـه و قيمه القوميــة و الوطنيـة. بوسائل و أساليب مختلفة ، مثل التجهيل و التفقير ، بغرض إفراغــه من محتواه الثقافي و التــربوي و الأخلاقي ، و مكوناته الحضارية ، ثم بث الفوضى في أرجائه ، فيصير بذلك مجرد كتلة بشرية خالية تماما من روح المقاومة الثقافية و الحضارية ، و التي هي أساس الكفاح السياسي العسكري ، و بهـذا يتيسر للمشروع الاستعماري ، تحقيق أهدافه في الفرنسة (اللغة ، القيم، الأخلاق، الثقافة ....الخ)،و التنصير والتجنيس و الدمج الشامل .

ولقد رأت جمعية العلماء في هذا المشروع الاستعماري، تهديدا خطيرا، على مستقبل الشعب الجزائري و وجوده ككيان قومي بملاحمه الحضارية المتميزة. وهذا ما جعلها تباشر عملية الإصلاح العلمـي و التربوي لمواجهة هذا المشروع، بنفس السلاح الثقافي و التربوي، و لكنه مضاد له كلية في أهدافـه، ولعل هذا هو السبب في الصراع بين جمعية العلماء والمخططات سياسة الاستعمار الفرنسي رغم كونها لم تكن جمعية سياسية.

غير أن السؤال الذي يجب طرحه في هذا المجال هو: ما موقع الإصــلاح التربوي و العلمــي من إستراتيجية الإصلاح العام عند جمعية العلماء ؟ .. ثم ما هي المتغيرات التي تحكمت في تحديد المضمون التربوي، و تحديد اتجاهه و أهدافه ؟و ماهي الخصائص العامة التي تميز بها المنهـج التربوي الذي سارت عليه جمعية العلماء؟

و أخيرا ما مدى نجاح أو فشل هذا الجـهد العلمي و التربوي في تحقيق أهدافه المنتظرة ؟

موقع التربية ضمن إستراتيجية التغيير عند جمعية العلماء:

إن التربية عند جمعية العلماء تعتبر المنهج الأمثل و الفعال و الاستراتيجي في نهضة أية أمة و تحريرها يكاد يتفق مع جميع رواد الحركة الإصلاحية السلفية خاصة ابن باديس و الإبراهيمي ، على أن " الأمــة الجزائرية " لا يمكن أن تنهض إلا بالتربية الهادفة المنظمة، و إن للتربية قدرة على تغييــر عميق و جذري في نفسية الفرد عقليته و سلوكه، و بالتالي المجتمع، نحو الاتجاه المرسوم و الهدف المحدد. و إن كانت آثارها و نتائجها ليست مرتبطة بسرعة التغيير و التحول السياسي السطحي الفوقي ، كالتي تحدثها الحركة السياسية ، بل تكمن قيمة التربية في التغيير الباطني

للفر370د ، و البناء الفـكري و التقويم الأخلاقي و السلوكي ، أي التحول الثقافي و الاجتماعي ، والذي لا يكتمل إلا بعد إعداد جيل كامل .

و تكمن أهمية التربية عند جمعية العلمـاء، في أنها هي وسيلة الإصـــلاح، الديني و الاجتمـاعي، و بالتالي فإن إصلاح التربية ذاتها أمر لا مفر منه، لأن فساد الوسيلة يجعلها عاجزة عن الوصول إلى الغاية.

و لقد استطاع ابن باديس إدراك الصلة التي تربط بين الإصلاح الاجتماعي و الديني، و بين التربية و التعليم،

مبينا أن فساد التربية في منهاجها و مضمونها يؤدي بالضرورة إلى فساد المجتمع ككل . و هذا ما يظهر في مقالاته ومنها :

" لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم ...." (الشهاب نوفمبر1934)

فابن باديس يربط صلاح المجتمع الإسلامي عامة بصلاح علمائه ، الذين هم قادة الفـــكر، و الرأي، و التوجيه و الإرشاد و التعليم و هم قادة الإصلاح عامة ، فيلزم أن يكون المصلح صالحا في نفســه، و لعل ابن باديس لم يكن قد أتى بجديد في هذه الفكرة، و إنما هي نتيجة تأثره بالتربية الإسلامية التي تحرص على أن يكون المصلح أو المربي قدوة صالحة في المجتمع، و أن الكثير من الآيات القرآنيــة و الأحاديث النبوية تحذر من علماء السوء، لما يحدثونه من فتنة لفساد أخلاقهم، أو اعتقاداتهم، و لعل ابن باديس كان يقصد – و هو الأرجح – علماء عصره الذين وصفهم بالجمود و التقاعس عن القيــام بوظائفهم الاجتماعية و التربوية و الدينية و فسحوا الطريق خاليا أمام أهل الطرق و منتحلي العلم، لنشر أباطيلهم و ضلالاتهم فكان سكوتهم تزكية لهذه المفاسد في نظر العامة، و هذا ما أشار إليه أيضا الشيخ الإبراهيمي في مقال له بعنوان: عواقب سكوت علماء الدين من الضلال في الدين (البصائر 1948 .)

حيث أشار إلى انحراف المجتمعات بسبب تخاذل العلماء و تقاعسهم عن القيام بواجباتهم .

ويؤكد الشيخ ابن باديس " .... و لن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم...." و هنا يبين أن المنهــج التربوي التعليمي،أي سواء من حيث طرائق التدريس ، أو المــواد المقررة ، و الأهداف المرسومة ، و طبيعة المربي والمعلم ، يتوقف على صلاحها أو فسادها ، صلاح التعليم أو فساده و بالتالي فساد أو صلاح المتعلم ذاته ، و قد انتقد ابن باديس أساليب التربية و التعلــيم في عصره خاصة في الجوامع الإسلامية الكبرى في العالم الإسلامي ، مثل الزيتونة و الأزهر ، و القرويين هذه الجــوامع التي كان يتخرج منها علماء الإسلام . و قد كان ينتقد فيها ، الجمود على بعض الكتب من التراث و الابتعاد عن أصل العلم الذي هو التفقه في القرآن و السنة ، و كتب المستقلين بالنظر . أما الجزائر و التي كان التعليم فيها متوقفا على بعض الزوايا العلمية و الكتاتيب القرآنية، فقد كان التعليم فيها يتم بأساليب

قديمة و عميقة لا تخدم تربية العقل ونموهولا تفتح ذهنا و لا تبعث في النفس روحا. فكان إصلاحها من أهم مساعي جمعية العلماء .

إن تجربة ابن باديس و ممارسته للتربية و التعليم لمدة تزيد عن سبع عشرة سنة (1913.1931) قبل تأسيس جمعية العلماء، جعلت نظرته للإصلاح يطغى عليها البعد التربوي، و استطاع أن يوجه جمعية العلماء بعد تأسيسها اتجاها تربويا يكاد يكون هادفا في وسائله. حيث يتجلى ذلك في معظم أعمـال الجمعية .

1 . المتغيرات المتحكمة في تحديد المضمون التربوي للجمعية :

حتى يمكن معرفة المضمون التربوي الذي حملته جمعية العلماء ضمن مشروعها الإصلاحي، ينبغي تحديد طبيعة المتغيرات التي تفاعلت فيما بينها و شكلت الإطار العام لهذا المضمون التربوي، و هي كالتالي:

أ) تصور جمعية العلماء لمشكلة المجتمع الجزائري :

إن مشكلة المجتمع الجزائري في نظر جمعية العلماء مشكلة مركبة من استعمـارين ، الأول روحـي ، و تمثله الطرقية (الدينية و السياسية) و الثاني مادي و هو الاستعمار الفرنسي. (الشيخ الإبراهيمي 1948.)

إن مشكلة المجتمع الجزائري ، إذا ذاتية قبل أن تكون غير ذلك ، وسبب هذه المشكلة الذاتية هي الطرق الصوفية الضالة فهي " علة العلل في الإفساد و منبع الشرور ، و إن كل ما هو متفش في الأمـة من ابتداع في الدين ، وضلال في العقيدة ، و جهل بكل شيء ، و غفلة عن الحياة و إلحاد في الناشئـة فمنشؤه من الطرق الصوفية " . (الشيخ الإبراهيمي 1963)

إن علاقة الطرقية بانحطاط المجتمعات الإسلامية ، فكرة تبنتها معظم الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي في المشرق و المغرب . و أنها – أي الطرقية – هي السبب الأكبر في ضـلال المسلمين في الدين و الدنيا ، و أن آثارها تختلف في القوة و الضعف اختلافا يسيرا باختلاف الأقطـار الإسلامية ، فالطرق هي سبب تفرق المسلمين في الدين ، وهي سبب إفساد العقول ، و قـتل المواهـب ، و هذه الطرق لا تقوم إلا على التخدير و الإلهاء عن الدين و الدنيا . (المرجع السابق)

إن هذه الطرق انتشرت بصورة كبيرة في المجتمع الجزائري ، و سيطرت ، سيطرة مذهلة على الفكـر الإسلامي ، حيث بلغ عدد الزوايا بالجزائر (349) زاوية و عددالمريدينأوالإخوان 295000 مريد . و بلغ من سيطرة الطرق أن رضخ لها الفقهاء الذين عرفوا بمعارضتهم للصوفية فصـاروا " طرقيين " (أثار الشيخ ابن باديس جزء 4)

إن الحياة العقلية و الاجتماعية للمجتمع الجزائري في ظل هذه الهيمنة الطرقية ، أصبحت تتسم بالجمود و الركود و النزوع نحو التقليد و القعود عن العمل النافع الذي ينهض بالدين و الدنيا معا ، و الاستسلام للقدر ، حيث أصبح الناس إذا سئلوا عن أحوالهـم يجيب " نأكل القوت و نستنى في الموت " و هذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر و شل الطاقات الاجتماعية الأخرى (المرجع السابق).

إن هذا المآل الذي وصل إليه المجتمع الجزائري، رسخ في وعي العلماء بأن الفرد الجزائري، و بالتالي المجتمع الجزائري، صار يجسد في نفسه مشكلة تربوية في أبعادها العقلية و النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية، وهي مشكلة بطبيعتها معقدة بتعدد أسبابها و تنوع آثارها و انعكاساتها.

و انطلاقا من هذا التصور رأت جمعية العلماء أهمية مسايرة الإصلاح العلمي و التربوي مع الإصلاح الديني و الاجتماعي لاشتراكهم في وحدة الهدف ، و هو النهوض، و التقدم ، و البعث الحضاري للشعب الجزائري .

لقد ذكر الشيخ الإبراهيمي أن الإصلاح العلمي و التربوي من نواحي الإصلاح الكثيرة التي كانت الجمعية تسعى لإعطائها عناية و اهتماما ، في أول مراحلها الإصلاحية ، غير أن اتجاهها إلى الإصلاح الديني كان أقوى ، و علل ذلك في قوله" إن تقديم الجمعية للإصلاح الديني على الإصلاح العلمي ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى أصبح من آثاره اللازمة التزهيد في العلم...." (الشهاب أوت 1934 .)

ثم بين أن هذه المفاسد العقائدية التي تشتد الجمعية في محاربتها ، و هي " منكرات " على حد قوله أخف أضرارها ، التزهيد في العلم ، و إفساد الفطرة ، وفشل العزائم ، و قتل الفضائل النفسية و إزالة الثقة بالنفس من النفس، و تضعيف المدارك ،و تخدير المشاعر ، وهي رذائل لا تجتمع واحدة منها مع ملكة علمية صحيحة فكيف بها إذا اجتمعت".

ب) الرد التربوي على المشروع الثقافي الاستعماري :

إن أهم خاصية تميز بها الاستعمار الفرنسي للجزائر هي الشمولية ، فقد كان استعمارا عسكريا استيطانيا ، و استعمارا ثقافيا حضاريا في آن واحد ، حيث حدد أهدافه في إبادة الشعب الجزائري .

1- الإبادة المادية : وهذا من خلال القتل و التشريد و التفقير و التجويع عن طريق نزع الأراضي ، و تجريد الجزائريين من أملاكهم العقارية و الفلاحية و طردهم إلى المناطق القاحلة و الجرداء في الصحاري و الجبال .
و قد فشل في تحقيق هذا الهدف رغم ما ألحقه من أضرار بالشعب الجزائري.

2- الإبادة الثقافية و الحضارية : و هي تقوم على سياسة ضرب المقومات الدينية و الوطنية و القومية للشعب الجزائري، وهي: الدين الإسلامي و اللغة العربية، التاريخ الوطني الجزائري و الوحدة الوطنية و الثقافة الجزائرية

العربيـة الإسـلامية، بوسـائل متعـددة، منهـا تهـديم المسـاجد و الاسـتيلاءعلى الأوقـاف الإسـلامية إلغـاء القضـاء الإسـلامي ، و غلـق الكتاتيـب القرآنيـة و تضـييق الخنـاق علـى اللغـة العربيـة ، فـي التعلـيم و الإدارة و الصـحافة، وتشويه التاريخ الوطني و منـع تدريسـه للنشء ....الـخ و بـالموازاة مـع هذه العمليـة " التهديميـة " التـي تستند إلـى ترسانة من القوانين و المراسيم ، كانت السياسة الفرنسية تعمل على فرنسة و تنصير الشعب الجزائري و التركيز على منطقة " القبائل " بصفة خاصة في إطار " سياستها البربرية " بقصد إحداث تصدع في الوحدة الوطنية و التماسك الاجتماعي و الثقافي و الدينـي و اللغوي للشعب الجزائري .(تركي رابح 1975).

لقد أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطورة الوسائل الاستعمارية المستخدمة في هذا الصراع الحضاري و الثقـافي ، ممـا جعلهـا و بحكـم نشـاطها التربـوي المكثـف ، تحـدد أهـدافها التربويـة ، فـي مقاومـة المشـروع الثقـافي الإستعماري مضادة لـه في أهدافه تماما وهي تربية وطنية قومية ، تهدف إلى غرس مقومات الشخصية الوطنية في قلوب النشء و عقول الشباب و مختلف شرائح المجتمع الجزائري .

ج) الثقافة العربية الإسلامية لرجال الحركة الاصلاحية (ج. ع.م. ج):

إن الثقافة العربية الاسلامية من العوامل التي ساهمت في تحديد المضمون التربوي عند جمعية العلماء ، فقد تخرج معظم رجالها و معلميها من الجوامع الاسلامية الكبرى ، كالزيتونة و القرويين و الجامع الأزهر و الكثير منهم تخرج على يد ابن باديس من الجامع الأخضر بقسنطينة.

لقد كانت الروح السلفية و الثقافة اللغوية الدينية تهيمن على أفكارهم و آرائهم .(البصائر 1936).

وهذا الأمر كان له بالضرورة تأثير على اتجاههم التربوي و العلمي و رغم هذا فإن الحركة التربوية الإصلاحية كانت علمانية في بعض أهدافها إذ كانت تقصد إلى النهوض بالمجتمع الجزائري و السير به نحو الرقي و التقدم على أساس من الدين .(أبو القاسم سعد الله 1988).

ويتجلى هذا في نوع التعليم الذي كان سائدا في المدارس الإصلاحية حيث يكاد ينحصر في التفقه في الدين الاسلامي و اللغة العربية و التاريخ الإسلامي و السيرة النبوية.

- و الخلاصـة : إن هذه المتغيرات الثلاثة تفاعلت فيما بينها و من خلالها فرض على الحركة التربوية التي خاضتها جمعية العلماء بعدا وظيفيا يتمثل فيمايلي :

1 . توظيف التربية في إصلاح المجتمع الجزائري من أمراضه الذاتية باعتبار التربية الوسيلة المثلى للتقدم و النهوض في نظر الجمعية .

2. إفشال الأهداف التربوية و التعليمية الاستعمارية عن طريق توظيف التربية كذلك في إحياء وتقوية الروح القومية و الوطنية و الاعتزاز بالانتماء للوطن الجزائري و الفضاء الحضاري العربـــــي و الإسلامي في نفوس النشء الذي يتلقى تربيته و تعليمه في المدارس الحرة.

3. إن نموذج التربية الذي يحقق الوظيفتين الرئيستين في تقدير العلماء هي التربية المستمدة من القرآن و السنة وسيرة السلف الصالح ، نظرا لشمولية اهتمامها بالفرد و المجتمع في جميع جوانبه الروحية و العقلية و الجسمية و يظهر هذا جليا في التراث التربوي لجمعية العلماء خاصة المقالات التي اهتمت بالتربية و التعليم على صفحات البصائر، حيث يكاد ينحصر مفهوم التربية في : تصحيح العقيدة الإسلامية و تفعيلها في النفوس و تهذيب النفس و تزكيتها و تحليتها بالأخلاق الإسلامية الفاضلة و تقويم الأخلاق و تنمية القدرات العقلية باتجاه الاستقلال الفكري و الاستدلال و النظر و التحرر من جميع موانع التفكير الحر ، كالتقليد و الجمود و الخرافات الوهمية ، و تقوية الجسم ، و النظافة ، و الاعتدال في التغذية ،و الرياضة و السياحة (الرحلات المدرسية الكشافة) . و معنى هذا أن التربية يجب أن تهتم بالفرد باطنا و ظاهرا ، عقلا و روحا ، وبدنا. (البصائر 1935).

مبادئ الفكر التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إن العملية التربوية و التعليمية التي أجريت في المدارس العربية التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، قامت على كواهل معلمين تخرجوا من بعض الزوايا العلمية و بعضهم من تلامذة ابن باديس ، و الذين تابعوا تعليمهم بالزيتونة و القرويين بالمغرب ، و منهم من واصل التعليم بجامع الأزهر و لذلك فإن ثقافتهم في الغالب ثقافة لغوية

و فقهية و بهذا كان المعلم في مدارس الجمعية يعتبر نفسه مصلحا دينيا ، و اجتماعيا ، ومربيا إسلاميا إضافة إلى وظيفته التعليمية المحصنة في الفصل و مساهمته في محو الأمية للكبار فقد كان " المعلم شديد الإحساس برسالته كمعلم و مصلح معا و هو في الغالب ينسى نفسه في معركة محو الأمية الذي يشارك في توجيهها بحظ وافر".

(البصائر 1949). ومع هذا فإن المدرسة العربية الحرة كانت في البداية تقوم على أساس التجربة الشخصية للمعلم في التربيـــة و التعليم و إن كان المعلم في مدارس الجمعية قد أوتي ميزتان تميز بهما و هما :

ملكة التربية و التعليم و ملكة الوعظ و الإرشاد و القدرة الفائقة على الخطابة (آثار الشيخ ابن باديس الجزء 5).

و مما لاشك فيه أن النزعة السلفية و الثقافة الإسلامية عموما هي التي كانت تهيمن على فكر رجال الإصلاح السلفي ، إضافة إلى ظروف المجتمع الجزائري و قد ساهمت إلى حد ما في بلورة الفلسفة التربوية في مفهومها و مبادئها و أهدافها للمدرسة العربية الحرة.

أولا) التربية أسا س التعليم: لقد كانت جمعية العلماء تؤمن إيمانا راسخا بأن مشكلة المجتمع الجزائري مشكلة أخلاقية تربوية و هذا واضح في قول البشير الإبراهيمي الذي وجهه إلى معلمي المدارس العربية .." ..احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم و اجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم و هي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته في الحياة من نقص في العلم و إنما خاب أكثر من نقص في الأخلاق فمنها كانت الخيبة و منها كانت الإخفاق " (المرجع السابق).

وقد كانت هذه هي قناعة عبد الحميد بن باديس كذلك ، حيث كان يؤمن بأن نهضة المجتمع الجزائري لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق التربية و التي تهدف إلى " تصحيح العقائد و تقويم الأخلاق "و قد استلهم هذا المبدأ التربوي من الفلسفة التربوية الإسلامية حيث قال : " .. فصلاح النفس هو صلاح الفرد و صلاح الفرد هو صلاح المجموع و العناية الشرعية متوجهة كلها إلى اصلاح النفوس ، إما مباشرة ، و إما بواسطة ، فتكميل النفس هو أعظم المقصود من إنزال الكتب و إرسال الرسل و شرع الشرائع " . و لقد كان يسعى إلى أن تكون تربية النشء تربية قرآنية ،لتقوية الوازع الديني و الخلقي في نفوسهم ، فالقرآن الذي " كون رجالا في السلف ، لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف لو أحسن فهمه و تدبيره و حملت الأنفس على منهاجه " . (الشيخ الإبراهيمي 1949).

إن التربية هي أساس التعليم و لهذا نبهت جمعية العلماء إلى ضرورة إصلاح البيئة التربوية الأولى التي يتلقى فيها النشء مبادئ التربية الأولية و هي المنزل لما له من أثر كبير في توجيه الطفل ، و تحديد شخصيته في المستقبل و قد أشار الشيخ الإبراهيمي إلى ضرورة تكامل المدرسة و المنزل في المهمة التربوية فقال : " إن البيت عند الأمم الحية هي أخت المدرسة كلتاهما مكملة للأخرى، فالتلميذ بينهمايتقلب بين عاملين من عوامل التثقيف و التهذيب ، أما البيت عند أمتكم (الجزائر) فهي ضرة المدرسة ، ما تبنيه هذه تهدمه تلك و ما تزرعه هذه تقلعه تلك لأن قعائد البيوت جاهلات و قعائد البيوت هي قواعدها و ويل لبيوتنا من هذه القواعد ما دمن جاهلات ..." (البصائر 1949). ولم يختلف عن هذا الرأي ابن باديس حيث ذهب إلى أن " البيت هو المدرسة الأولى و المصنع الأصلي لتكوين الرجـــال ، و تدين الأم هو أساس حفظ الدين و الخلق " . (الشهاب 1935).

إن هذا الإهتمام " بالتربية المنزلية " يعتمد على أن الدور الأول من عمر الطفل هو أصلح الأدوار للتربية لأن قابلية التربية فيه تكون أكثر من غيرها خاصة في مجال النظافة و النظام و حســن الذوق و مسؤولية الأم هنا كبيرة ومن الخطأ الشنيع تصور انتهاء وظيفة التربية المنزلية للطفل عند التحاقه بالمدرسة.(البصائر أكتوبر 1949).

ثانيا) التربية بالقدوة الحسنة :

إن من أهداف المدرسة العربية الحرة التابعة للجمعية هي تصحيح العقائد و تقويم الأخلاق و إن فلسفة التربية الإسلامية التي كانت تتغذى منها الحركة الإصلاحية فرضت على رجال الإصلاح مبدأ التربية عن طريق القدوة

الحسنة باعتبار أن التربية تنبع من ذات المربي في سلوكه و أحواله و أفعاله قبل أقواله و لهذا السبب كانت جمعية العلماء تولي اهتماما بالغا بتكوين المعلم الكفء في مـختلف جوانبه عقلا و روحا و بدنا فابن باديس كان مقتنعا بأنه " لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه فعناية المرء بنفسه عقلا وروحا و بدنا لازمة له ليكون ذا أثر في الناس على منازلهم منه في القرب و البعد" . (الشهاب1936 .) وقد كانت جمعية العلماء فضلا عن رعايتها و اهتمامها بتكوين المربي المعلم دائمة المتابعة و المراقبة و التوجيه للمعلمين عن طريق التفتيش و المذكرات التربوية و التوجيهية التي تتحلى بها جريدة البصائر و النشرات المختلفة التي كانت تصدرها لجنة التعليم التابعة لجمعية العلماء و قد كانت كلها منبهة إلى أن التربية بالقدوة الحسنة أهم أركان التربية الإسلامية و التي تقضي أن يكون المعلم و المربي مثالا يحتذي بسلوكه و حاله و أخلاقه قبل علمه و يظهر هذا المعنى من حث الشيخ الإبراهيمي المعلمين على دوام الرقابة الذاتية لأقوالهم و أفعالهم في المدرسة و بين أحضان المجتمع فالمعلمون أو المربون في المدرسة هم قدوة النشء الذي يميل إلى التقليد و المحاكاة ،" ...فإذا زينتم لهم الصدق فكونوا صادقين ، و إذا حسنتم لهم الصبر فكونوا صابرين ، و أعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس الأخلاق الصالحة بالقدوة و أما ما يأخذه عنكم بالتلقين و المعرفة فهو ربح و فائدة..."ثم إن وظيفة المعلم أو المربي " المصلح" ليست محصورة داخل المدرسة و لا تتعداها و إنما كان المعلم محـــط و مراقبة من طرف الجميع ، إذ كان يتمتع بتقدير و احترام كبيرين ، لما يقوم به من شـرف التربيــة و التعليم لأبناء الأمة، و لهذا كانت الجمعية تحثهم أيضا ، على حسن الخلق في التعامل مع عامة أفراد المجتمع و يظهر هذا المعنى كذلك في قول الإبراهيمي موجها كلامه للمعلمين في المدارس الحرة " ... إن العامة التي ائتمنتكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة فالصغيرة من أعمالكم تعدها كبيرة و الخافتة من أقوالكم تسمعها جهيرة فاحذروا ، ثم احذروا ...."(نفس المرجع).

و لعل هذه الأهمية و المكانة التي كان يتمتع بها المعلم في المدارس العربية الحرة جعلته " شديـــد الإحساس برسالته كمعلم و مصلح معا ." و يعود كذلك إلى نظرة الجمعية لرسالة المعلم التي هي "أشرف رسالة و أعمها و أقدس الواجبات و أنفعها لأن العلم هو الأساس لكل حياة و الوسيلة لكل سعادة "

إن المعلم و المربي في المجتمعات المتحضرة تكون رسالته محصورة داخل المدرسة، حيث تقوم المؤسسات الاجتماعية الأخرى بواجباتها من التربية و التثقيف و التهذيب . أما المعلم في الأوساط الجاهلة المنحطة فإن وظيفته تتعدى المدرسة لتتسع و تشمل جزءا كبيرا من الأمة فيصبح واعظا في الأمة ، و معلما في المدرسة و لا يقدر المعلم على أداء هذه الرسالة إلا إذا توفرت فيه هذه الصفات :

1- صفة العلم التي لابد منها.

2- صفات دينية ، اجتماعية ، أخلاقية تربوية ، كصحة العقيدة ، كمال الدين ، الثبات على المبـدأ ، الصبر على المكاره ، الشجاعة في جميع المواقف . (البصائر 1949).

ثالثا) تربية شاملة للجنسين إناث و ذكور:

إن التربية عند جمعية العلماء تقوم على عدم التمييز بين الإناث و الذكور ، إذ كانت ترى أن التربية يجب أن تشمل الجنسين معا بل إن اهتمام الجمعية كان منصبا أكثر على تعليم البنات و تشجيعا لهن على التعليم فقد قام ابن باديس عندما كان يشرف على جمعية التربية و التعليم بقسنطينة بإعفاء البنات من دفع " رسم التعليم " و جعل التعليم لهن مجانا ، وقد كانت الجمعية على عهد ابن باديس تعمل على كسر "الجدار الحديدي " الذي أقامته العادات و التقاليد ، و الذي يمنع من تعليم الإناث ، بل إن ابن باديس فكر في إرسال بعثة من البنات للتعلم بسوريا ، وراسل بشأنهن رئيسة جمعية " دوحة الأدب " بالعاصمة السورية ، بغرض استقبال بعثة من البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية و كان ذلك في 04 أوت 1938 غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية ثم وفاة الشيخ ابن باديس 1940 ، حال دون تحقيق هذا المسعى . (محمد الحسن الفضلاء 1999).

رابعا) تربية شاملة لمختلف شرائح المجتمع :

لقد كانت جمعية العلماء تدرك مدى تداخل الأوساط التربوية فيما بينها المدرسة و المنزل و المحيط الاجتماعي العام

و مدى التأثيرات الايجابية و السلبية المتبادلة بينها مما يقتضي العناية بتربية جميع شرائح المجتمع لضمان نجاح العملية التربوية و تحقيق أهدافها المرسومة .

و لتحقيق هذا المبدأ ، سعت الجمعية إلى ربط الاتصال بينها و بين المجتمع عبر قنوات تسمح بوصول الرسالة التربوية لجمعية العلماء إلى كل عناصر المجتمع الحية ، و ذلك من خلال :

أ) التعليم و التربية المدرسية و هي خاصة النشء .

ب) التربية و التعليم بالمساجد الحرة : و هي تنقسم إلى نوعين :

1- <u>النوع الأول</u> : و يشمل التعليم المنظم الذي يختص بتدريس الفقه الإسلامي و اللغة العربية و كان يتم بالخصوص في الجامع الأخضر بقسنطينة و تبسة و سطيف و تلمسان و مازونة و هذه المساجد الجوامع مخصصة للطلبة الكبار في المستوى الثانوي على الطريقة ، و الكتب ، و الأسلوب المعروف في الجوامع الإسلامية الكبرى كالأزهر ، الزيتونة و القرويين . (رابح تركي 1975 .)

2- <u>النوع الثاني :</u> و يشمل دروس الوعظ و الإرشاد لمختلف رواد المساجد من الكبار و الصغار و أحيانا النساء و تلقى هذه الدروس بين صلاة المغرب و العشاء و أيام الجمعة و تعرف نشاطا مكثفا و موسعا خاصة في شهر رمضان و مختلف المناسبات و الأعياد الدينية حيث تكون الفرصة متاحة لتجمع أكبر عدد من أفراد المجتمع .

ج) النـوادي و التنظيمـات الشـبانية ، الكشـافة ، الجمعيـات الرياضـية ، الثقافيـة و الفنيـة : و قـد كانـت هـده القنـوات مخصصـة أساسا لاستقطاب الشباب خارج المدرسـة و المسجد و إبلاغه رسالة الإصـــــلاح و التربيـة التي تحملها جمعية العلماء و أهم النوادي ، النادي الترقي بالعاصمة . (ابو عمران الشيخ 1935).

د) الجمعيات الخيرية

لقد كانت جمعية العلماء من خلال هذه القنوات أكثر التصاقا و اتصـالا بمختلف شرائح المجتمـع الجزائري علـى عكس ما ذهب إليه بعض الكتاب من أنها لم تكن متصلة بالمجتمع المدني .(علي الكنز 1990 .) و لعل الشيء الذي يعاب على الجمعية هو مستوى خطابها الذي كان فوق مستوى ثقافة الجماهير التي كان أغلبها يعاني من الامية في حين كانت لغة رجال الإصلاح اللغة العربية الفصحى بأفكار إصلاحية و تربوية يعسر على الجماهير العامة استيعابها . على عكس الخطاب السياسي الذي كان يقدم بلغة الجماهير و بأفكار واضحة الأهداف و واقعية من حيث طموحات الشعب الجزائري المستعجلة .

الأهداف التربوية و التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

كان منطلق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إصلاح المجتمع الجزائري الإعتماد على التربية و التعليم لإيمانها " بأهمية التربية و قدرتها على تحويل مجموع الفضائل الكاملة في الفرد إلى قوى حقيقية تمكنه أن يوجهها لصالحه أو لصالح المجتمع الذي يعيش فيه أو لهما معا ..." (البصائر 1947)

كما كانت الجمعية تعتقد أن الفضل يرجع إلى التربية في " ... الرقي البشري الكبير و التقدم العلمي العظيم الذي بسط العمران و فتح الأوطان و إلى التربية يرجع الفضل في ما تقوم به الهيآت الدينية و المدنية من حماية الحقوق و إقامة الحدود و كف النفوس الشريرة عن الخبائث و المنكرات ..."(البصائر 1936.) كان المجتمع الجزائري يعاني من انحطاط عام و يتجلى ذلك في الأزمة الأخلاقية الشديدة فذلك راجع إلى انعدام التربية المدرسية و خلو المداشرو القرى من المدارس و لذلك ينبغي على الأمة الجزائرية إذا أرادات أن " تحتل بين الأمم مقعدا كريما" أن تهتم بالتربية المدرسية و تجعلها الحجر الأساس في بناء مجدها (المرجع السابق) كما أن التربية هي الجهد و العمل الذي يقوم به المجتمع لكي يضمن استمرار ثبات الأسس السياسية والاقتصادية التي تقوم عليها حياته الاجتماعية(البصائر 1947)

و لذلك فالتربية ليست غرضا في ذاتها و إنما هي وسيلة للترقية الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية و السياسية للمجتمع . و تزداد أهمية التربية في نظر الجمعية على أساس أنها تهدف إلى ترسيخ الوعيبالانتماء الحضاري و إذكاء الروح الوطنية و القومية و لهذا فإن التربية في كل مجتمع تخضع للتوجيه السياسي لتحقيق أهداف و أغراض خاصة و إن كان هذا التوجيه يختلف بين التلقين و بين التوجيه الذي يتخذ من التربية وسيلة لصقل الإدراك الاجتماعي و روح

النظام و الطاعة العاقلة بين أفراد الأمة . (المرجع السابق) و قد أدرك العلماء أن للتربية مهمة وظيفية و استراتيجية خاصة في ظل النظام الاستعماري الذي كان على تهديم الأسس التي تقوم عليها الأمة و هذا ما جعل النظام التربوي الذي انتهجته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو " نظام للتعليم تقوم به الأمة " و أنه " بعيد الشبه بنظم الأمم الأخرى لأنه ولد في هذه التربية (الجزائر) و نما فيها و لم يضع المشرفون عليه نصب أعينهم قط أن تعكس مدرستنا شيئا سوى بيئتنا و شخصيتنا الخاصة و مهما يبلغ بنا الطموح إلى تجديد هذه الشخصية فإنه لا يمكن أن يصل إلى درجة تؤثر على ملاحمها ... (البصائر 1949) . فوظيفة التربية ، إذا هي تنمية الشخصية الجزائرية و الحفاظ على أسس استمرارها إضافة إلى كونها تجعل المجتمع الجزائري يترقى و يتطور في مرونة و هدوء باتجاه الوعي الثقافي و السياسي الوطني .

أ) الأهداف الإجتماعية و الثقافية :

إن دور التربية و التعليم في ترقية المجتمع و إصلاحه أمر واقع و إن الإصلاح الاجتماعي و الديني و العلمي – في نظر الجمعية – لا يتم إلا على أساس إصلاح تربوي شامل عن طريق التربية و التعليم فابن باديس رأى – بنظرة ثاقبة – أن مشكلة المسلمين مشكلة أخلاقية تربوية نتجت بسبب البعد عن المنهج التربوي النبوي و فساد التربية نفسها حيث يقول : أن صلاح التعليم أساس الإصلاح العام في المجتمع (الشهاب 1934) فاذا كانت الإنحرافات التي شابت العقيدة من بدع و خرافات فإن ذلك راجع إلى الجهل و الأمية و انعدام العلم الديني في المجتمع الجزائري " ذلك لأن العلم و التوحيد الخالص شيئان متلازمان في الإسلام لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالمسلم كما يطالب بالتوحيد يطالب بالعلم حتى إذا قال أو عمل كان قوله أو عمله عن عقيدة صحيحة و علم صحيح و نعني بهذا العلم الديني و الدنيوي معا..."(البصائر 1936.)

وكذلك اتسام العقلية الجزائرية بالخرافة و السطحية في التفكير و عدم التفكير و العجز عن النقد و و نزعة التسليم لكل ما يشاع و ما يذاع كل هذا راجع إلى سيطرة و هيمنة " الفكر الطرقي " على عقول و نفوس الجماهير الجزائرية، و ما تم لها ذلك إلا بالتزهيد في العلم و التعليم و شيوع الأمية وانتشارها في المجتمع الجزائري. و لذلك يساهم التعليم في ترقية العقل الجزائري و رفع مستوى التفكير السليم و بالخصوص بعث التفكير النقدي الذي لا يذعن إلا للدليل العقلي أو الشرعي القاطع و بذلك يتحرر العقل الجزائري من أسر الأوهام و الخرافات و يتحرر من كل وصاية فينطلق للبحث و النظر فيما ينفع و هذا ما يدعو إليه الإسلام من كسر قيود العقل و الدعوة إلى حرية التفكير و الإرادة (محمد البشير الإبراهيمي 1936.)

و يتطلب كذلك إصلاح الأوضاع الإجتماعية خاصة ما يتعلق بالأسرة المسؤولة عن تنشئةالأطفال و تربيتهم تربية سليمة ، نشر التعليم الديني و التعليم العام ، سيما تعليم المرأة باعتبارها هي المربي الأول و المعلم الأول في المنزل ،

و باعتبار أن " الطفل يتلقى مبادىء الأخلاق و التربية و يتحدد اتجاهه في الحياة في المرحلة الأولى من عمره أي قبل دخوله المدرسة ..." . (البصائر 1936 .) إذا ، فالتربية والتعليم تناط بهما مهمة الإصلاح الاجتماعي خاصة في ظل النظام الاستعماري الذي كان يعمـــل على" نشر حالة من الانحلال الأخلاقي و الاجتماعي تدعو إلى القلق لا يمكننا أن نحقق كثيرا من برنامج الإصلاح الاجتماعي إذا لم يقم عملنا على أساس من التربية الصحيحة ..." .(البصائر 1949.)

و الخلاصة أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حددت أهدافها التربوية الاجتماعية و الثقافية فيمايلي :

1 خلق مناخ اجتماعي و بيئة ثقافية عربية إسلامية راقية عن طريق إحياء الأخلاق و القيم الدينية وتحرير الفكر الجزائري و إطلاق العقل من المكبلات الخرافية الوهمية التي كان يتسم بها المجتمع الجزائري .

2 ترقية الفرد الجزائري و المجتمع بصفة عامة ترقية أخلاقية اجتماعية تؤهلها لمواكبة التطورات و التغيرات المستجدة مع المحافظة على الذاتية العربية الإسلامية و الإعتزاز بالإنتساب إليها.

3 تحصين المجتمع الجزائري و خاصة الشباب من التأثير الغزو الثقافي للمحتل " المجتمع الأوربي " الكولونيالي بالجزائر .

4 إعداد جيل مسلم إسلاما (ذاتيا) متعلما واعيا و مثقفا ثقافة عربية إسلامية يكون مؤهلا للقيام بعملية البناء الحضاري و تحرير الجزائر من الاستعمار .

ب) الأهداف السياسية :

اعتقدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن التربية و التعليم هما أساس الوعي السياسي و معرفة الحقوق السياسية و كيفية الحصول على هذه الحقوق و إن كان أعظم حق سياسي كان يطمح له الشعب الجزائري . هو حقه الطبيعي في الاستقلال و الحرية و العلم هو طريق الاستقلال ولا استقلال بدون علم .(محمد البشير الابراهيمي 1947.) ثم إن التربية و التعليم هما الأصلان اللذان تبنى عليهما كل ثورة تحريرية ناجحة و قد قال ابن باديس في إحدى زياراته لوهران في 17 فيفري 1938" إن لنا جندا عظيما نستطيع أن ندفع به – بإذن الله – كل خطر . و نقي به أنفسنا من كل ضرر و هذا يتألف من ثمانية و عشرين (كوردارم) فحرف الألف (كوردارم) و الباء (كوردارم). و هكذا إلى الياء " . (ابن باديس1938 .)

و اعتقد ابن باديس أن حياة الأمة كلها مرهونة بالتعليم لأن هذه الحياة تنبعث من المدارس فيجب على الأمة الجزائرية أن تجعل أول همها بناء المدارس و نشر التعليم " و كل من يعارض في تأسيسها فقد عارض في حياة الأمة و نهضتها" .(آثار ابن باديس الجزء 5 –2007)

ونهضة المجتمع الجزائري نهضة شاملة لا تكون إلا بالعلم في نظر الإبراهيمي إذ قال كلاما موجها إلى الأمة الجزائرية : " إنك لا تنهضين إلا بالعلم . و إن نهضة لا يكون أساسها العلم هي بناء بلا أساس و لا عماد دعامة و إن العلم هو المنقذ الوحيد " (البصائر 1948.)

و رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن توجيه التربية و التعليم توجيها وطنيا و قوميا . أمر ذو أهمية بالغة خاصة في " بلد كالجزائر ظلت معاول الاستعمار تعمل على هدمها في أسس القومية العربية قرنا من الزمان ، استطاعت فرنسا خلاله أن تكون سياسة قائمة على تفريق الجزائريين إلى قبائل و عرب وشاوية و ميزاب " . (المرجع السابق) . فأهم وظيفة يناط تحقيقها بالتربية الوطنية و القومية هي إحداق التماسك الاجتماعي للمجتمع الجزائري تعزيز وحدته الوطنية ، و يتجلى هذا في أهداف التوجيه الوطني و القومي لمنهاج التربية و التعليم في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و هي :

1- تحقيق وحدة الشعور الوطني و التفكير السياسي ، و هو أمر يمكن للتربية القومية أن تعالجه .

2- حل مشكلة اختلاف العادات و اللهجات و الأزياء على أساس عمل مشترك قائم على أسا س التربية القومية .

3- تحويل تفكير الإنسان و جعل اهتمامه يتعدى حدود العائلة إلى القبيلة ثم إلى الأمة كلها بأن يتوسع أفق تفكيره حيث يتجه إلى خدمة مبادئ قومية في نطاق سياسي و اقتصادي و ثقافي أوسع . (اسماعيل العربي البصائر 1948).

أما منهاج التربية القومية فأنه يستمد من أسس و مقومات الأمة نفسها و هي : الدين ، اللغة ، وحدة الظروف السياسية و الاقتصادية .(آثار ابن باديس ج4) فالتربية القومية هي أساس العمل السياسي ، خاصة عندما تكون مقومات القومية مستهدفة من طرف سلطة استعمارية كالجزائر و قد كان هذا المبدأ أساس الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأن هذه التربية ، تربية بمقدماتها و سياسية بنتائجها و هي نقطة الاختلاف بين الجمعية و الحزب الوطني " حزب الشعب" حيث رأى هذا الأخير أسبقية العمل السياسي على التربية باعتباره الوسيلة المثلى لنشر الوعي السياسي و تعبئة الجماهير ضد الاستعمار .

و أما تفضيل الأهداف القومية و الوطنية التي رسمتها جمعية العلماء و عملت على تحقيقها عن طريق التربية القومية:

1. بعث الدين الإسلامي في المجتمع الجزائري ، النقي من الشوائب في الاعتقاد و العبادات و المعاملات ، و إحياء الوازع الديني في النفوس ، و إحداث توتر حاد في الضمير الأخلاقي الجماعي للجماهير الجزائرية بهدف تحقيق نوع من اليقظة الفكرية و الوعي السياسي و الاجتماعي خاصة و أن الاسلام في حد ذاته يقوم على مبدأ : تسييس المجتمع

الإسلامي . وحسب ابن باديس فإن تحقيق هذا الهدف مرهون ببعث الإسلام الذاتي المبني على التفكير و النظر . وهو الإسلام الذي يمكن أن ينهض بالشعب الجزائري " و لذلك سبيل واحد هو التعليم . فلا يكون المسلم مسلما حتى يتعلم الإسلام فالمسلمون– أفراد و جماعات – مسؤولون عن تعلم و تعليم الإسلام ، للبنين و البنات ، للرجال و النساء ، كل بما استطاع و القليل من ذلك خيره كثير ..." (الشهاب 1938). إن الاهتمام بتقنية الدين الإسلامي و بعثه في المجتمع صافيا من كل شائبـــة هو في الحقيقة إدراك مـــن الجمعية ، بدور الإسلام في التكـوين التاريخي للشعب الجزائـري، و بدوره كذلك في التماسك الاجتماعي و الوحدة الوطنية للشعب الجزائري .

2. بعث اللغة العربية و نشرها عن طريق التعليم و في هذا يقول رئيس لجنة التعليم العليا الأستاذ اسماعيل العربي " إن نظـام التربيـة عنـدنا لا يمكـن أن يـأتي بثمرتـه المطـــلوبة إلا إذا جعـل مـن أهدافـه الرئيسـية نشـر اللغـة العربيـة الصحيحة و محو العجمة التي طرأت على اللسان العربي و تقوية الروح العربية و الإسلامية و طبع مظاهر نشاطنا القوميين بطابع هذين العنصرين المهمين في شخصيتنا ..." (المرجع السابق.) و يذكر فضل التعليم العربي في بعث و إحياء اللغة العربية ، و أن اللغة العربية لم تعد غريبة بهذه الديار و قد جاهدت الجمعية في سبيل تعليم اللغة العربية حتى كانت من ثمرات النصر ، النهضة التعليمية التي أنجبت كتابا و شعراء و خطباء ، و وعاظا يفوقون فصاحـة و بيانا عرب المشرق . (البصائر 1948.)

3. بعث التاريخ العربي و الاسلامي للجزائر ، و التاريخ الوطني على الخصوص .

4. بعث الثقافة العربية الإسلامية .

و الخلاصة أن منهاج التربية و التعليم لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هدف إلى المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية و القيم الأخلاقية للمجتمع الجزائري، و توجيه التعليم العربي توجيها يحقق طموحات الشعب الجزائري في تطوير و رقي ثقافته و دينه ولغته و عروبته و قيمه الحضارية.

الخاتمة

الخاتمة:

تعتبر جمعية العلماء الحصن الحصين لمكونات المجتمع الجزائري ومقومات الشخصية الجزائرية. كان لها دور وتأثير في تحريك الضمير العالمي تحريكا عميقا وتمثيل طموحات الشعب الجزائري المسلم الأساسية، يمثل قناعة هده الجمعية العلمية والتربوية (محمد علي دربوز 1981).

انه لا توجد حركة أو منظمة أو جمعية أمكنها التأثير الحاسم سواء على صعيد التطور الأخلاقي والديني أو في التوجيه الثقافي للجزائر المعاصرة مثل " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ".

كانت وسيلتها – التربية والتعليم وبناء المدارس والمساجد وتعليم أبناء الشعب لغته ودينه وحضارته (تركي رابح 1975) غايتها بعث النهضة والروح الوطنية في الأمة وحفظها من الذوبان ومن الجهلوالانحلالالأخلاقي والمحافظة على شخصيتها العربية الإسلامية.ومواجهتها الانحرافات وإفشال سياسة الفرنسة التجنيس والتنصير والإدماج.

وهكذا نجح دور المنهج التربوي للجمعيةوحقق أهدافه في بعث ونشر اللغة العربية والدين الإسلاميوكان له الفضل في عدم اندثارهما من أرض الجزائر المحتلة.

ولتحرير الجزائر أرضا وترابا وفكرا وثقافة وحضارة ولغة ودينا من العبودية وسيطرة المحتلوالمحافظة على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري.(أبو القاسم سعد الله2007)

إن مجهودات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متعددة الجوانب فقد ظلت تجاهد بفكرها ولسانها وقلمها في جبهات عديدة هي: مجال التربية والتعليم والصحافة والسياسة والإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي والدعوة إلى العقيدة الصحيحة، ومقاومة البدع والخرافات والأوهام، ومحاربة الظلم والفساد وأشكال الاضطهاد والوقوف في وجه القوانين الجائرة التي كانت سيفا مسلطا على أعناق الجزائريين.

–بهذه الروح الوطنية الوثابة، وبهذه العزيمة الصلبة ظلت تعلم أبناء الشعب وترشدهم وتثقف أفكارهم وتبصرهم بواجباتهم تجاه أنفسهم ووطنهم، وتجاه دينهم ولغتهم.

لأنها كانت ترى أن واجبها الأول في معركة بلادها مع المحتل هو تعبئة أبناء الأمة والأجيال الصاعدة وتنوير عقولهم بالعلم والمعرفة وتسليحهم بالوعي والإيمان، ليبقى إحساسهم بذاتيتهم قويا. وارتباطهم بوطنهم متينا، وليكونوا دائما على أهبة الاستعداد لما يتطلبهواجب الدفاع عن الوطن وتحريره من كل أشكال الظلم والاستبداد.

إنجازات جمعية العلماء:

1- إنشاء الصحافة الحرة وسيلتها فينشر الفكر الإصلاحي وتوعية أبناء الشعب الجزائري ومقاومة إدارة الاحتلال.

2- تأسيس المطبعة العربية (مطبعة الشهاب بقسنطينة)

3- تأسيس النوادي والجمعيات الفنية والرياضية والتجارية وفرق الكشافة الإسلامية لتنظيم الحياة الاجتماعية ونشر التوعية.

4- ومن أعظم إنجازاتها التي كانت الأساس الذي قامت عليها الحركة الإصلاحية والتربوية:

أ- إنشاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة التي جعلتها الهيئة المشرفة على التعليم العربي الحر.

ب-تأسيس التعليم العربي الحر والعناية بإنشاء المدارس وتنظيمها وتكوين جمعيات محلية ترعاها ماديا.

ت-ج-إحياء رسالة المسجد بتنظيم دروس تعليمية وتثقيفية للعامة والخاصة

ث-د-إنشاء المدارس في مختلف جهات الوطن بتمويل الشعب الجزائري وهكذا قامت جمعية العلماء بعدة نشاطات تميزت بشعبيتها وشموليتها ولذلك تمكنت في ظرف قصير نسبيا من توسيع نظامها ونشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في جميع أنحاء البلاد. وبث الوعي الديني والوطني في نفوس الشباب الذين كانوا يقبلون على دروس التثقيف العام بالمساجد والنوادي وغيرها.

كانت هذه المجالات كلها ميدان نشاطها ومبعث فكرها وعاشت من خلالها مع الجزائر وللجزائر متفاعلة مع محنتها وأوضاعها.

فلقد استطاعت أن تحدث نهضة فكرية وثقافية، وتعليمية شاملة، تنشر وعيا وطنيا وسياسيا واصلاحيا عاما، كان له الأثر الكبير في تعبئة الجماهير والجهد الوطني الذي تغذت منه قوافل الكفاح المسلح التي أتت بعد ذلك.

هذه هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت قلب الجزائر النابض وروحها الوثابة وضميرها اليقظ وفكرها المتبصر ولسانها المبين. لم تضعف في صراعها أمام هجمات المحتل المتتالية وتهديداته، بل بقيت ثابتة على مبادئها صامدة وهي تستعد لتنظيم نفسها وجمع شتاتها وتعبئة قواها والتهيؤ لإعلان الثورة الكبرى التي كان عملها ممهدا لها. حتى اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954.

وبالإضافة إلى التعليم والتوعية والتثقيف كانت للجمعية صراعات و مواجهات عديدة مع إدارة المحتل نذكر منها:

– مع المستشرقين الذين كانوا يدوسون على الإسلام.

–مع هيئات التبشير التي كان همها الوحيد تنصير الشباب والأطفال.

–مع المثقفين ثقافة فرنسية الذين تنكروا لشخصيتهم.

–مع حكام الاستعمار الفرنسي وسياسته في الجزائر والذين كانوا يراوغون في الردود على مطالب الجزائريين، وكانوا يتعسفون في التعامل مع العلماء ومع التعليم العربي الحر.

– مقاومة سياسة الفرنسة والتجنيس والتنصير والاندماج التي اتبعتها فرنسا في الجزائر.

–حرية أعضاء الجمعية في الوعظ والارشاد بالمساجد التي حرموا منها بمقتضى قانون فبراير 1933 (أبو القاسم سعد الله 2007).

–حرية التعليم العربي " الحر " بمدارسه وأساتذته وبرامجه (قانون 1938/03/08) الذي ينص على محاربة اللغة العربية من تعليمها وتعلمها ومحاصرتها ومضايقتها ويعتبرها لغة أجنبية في الجزائر.

–حرية النوادي تأسيسا وتمويلا ونشاطا (20 فبراير 1938) ان هذه القضايا الأربعة مدار الصراع بين الجمعية وإدارة الاحتلال الفرنسي من بداية تكوينها 1931 إلى أن توقفت عن النشاط في الفترة ما بين الفاتح من نوفمبر 1954 الى 1962 (محمد البشير الابراهيمي 1963).

ورغم كل هذه الظروف الصعبة والمعقدة أحيانا نجحت هذه الجمعية وهيئات وطنية من الوطنيين كانوا عدة في الثورة عند انطلاقها في سنة1954 وعماد بناء الدولة في بداية الاستقلال.

ومن أجدر بالتعظيم والتكريم هؤلاء الرجال الذين وقفوا حياتهم –وما أقصرها على خدمة دينهم وأمتهم ووطنهم، وبذلوا جهودهم وما أكثرها، وضحوا بكل عزيز وغال، وأنفقوا ما يملكون من علم وفكر وجهد في سبيل عزة أبناء الجزائر، ونهضة العروبة والإسلام، لا يريدون من وراء ذلك جزاءا ولا شكورا.

لأن الرجال الذين يصنعون التاريخ، يمثلون عصارة الفكر البشري وليس من السهل أن تنجب الأمة كثيرا منهم. إذ لا يظهرون إلا في فترات قمة العطاء الحضاري، أو في الفترات الحرجة من حياة المجتمع، والحكمة الإلهية تقتضي أن لا يوجد مثل هؤلاء إلا في فترات تكون الأمة والإنسانية في حاجة إليهم لينهضوا بها ويجددوا أمور دينها وتفكيرها، ويبصروها بالحقائق المحيطة بها، فيكونوا منارة هدي لها وللإنسانية.

(يروي أبو هريرة رضي الله عنه حديثا مفاده، أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس مائة كل سنة من يجدد لها دينها).

ولهذا ينبغي أن لا نقلل من شأن الرجال الذين وهبهم الله استعدادا متميزا.

–لقد أثنى بعض الكتاب الغربيين، ومنهم المؤرخ الفرنسي (شارل أندري جوليان) والكاتب الروسي (بليكوف) وغيرهما على جمعية العلماء ودورها الريادي في ايقاظ الرأي العام الجزائري وتفعيله في العمل الثوري وكان لها أثر قوي في تحسيس الرأي العام الوطني بقضايا الوطن الكبيرة ألا وهي التوعية والعمل على النهضة والمطالبة بالاستقلال.

وأتاحت لهم العناية الإلهية الظروف التي هيأتهم للعمل القيادي، ووجدوا من أنفسهم استجابة لهذا العمل , وقدرة عليه, فكرسوا حياتهم له, وخاصة في مجال الإصلاح والتغيير. ومسيرة الشعوب مثل الأنبياء والعلماء.

وحركة جمعية العلماء وتأثيراتها المختلفة في الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والأهداف التي كانت ترمي إليها التي جعلت من التعليم والتثقيف محورها، وتحضير الشعب وتعبئة الأجيال لمجابهة العدو غايتها.

يشيد الشيخ العربي التبسي بأعمال رجال جمعية العلماء فيقول: "إن الرجال لا تسجل أنسابهم ولا صورهم ولا أموالهم في سجل الإنسانية، شرائعها ورجالها، وإنما تسجل عقائد الذين غرسوا عقائدهم في نفوس الناس...

وإنما تسجل أعمال الذين أخرجوا الناس من فوضى اجتماعية إلى نظام اجتماعي توارثته الإنسانية بعدهم.

وإنما تسجل المبادئ التي تفيئإلى ظلها الإنسانية، حيث تغطي على الإنسانية الحوائح التي تحتاج الناس بسقوط عذابها ولهيب نيرانها (البصائر العدد 187 –أفريل 1952).

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فيذكر أعمال رئيس جمعية العلماء فيقول: "وحسبه من المجد التاريخي أنه أحيا أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير، ودينا لابسته المحدثات والبدع ولسانا أكلته الرطانات الأجنبية وتاريخا غطى عليه النسيان، ومجدا أضاعه ورثة السوء وفضائل قتلتها رذائل الغرب.

وحسبه من المجد التاريخي أن تلامذته اليوم هم جنود النهضة العلمية وأن أراءه في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي هي المنارة التي يهتدي بها العاملون، وأن بناءه في الوطنية الإسلامية هو البناء الذي لا يتداعى ولا ينهار.

إن اخوانه الذين حملوا معه معظم الأمانة في حياته، اضطلعوا بحملها كاملة بعد وفاته (البصائر العدد 44 سنة 1948).

وإذا كانت هذه المسيرة النضالية محدودة في الزمان والمكان فإنها حافلة بالإنجازات والأعمال وبفضل الخطة المنتهجة تم تكوين في ظرف وحيز جيلا من المفكرين وطلائع من العلماء المصلحين الذين واصلوا المسيرة بكل ثقة وعزم.

وانقطاعهم لبناء الأجيال وتأليف الرجال، ونشر العلم والفكر ومقاومة سياسة الاستعمار.

وأسهمت في تنشيط الحياة الفكرية والثقافية التي عرفتها البلاد في هذه الفترة (1931-1956). وغذت الحركة الوطنية بالروح التي كانت تنبض بها.وقد ذكر التاريخ في هذا المجال عددا من الشخصيات والعباقرة الذين ذاع صيتهم في دنيا الناس، وبرهنوا للعالم بإنجازهم أنهم يملكون قدرات تفوق قدرات الأفراد العاديين وبهذا يتأكد دور العناصر القيادية في المجتمع وتأثرها في مسيرة المجتمع ومجرى الأحداث.

يقول جمال الدين الأفغاني:

(لا عزة لقوم لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لقوم اذا لم يقم منهم اساطين تحمي و تحيي آثار رجال تاريخها، فتعمل عملهم، وتنسج على منوالهم , وهذا كله يتوقف على تعليم وطني بدايته الوطن ووسطه الوطن و غايته الوطن.

يموت العظماء و تبقى أعمالهم خالدة, يموت العظماء و تبقى أعمالهم قوة تحرك و رابطة تجمع و نور يهدي و عطر ينعش, كل ما يتركه العظماء من ميراث هي: أعمال و أفكار نعتز بها و نعبر منها و نقتدي بها) (أحمد أمين 1948 زعماء الإصلاح)

فقد خاطب عبد الحميد بن باديس في إحدى المناسبات الشباب الجزائري قائلا : إنني أعاهدكم على أنني اقضي بياضي على العربية و الإسلام ،كما قضيت سوادي عليهما و إنها لواجبات .... و اطلب منكم شيئا واحدا و هو أن تموتوا على الإسلام و القران و لغة الإسلام و القران. (جريدة الشهاب أوت 1939)

وصف احد الكتاب وضعية الجزائر بقوله :(إنها نقطة هادئة وسط منطقة هائجة)

و يشير إلى أن هناك تخوفات من الجزائريين قد تظهر في المجال الديني و السياسي.

و هي نتيجة لانتصارات جمعية العلماء لمواجهتها سياسة المحتل و بفضل تربية النشء و توعية الشباب و إيقاظ الضمير الوطني و تنبيه الغافلين و إحياء ثوابت الأمة و المحافظة على القيم الاجتماعية للمجتمع الجزائري من الذوبان و الاندثار.

قائمة المراجع

قائمة المراجع باللغة العربية

1) القرآن الكريم

2) آثار الإمام –عبد الحميد بن باديس 2007–ج1،2،3،4،5،6 وزارة الشؤون الدينية –الجزائر.

3) آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي 2007–ج1،2،3،4،5 وزارة الثقافة.

4) أبادي مجد الدين محمد الفيروز–1952–القاموس المحيط –مكتبة مصطفى اليابس الحلبي القاهرة مصر.

5) إبراهيم أنيس –1970 –اللغة بين القومية والعالمية–دار المعارف القاهرة –مصر.

6) الإبراهيمي –البصائر ع 4–29 اوت 1947

7) الإبراهيمي أحمد طالب –1997–آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي –دار الغرب الإسلامي بيروت.

8) الإبراهيمي أحمد طالب –2007–مذكرات جزائري دار القصبة للنشر الجزائر.

9) ابن تيمية تقي الدين –1961–الفتاوى –كتاب التصوف مجلد 11 الرياض.

10) ابن تيمية زين الدين – السياسة الشرعية في اصلاح الراعي و الرعية.

11) ابن منظور – لسان العرب ج19– الدار المصرية للنشر و التوزيع – القاهرة مصر.

12) أبو العينين علي خليل مصطفى –1988– القيم الإسلامية و التربية–دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ط1– مكتبة ابراهيم الحلبي المدينة المنورة السعودية.

13) أبو الفتوح رضوان –1968–القومية العربية الهيئة العامة للمكتب العلمية القاهرة.

14) أبوالفتوح رضوان–1965–أسس التربية في الوطن العربي –المجلس الأعلى رعاية الفنون والآداب.

15) أبو القاسم سعد الله –1969–الحركة الوطنية الجزائرية –دار الآداب –بيروت لبنان.

16) أبو القاسم سعد الله –الحركة الوطنية الجزائرية –1830–1900–ط 4 دار الغرب الاسلامي 1992– بيروت –لبنان

17) أبو القاسم سعد الله – منطلقات فكرية –1982دار العربية للكتاب– تونس.

18) أبو القاسم سعد الله –1981– تاريخ الجزائر الثقافي ج1 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر.

19) آثار الامام عبد الحميد بن باديس ط1–1991– دار البعث قسنطينة.

20) أحمد الخطيب –1985– جمعية العماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر– المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر.

21) أحمد أمين – 1948– زعماء الإصلاح في العصر الحديث – النهضة المصرية القاهرة – مصر.

22) أحمد توفيق المدني –1963– كتاب الجزائر– ط 2– دار الكتاب الجزائري – البليدة و طبع بدار المعارف بالقاهرة 1163– مصر.

23) احمد توفيق المدني–1956–هده الجزائر.مكتبة النهضة المصرية القاهرة –مصر

24) أحمد توفيق المدني 1962 جغرافية القطر الجزائري – دار المعارف – القاهرة مصر.

25) أحمد حماني –1984 صراع بين السنة و البدعة –ج2– دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر.

26) أحمد طالب الإبراهيمي–1997– –آثار– الإمام محمد البشير الإبراهيمي– دار الغرب الاسلامي – بيروت لبنان.

27) أحمد عبد الحليم عطية –1998–الأخلاق في الفكر العربي المعاصر دار قباء للطباعة والنشر

28) أحمد فاتق – محمود عبد القادر –1972– مدخل إلى علم النفس الفكر الأنجلو المصرية القاهرة.

29) أحمد فؤاد الأهواني–1986–– التربية في الإسلام – دار المعارف –القاهرة– مصر.

30) أحمد لطفي بركان –1982– في الفكر التربوي الإسلامي– دار المريخ الرياض .....

31) أحمد مربوش2007– ط 2– الشيخ الطيب العقبي و دوره في الحركة الوطنية – دار هومة النشر

32) أحمد مهساس–1984– الحركة الوطنية الثورية في الجزائر.

33) ا–ك– اوتاواي– التربية والمجتمع – ترجمة وهيب إبراهيم سمعان –1960– مكتبة الانجلو المصرية القاهرة.

34) انجرس مورين 2004 منهجية البحث في العلوم الإنسانية تدريبات عملية ترجمة صحراوي بوزيد

35) ا.س.سي–دوب(1998) التغير الاجتماعي–ترجمة عبدالهادي الجوهري–المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية مصر

36) أنور رفاعي وآخرون–1967– دراسات في المجتمع العربي – مطبعة جامعة دمشق سوريا.

37) **باعزيز بن عمر– 1969 – بن باديس المربي الكبير – مقال منشور في مجلة لمحات عدد 6 الجزائر.**

38) **بالجن مقداد –1989–أهداف التربية الإسلامية وغايتها – دارالهدى للنشر والتوزيع الرياض السعودية.**

39) اللجنة العليا برامج مدارس جمعية العلماء – منهاج التعليم المتوسط –بدون تاريخ.

40) برنارد نوتكلت– سيكولوجية الشخصية – ترجمة صلاح مخيمر، وعبده ميخائيل رزق – دار الطباعة الحديثة القاهرة.

41) البطش وليد – 1990– البناء القيمي لدى طلبة الجامعة الأردنية مجلة دراسات العلوم الاجتماعية العدد 3– عمان– الأردن.

42) بكرة عبد الرحمان الرفاعي –1980– القيم الأخلاقية في التربية الإسلامية رسالة ماجستير جامعة طنطا – مصر.

43) بوالصفصاف عبد الكريم –1981– جمعية العلماء و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية – ط1– دار البعث – قسنطينة –الجزائر.

44) بورنان سعيد 2011 نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائر بين فرنسا (1936–1956) دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر.

45) تركي رابح – التعليم القومي و الشخصية الوطنية 1931–1956 الشرطة الوطنية لنشر و التوزيع 1975 الجزائر

46) تركي رابح – الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جوهره في التربية و التعليم ط 3– الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1981 الجزائر.

47) تركي رابح –1982–أصول التربية والتعليم ديوان المطبوعات الجامعية–الجزائر.

48) تركي رابح –2004–جمعية العلماء المسلمين التاريخية 1931–1956–ورؤسائها الثلاثة –الجزائر موقع للنشر والتوزيع ط 1 الجزائر

49) تركي رابح الصراع بين جمعية العلماء و حكومة الاحتلال مجلة التاريخ العدد 11(1981) الجزائر.

50) تركي رابح عمامرة–1982– دراسات في التربية الاسلامية – المؤسسة الجامعية للنشر و التوزيع – بيروت – لبنان

51) التل بسام يوسف–1996– القيم الإسلامية و أثرها في الإنتاجية في المؤسسة الصناعية جامعة اليرموك كلية الشريعة – الأردن .

52) الثميمي عبد الجليل –1972– بحوث و وثائق في التاريخ المغربي (1816–1871) مطبعة المنار–تونس

53) جمال أحمد محمد –1983– نحو تربية إسلامية المكتب الإسلامي القاهرة.

54) الجمالي محمد فاضل –1967– تربية الإنسان الجديد (في مبادئ التربية)الشركة التونسية للتوزيع تونس.

55) الجميل علي –1996– القيم و منهاج التاريخ الإسلامي عالم الكتب للنشر و التوزيع– القاهرة مصر.

56) الحبيب الجنحاني –1973– حركة التبشير في المغرب العربي في القرن19 – مجلة الأصالة– الجزائر.

57) حلال يحي –1981– المغرب الكبير في الفترة المعاصرة وحركات التحرر– دار النهضة العربية – بيروت.

58) حلوش عبد القادر –1975– السياسة التعليمية في الجزائر –1871 –1914 – رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة دمشق.

59) حنفي بن عيسى (1994) مقدمة في علم النفس–ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

60) حمزة بوكوشة–1955– البصائر العدد 317–6 ماي 1955.

61) **الحياري حسن أحمد–1994– ماهية القيم و أنواعها اسلاميا – كلية التربية جامعة اليرموك– الأردن.**

62) خالدي مصطفى و عمر فروج التبشير و الاستعمار في البلاد العربية بيروت 1964.

63) خديجة بقطاش –2007– الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830–1871– منشورات دحلب الجزائر.

64) دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد25جانفي2015جامعة الجزائر2.

65) راجع محمد جاد صبيح –1981–أعلام التربية الاسلامية مجلة التضامن الاسلامي عدد السنة – مكة المكرمة – السعودية.

66) رضوان زيادة –2010– صراع القيم بين الإسلام و الغرب ط1 دار الفكر – دمشق سوريا.

67) زايد نواف الدويري 2008 الميسر في منهج البحث العلمي –دار يافا للنشر و التوزيع عمان– الأردن.

68) الزبير عروس 1999 مفهوم المواطنة المحلية والعالمية في خطاب الحركة الإسلامية بالجزائر.

69) زرواتي رشيد 2002تدريبات على منهجية البحث في العلوم الاجتماعية مطبعة دارهومة–الجزائر.

70) ساطع الحصري –1963– ما هي القومية – دار العلم الملايين بيروت لبنان.

71) ساطع الحصري –1957– الوحدة العربية دار المعارف القاهرة – مصر.

72) سجل مؤتمر جمعية العلماء الثالث 1935 المطبعة الاسلامية الجزائرية سنة 1937 م قسنطينة.

73) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي –1931 بالجزائر دار الكتاب 1982 الجزائر.

74) أبو القاسم سعد الله 1992 –الحركة الوطنية الجزائرية ج 2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

75) سعدون محمود الساموك هدى على جواد الشهري 2005–تقويم تعلم التربية الإسلامية دار وائل للنشر و التوزيع – عمان الأردن.

76) شومان علي سعيد –1993– القيم التربوية جامعة اليرموك – الأردن.

77) صالح فركوس–1991–أصالة و تغريب – دار الكوثر للنشر – الجزائر.

78) **صبحي محمد أحمد جاد –1984– التربية الاسلامية – تربية مقارنة المجلد 1 دار الجيل بيروت لبنان.**

79) الطاهر زرهوني 1994 –التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال –الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر.

80) الطاهري عمري –2004– النخبة الوطنية الجزائرية و مشروع المجتمع (1930–1940) رسالة دكتوراه غير منشورة في التاريخ الحديث والمعاصر– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة.

81) **العاجز فؤاد و العمري –1999– القيم و طرق تعليمها و تعلّمها كلية التربية جامعة اليرموك – الأردن.**

82) **عبد الحميد محمد الهاشمي – 1982– أصول علم النفس العام – ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر.**

83) عبد الرحمان الرافعي –1967– جمال الدين الأفغاني – باعث النهضة الشرقية –أعلام العرب – عدد 61جانفي1967 دار الكاتب العربي القاهرة.

84) عبد الرحمان شيبان –2008– من وثائق جمعية العلماء دار المعرفة الجائر العاصمة 1959.

85) **عبد الرحمان محمد عيسوي – دراسات في علم النفس الاجتماعي – دار النهضة العربية بيروت لبنان.**

86) عبد العزيز المعايطة –2006– المدخل في أصول التربية الإسلامية دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان الأردن.

87) عبد العزيز صالح–1979– التربية و طرق التدريس – دار المعارف مصر.

88) عبد الفتاح حنفي –2001– علم النفس المعاصر – مركز الاسكندرية للكتاب مصر.

89) عبد الكريم أبو الصفصاف – 2009– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية – الصندوق الوطني لترقية الفنون و الآداب و تطويرها.

90) عبد الكريم أحمد –1970– القومية والمذاهب السياسية – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر– القاهرة مصر.

91) عبد الله عبد الرحمان صالح –1986–المنهاج الدراسي مركز الملك فيصل للبحوث و الدراسات الإسلامية الرياض.

92) عبد المالك مرتاض –1984– محمد البشير الابراهيمي منشورات وزارة الثقافة مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث – الجزائر.

93) عبد الهادي محمد أحمد –1984– المربي والمتربي في التربية الإسلامية – دار البيان العربي –بيروت – لبنان.

94) عبيدات محمد وآخرون 1999– منهجية البحث العلمي – القواعد والمراحل و التطبيقات.

95) عثمان فراج 1970"أضواء على الشخصية والصحة العقلية" مكتبة النهضة المصرية.

96) عدنان السبيعي – الموجز في علم النفس – دار المعارف – القاهرة – مصر.

97) عدي الهواري –الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي – دار الحداثة للطباعة و النشر – بيروت – لبنان.

98) عزيز سمارة –عصام النمر هشام الحسن 1999– سيكولوجية الطفولة –دار الفكر للنشرعمان الأردن.

99) عفيفي – محمد الهادي –1976– في الأصول الفلسفية للتربية مكتبة الأنجلو القاهرة مصر.

100)عفيفي محمد الهادي –1964– التربية والتغيير الثقافي – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة.

101)علال الفاسي –المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى –1955–ط1.

102)علي سامي النشار –1966–تراث الانسانية عدد 2 مجلد 4 القاهرة مصر.

103)علي ليلة –1991–النظرية الاجتماعية المعاصرة: دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع –دار المعارف – القاهرة –مصر.

104) علي مراد–2007–الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى1940 دار الحكمة–الجزائر.

105)فتحي الديب –1984– عبد الناصر وثورة الجزائر دار المستقبل العربي القاهرة مصر.

106)فرج عبد القادر طه –1986–علم النفس و قضايا العصر – دار النهضة العربية– بيروت– لبنان

107)فضلاء محمد الطاهر –1984– دعائم النهضة الوطنية الجزائرية – التعليم الديني– الاصلاح الديني – جمعية العلماء– ط1– قسنطينة دار البعث للطباعة و النشر.

108)قورة حسين سليمان–1968– الأصول التربوية – دار المعارف –القاهرة مصر.

109) كوليت وفرانسيس جانسون–1957– الجزائر الثائرة– ترجمة علوي الشريف وآخرين – وزارة الإيثار القومي المصرية.

110)ماجد الزيود –2006– الشباب و القيم في عالم متغير – دار الشروق للنشر و التوزيع عمان –الأردن.

111)مادلين غراوتيز1996– التقنيات في خدمة العلوم الاجتماعية ترجمة عمار سامي درا مشرق دمشق – سوريا.

112)مالك بن نبي –1986–وجهة العالم الإسلامي – دار الفكر للطباعة و النشر– دمشق – سوريا.

113)مالك بن نبي –8198– الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ط 3، دار الفكر – دار الفكر للطباعة و النشر– دمشق – سوريا.

114)محمد أبو زهرة–1958 – ابن تيمية– حياته وعصره و أرائه الفقهية ط 2– دار الفكر العربي– القاهرة.

115)محمد أحسن فضلاء–1999 – المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر –دار الأمة –الجزائر.

116)محمد احمد جمال–1983– نحو تربية إسلامية –المكتب الإسلامي – القاهرة – مصر.

117) محمدأحمد عبد الهادي –1984– المربي والمتربي في التربية الإسلامية – دار البيان العربي – بيروت – لبنان.

118) محمد البشير الإبراهيمي (محرر)سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (الثالث)1935المطبعة الجزائرية الإسلامية قسنطينة الجزائر.

119)محمد البشير الإبراهيمي – 1963 عيون البصائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر.

120) محمد الصالح الصديق –1983– الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من أرائه و مواقفه– دار البعث ط1 قسنطينة الجزائر.

121)محمد الصالح الهرماسي–2001– مقاربة في إشكالية الهوية– المغرب العربي المعاصر ط1– دار الفكر – دمشق – سوريا.

122) محمد الصالح رمضان –1995–إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس شركة دار الأمة –الجزائر.

123) محمد الصاوي علي 1999 نظرية الثقافة – المجلس الوطني للثقافة و الفنون.

124)محمد الطاهر فضلاء –1985– الطيب العقبي – رائد الحركة للإصلاح الديني في الجزائر– منشورات وزارة الثقافة – طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الرغاية – الجزائر.

125)محمد الميلي –1980– ابن باديس و عروبة الجزائر – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر.

126)محمد الهادي عفيفي –1964–(التربية و التغير الثقافي) الأنجلو المصرية ط 2 القاهرة – مصر.

127) محمد الهادي عفيفي وآخرون –1972–(التربية ومشكلات المجتمع) عالم الكتب القاهرة – مصر.

128)محمد الهادي عفيفي–1971– (في أصول التربية) الأنجلو المصرية ط 2 القاهرة – مصر.

129)محمد أنيس وآخرون –1961– دراسات في المجتمع العربي دار النهضة العربية بيروت – لبنان.

130)محمد أنيس–1961– دراسات في المجتمع العربي دار النهضة العربية القاهرة – مصر.

131)محمد خير الدين –1985– مذكرات الشيخ خير الدين ج 1– مطبعة دحلب – الجزائر.

132)محمد صالح الهرماسي2001– مقاربة في إشكالية الهوية – الغرب العربي المعاصر ط1– دار الفكر – دمشق – سوريا.

133)محمد عاطف غيث 1963– علم الاجتماع دار المعارف القاهرة – مصر.

134)محمد عزة دروزة –1957–(الوحدة العربية) المكتب التجاري بيروت – لبنان.

135)محمد علي دبوز– 1965 – ثورة الجزائر و نهضتها المباركة ط1المطبعة التعاونية – دمشق سوريا.

136)محمد علي دبوز– 1971 – ثورة الجزائر و نهضتها المباركة ط2 المطبعة التعاونية – دمشق سوريا.

137)محمد عمارة –1972–(الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج3 –المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت– لبنان.

138)محمد عمارة –1982– تحديات لها تاريخ– دار النشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر– بيروت – لبنان.

139)محمد عمارة 1966 الاعمال الكاملة جمال الدين الافغاني دار الكتاب العربي المؤسسة المصرية العامة القاهرة مصر.

140)محمد قطب علي –1983–أولادنا في ضوء التربية الإسلامية – مكتبة القرآن– بولاق–القاهرة – مصر.

141)محمد قنانش –1950– برنامج حركة النجم – مجلة الجزائر الحرة – الجزائر.

142)محمد قنانش – الإيديولوجية في الحركة الوطنية مجلة الأصالة – نوفمبر 1972–الجزائر.

143)محمد لبيب النجيحي – 1971– (الاسس الاجتماعية للتربية) الانجلو المصرية ط1 – القاهرة – مصر.

144)محمد لبيب النجيحي–1981–(في الفكر التربوي)– ط2 دار النهضة العربية – بيروت– لبنان.

145)محمد لبيب النجيحي –1967– (مقدمة في فلسفة التربية) الأنجلو المصرية ط2 – القاهرة – مصر.

146)محمد لبيب النجيحي –1971– (التربية و بناء المجتمع العربي) الأنجلو المصرية – القاهرة – مصر.

147)محمد مهداوي –1985– البشير الإبراهيمي – نضاله و آدابه– ط1 – دار الفكر – دمشق سوريا.

148)محمود قاسم –1968– الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية _ دار المعارف – القاهرة – مصر.

149)مرسي محمد منير –1982–أصول التربية الثقافية و الفلسفية – عالم الكتب –القاهرة –مصر.

150)مركز البحوث العربية – الجمعية العربية لعلم الإجتماع مكتبة مدبولي – القاهرة – مصر.

151)مروان عبد المجيد إبراهيم 2000 أسس البحث العلمي ط1 مؤسسة الشروق للنشر– عمان –الأردن.

152)مصطفى الخشاب–1958–النظريات و المذاهب السياسية – مطبعة البيان العربي –القاهرة –مصر.

153)مصطفى عشوي –1991– المدرسة الجزائرية إلى أين?شركة دار الامة – الجزائر.

154)ناصر الدين سعيدوني–2000– منطلقات و آفاق – مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا–دار النشر – دارهما – الجزائر.

155) نائل حافظ العوامة 1995–أساليب البحث العلمي– الأسس النظرية و تطبيقها ط1 مكتبة أحمد باديس– القاهرة مصر.

156) الندوي أبو الحسن –1997– التربية الإسلامية الحرة – مؤسسة الرسالة – القاهرة _ مصر .
و الطبع و التوزيع الجزائر.

157) وائل عبد الرحمن التل –أحمد محمد شعراوي–2007– اصول التربية التاريخية دار الحامد للنشر و التوزيع عمان – الأردن.

158)وعلي محمد الطاهر–1989 – التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 الى 1904 رسالة ماجيستير في علوم التربية – جامعة الجزائر2.

159)يوسف القرضاوي – 1994– دور القيم الأخلاقية في الاقتصادالإسلامي – مكتبة وهبة ط1 القاهرة – مصر.

160)يوسف مراد –1973–الكتاب السنوي في علم النفس دار المعارف –القاهرة– مصر.

161)يوسف موسى –1962– ابن تيمية سلسلة أعلام العرب رقم 5 القاهرة – النهضة المصرية.

162)يحي بوعزيز 1983 سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

163)هلال عمار 1983 التنافس التبشيري الحديث في افريقيا السوداء وزارة الثقافة الجزائر

164)هلال عمار 1995–ابحاث و دراسات لتاريخ الجزائر المعاصر–1830–1962 ديوان المطبوعات الجزائرية.

<u>الصحف و المجلات العربية</u>

165)جامعة الجزائر –1964– مجلة (كلية الآداب) العدد الأول – الجزائر.

166)جريدة (المجاهد الأسبوعية) عدد 3/506 ماي 1970– الجزائر.

167)جريدة الشعب – عدد 18 فبراير عام1970– الجزائر.

168)جريدة المنتقد العدد 1–2 جويلية1925

169)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين –1933–(جريدة السنة المحمدية) الجزائر.

170)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين –1933–(جريدة الشريعة المطهرة) الجزائر.

171)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين –1933–(جريدة الصراط السوي)الجزائر.

172)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من 1935 إلى1939 ثم من 1947إلى1956(جريدة البصائر) الجزائر.

173)صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية(1958) المركز الإقليمي لليونيسكو – بيروت–لبنان.

174)عبد الحميد بن باديس –1939–"مجلة الشهاب "11 مجلدا من(1929 _ 1939).

175)عبد الحميد بن باديس–1925–(جريدة المنتقد)الأعداد من 1 إلى10– قسنطينة – الجزائر.

176)مجلة (العربي) عدد 173- وزارة الاعلام – عدد افريل1973- الكويت.

177) مجلة الأصالة –1971- أعداد مختلفة تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الدينية – الجزائر.

178)مجلة الثقافة –1971- أعداد مختلفة تصدرها وزارة الثقافة – الجزائر.

179)مجلة الثقافة العربية –1958-العدد الأول يصدرها النادي الثقافي العربي –بيروت– لبنان.

180)مجلة الفكر المعاصر–1969-العدد5- عدد خاص بالشخصية المصرية – القاهرة –مصر.

181)مجلة لمحات –عدد 3 السنة 1969- اللجنة الوطنية لليونسكو- وزارة التربية – الجزائر.

182)مجمع اللغة العربية –1966-(مجلة المجمع) العدد 21- القاهرة – مصر.

183)مكتب التعريب –1964-تاريخ جامعة الدول العربية بالرباط – مجلة اللسان العربي- العدد الأول – الرباط –المغرب.

184) مولود عويمر –2011-الشيخ عبد القادر المجاوي- مجلة الوعي عدد 4/3 أفريل2011 الجزائر.

185)ابن باديس –مجلة الشهاب ج 4 م 12 عدد يناير1937.

186)ابن باديس جريدة البصائر السنة الأولى العدد 24/46أفريل1936.

187)أحمد طالب الابراهيمي–1970- جريدة المجاهد الاسبوعية عدد 566 ماي 1970.

188)الأصالة – العدد الثاني ماي 1971 الجزائر.

189)البصائر ، العدد 172–173 السنة الرابعة 15أكتوبر1951م.

190)البصائر السنة 3العدد 136 قسنطينة 21 اكتوبر 1938.

191) البصائر العدد 108 بتاريخ 15أفريل1938 الجزائر.

192)البصائر العدد 114 بتاريخ 20 ماي 1938 الجزائر.

193)البصائر العدد السنة الثانية السلسة الثانية 25 اكتوبر 1948 م.

194)البصائر الندى العدد 136 قسنطينة يوم الجمعة 27 شعبان 1357هـ21أكتوبر 1938.

195)البصائر الندى العدد 80 الجمعة 26 جمادى الثانية 1356هـ سبتمبر1937.

196)البصائر قسنطينة يوم الجمعة 5 جمادى 1355هـ21 جوان 1939.

197)جريدة البصائر 1948_ الكتب المقررة في مدارس جمعية العلماء العدد59–6 ديسمبر1948.

198)جريدة السنة العدد2 السنة الأولى 17 فيفري 1933.

199)جريدة الشهاب العدد 09 السنة الاولى 07 ديسمبر 1925.

200)جريدة الشهاب العدد 49 السنة الثالثة 23 أوت 1926.

201)جمعية العلماء المسلمين الجزائرين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931–1945.

202)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة (البصائر)1935_ 1956.

203) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة (السراط السوي)1933.

204)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة (السنة المحمدية)1933.

205)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة (الشريعة المطهرة)1933.

206)جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية – دراسة تاريخية وبيولوجية مقارنة.

207)الشهاب ج7، م 12، رجب 1355 هـ(أكتوبر 1936).

208)الشهاب العدد 39، 9 محرم 1345 هـ(19جويلية1926).

209)الشهاب العدد 47،7 صفر 1345 هـ الموافق لـ16أوت 1926 م.

210) الشهاب ج4 جوان ،جويلية1938.

211)عبد الحميد بن باديس جريدة الشهاب (1925–1929).

212) عبد الحميد بن باديس جريدة المنتقد – العدد 18 عام 1925 قسنطينة.

213)عبد العزيز فيلالي – مجلة أفكار و أفاق العدد03 –2012 المجلات الثقافية و الفكرية.

214)عمر بن قينة – مجلة – الثقافة – العدد 48 ديسمبر1978– عبد القادر المجاوي في حياته وآثاره.

215)لجنة التعليم العليا–1952–منهاج التعليم لمدارس جمعية العلماء 20 أكتوبر سنة 1952 قسنطينة–الجزائر

216)المجلة التاريخية المغربية – العدد الأول سنة 1975–دورالمبشرين في نشر المسيحية بتونس (1830–1981) المجلة التاريخية العدد الثالث 1975.

217)مجلة الثقافة وزارة الإعلام والثقافة الجزائر عدد 2ماي 1971.

218)مجلة الشهاب ج 3م 12 عدد جويلية1936.

219)مجلة الشهاب ج 5 م 5 عدد ماي 1929.

220)مجلة الشهاب ج 6 م7 عدد جولية 1931 قسنطينة.

221)محمد البشير الإبراهيمي" مجلة الشهاب" ج 4،5 م 14 عدد خاص جويلية1938.

222)مولود عويمر2011– مجلة الآفاق– الشيخ المجاوي أستاذ الجماعة– العدد 03،04 أفريل،ماي 2011– كلية العلوم الإجتماعية – جامعة الجزائر2.

223)هلال عمار– التنافس التبشيري الحديث في إفريقيا السوداء مجلة الثقافة عدد 78 ديسمبر 1983–وزارة الثقافة – الجزائر.

224)

التقارير والمنشورات

225)اللائحة الداخلية لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة – بدون تاريخ

226) برنامج الدراسة الإبتدائية للتعليم الخاص في مدرسة الحياة بالقرارة "– ميزاب."

227)التقرير الذي قدمته جمعية العلماء 1944 إلى حكومة فرنسا بخصوص المسائل الدينية الثلاث " فصل الدين عن الحكومة – حرية التعليم العربي – و حرية القضاء الاسلامي."

228)تقرير عن النشاط التعليم العربي الحر"– التابع لحزب الشعب – بدون تاريخ.

229)تقرير عن نشاط الجمعيات الخيرية الإسلامية في" واد ميزاب " خاص بالتعليم العربي"الحر في الفترة (1931_ 1956)– بدون تاريخ.

230)تقرير مرسل من طرف الشيخ ابراهيم بيوض الى الاستاذ تركي رابح –1973– حول عدد مدارس التعليم العربي " الحر" في ميزاب من 1931إلى1956.

231)لجنة التعليم العليا التابعة لجمعية العلماء منشور صادر بتاريخ 1955/10/20 خاص بتعديل مناهج التعليم لمدارس الجمعية

232)لجنة التعليم العليا– منشور خاص بمناهج تعليم التاريخ والجغرافيا في مدارس الجمعية.

233)المكتب الدائم للجنة التعليم العليا– نداء إلى رؤساء جمعيات المدارس المحلية و أعضائهاومجالسها الإدارية – المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة – بدون تاريخ.

234)منهج التعليم (القسم الابتدائي) التابع لجمعية العلماء – بدون تاريخ.

235)منهج التعليم (القسم التحضيري) التابع لجمعية العلماء – بدون تاريخ.

236)منهج التعليم (القسم المتوسط) التابع لجمعية العلماء – بدون تاريخ.

237)منهج التعليم العربي " الحر" التابع لحزب الشعب – بدون تاريخ.

238)المنهج الدراسي لمعهد الحياة – بالقرارة " ميزاب "– بدون تاريخ.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

239) Persons t the school class as a social in A H HALSEY JIA1961N FLOUD 1961 ANDESON F DS education economy new York free pres 1961

240) COOLEY CHURIES H social organization N Y sechockan books 1972

241) Meighan.R A sociology of eduction London hall rinchart and Winston 1981

242) J.S.KouninDiaplinc and groupe management in classrooms (rinchart and Winston ny 1970

243) Durkhiem.E Education and sociology new York free press 1956

244) Hargrecaves David Inietpersonl relations and education London ranhedge1972

245) Taylor.I.C Resources forleaning harmands worth penguin1971

246) Agreonch Robert histoire de l algeriecontemporaire (1871_1954)r paris

247) Ageronch robert 1968 le algeriensmusulrians et la France (1871_ 1914) t1 paris

248) Kaddache Mahfood 1980 Histoire de nationalisme Algérien (1919_1951) t1 et 2 Alger

249) Julien charlesandre _ lafrique du nord en marche paris juliard 1952

250) Aron robert _ les origines de la guerre de l'Algérie paris fayard 1962

251) Nouschi Andre _ la naissance de la guerre de l'Algérie paris les éditions de minuit 1962

252) Mourlan pierre législation et réglementation l'enseignement primaires public des indigènes d'Algérie dijon 1903

253) Confluent paris no 32 et 31 juillet paris 1963

254) Bulletin de l'académie d'Alger no 1 Alger 1957

255) Bulletin de l'académie d'Alger no 4 alger 1960

256) Jeason colette et Francis _ l'Algérie hors de la lois paris seuil 1955

257) Lacosten souschi et prenant l'Algérie passe et présent paris edsocides 1961

258) Robert-ch-ager- Histoire de l'Algérie contemporaire 1830-1964 p u f paris 1964

259) Clansel e leynardierhistoitr de lalgerieprancaisemorel paris 1848

260) Mcheffaudtextbei " lenseignement primaire des muslmansdalgerie in documents algeriens no 13 du 25 dec 1947 snedalger 1947 s 5

261) Turenejvone affrontements culturels dans Algériecoloniale

262) MouleyDrisschabou die elementraschule in Algerianentstehung und geschtlicheentwicklungderfranzosischenelementraschule fur algerier 1930_1962

263) AGERON- CHARLES – ROBERT- Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919)Tome1 Publications de la faculté des lettres et sciences humaines de paris – Sorbonne. Série RecherchesTome 44 1ère Edition – Paris PUF 1968

264) AGERON- CHARLES – ROBERT- Histoire de l'Algérie contemporaine de l'instruction de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954 Tome 2 Paris PUF 1979.

- **ملحق رقم 1**

التقرير الذي قدمه مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الحكومة الجزائرية (الفرنسية)

بعد اجتماعه المنعقد في 5 اوت سنة 1944 في المسائل الدينية الثلاثالمساجد – التعليم – القضاء

- **ملحق رقم 2**

جمعية العلماء المسلمين الجزائرياللائحة الداخلية لمدارس الجمعيةالمادة السابعة (من القانون العام)

- **ملحق رقم 3**

المدارس التي انشاتها جمعية العلماء من عام 1931حتي عام 1956

- **ملحق رقم 4**

الزوايا في الزواوة

- **ملحق رقم 5**

القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- **ملحق رقم 6**

دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها بقلم الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- **ملحق رقم 7**

جمعية العلماء المسلمين الجزائرييأعمالها – أهدافها – مواقفها السياسية

- **ملحق رقم 8**

القرارة في 8 ربيع الاول 1392 هـ – في 1972/4/22 تقرير عن التعليم العربي الحر بوادي ميزاب

- **ملحق رقم 9**

برنامج نجم إفريقيا الشمالية سنة 1933

- **ملحق رقم 10**

أعضاء جيش التحرير الوطني من طلبة معهدالشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسنطينة في ثورة أول نوفمبر (1954م –1962م) من إعداد المجاهد والضابط في جيش التحرير الوطني والطالب قبل قيام الثورة في معهد الشيخ عبد الحميد بن باديسفي مدينة قسنطينة ابتداء من عام 1947م أبو بكر مسعودي – الضابط في جيش التحرير الوطنيتوفي رحمه الله عام 2002م

الملاحق

- **ملحق رقم 1**

التقرير الذي قدمه مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الحكومة الجزائرية (الفرنسية) بعد اجتماعه المنعقد في 5 اوت سنة 1944 في المسائل الدينية الثلاثالمساجد – التعليم – القضاء

- **ملحق رقم 2**

جمعية العلماء المسلمين الجزائرياللائحة الداخلية لمدارس الجمعيةالمادة السابعة (من القانون العام)

- **ملحق رقم 3**

المدارس التي انشاتها جمعية العلماء من عام 1931حتي عام 1956

- **ملحق رقم 4**

الزوايا في الزواوة

- **ملحق رقم 5**

القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- **ملحق رقم 6**

دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أصولها بقلم الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

- **ملحق رقم 7**

جمعية العلماء المسلمين الجزائرييناعمالها – أهدافها – مواقفها السياسية

- **ملحق رقم 8**

القرارة في 8 ربيع الاول 1392 هـ – في 1972/4/22 تقرير عن التعليم العربي الحر بوادي ميزاب

- **ملحق رقم 9**

برنامج نجم إفريقيا الشمالية سنة 1933

- **ملحق رقم 10**

أعضاء جيش التحرير الوطني من طلبة معهدالشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسنطينة في ثورة أول نوفمبر (1954م –1962م) من إعداد المجاهد والضابط في جيش التحرير الوطني والطالب قبل قيام الثورة في معهد الشيخ عبد الحميد بن باديسفي مدينة قسنطينة ابتداء من عام 1947م أبو بكر مسعودي – الضابط في جيش التحرير الوطنيتوفي رحمه الله عام 2002م

ملحق رقم 1

بسم الله الرحمان الرحيم

التقرير الذي قدمه مجلس إدارة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

إلى الحكومة الجزائرية (الفرنسية)

بعد اجتماعه المنعقد في 5 اوت سنة 1944 في المسائل الدينية الثلاث المساجد – التعليم – القضاء

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحكم أمانة الدين و عهد الله و شهادة الواقع تعتب نفسها مسؤولة عند الله و أمام الأمة الجزائرية عن الإسلام و معابده و تعليمه و لغته و جميع شعائره الحقيقية و أحكامه القضائية

و تعلم أن الحكم القاطع في الإسلام في مسألة المساجد هو أن التصرف فيها لجماعة المسلمين دون سواهم ، و أن أئمة المساجد و من جرى مجراهم يجب أن يكون أمرهم راجعا إلى جماعة المسلمين دون سواهم في الاختيار و التولية و العزل و المراقبة و تقرير الجرايات .

و ما شرع الوقف الخيري في الإسلام إلا ليقوم بواجبات دينية و اجتماعية أهمها هذه ، فينفق منها على المساجد و على القائمين بها من غير احتياج إلى الخزينة العامة (بيت المال) و على هذا الأساس تعتبر جمعية العلماء كل تدخل حكومي في هذه الأمور الدينية ظلما و تعديا و هدما لمبدأ احترام الأديان و حرية الضمائر كيفما كان نوع الحكومة لا دينيا أو متدينا بغير الإسلام

و كما يعتبر الإسلام تدخل غير المسلم في شؤون الدين الإسلامي ظلما و تعديا كذلك يعتبر تدخل المسلمين في شؤون الدين الموسوي أو العيسوي تعديا و ظلما، و على هذا المبدأ جرت الحكومات الإسلامية في التاريخ ، فكانت تكل شؤون الأديان الأخرى إلى أربابها و إلى علماءها ، و

كانت مجالس الأحبار و مجلس الأساقفة هي التي تتحكم بكل حرية في المعابد وأوقافها و في القضاة و أحكامهم ، و لا يتدخل القضاء الإسلامي الأعلى في شيء من شؤونهم الدينية .

هذه هي الحقيقة في النظر الإسلامي الذي لا يتغير بتغير النظريات الزمنية. و على هذا فالأمة الجزائرية بواسطة علماءها هي صاحبة الحق المطلق دينا و عقلا و عرفا معقولا في إقامة دينها و إدارة معاهده و اختيار من يصلح لوظائفه من خطابة و إمامة و قضاء و تعليم بما تقتضيه قواعد الدين، و تصح به عبادته و أحكامه ، و بما أنها هي التي تصلي في المساجد فحقها الطبيعي المعقول أن تختار من تقدمه للصلاة ، كما أن من حقها الطبيعي أيضا أن تختار قضاتها الذين تضع في أيديهم ركنا من أركانها الاجتماعية الخطيرة وهو النكاح. و ركنا من أركانها المالية الخطيرة و هو الميراث ، و أن يكون لها من الإشراف على تعليمهم ، ومن النظر في توليتهم و عزلهم – ما يمكنها من رقابتهم.

و يضمن لها الانتفاع بهم و تحقق مصلحتها فيهم ، و قيامهم بالعدل و الإنصاف فيما يوكل إليهم على ما تقتضيه قواعد الدين.

و جمعية العلماء و الأمة الإسلامية الجزائرية من ورائها يرون جميعا بأعينهم أن الدينيين المتجاورين مع الإسلام في قطر واحد ستمتع أهلوهما و معابدهما بالحرية التامة و الاستقلال الكامل دون المسلمين و دينهم و معابدهم فتكون هذه الحقيقة المحسومة – اعتقادا جازما في قلب كل مسلم بأن هذا ظلم من أقبح الظلم ، و تعد على الإسلام من أقبح أنواع التعدي و احتقار للمسلمين من أقبح أنواع الاحتقار ، وإذا كان هناك ما هو أقبح منه فهو غضب الإدارة الجزائرية على كل من يشرحه بلسانه أو يطالب بالعدل فيه. وهنا تتقدم جمعية العلماء التي يفرض عليها الدين أن تقول كلمة الحق بعد اعتقاده، فتعبر بلسان الأمة جمعاء بهذه الحقائق التي أشرنا إليها و خلاصتها أنه :

"ليس من العدل ولا من الحق أن تتدخل الإدارة الجزائرية في شؤون الدين الإسلامي وإنما الحق في ذلك للمسلمين

وحدهم ، لأن الإسلام يفرض عليهم القيام بذلك "

ثم تبسط الجمعية للحكومة الجزائرية النقط الآتية مبينة رأيها فيها بكل حرية وكل إخلاص ، معلنة أن أول نقطة يجب أن يفهمها الطرفان على حقيقتها –إذ على فهمها يتوقف حل الإشكال– هي أن الدين هو ما يفهمه علماء الدين ، لا ما يفهمه عامة المسلمين الجاهلة و لا ما تفهمه الإدارة بواسطة أعوانها الجاهلين أو الخادمين لأغراضهم الخاصة .

و إذا كان المرجو عاليه في شؤون الدينين الموسوي و العيسوي هم أحبار الأول و أساقفة الثاني وهم أحرار في معايشهم فلماذا يزاد علماء الإسلام الأحرار في معايشهم عن هذا الحق ؟ و لماذا يرجع فيه إلى غير أهله أو إلى بعض أهله المرتبطين مع الحكومة برباط المصلحة الشخصية؟ – وإذا قلنا علماء الإسلام فإنما نعني كل عالم فقيه بحقائق الكتاب و السنة . إذ هما منبع الإسلام– عالم بتاريخ الإسلام العملي بعالم عامل فيه يصلح المسلمين من هديه و آدابه، و إن جمعية العلماء لا تحتكر هذا الحق لنفسها، وإنما تزن الأمور بالواقع المشهود، وهو أنها الهيئة الدينية الوحيدة التي قامت بشرائط الإسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، عاهدت الله على الدفاع عن عقائد الإسلام بالبرهان ، و عن حقائق الإسلام بالعلم ، و عن شعائر الإسلام بالعمل ، ووقفت المواقف الثابتة في ذلك كله.

و إذا كانت الجمعية قد لقيت في تاريخها خلافا مع بعض الأشخاص أو الهيئات الإسلامية فما ذلك بخلاف في الدين، و ما ذلك خلافا بين دينين، وإنما هو خلاف بين العلم و الجهل، وإنما هو خلاف داخلي لو لم يلق تشجيعا من خصوم الجمعية لرجع المخالفون مسلمين، لأن الرجوع إلى الحق فريضة إسلامية ، ولأن الحق في الإسلام واحد لا يتعدد.

مقاصد الجمعية ترجع إلى ثلاث نقط :

1- المساجد و موظفوها وأوقافها .

2- التعليم العربي ومدارسه ومعلموه.

3- القضاء الإسلامي وتعلمه ورجاله .

(1) المساجد وأوقافها

تمهيد :

كانت الحكومة الفرنسية لأول عهدها بالاحتلال الجزائر ووضعت يدها علي المساجد المسلمين وأوقافهم ،ووضعت سلطتها علي أئمة المساجد وموظفيها باسم النظام جائر زينته للناس بعهود كتابية ووعود شفهية صدرت من بعض رجالها العسكريين والمدنين ، مضمونها انه تحترم الإسلام ومعابده وشعائره وقد حكم التاريخ علي تلك العهود والوعود ، وبين قيمتها للناس أجمعين. فهذا هو الدور الأول .

ثم جاءت الجمهورية الثالثة فكانت قواعدها الكلمات الثلاث :

الحرية الأخوة المساواة

وكان من أصولها فصل الدين عن الحكم ليكون دالك محققا للكلمات الثلاث ، وكان مقتضي دالك الفصل إن يكون عاما لجميع الأديان وفي جميع الأقطار التي تخضع للسلطة الفرنسية ، وان يكون قاضيا علي النظام الخاص بالإسلام في الجزائر ، ولكن شيئا من دالك لم يقع ،وبقي الإسلام ومعاهدة الجزائر لا تحظي بالاحترام كما شرطته العهود والوعود ، ولا تحضي بالانفصال عن الحكومة كما قررته أصول الجمهورية .

وهذا هو الدور الثاني .

تم جاء قانون 27 سبتمبر 1907 فكانت فصوله صريحة في فصل الدين عن الحكومة وفي إعطاء الناس حرياتهم كاملة فيما يتعلق بديانتهم ، وفهم الناس جميعا إن ذلك إنما يعني المسلمين دون غيرهم أو قبل غيرهم ، لأنهم هم الدين كانوا محرومين من تلك الحرية ، ولكن الواقع – بعد دالك ،إن دالك القانون لم ينفد منه ولا حرف فيما يتعلق بالدين الإسلامي، وبقيت الإدارة الجزائرية تتصرف في المساجد وأوقافها وموظفيها، وتقبض بيد من حديد علي الوظائف الدينية ، وتصرفها تحت شهوتها وأهوائها السياسية _ وتضع حبائل الترغيب والترهيب في طريق الطالبين لتلك الوظائف وتزن أقدارهم لا بالإجازات العلمية ولا باختيار الأمة المسلمة لهم ، ولا بحسن السيرة بين أوساطها،بل بالدوسي الإداري الذي لا

يعرف الدين ، والدي يزكي ويجرح بقواعد غير قواعد الإسلام وأصول الفضائل ، ويشترط في الإمام ما لا يشترطه الإسلام . أدت هده السياسة التي يراد منها هدم الإسلام في دياره بالمطاولة إلى سخط عام ملا جوانح المسلمين وأثار غضب العلماء الأحرار فرفعوا أصواتهم بطلب بعض الحق في لين ورفق فالتهموا وعوقبوا بالمنع تعليم دين الله في بيوت الله . وجرت بعد الحرب 14– 1918 حوادث في تاريخ الوظائف الدينية ظهر فيها عامل جديد وهو ارصاد بعض الوظائف لبعض الجنود المحاربين إرضاء لهم لا لخصوصية إنهم جنود ، وجرت الإجراءات علي إشكال لا يرضاها الإسلام ولا يرضاها المسلمون ولا يرضاها المتدينون منهم وإنما ترضي رغائب استعمارية ونزعات إدارية انتفاعية معروفة في تاريخ الاستعمار الجزائري لم يخل منها دور من أدواره ومبني أمرها علي ملك الأبدان بالقوة والتسلط لا علي ملك القلوب بالعدل والتسامح وهي سياسة ظهر خطؤها وفشلها مند قرون وكفرت بها كل الحكومات وجميع الأمم إلا الحكومة الجزائرية في الجزائر فإنها بقيت مؤمنة بها عاملة بمقتضاها آخذة بأسبابها .

قلنا إن قانون 27 سبتمبر سنة 1907 لم يطبق منه حرف بل وقع من الإدارة ما يناقضه من تشكيلها لبعض الهيئات دينية لا يد للأمة في اختيار أفرادها وقد أسندت رئاستها في بعض الأوقات إلى مسحيين وان هدا لمن أقبح ما وقع في هده المسالة مند نشأت إلى الآن .

ولو طبق قانون 27 سبتمبر 1907 تطبيقا صحيحا بنصوصه الصريحة علي الدين الإسلامي في الجزائر لما حدثت المشاكل المقلقة التي أثارت الخواطر وهيجت الأفكار في هده السنين الأخيرة .

ثم جاء تصريح الجنرال كاترو الوالي العام علي الجزائر المنشور في الجرائد يوم 4 أوت سنة 1944 فكان صريحا في إرجاع القضية إلى قانون 27 سبتمبر 1907 تحقيقا لأصل فصل الدين عن الحكمة والأمة بعد صدور القرار متشوقة إلى تطبيق قانون 1907 تطبيقا كاملا وقد ساءها – وهي في حرارة الانتظار–إن تعين الحكومة مفتي الجزائر تعيينا علي النمط القديم وفي دالك مخالفة بنية لما فهمته من قرار الجنرال كاترو .

ونحن الآن بالسم الدين وبالاسم الأمة تتمسك بعبارة فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية). ونريد تطبيقها علي الكيفية الآتية :

(أولا) :فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الجزائرية فصلا حقيقيا بحيث لا تتدخل في شيء من شؤونه لا ظاهرا ولا باطنا لا في أصوله ولا في فروعه .

(ثانيا): تسليم دالك كله إلى أيدي الأمة الإسلامية صاحبة الحق المطلق فيه وتقرير سلطتهم علي أمور ديتهم تقريرا فعليا خالصا لا التواء فيه وإنما يتحقق دالك ويصير نافدا بما يأتي :

ا – تشكيل مجلس إسلاميا علي مؤقت بالعاصمة الجزائر يتركب من :

1. **بعض العلماء الأحرار المعترف بعلمهم وأعمالهم للدين الإسلامي**
2. **وبعض أعيان المسلمين المتدينين البعيدين عن المناصب الحكومية .**
3. **وبعض الموظفين المتدينين بشرط أن يكونوا اقل من النصف.**

ويتسلم هدا المجلس جميع السلطة التي كانت للحكومة في الشؤون الدينية.

ب – من أهم أعمال المجلس أن يتولي تشكيل جمعيات دينية بالطرق الممكنة انتخابا أو تعيينا – وله أن يكتفي بما يره صالحا من الجمعيات الدينية الحرة السابقة .

ج– فادا تمت تلك التشكيلات ينعقد مؤتمر ديني من المجلس الأعلى ورؤساء الجمعيات الدينية وبعض أعضائها البارزين، وفي هادا المؤتمر يوضع النظام العام للمستقبل طبق قانون الفصل.

د– كل مايقرره هدا المؤتمر يعتبرا قانونا نافدا يجب الخضوع له ولا ينقضه إلا مؤتمر سنوي أخر .

هـ – بعد انعقاد المؤتمر الأول ينحل المجلس الأعلى المؤقت وتنتخب الجمعيات الدينية مجلسا علي النظام السابق والي المدة التي يقررها المؤتمر.

و– يملك المجلس الإسلامي الأعلى المنتخب – السلطة التنفيذية لمقررات الدينية السنوية، أما السلطة التشريعية فيملكها المؤتمر، وليس للمجلس الأعلى إلا تقديم الإرشادات ووضع التقارير والدفاع عنها أمام المؤتمر.

****

(2) التعليم العربي ومدارسه ومعلموه:

كانت الإدارة الجزائرية إلى ما قبل حرب 1914 تتظاهر بشيء من التساهل مع التعليم العربي الحر لأنه كان – اذ ذاك – قاصرا لا يفتح دهنا ولا يغذي عقلا ولا يربي ملكة لغوية ،فلما هب شعور الأمة وقوي باحتياجها إلى فهم لغتها لتفهم دينها ،وتطور التعليم الحر في العقدين الخيرين كسائر الكائنات الحية ،وأصبح على شيء من النظام والحياة وخصوصا بعد ظهور جمعية العلماء – قلقت الإدارة الجزائرية لدالك .ولما لم تجد الإدارة الجزائرية بيدها من القوانين العامة ما تتخذه سلاحا التجأت إلى القرارات الإدارية فأنشأت عدة منها ترمي إلى غرض واحد وهو قتل اللغة العربية والتضييق علي تعليمها ومطاردة رجالها وإلجام صحافتها.

ومن أسوأ من تلك القرارات أثرا وأشد إيلاما وجرحا لعواطف المسلمين عامة وللعرب خاصة ما جاء في بعض بنود تلك القرارات من اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في بلاد عربية وهي الجزائر ، وجاء دور تنفيذها علي يد صغار الإداريين فبالغو وأسرفوا في التنكيل والمحاكمة ،وسيق معلمو العربية إلى مجالس القضاء كما يساق المجرمون ، وفرضت عليهم عقوبات مالية والبدنية من سجن وتغريب وما زالت بقاياهم في المنفي إلى الآن.

احتجت جمعية العلماء علي تلك المعاملات الاحتجاجات المتوالية فلم تسمع لها شكوى ولم يرجع إليها جواب، وطلبت المفاهمة الشفاهية فأجيب بالمماطلة والتسويف ،وعطلت الجرائد وأغلقت النوادي وكل دالك بعضه من بعض .

ومن الغريب أن جمعية العلماء صرحت للحكومة مرارا بأنها تقبل بكل سرور مراقبة مدارسها من طرف مفتشي المعارف الرسمين ، ولكن لم نر في هده السنين الطويلة مفتشا واحد زار مدرسة من مدارسها ، وما كانت تري إلا عون البوليس يزورها لتبليغ الأمر بالإغلاق ، أو العون الشرعي يزورها لتبليغ الاستدعاء للمحاكمة .

مطالب جمعية العلماء

في قضية التعليم العربي

(أولا): إلغاء جميع القرارات السابقة المتعلقة بالتعليم إلغاء صريحا سواء كانت إدارية أو وزارية.

(ثانيا): نسخ جميع تلك القرارات بقانون صريح يقرر حرية التعليم العربي وعدم تقيده بشيء، ويلاحظ في وضع دلك القانون المسائل الآتية:

أ- جمعية العلماء أو الجمعيات العلمية الأخرى ويكون لها الحق بمقتضي دلاك القانون بمقتضي ذلك ما نشاء من المدارس فيما تشاء من البلدان .

ب-ليس علي تلك الجمعيات إلا إعلام الإدارة بالاسم المدرسة ومحلها وبأسماء المعلمين فيها ،ثم تشرع في العمل بلا توقف علي إجراءات أخرى .

ج _يتضمن القانون ضمانات كافية مقنعة في عدم الالتجاء إلى تعطيل المدارس العربية للأسباب السياسية أو غيرها من الاعتبارات ،لان تعطيل المدارس العربية في نتيجة يعد عقوبة للأولاد المتعلمين لم يقترفوا أسبابها ، وهدا ظلم لهم .

د_كما لا تتدخل الإدارة في اختيار المعلمين لا تتدخل في وضع البرامج التعليمة ولا في اختيار الكتب المدرسية.

هـ_علي جمعية العلماء أو الجمعيات العلمية الأخرى أن تخضع للمراقبة الصحية العامة في دائرة قوانينها ولمراقبة التفتيش الرسمي.

القضاء الإسلامي وتعليمه ورجاله

القضاء بين المسلمين في أحوالهم الشخصية والمالية والجنائية جزء لا يتجزأ من دينهم، لان الحكم بينهم فيما حكم من الله ولان أصول تلك الأحكام ممصوصة في الكتاب والسنة وكل ما فيهما فهو دين ،ولأنهم ما خضعوا لتلك الأحكام إلا بصفة لأنهم مسلمين .

والدولة الفرنسية نفسها تعترف بهده الحقيقة اعترافا صريحا، فقد كانت إلى العهد القريب تعارض مطالبة الجزائريين بحقوقهم السياسية لتمسكهم بالقانون الإسلامي في الأحوال الشخصية. والحقيقة أن الحكومة الجزائرية منذ الاحتلال بترت القضاء الإسلامي فانتزعت منه الأحكام والجنايات والأحكام المالية ،ولم تبق له أحكام النكاح والطلاق والمواريث ،وليتها أبقتها له حقيقة ، ولكنهم مع المطاولة احتكرت تعليمه واحتكرت وظائفه لمن يتخرجون علي يدها وبتعاليمها ، وجعلت نقض أحكامهم وتعقبها بيد القضاة الفرنسيين ، وأصبح القضاء الإسلامي حتى في هدا القدر الضئيل خاضعا للقضاء الفرنسي ،وأصبحت القضاة بحكم الضرورة لا يرجعون في أحكامهم إلى النصوص الفقهية ،وإنما يرجعون إلى اللوائح التي يضعها وكلاء الحق العام الفرنسيون ، وفي هذا من الإجحاف وظلم القضاء الإسلامي ما لا يرضي به المسلمون .

ولا ننسى أنها وقعت محاولات واستفتاءات في بعض الأحيان يراد منها إلغاء القضاء الإسلامي بالتدريج وإرجاع مشمولاته إلى القضاء الفرنسي. إن المسلين يشكون هده الحال ، ويشكون نتائجها السيئة من الاضطراب والفوضى في المحاكمات ،والضعف والجهل في القضاة ، ويعملون أن دالك كله ناشئ عن سوء التعليم القضائي وعن إهمال التربية الإسلامية الفاضلة التي هي الشرط الأساسي في الفضاء ،وعن استبداد القضاء الفرنسي علي القضاء الإسلامي ،وعلي عدم شعور القضاة بمراقبة الأمة لهم مراقبة دينية .

وجمعية العلماء وان كانت تري أن القضاء الإسلامي في الإسلام جزء من الدين تري في هده النقطة لزوم التدرج في إصلاح القضاء – والدين لا هوادة فيه.

وهاهي أصول الإصلاح نقدمها بكل إخلاص:

التعليم القضائي:

يجب توسيع برامج التعليم القضائي في مادتي اللغة والفقه وأصول ودراسة التفسير والحديث ومأخذ الأحكام منها وتاريخ القضاء في الإسلام والفلسفة التشريع وعلم النفس .كدالك يجب فتح باب لقبول علماء مدرسين لتلك العلوم من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره لا تعتبر فيهم إلا الكفاءة لما يراد منهم.

الوظائف القضائية:

كذلك يجب إدخال عناصر من المتخرجين من جامع الزيتونة أو غيره من المعاهد الأخرى في الخطط القضائية.

السلطة العليا :

كدالك يجب تكوين مجلس قضائي اعلي من القضاة وتسميتهم ومراقبتهم والنظر في سلوكهم وتحديد عقوباتهم وتكون سلطة هدا المجلس مستقلة عن القضاء الفرنسي.

محاكم الاستئناف :

كذلك يجب تكوين محاكم استئناف إسلامية تستأنف إليها الحكام الأولية وتكون سلطتها إسلامية محضة، وهده النقطة من أهم النقط الإصلاح من حيث الاعتبار لان حكم القاضي المسلم لا ينقضه إلا قاض مسلم .

وفي الختام نلفت نظر الحكومة إلى مسالتين أخريين عاملتهما إلى الآن بالتشديد وكان ينبغي لها أن تتساهل فيهما لصلتهما القوية بخدمة الدين وهما تجول العلماء للوعظ والإرشاد ،والنوادي العربية .

التجول :

أول واجب علي علماء الدين نشر الهداية الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واكبر وسيلة إلى دلك دروس الوعظ والإرشاد. وجمعية العلماء ما سننت سنة التجول في البلدان للوعظ والإرشاد لا قياما بهذا الواجب ولكن إدارة ضايقتهم في هادا الواجب فمنعتهم من التجول لاعتبارات وهمية هم

يتبرؤون منها ، وأخر ما وقع من هدا النوع منع رئيس جمعية العلماء من التجول ومزال هدا المنع جاريا إلى الآن .

إن تجول العلماء للوعظ والإرشاد من وسائل نشر الدين وتعليمه ، ومن القواعد المسلمة أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

النوادي:

جمعية العلماء تري أن النوادي التي أسستها وتؤسسها هي في حكم المدارس التعليم ومكملة لوظائفها ،لان طبقات الأمة ثلاث ، صغار تضمهم المدارس الابتدائية ، وكبار تجمعهم المساجد ، وشبان تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور .فإذا أرادت الجمعية أن لديني معهم لم تجدهم في المساجد ولا في المدارس فمن واجب الجمعية أن تنشط النوادي لتقوم بمهمتها التهذيبية فيها ،وعلي الحكومة أن لا تضايقها فيما يقوم بحياتها فتمنعها من المشروبات المباحة كما وقع في قرار مارس سنة 1938. نرجو بكل تأكيد أن يلغي هذا القرار وبقية القرارات الجائرة فتتمتع المدارس والمساجد والنوادي بالحرية التامة.

ا هـ : عن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

الرئيس :محمد البشير الابراهمي

المرجع : المطبعة الإسلامية الجزائرية – قسنطينة بدون تاريخ .

ملحق رقم (2)

جمعية العلماء المسلمين الجزائرين

اللائحة الداخلية لمدارس الجمعية

المادة السابعة (من القانون العام)

البند الأول – يبتدئ قبول التلاميذ في المدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أول أكتوبر، وينتهي في الخامس عشر من نوفمبر.

وكل طلب الالتحاق يتأخر عن الوقت المحدد فهو مرفوض، إلا لعذر قاهر من مرض أو غياب عن البلد التي تقع فيه المدرسة.

****

البند الثاني –يقبل التلميذ في جمعية العلماء في سن لا تقل عن السادسة ولا تزيد عن الحادية عشر. ويظل التلميذ يتعلم بمدارسها إلى غاية الخامسة عشر.

****

البند الثالث –يشترط في قبول التلميذ بمدارس جمعية العلماء أن يصحب معه شهادة ميلاده وشهادة تلقيح ضد الأمراض المعدية.

****

البند الرابع – ليقبل التلميذ في المدرسة إلا إذا جاء مصحوبا بكفيل رشيد يكون مسؤولا عنه.

****

البند الخامس– تعد إدارة المدرسة غير مسؤولة عن كل ما يضيع للتلاميذ والتلميذات في المدرسة، وعلي المعلمين أن ينبهوا أولياء التلاميذ أن لا يرسلوا أبنائهم مزينين بالحلي والأشياء الثمينة

****

البند السادس– يمنع التلاميذ منعا باتا من حمل الآلات الحادة، والمطبوعات الغير المدرسة داخل المدرسة .

****

البند السابع –يأخذ مدير المدرسة تعهدا أكيدا من ولي التلميذ أن يتولي–بعناية–نظافة جسم مكفولة وثيابه، وان لا يتقدم إلى المدرسة يوميا إلا في حالة النظافة التامة .

****

البند الثامن– يجب علي المدير إذا تغيب التلميذ عن المدرسة أن يخبر وليه في الحال

****

البند التاسع –يجب علي المعلم أن ينادي تلاميذه عند ابتداء الدروس الصباح ودروس المساء ويخبر بالأسماء المتخلفين منهم.

****

البند العاشر– علي الولي في حالة تغيب التلميذ عن المدرسة –أن يخبر الإدارة المدرسة عن سبب تغيب ابنه، ودالك إما أن يأتي الى المدرسة بنفسه ليخبر إدارتها، أو يجب كتابة عن استفساراتها.

****

البند الحادي عشر –إذا تغيب تلميذ ولم يستأذن إدارة المدرسة، فانه يتعرض الى عقوبات المنصوص عليها في البند الرابع من ملحق اللائحة الخاص بالعقوبات.

****

البند الثاني عشر –يتكون اليوم الدراسي في المدارس الجمعية من سبع ساعات، تخصص ست منها، للتلامذة المتلازمين في النهار،وساعة واحدة مساء لقراءة الفرنسية ويزداد لهؤلاء نصف ساعة في وقت الشتاء .

****

البند الثالث عشر –يجوز للمدارس ذات الفصل الواحد، أن تطبق مبدأ تقسيم التلامذة الي فوجين :فوج يتلقي الدروس في الصباح ،وفوج يتلقاها في المساء وعلي المدرسة ا تسعي جهدها لتفي لهم بساعاتهم الناقصة في أوقات زائدة، وعلا حسابها الخاص.

****

البند الرابع عشر– يعتبر يوم الخميس بتمامه ويوم الأحد مساء فقط.هما– الراحة الأسبوعية في مدارس الجمعية،إما صبيحة الأحد فتخصص فيها ثلاث ساعات لقراء المدارس الفرنسية .

****

البند الخامس عشر– تبتدئ الدراسة في المدارس صباحا في الساعة الثامنة ،وتنتهي في الحادية عشرة ،وتستأنف في الواحدة ونصف بعد الزوال، وتنتهي في الرابعة ونصف بعده الشتاء ،ويؤخر البدء مساء إلي الثانية بعد الزوال في غير فصل الشتاء (بالنسبة للتلامذة الملازمين في النهار) .ويبتدئ التوقيت الصيفي في الخامس عشر من مارس.(وللمدارس التي تشتغل بتحفيظ القران استغلال فارغ الأوقات)

****

البند السادس عشر – يجب أن تكون حصة الدراسة في الساعة الأولى صباحا ومساء ساعة كاملة، تم تخلل كل حصتين بعد ذلك فترة راحة مدتها خمس عشرة دقيقة.

****

البند السابع عشر – يجب إغلاق باب فناء المدرسة مادام العمل المدرسي مستمرا، ودالك منعا لما يترتب علي خروج التلاميذ من النتائج الخطيرة.

****

البند الثامن عشر– يتناوب المعلمون حراسة التلاميذ وقت الدخول والخروج، وفي أوقات الاستراحة، ودق الجرس المؤذن ببدء والانتهاء الحصص، وعليهم أن يرافقوا تلامذتهم حين الدخول إلي الأقسام أو الخروج منها حتى المنتهي.

****

البند التاسع عشر– يجب علي كل مدير حين يغادر المدرسة في العطلة الصيفية أو حين ينتقل إلى مدرسة الاخرى .أن يسلم قائمة كاملة بممتلكات المدرسة من أثاث ،ومكتبة ، وأجهزة مختلفة إلي رئيس الجمعية المحلية ، وهدا يراجعها بإمعان ، وعلي المدير الجديد–حين يتسلم وظيفته –مراجعتها كدالك، ثم يجب أخيرا علي كل منهم أن يوقع عليها.

****

البند العشرون– يحضر علي المعلم أن يباشر في الفصل (القسم) أي عمل –مهما تكن طبيعة– أثناء قيامه بواجبه الدراسي، يما في دالك مطالعة الصحف والمجلات أو الكتب أو النسيج.

****

البند الحادي والعشرون– يجب علي المعلم إن يطالع دروسه، ويعد مذكراته في منزله قبل مجيئه إلي المدرسة ، وان يباشر درسه بعد الدخول إلي الفصل حالا .

****

البند الثاني والعشرون –يحظر حظرا باتا تشغيل التلاميذ وتسخيرهم سواء من طرف المدير، أو المعلم، أو غيرهما – بأي ولأي عمل من شانه أن يعوقهم عن الدرس.

****

البند الثالث والعشرون –يجب تهوية الأقسام بفتح نوافذها أثناء فترات الاستراحة.

****

البند الرابع والعشرون– يجب إعداد المدرسة وتجهيزها ، وتبيض او دهن جدرانها– كل سنة– قبل مفتتح العام الدراسي .

****

البند الخامس والعشرون– لا يجوز استعمال بناء المدرسة لعقد اجتماعات ذات لون سياسي ،ولغير فائدة التلاميذ إذ يعد دالك خروجه عن نطاق التربية والتعليم .

****

البند السادس والعشرين –لا يجوز أن تخرج الواجبات المدرسية عن المسائل العامة في التعليم والأخلاق، ولا يجوز أن يخرج ما يوضع في المدرسة من الشعائر والصور، وما يحمله التلاميذ من الشعارات عن روح التربية والتعليم.

****

البند السادس والعشرون– لا يجوز استعمال اللغات غير العربية في المدرسة إلا في الأحوال الضرورية القاهرة.

****

البند الثامن والعشرون – يجب علي المعلمين أن يلتزموا إلقاء دروسهم ومخاطبة تلامذتهم بالعربية الفصحى ابتداء من السنة الثالثة.

****

البند التاسع والعشرون– يجب أن تقتصر المدرسة في الاحتفالات التي تقيمها ويشارك فيها التلاميذ علي الاحتفالين اثنين خلال السنة الدراسية يقع احدهما في أثناء السنة يوكل تعيين وقته إلي الجمعيات المحلية والمدير ،ويقع الثاني في أخر السنة بمناسبة انتهاء الدروس، كما يجب أن لا تكتر من الإنشاد في وقت التعلم .

****

البند الثلاثون– تعتبر المواسم المعينة في هادا الجدول الأتي من العطل الرسمية التي تغلق فيها مدارس الجمعية أبوابها وهي:

1–رأس السنة الهجرية

2– عاشوراء يوم واحد

3–المولد النبوي أسبوع واحد

4– ذكرى بدر يوم واحد

5– عيد الفطر أسبوع (ثلاثة أيام قبل العيد)

6– عيد الأضحى أسبوع (وثلاثة أيام بعده)

7–في الخامس عشر من ابريل (أسبوع راحة)

8–العطلة الصيفية ومدتها شهران كاملان تبتدئ من غرة أوت إلى نهاية سبتمبر من كل سنة .

****

البند الحادي والثلاثون– يجب أن ينتدب مدير المدرسة معلما للرياضة البدنية يقوم بزيارة المدرسة مرة كل أسبوع ،لتعليم الأطفال التمارين الرياضية ، ودالك باتفاق مع الجمعية المحلية .

****

البند الثاني والثلاثون- يجب علي المدير أن يقوم بتنظيم خروج المعلمين علي رأس التلاميذ للتريض والتفسح في الهواء الطلق –مرتين في كل شهر علي الأقل.

****

الملحق الخاص بالعقوبات:

1-يمنع ضرب التلاميذ، وإهانتهم بالشتم أو بالإشارة إليه.

2 يقتصر علي معاقبة التلميذ علي التوبيخ غير المقذع أو حجزه في فترات الاستراحة أو بعد تسريح التلاميذ في القسم ، أو إيقافه (إيقافا طبيعيا أو مع رفع اليدين) ،أو تكليفه بكتابة جمل في الموضوع خلقي يكررها مرات عديدة زيادة عن واجباته المدرسة .

3-علي المدير في حالة تمرد الطفل وخطورة الذنب الذي استحق من اجله العقوبة أن يندر وليه أولا ،ثم إذا رأى أن لا فائدة من بقائه في المدرسة أمكن له ومجلس معلمي المدرسة – بعد استشارة رئيس الجمعية المحلية – أن يفصلوه عن المدرسة أخيرا .

4- إذا تغيب التلميذ عن المدرسة مدة تزيد عن أسبوع واحد، من غير أن يعلم الإدارة، ولم يجب وليه عن استفساراتها (بعد تحقق وصوله إليه) أمكن اعتباره مفصولا عن المدرسة نهائيا .

لجنة التعليم العليا

المطبعة الجزائرية الإسلامية

بقسنطينة

ملحق رقم 3

المدارس التي انشاتها جمعية العلماء من عام 1931حتي عام 1956

نشطت جمعية العلماء مند تكوينها في عام 1931 حتى احتلتها إدارة الاحتلال في أواخر عام 1956 بعد اشتداد الثورة المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر –في تأسيس المدارس الابتدائية والابتدائية التكميلية في مختلف الجهات القطر بحيث ما وافت سنة 1948 حتى كان عدد مدارس الجمعية يناهز 140 مدرسة ومعهدا ثانويا واحدا هو معهد عبد الرحيم بن باديس بقسنطينة موزعة على مختلف مدن القطر وقراه على النحو التالي:

قائمة رقم (1) بعدد المدارس من سنة 1931 حتى سنة 1940

	أسماء المدارس	أسماء المدن والقرى	عدد المعلمين
.1	مدرسة دار الحديث	مدينة تلمسان	10
.2	مدرسة سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	05
.3	مدرسة قامبيطا	وهران	01
.4	مدرسة الحمري	وهران	07
.5	مدرسة الفلاح	وهران	04
.6	مدرسة غليزان	غيليزان	04
.7	مدرسة تيارت	تيارت	04
.8	مدرسة ابن خلدون	الاصنام	04
.9	مدرسة سيق	سيق	04
.10	مدرسة الاغواط	الاغواط	06
.11	مدرسة بوفاريك	الجزائر	03

.12	مدرسة التربية والتعليم	قسنطينة	08
.13	مدرسة التربية والتعليم	فرع باردو (قسنطينة)	01
.14	مدرسة التربية و التعليم	فرع اولاد ابراهيم قسنطينة	01
.15	مدرسة التربية و التعليم	فرع طريق ميلة قسنطينة	01
.16	مدرسة شاطودان	شاطودان	04
.17	مدرسة العلمة	العلمة	05
.18	مدرسة تبسة	تبسة	08
.19	مدرسة جيجل	جيجل	05
.20	مدرسة بولوغين	الجزائر	03
.21	مدرسة القنزات	قنزات	03
.22	مدرسة ميلية	ميلية	03
.23	مدرسة برج وعريري	برج بوعريريح	05
.24	مدرسة بني صاف	بني صاف	02
.25	مدرسة الغزوات	الغزوات	02
.26	مدرسة الحنايا	تلمسان	03
.27	مدرسة عين تمونشت	تموشنت	02
.28	مدرسة البليدة	البليدة	05
.29	مدرسة شرشال	شرشال	03

.30	مدرسة قليعة	القليعة (الجزائر)	03
.31	تيزي وزو	تيزي وزو (جرجرة)	02
.32	مدرسة سلام باي	الجزائر	05
.33	مدرسة الحراش	الجزائر	03
.34	–مدرسة بيلكور	الجزائر	03
.35	مدرسة اقبو	اقبو	03
.36	مدرسة ايغيل علي	ايغيل علي	01
.37	مدرسة قلعة بني عباس	برج بوعريريج	03
.38	مدرسة بريكة	بريكة	03
.39	مدرسة باتنة	باتنة	04
.40	مدرسة القنطرة	باتنة	04
.41	مدرسة سوق اهراس	سوق اهراس	05
.42	مدرسة ام البواقي	ام البواقي	03
.43	مدرسة عزابة	عزابة	03
.44	مدرسة تازمالت	تازمالت	02
.45	مدرسة ميلة	ميلة	04
.46	مدرسة بيزو	بيزو	02
.47	مدرسة السمندو	السمندوى	01
.48	مدرسة تازولت	باتنة	02
.49	مدرسة مشونش	مشونش	01

.50	مدرسة خنشلة	خنشلة	03
.51	مدرسة عين البيضا	عين البيضة	02
.52	مدرسة الشريعة	تبسة	05
.53	مدرسة بسكرة	بسكرة	04
.54	مدرسة الفتح	سطيف	04
.55	مدرسة مغنية	مغنية	02
.56	مدرسة صبرة	تلمسان	01
.57	مدرسة سبدو	تلمسان	01
.58	مدرسة اولاد ميمون	تلمسان	01
.59	مدرسة مساعدة	وهران	02
.60	مدرسة فرندة	فرندة	01
.61	مدرسة المرسي الكبير	وهران	01
.62	مدرسة بطيوة	وهران	01
.63	مدرسة الرمثي	تلمسان	01
.64	مدرسة العفرون	العفرون	02
.65	مدرسة الابيار	الجزائر	02
.66	مدرسة المرشدة	الجزائر	02
.67	مدرسة هراوة	هراوة	10
.68	مدرسة سيدي عيسي	سيدي عيسى	01
.69	مدرسة بني منصور	بني منصور	01

.70	مدرسة تليملي	الجزائر	01
.71	مدرسة فتح القلوب	الجزائر	01
.72	مدرسة بئر خادم	الجزائر	01
.73	مدرسة اولاد علال	حوز الطاهير	01
.74	مدرسة اية يوسف وعلي	ايت يوسف وعلي	01
.75	مدرسة سيقوس	سيقوس	01
.76	مدرسة العوينات	العوينات	02
.77	مدرسة مرسط	مرسط	03
.78	مدرسة القصر	حوز مايو	01
.79	مدرسة بني يخلف	حوز مايو	01
.80	مدرسة بقالم	الجزائر	01
.81	مدرسة قمون بني خيار	قمون بني خيار	01
.82	مدرسة زياما منصورية	جبيجل	01
.83	مدرسة شتمة	بسكرة	01
.84	مدرسة العجيبة	حوز مايو	01
.85	مدرسة سيدي ابراهيم	البيبان	01
.86	مدرسة ندرومة	ندرومة	01
.87	مدرسة الاستهلال	الجزائر	01
.88	مدرسة معسكر	معسكر	02
.89	مدرسة جلفة	الجلفة	01

.90	مدرسة حسين داي	الجزائر	01
.91	مدرسة حومة (الكولون)	الجزائر	01
.92	مدرسة خميس الخنشلة	خميس خنشلة	01
.93	مدرسة الولجة	خنشلة	01
.94	مدرسة الهلال	جامعة	01
.95	مدرسة عين ياقوت	عين يعقوت	01
.96	مدرسة النور	الروبية (الجزائر)	01
.97	مدرسة ايت عليم	ايت عليم	1 0
.98	مدرسة الشهاب	ارزيو	01
.99	مدرسة فرندة	فرندة	01
.100	مدرسة الحمام	الحمام	01
.101	مدرسة تزايارت	ايغيل علي	01
.102	مدرسة تيغيلت اوميال	تيغيلت	01
.103	مدرسة ابي شقفة	شقفة	01
.104	مدرسة عين ازال	سطيف	01
.105	مدرسة اوشانن	بني عباس	01
.106	مدرسة فج مزالة	فج مزالة	03
.107	مدرسة القرارم	القرارم	02
.108	مدرسة مدرسة عين التوتة	عين توتة	02
.109	مدرسة نقاوس	نقاوس	03

.110	مدرسة اريس	باتنة	02
.111	مدرسة غوفي	غسيرة	01
.112	مدرسة نكوت	تكوت	01
.113	مدرسة منعة	اوراس	01
.114	مدرسة المغير	وادي ريغ	02
.115	مدرسة رسوطة	طولقة	02
.116	مدرسة سقان	تلاغمة	02
.117	مدرسة دوار اولاد علي	ابن فاضل قابس	01
.118	مدرسة صدراتة	صدراتة	01
.119	مدرسة مداوروش	مداوروش	01
.120	مدرسة مسكيانة	مسكيانة	01
.121	مدرسة سيدي فرغيش	سيدي فرغيش	01
.122	مدرسة تاورة	سوق اهراس	03
.123	مدرسة قاسطون	فيل قاسطون فيل	01
.124	مدرسة بانيان	مشونش	01
.125	مدرسة اينغوسين	اريس	01
.126	مدرسة راس فرجيوة	راس فرجيوة	(معطلة اداريا)
.127	مدرسة بوندة	حوز مجانة	01
.128	مدرسة الحميدية	ضاحية الكولون	01

.129	مدرسة سيدي ابراهيم	سيدي ابرهيم	01
.130	مدرسة القلعة	القلعة	01
.131	مدرسة معسكر	معسكر	01
.132	مدرسة صبرة	وهران	01
.133	مدرسة سدي بلعباس	سيدي بلعباس	01
.134	مدرسة الحراش	الجزائر	01
.135	مدرسة القصر	حوز مايو	01
.136	مدرسة اينغوسين	اينغوسين	02

قائمة رقم 2

عدد مدارس جمعية العلماء الابتدائية بسنة 1950

موزعة علي العملات الجزائرية الثلاث

علي النحو التالي :

أولا– مدارس للجمعية في عمالة وهران

	أسماء المدارس	أسماء المدن و القرى	عدد المعلمين
.1	مدرسة دار الحديث	تلمسان	10
.2	مدرسة سيدي بلعباس	سيدي بلعباس	03
.3	مدرسة الفلاح	وهران	03
.4	مدرسة الحمري	وهران	05
.5	مدرسة غليزان	غليزان	03

.6	مدرسة ندرومة	ندرومة	01
.7	مدرسة السيق	سيق	03
.8	مدرسة تيارت	تيارت	03
.9	مدرسة معسكر	معسكر	02
.10	مدرسة الحنايا	الحنايا (تلمسان)	02
.11	مدرسة بني صاف	بني صاف	03
.12	مدرسة الغزوات	الغزوات	02
.13	مدرسة عين تموشنت	تموشنت	02
.14	مدرسة مغنية	مغنية	02
.15	مدرسة صبرة	صبرة	01
.16	مدرسة سبدو	سبدو	01
.17	مدرسة المساعدة	المساعدة	02
.18	مدرسة فرندة	فرندة	01
.19	مدرسة بطيوة	بطيوة (وهران	معطلة اداريا من طرف الاحتلال
.20	مدرسة اولاد ميمون	اولاد ميمون	01
.21	مدرسة المرسي الكبير	وهران	01
.22	مدرسة ارويو	ارزيو	02
.23	مدرسة الرمثي	الريمثي	01

2- مدارس الجمعية في عمالة الجزائر :

.24	مدرسة الأصنام	الاصنام	03
.25	مدرسة الاغواط	الاغواط	06
.26	مدرسة بوفاريك	بوفاريك	04
.27	مدرسة الحراش	الحراش (الجزائر)	02
.28	مدرسة سلام باي	الجزائر	02
.29	مدرسة بلكور	الجزائر	03
.30	مدرسة سانت اوجين	الجزائر	01
.31	مدرسة فتح القلوب	الجزائر	01
.32	مدرسة حومة الكلون	الجزائر	01
.33	مدرسة الحومة الاهلية	الجزائر (الحراش)	01
.34	مدرسة تليملي	الجزائر	02
.35	مدرسة تيزي وزو	جرجرة الكبري	03
.36	مدرسة شرشال	شرشال	04
.37	مدرسة القليعة	الجزائر	03
.38	مدرسة بقالم	الجزائر	01
.39	مدرسة المدية	المدية	01
.40	مدرسة عين طاية	الجزائر	02
.41	مدرسة سيدي عيسى	سيدي عيسى	02
.42	مدرسة الجلفة	الجلفة	01
.43	مدرسة بني منصور	بني منصور	01

.44	مدرسة بني يخلف	بني يخلف	01
.45	مدرسة القصر	حوز مايو	01
.46	مدرسة العجيبة	العجيبة	01
.47	مدرسة ايت يوسف وعلي	الحمام	01
.48	مدرسة عدني	الحمام	01
.49	مدرسة خميس الخنشلة	خميس الخنشلة	01
.50	مدرسة القرارة	القرارة	01
.51	مدرسة اولاد ابراهيم	(مايو)	01
.52	مدرسة دوار اكفادو	الحمام	01

ثالثا – مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة :

.53	مدرسة التربية والتعليم	قسنطينة	08
54.	مدرسة التربية والتعليم فرع باردو	قسنطينة	02
.55	مدرسة التربية والتعليم اولاد سيدي ابراهيم	قسنطينة	01
.56	مدرسة سيدي مبروك	قسنطينة	01
.57	مدرسة الفتح	سطيف	08
.58	مدرسة بوعريريج	سطيف	03
.59	مدرسة العلمة	سطيف	03
.60	مدرسة تبسة	تبسة	07

.61	مدرسة الشريعة	تبسة	02
.62	مدرسة سوق اهراس	سوق اهراس	05
.63	مدرسة طاورة	سوق اهراس	03
.64	مدرسة جيجل	جيجل	04
.65	مدرسة سكيكدة	سكيكدة	05
.66	مدرسة شاطودان	شاطودان	03
.67	مدرسة باتنة	باتنة	04
.68	مدرسة خنشلة	خشنشلة	04
.69	مدرسة عين البيضاء	عين بيضاء	03
.70	مدرسة ام البواقي	ام البواقي	03
.71	مدرسة ميلة	ميلة	04
.72	مدرسة ميلة القديمة	ميلة	02
.73	مدرسة المليلة	المليلة	03
.74	مدرسة قنزات	قنزات	01
.75	مدرسة قلعة بني عباس	برج بوعريريج	03
.76	مدرسة اقبو	اقبو	02
.77	مدرسة تازمالت	تازمالت	02
.78	مدرسة ايغيل بيلف	جرجرة	02
.79	مدرسة زياما منصورية	زياما منصورة	02
.80	مدرسة عين ازال	سطيف	02

.81	مدرسة عزابة	عزابة	01
.82	مدرسة نقاوس	نقاوس	03
.83	مدرسة القنطرة	القنطرة(باتنة)	03
.84	مدرسة بسكرة	بسكرة	04
.85	مدرسة رسوطة	طولقة	02
.86	مدرسة المغير	طولقة	03
.87	مدرسة تاازولت	اوراس	01
.88	مدرسة منعة	منعة	01
.89	مدرسة غوفي	غسيرة	02
.90	مدرسة اولاد منصور	غسيرة	02
.91	مدرسة دوار اولاد علي ابن فاضل	عين القصر	02
.92	مدرسة عين توتة	عين توتة	02
.93	مدرسة بريكة	بريكة	03
.94	مدرسة صدراتة	صدراتة	01
.95	مدرسة العوينات	العوينات	02
.96	مدرسة مداوروش	مداوروش	01
.97	مدرسة بيزو	بييزو	02
.98	مدرسة سيدي فرغيش	سيدي فرغيش	01
.99	مدرسة قاسطو نفيل	قاسطو نفيل	01

100.	مدرسة القرارم	القرايم	02
101.	مدرسة تلاغمة	التلاغمة	03
102.	مدرسة فج مزالة	فج مزالة	02
103.	مدرسة اولاد علال	الطاهير (جيجل)	01
104.	مدرسة سيقوس	سيقوس	01
105.	مدرسة فرع سيقوس	سيقوس	01
106.	مدرسة ثنية الخميس	مجانة	01
107.	مدرسة بوندة	مجانة	01
108.	مدرسة قندور	اقبو	01
109.	مدرسة اوقرارن	قندور	01
110.	مدرسة تازايرت	ايغيل علي	01
111.	مدرسة تيفيلت اوميال	اقبو	01
112.	مدرسة بوشقفة	بوشقفة	01
113.	مدرسة اولاد سيدي ابراهيم	البيبان	02
114.	مدرسة دوار اولاد صالح	عين تين	01
115.	مدرسة بني فرقان	الميلية	01
116.	مدرسة دوار كميل	اريس	01
117.	مدرسة دوار بوقطن	باينام	01
118.	مدرسة عنابة	عنابة	04
119.	مدرسة قمون بني خيار	بني خيار	01

120. مدرسة اراس	فج مزالة	02
121. مدرسة مسكيانة	مسكيانة	02
122. مدرسة ايغيل علي	ايغيل علي	01
123. مدرسة اريس	اوراس	01
124. مدرسة اينوغيسن	اينوغيسن	01
125. مدرسة مشونش	مشونش	02
126. مدرسة العناصر	العناصر	01

مدراس ابتدائية تكميلية

وبتطور التعليم في مدارس جمعية العلماء شرعت بعد نهاية الحرب العلمية الثانية في فتح فصول تكميلية (إعدادية) في بعض المدارس الهامة في العمالات الجزائرية الثلاث (الولايات) التي كانت لجزائر مقسمة إليها اداريا في مرحلة الدراسة (1931 – 1956) وبدالك أصبحت المدارس المذكورة تجمع بين التعليمين الابتدائي والتكميلي (الإعدادي)

والمدارس المذكورة هي

أولا– في عمالة قسنطينة

اسم المدرسة	اسم المدينة
1–مدرسة التربية والتعليم	قسنطينة
2– مدرسة الفتح	سطيف
3–مدرسة التربية والتعليم	بسكرة
4– مدرسة مشونش	مشونش

5- مدرسة حياة الشباب	ميلة
6--مدرسة التربية والتعليم	باتنة
7-مدرسة تهديب البنين	تبسة
8--مدرسة التربية والتعليم	عنابة
9- مدرسة الحياة	جيجيل
10- مدرسة التهديب	الميلية
11- مدرسة الارشاد	سكيكدة
12- مدرسة ابن خلدون	بجاية
13- مدرسة تازمالت	تازمالت
14- مدرسة برج بوعريريج	برج بوعريريج

ثانيا – في عمالة الجزائر

اسم المدرسة	اسم المدينة
15- مدرسة تيزي وزو	تيزي وزو
16- مدرسة التهديب	العين الباردة (الجزائر)
17-مدرسة الثبات	الحراش (الجزائر)
18- مدرسة حسين داي	الجزائر
19- مدرسة التهديب	بيلكور (الجزائر)
20- مدرسة بلوغين	الجزائر
21- مدرسة بوفاريك	الجزائر

22- مدرسة الارشاد والتهديب	البليدة
23- مدرسة الجلفة	الجلفة
24- مدرسة الاغواط	الاغواط
25- مدرسة ابن خلدون	الاصنام
26- مدرسة الرشيدية	شرشال
27- مدرسة الشبيبة الاسلامية	الجزائر

ثالثا في عمالة وهران :

28 – مدرسة الفلاح	وهران
29- –مدرسة التربية والتعليم	الحمري (وهران)
30- –مدرسة التربية والتعليم	سيدي بلعباس
31- مدرسة دار الحديث	تلمسان
32- مدرسة عائشة للبنات	تلمسان
33- مدرسة التربية والتعليم	غليزان
34- مدرسة تيارت	تيارت

قائمة بأسماء مدارس الميزابيين

في الجنوب والشمال

المدارس	المعلمون	عدد التلاميذ
مدرسة غرداية	07	355

مدرسة بريان	03	253
مدرسة القرارة	16	614
مدرسة العطف	06	100
مدرسة بنورة	03	034
مدرسة مليكة	03	040
مدرسة بني يزجن	04	120
مدرسة قسنطينة	02	080
مدرسة بسكرة	02	054
مدرسة سطيف	02	032
مدرسة العلمة	01	035
مدرسة عنابة	02	040
مدرسة تبسة	01	019
مدرسة بوسعادة	01	019
مدرسة مستغانم	01	029
مدرسة تيارت	01	041
مدرسة سوق اهراس	01	030
مدرسة الجزائر	02	031
مدرسة بلكور (الجزائر)	01	028
مدرسة البليدة	02	043
مدرسة غليزان	01	023

وتوجد مدرسة واحدة لكل من: تقرت ، وجامعة ، والمغير ،وباتنة ، وسكيكدة ، وبجاية ، والحراش (بالعاصمة) ووهران ،وعين البيضاء والمنيعة وورقلة .

ويلاحظ أن هدا الإحصاء يعود إلى أوائل الخمسينيات من هدا القرن ولدالك وجب التنبيه .

ملحق رقم 4

الزوايا في الزواوة

	اسم الزاوية	اسم الناحية الموجودة بها
1.	زواية سيدي منصور	ازفون
2.	زاوية سحونة	اربعاء بني ايرثن
3.	زاية سيدي زيان	اربعاء بني ايرثن
4.	زواية الشيخ امقران ايت زلال	اربعاء بني ايرثن
5.	زاوية سيدي احمد والسعيد	اربعاء بني ايرثن
6.	زاوية ايت الحاج	اربعاء بني ايرثن
7.	زاوية سيدي الحاج بن زيان	اربعاء بني ايرثن
8.	زاوية بني بو يحي ابركات	اربعاء بني ايرثن
9.	زاوية بني بويحي	اربعاء بني ايرثن
10.	زاوية عبد العزيز راشد	اربعاء بني ايرثن
11.	زاوية غريب	زعموم
12.	زاوية اولاد بوخالفة	تيزي وزو
13.	زاوية سيدي بالوة	تيزي وزو

14.	زاوية بوعاصم	تيزي وزو
15.	زاوية سيدي بوبكر	تيقزيرت
16.	زاوية أولاد وارت	تيقزيرت
17.	زاوية سيدي حمزة	تيقزيرت
18.	زاوية سيدي سحنون	المقلع
19.	زاوية القواضي	المقلع
20.	زاوية سيدي علي بن يحيى	ذراع الميزان
21.	زاوية سيدي وارث	مخيم المريشال
22.	زاوية الشرفة	تيزي وزو
23.	زاوية سيدي عبدالرحمان اليلولي	عزازقة
24.	زاوية ثيرميتن	ميرابو
25.	زاوية سيدي بعلول	عزازقة
26.	زاوية سيدي بو عبد الله	الحمام

ملحق رقم(5)

بسم الله الرحمان الرحيم

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

القانون الأساسي

(بعد التنقيحات والتعديلات التي أدخلت عليه الجلسة العامة المنعقدة يوم فاتح أكتوبر سنة1951 بمدينة الجزائر)

القسم الأول – الجمعية

الفصل الأول:

تأسست في عاصمة الجزائر جمعية دينية علمية تهذيبية أدبية تحت اسم (جمعية العلماء المسلمين) مركزها الاجتماعي بمدينة الجزائر نهج بومبي رقم 12 – ميدان عملها حيث يوجد المسلمون الجزائريون في القطر الجزائري وفرنسا .

الفصل الثاني :

هده الجمعية مؤسسة طبق النظام الجمعيات المبنية بالقانون المؤرخ بغرة جويلية عام 1901

الفصل الثالث :

يمنع بتاتا كل بحث سياسي وكدالك كل تدخل في أي مسالة سياسية داخل نطاق الجمعية .

القسم الثاني – غاية الجمعية

الفصل الرابع :

القصد من هده الجمعية هو : نشر الدين الإسلامي علي وجهه الصحيح عن كل بدعة ، ومحاربة كل ما يحرمه صريح الشرع ، كالخمر والميسر ، والآفات الاجتماعية الأخرى، ومحاربة الجهل، والبطالة ، والإسراف، وكل منهي عنه بطبيعته من طرف الدين ،والأخلاق الفاضلة .

ولتصل الجمعية إلى أهدافها النبيلة تعمد إلى اتخاذ الوسائل الآتية :

أولا– إلقاء المحاضرات تهذيبية للرجال والنساء

ثانيا – إلقاء محاضرات دينية في المساجد للجنسين

ثالثا – نشر الجرائد والمجلات .

رابعا – تأسيس نواد للتثقيف الشبان بواسطة الدروس والمحاضرات.

خامسا – تأسيس وفتح مدارس لأبناء المسلمين يتعلمون فيها لغتهم العربية التي هي لسان دينهم، والقراءة والكتابة، وأصول الدين ،وأصول التربية .

وتكون هده المدارس تحت إشراف الجمعية وتحت مسؤوليتها .

سادسا – نظام المعهد والمدارس التابعة لجمعية، العلماء ونوع التعليم والشهادات مبين في اللائحة الداخلية للجمعية كما هو منصوص عليه في الفصل الثالث والعشرون من هادا القانون.

الفصل الخامس :

للوصول إلى هده الغاية التثقيفية ، تعتمد الجمعية إلى استعمال الوسائل اللائقة بها، وغير مخافة للقوانين الجارية ،ومنها أن الجمعية تقوم بجولات لدعاية في الأوقات التي تراها مناسبة .

القسم الثالث – أعضاء الجمعية

الفصل السادس :

أعضاء الجمعية علي ثلاثة أقسام : الأعضاء العاملون، وهم كل من يحمل شهادة علمية، أدناها شهادة التحصيل من جامع الزيتونة، أو ما يساويها من المعاهد الإسلامية الأخرى .بشرط أن يكون حاملا لفكرة جمعية العلماء – عاملا في ميدانها الخاص قد مضي علي اشتراكه فيها ثلاث سنوات، وان يكون مستقيم السيرة، واشتراكه السنوي خمسمائة فرنك .

الفصل السابع :

الأعضاء المؤيدون، وهم كل أعضاء الشعب و أعضاء الجمعيات المحلية والحد الأدنى لاشتراكهم مائتا فرنك .

الفصل الثامن:

الأعضاء الشرفيون ، وهم الذين يحبسون مدرسة أو مدارس في سبيل التعليم العربي، أو يهبون هبات مالية هامة، في سبيل دالك التعليم، أو يلتزمون بتقديم إعانة شهرية أو سنوية تقوم بولد أو بعدة أولاد ليتموا دراستهم العليا في الجزائر أو في الخارج بالعربية أو بالفرنسية ،علي شرط أن يوكلوا ذلك إلى الجمعية أو يكون عن طريقها، أو كانوا من الدين قاموا بالعمال نافعة في ميدان التأليف والنشر والتعليم ، والحد الأدنى لاشتراكهم هو ألف فرنك

الفصل التاسع:

يسير الجمعية وينفذ قراراتها نيابة عن المجلس الإداري مكتب دائم ،متركب من الرئيس ،ونائبيه، والكاتب العام أو نائبه الأول ،وأمين المال، وتفصيل أعمال المكتب وصلته بالمجلس الإداري تشرح في اللائحة الداخلية .

الفصل العاشر:

الأعضاء العاملون ينتخبون كل ثلاث سنوات الهيئة الإدارية التي تتألف من :

- رئيس ونائبين عنه.
- كاتب عام وثلاث نواب عنه
- أمين مال ونائبين عنه
- مراقب عام
- وست عشر مستشارا.

الفصل الحادي العشر :

يكون للجمعية ثلاثة مسئولين : في كل عمالة مسؤول يقوم بالأعمال التي تفصلها اللائحة الداخلية.

الفصل الثاني عشر :

تتألف من الأعضاء الإداريين وغيرهم، لجان خاصة للأمور الآتية :

أولا – التربية والتعليم.

ثانيا – الصحافة

ثالثا – المالية.

رابعا – الإفتاء

وتفاصيل أعمال اللجان في اللائحة الداخلية .

الفصل الثالث عشر

يعد عضوا شرفيا كل عضو قديم في الهيئة الإدارية قام بوظيفته مدة ثلاث سنوات فأكثر، وبقي علي موالاتها وتسجل أسماؤهم في لوحة شرف الجمعية ،ويدعون رسميا لإبداء أرائهم في المسائل الهامة.

الفصل الرابع عشر :

أنواع الأعضاء الثلاثة المشار إليهم في الفصول 6-7-8 يجب ان يحملوا ورقة تعريف خاصة تدل علي عضويتهم في لجمعية ، وللهيئة الإدارية وحدها الحق في تعين نوع وشكل تلك الورقة .

القسم الرابع- مالية الجمعية

الفصل الخامس عشر

مالية الجمعية تتركب من مجموعة اشتراكات الأعضاء العاملين والمؤيدين والشرفيين .

الفصل السادس عشر :

الاشتراكات والإعانات المالية تدفع إلى أمين المال الجمعية مقابل وصل بإمضائه وإمضاء القابض الذي يبنيه عنه.

الفصل السابع عشر :

للجمعية الحق في طلب إعانة مالية من السلطات الحقوقية ومن الهيئات والشركات المالية.

الفصل الثامن عشر :

مالية الجمعية توضع باسمها في إدارة البريد في حسابها الجاري الخاص (شيك بوستطال) ولا يجوز لامين المال أن يبقي تحت تصرفه أكثر من خمسين ألف فرنك .

الفصل التاسع عشر :

لا يجوز إخراج شيء من المال للإنفاق الا بإذن كتابي من الرئيس والكتاب العام، وأمين المال، طبقا لقرار المجلس الإداري.

الفصل العشرون:

يصرف مال الجمعية فيما تقتضيه مصلحتها ويوجبه الوصول إلى غايتها المبنية بالفصل الرابع من هادا القانون الأساسي .

القسم الخامس – حقوق الجمعية

الفصل الحادي والعشرون :

بما ان الجمعية لها شخصية معنوية (أدبية) كسائر الجمعيات القانونية فلها الحق في ملك عقارات باسمها ، ودالك كمركزها العام بالجزائر، ومكاتب العمالات، والمدارس الموضوعية تحت تصرفها، والنوادي، حيث تنفد غايتها الإصلاحية التهذيبية .كما لها الحق أيضا في أن تقبل ما يحسبه عليها المسلمون من أملاك باسمها أو باسم جمعياتها المحلية، لتستعملها في الصالح العام، وفق شروط القف الإسلامي .

القسم السادس – الهيئة الإدارية والاجتماعات العامة

الفصل الثاني والعشرون

يجتمع المجلس الإداري في الأوقات والأمكنة التي يراها مناسبة، ويجب أن تكون جلسات المجلس الإداري كلها مسجلة في دفتر محاضر الجلسات.وكل قرار يقرره المجلس الإداري ولا يكون مسجلا بالدفتر المعد لدالك يعتبر لغوا لا عمل عليه، ويجب أن يمضي المحضر رئيس الجلسة وكاتبها.

الفصل الثالث والعشرون

يجب علي المجلس الإداري تشكيل نظام داخلي يشرح تطبيق القانون الأساسي ودالك النظام يكون خطة للمجلس الإداري علي شرط أن لا يخالف القانون الأساسي.

الفصل الرابع والعشرون:

ينعقد الاجتماع العام العادي لسائر أعضاء الجمعية من عاملين ومؤيدين وشرفيين بعد نهاية ثلاثة أعوام من الاجتماع السابق.

وينعقد هدا الاجتماع للمصادقة عليهما، تم ينتخب الأعضاء العاملون وحدهم المجلس الإداري الجديد –وزيادة علي هدا الاجتماع يجوز عقد اجتماع أخر فوق العادة في أثناء مدة السنوات الثلاث في الزمان والمكان اللذين يعينهما الرئيس – ولا يملك حق تنقيح القانون الأساسي إلا الاجتماعي العام .

الفصل الخامس والعشرون

إذا شجر خلاف بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجمعية أو تغيرت سيرة احد الأعضاء بما تراه خطرا علي حياتها. فلمجلس الإدارة أن يعين لجنة بحث وتحكيم تشمل خمسة من الأعضاء العاملين، وخمسة من الأعضاء المؤيدين، وهده اللجنة تعرض نتيجة بحثها وما تراه في القضية علي المجلس الإداري، وهدا الأخير يطبق العقوبات والأحكام المنصوص عليها في لائحة نظامها الداخلي.

الفصل السادس والعشرون

لا ينظر في طلب متعلق بحل الجمعية إلا إذا كان صادرا من ثلث الأعضاء العاملين علي الأقل. ولا يعمل به ولا ينفد إلا إذا صادق عليه أربعة أخماس الأعضاء العاملين وإذا أغلقت الجمعية –لا قدر الله – يسلم أثاثها ومالها إلى الجمعية خيرية إسلامية يعينها المجلس الإداري.

القانون الأساسي لجمعية العلماء

إصدار المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة (الجزائر)

بدون تاريخ

ملحق رقم 6

دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها

بقلم الأستاذ عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإسلام هو دين اله الذي وضعه الله لهداية عباده وأرسل جميع رسله وكمله علي يد نبيه (محمد) الذي لا نبي من بعده.

الإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد ال ابه وذلك لأنه :

أولا– كما يدعو إلي الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين ، يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين.

يسوي في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان .

لأنه يفرض العدل فرضا تاما بين جميع الناس بلا ادني تمييز.

رابعا يدعو إلى الإحسان العام .

خامسا يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليلة من أي احد علي أي احد من الناس

سادسا – يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها علي التفكير .

سابعا – ينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالختل والإكراه .

ثامنا – يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاؤون.

تاسعا– شرك الفقراء مع الأغنياء في الأموال وشرع مثل القراض ومزارعة والمغارسة ، مما يظهر به التعاون العادل بين العمال وأرباب الأراضي والأموال.

عاشرا- –يدعو إلى رحمة الضعيف فيكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعان المضطر ويغاث الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ علي يد الظالم .

حادي عشر– يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه.

ثاني عشر- –جعل الحكم شوري ليس فيه استبداد ولو لأعدل الناس .

3- القران هو كتاب الإسلام .

4–السنة –القولية والفعلية –الصحيحة تفسير وبيان للقران.

5–سلوك السلف الصالح- الصحابة والتابعين وأتباع التابعين- تطبيق صحيح لهدي الإسلام.

6–فهوم الأئمة السلف الصالح اصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة

7–البدعة كل ما احدث علي انه عبادة وقربة ولم يثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم –فعله وكل بدعة ضلالة .

8–المصلحة كل ما اقتضته الحاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة .

9–أفضل الخلق هو (محمد) صلي الله عليه واله وسلم ،لأنه :

أولا- اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة إلى الناس عامة .

ثانيا –كان علي أكمل أخلاق البشرية

ثالثا –بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته

رابعا –عاش مجاهدا في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة

-10–أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال إتباعهم له

-11–أفضل المؤمنين هم الدين امنوا وكانوا يتقون وهم الأولياء والصالحون فحظ كل مؤمن من ولاية الله علي قدر حظه من تقوي الله

-12-التوحيد أساس الدين فكل شرك – في الاعتقاد أو في الفعل فهو باطل مردود علي صاحبه

13-العمل الصالح المبني علي التوحيد به وحده النجاة والسعادة عند الله فلا نسب ولا حسب ولا حظ بالذي بغني عن الظالم شيئا.

14-اعتقاد تصرف احد من الخلق مع الله في شيء ما شرك وضلال ومنه الاعتقاد الغوث والديوان .

15 – بناء القباب علي القبور و وقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بالها ضلال من الأعمال الجاهلية ومضاهاة لأعمال المشركين فمن عله جهلا يعلم ومن اقره ممن ينتسب إلىالعلم فهو ضال مضل .

16-الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها علي الغلو في الشيخ والتحيز لإتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ و أولاد الشيخ إلى ما هناك من الاستغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال ...ومن تجميد للعقول وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير دالك من الشرور.

17-ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدي السلف الصالح من الأئمة مع الرحمة والإحسان عداوة أو عدوان .

18- الجاهلون والمغررون أحق الناس بالرحمة .

19-لمعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة .

20- عند المصلحة من مصالح الأمة يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة و يصدع الوحدة ويوجد للشر لثغرة ,ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة لادن الله' تم بقوة الحق وادراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة.

قل هده سبيلي: أدعو إلى الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله 'وما أنا من المشركين

عبد الحميد بن باديس

بقسنطينة بالجامع الأخضر اثر صلاة الجمعة

4 ربيع الأول 1356 هـ

المصدر جريدة البصائر العدد 71 الجمعة 9 ربيع الثاني سنة 1356 هـ الموافق 18 جوان سنة 1937.

ملحق رقم 7

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أعمالها – أهدافها – مواقفها السياسية

كما يشرحها رئيسها في خطابه الآتي:

المصدر مجلة الشهاب ح8م 12 ص 352- 358 قسنطينة الجزائر شعبان سنة 1355 هـ نوفمبر سنة 1936

خطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر الذي ألقاه في الاجتماع العام بمركز الجمعية بنادي الترقي بالعاصمة يوم الأحد 11 رجب 1355 هـ و27 سبتمبر 1936 م

الحمد الله والصلاة والسلام علي رسول الله واله وصحبه ومن والاه

أما بعد : فيا أيها الوفود الكرام قدمتم خير مقدم . جمعتكم عقيدة الحق والخير ، وقادتكم فكرة الواجب وساقكم شوق النفوس الزكية إلى مشاهد الفضل، ومواقف المجد، ومطارح العمل الصالح الذي يرضي وينفع المخلوق فجئتم من أطراف القطر معتزين بالإسلام ممثلين الجزائر مكرمين للعلم كل دالك بحضوركم اجتماع جمعيتكم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .فحياكم الإسلام الذي حفظتموه فحفظكم وحيتكم الجزائر التي تأبون إلا أن تكونوا أبنائها وتأبى إلا أن تكونوا أبنائها وتأبى إلا أن تكون- بحق- أما لكم وحياكم العلم الذي هو أساس سعادتكم بإسلامكم وجزائريتكم وحياكم الله فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحية من عند الله مباركة طيبة والله اكبر ..

أيها الإخوة

خمس سنوات قطعناها معلنين بدعوة الجمعية سائرين إلي غايتها فما جمجمنا يوما بتلك الدعوة ولا حدنا مرة عم ذلك القصد فاغني الناس ببيان دعوتهم وإيضاح وجهتهم هم رجال هده الجمعية لكن الشمس في رابعة النهار قد يختفي في بعض الجهات جرمها ويجهل – إلا عند القليل – مكانها إذا تراكمت السحب وهزم الرعد وكاد البرق يخطف الأبصار فلا عجب أن تخفي الحقيقة هده الجمعية في بعض

الأحيان علي بعض الناس عندما اظلم الجو بسحب الباطل والتجأت طوائف من الناس إلى تبادل رعود وعدية وبروق الوعود .وإذا كنا في فترة من الزمن هي علي هده الحال فأرى من الواجب أن أحدثكم عن غاية الجمعية ودعوتها وان كنتم بها جد عالمين ليعلمها من كان بها جاهلا ويقمع من كان عليها من الكاذبين .

غاية الجمعية

أرأيتم أيها الإخوان – الزرع كيف ينبت ويخضر ويورق ويسنبل فيؤتي أكله وقد تصبيه آفة وهو حب في الأرض فلا ينبت وقد تصيبه وقد نبت فلا يورق ولا يسنبل وقد تصيبه وقد سنبل فلا تجني منه حبة والناس كالنبت معرضون في حياتهم إلى عدة الآفات يكادون لا يسلمون منها فمنها ما يصيب العقول ومنها ما يصيب الأبدان ومنها ما يصيب الأموال ومنها ما يعم دالك كله ولا يسلم المجتمع البشري إلا بمحاربة هده الآفات كلها ودالك نص الفصل الرابع من قانونها الأساسي الذي يقول القصد من هده الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والفجور فكل ما يفسد علي الناس عقولهم أو يضيع عليهم أموالهم فهو امن من الآفات و لهذا حاربت الجهل والجمود والدجل والخرافة وكل أنواع لأباطيل وحاربت كل واقف في طريق التعلم والتعليم أي نوع من أنواع التعلم والتعليم وحاربت الزردات و الوعدات والفدوات وبدعة المأتم ومنكرات الولائم وكل وجوه السرف واكل وجوه السرف وأكل أموال الناس بالباطل وحاربت إثره ذوي المال بما جعلهم الله مستخلفين فيه وقعودهم عن تأسيس المشاريع الاقتصادية وقبض أيديهم عن المشاريع العلمية والخيرية لان دالك من أسباب البطالة والفجور .

ثمرة هده الغاية

هي سلامة المسلمين من تلك الآفات وأمثالها حتى يمكنهم أن يترقوا في جميع نواحي الحياة إلى أقصى ما تترقي إليه الأمم فيكونوا محترمين من أنفسهم ومن غيرهم يفيدون ويستفيدون ويعرفون كيف يسوسون وكيف يساسون فتربح بهم الإنسانية عضوا من خير من عرفت من أعضائها .

دعوة الجمعية

أيها الإخوة هدا العالم الكون والفساد فكل كائن فيه هو معرض للخروج عن حالته الأصلية والاختلال أصل نظامه وتلك هي حالة الفساد وإرجاعه إلى حالته الأصلية هو الإصلاح فالمسلمين اليوم بما دانوا به من عقائد الإسلام وفضائله وأعماله ونظمه علي خير لكنهم خرجوا عن اكتر ما دانوا به فكانوا بذالك الخروج في حالة فساد فلا بد من إصلاحهم بإرجاعهم إلى ما خرجوا عنه والجمعية تدعو إلى هدا الإصلاح فدعوتها أصلاحية محضة وقد صرح بهده الدعوة الفصل الثامن من قانونها .

ثمرة هده الدعوة

هي الرجوع المسلمين إلى عقائد الإسلام المبنية على العلم وفضائله المبنية علي القوة والرحمة وأحكامه المبنية علي العدل والإحسان ونظمه المبنية علي التعاون بين الأفراد والجماعات والتالف والتعامل والتعاون وان لا فضل لأحد علي احد إلا بتقوى الله ومن اتقي الله فهو انفع الخلق لعبادة لله.

ما حصلنا من الثمرتين

أيها الإخوة مابين تلك الآفات وأنصارها وبين خصوم هده الدعوة وعوارضها ثبتت الجمعية ثبوت الجبال وتتسع دائرتها في كل يوم ويكيد أعداؤها لها ليصرفوا عنها فيزداد التمسك بها ويكثر الالتفات حولها ان هذا أيها الإخوة لدليل عملي علي نجاح دعوتها الصادقة ودنوها من غايتها الشريفة الواضحة ومتى كانت جمعية تلقى ما لقيته وتبقي بقاء هده الجمعية لولا عقائد صحت وأخلاق متنت وأفكار استنارت فأثمرت كلها العمل الصالح والصبر والثبات وكان اجتماعكم هدا في ختام هده السنة وعلي اثر مرير حوادثها وشنيع كوارثها عنوان ذلك كله في الأمة ومبين مقدار ما جنت الجمعية من ثمار غايتها ودعوتها وانه والحمد الله لكثير في هدا الزمن الصعب القصير فلنسر ولنرج من الله المزيد .

الجمعية وأنواع من يتصل بها :

تتصل الجمعية بنواح عدة مما يقضي به عملها ويستدعيه مركزها وتقتضيه سنن الاجتماع فتسير مع كل ناحية بما تقتضيه خطة الجمعية وما يناسب غايتها ودعوتها وسنذكر مواقف الجمعية مع كل ناحية منها ليكون كل أحد على علم بها

الجمعية والأمة

إذا كانت الجمعية بلغت –بتوفيق الله– إلى شيء من غايتها فذلك لأنها أتت هداية الأمة من بابها فخاطبتها بلسانها وقادتها بدينها الذي هو زمام روحها والجزء الأعظم الذي تتكون منه و تحيا به شخصيتها فعالجتها بالكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة حيت يتوجه كل مسلم منشرح الصدر مطمئن النفس وحيت تنضوي كل المذاهب والفرق فيقل الخلاف او يخف أو ينعدم فلو كانت في الجزائر جميع مذاهب الإسلام لوسعتم هده الجمعية بعلاجها النافع الناجع بإذن الله للجميع .

الجمعية وأهل الطرق

ما هو القانون الأساسي للجمعية كما وضع أول مرة مند خمس سنوات و قد كان الدين وضعوه شطرهم مع الطريقين ولكنهم ما أكملوا السنة الأولى حتى فرو من الجمعية وناصبوها العداء واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم وجلبوا عليها من كل ناحية بكل ما كان عندهم من كيد دالك لأنهم وجدوا كثيرا من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشهم ووجدوا من منها مما تغضب محاربته سادتهم ومواليهم وقد شاهدو مظاهر الغضب بالفعل منهم فما رفضتهم الجمعية ولا أبعدتهم ولكن هم أبعدوا أنفسهم وكانوا والجمعية كما قال الكثير:

وكنا سلكنا في صعود من الهوى

فلما توافينا ثبت وزلت

وكنا عقدنا عقدة الوصل بيننا

فلما تواثقنا شددت وحلت

".. فمن نكث فإنما ينكث علي نفسه من أوفى بما عاهد عليه الله فسيأتيه الله أجرا عظيما "

الجمعية والحكومة

لقد لقيت هده الجمعية الإصلاحية من الحكومة العنت والبلاء ولم تبالي في سبيل إرهاق الجمعية بكرامة المسلمين في دينهم وحرمة مساجدهم فأوصدت المساجد في وجوه العلماء وشحت برخص التعليم العربي القرآني وأعملت أصابعها في شؤون المساجد ورجالها والجمعيات الدينية وإعطائها بواسطة من لا يدينون بالسلام ولا يشعرون شعوره ولاتهمهم مصلحته مما لا نعرف له نظيرا في الأمة من الأمم وصورت رجال الجمعية بصورة الأعداء لتبعد عنهم كل من يعيش معها أو يرجو مصلحة لديها كل دالك والجمعية تصبر علي البلاء وترد بأعمالها وأقوالها كل افتراء وتوالي الاحتياجات علي تكرر السكوت والإعراض

هكذا كانت الحكومة وهكذا مازالت في الجزائر إلى اليوم ولكننا نرجو أن تنجلي هده البلايا في عهد الحكومة الشعبية إذا صدق عزمها كما صدقت نيتها في إعطاء الجزائر حقوقها وان ثقتنا التي كنا منحناها في اجتمعنا هدا من السنة الماضية لفرط حسن ظننا وانتظارنا حتى خاب دالك الظن لنمنها اليوم للحكومة الشعبية وأحزابها مستنجزين وعودها منتظرين فاتحة سنتها امنين أن لا يخيب ظننا هده المرة إذا خاب ظننا –لا قدر الله– فنحن عباد الله والله اكبر .

الجمعية والأحزاب

إن الإسلام عقد اجتماعي عام فيه كل ما يحتاج إليه الإنسان في جميع نواحي حياته لسعادته ورقيه وقد دلت تجارب الحياة كثيرا من العلماء الأمم المتمدنة علي أن لا نجاة للعالم لما هو فيه إلا بإصلاح عام علي مبادئ الإسلام فالمسلم الفقيه في الإسلام غني به عن كل مذهب من مذاهب الحياة فليس للجمعية إذا من نسبة إلا إلى السلام وبالإسلام وحده تبقى في سائرة في طريق السعادة والجزائر والبلوغ بها –ان شاء الله– إلى ارقي درجات الكمال

والي هدا نشكر ونعترف الجميل إلى كل من يؤيدنا في سيرنا نصرة للمظلوم ومقاومة للجبروت وخدمة للإنسانية في جميع أجناسها

الجمعية والمؤتمر الإسلامي الجزائري العام :

مطالب الأمة الجزائرية كانت معروفة قبل اليوم وقد قدمت للحكومات المتعددة غير مرة وكان منها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وكان من أولها محافظة الأمة علي شخصيتها ولسانها وديانتها وقد كانت الأمة تخشي دائما ان تمس في شخصيتها وان يتساهل بعض المتساهلين فيها فما جاء المؤتمر كان العلماء احد عناصره لما فيه من تقديم المطالب الاجتماعية والاقتصادية لتطمئن الأمة علي شخصيتها ولتظهر الأمة مقدار اهتمامها بدينها ولغتها وما ترجوه من الحرية فيها ولتعلم الحكومة أن مطالب الجمعية هي مطالب الأمة كلها الممثلة في مؤتمرها وقد قامت الجمعية بواجبها كعضو في مؤتمر وستبقي إن شاء الله علي تأييده ورد كل عادية عنه

الجمعية وخصومها

يا الله ما اكتر خصوم هذه الجمعية غير أنهم بحمد الله كثيرون في العد قليلون في الحسب العد وهم علي تفاهتهم في خصومتها يختلفون فيما خاصموها من اجله فمنهم الظالم الذي خاف علي سيطرته ومنهم المتريب بنفسه وبأصله الذي خاف علي خبزته ومنهم المتشبع لما لم يعطي فهو يخاف من افتضاح حقيقته .وقد حاربوها بأنواع السلاح وأصناف المكايد حتى انتهي بهم الأمر إلى تدبير حادثة الاغتيال والاعتقال والجمعية –بحمد الله– ثابتة لهم صابرة لامتحان الله بهم وقد عودها الله عاقبة الصابرين ورد عنها كيد الظالمين والحمد الله رب العامين

إخواني أني أحييكم واحي جميع إخوانكم الذين خلفهم العذر ثم اسكب عبرة الأسى علي ما تلقاه أرض القدس الشريف من عسف الاستعمار الغاشم الذي فرق بين الأخوة الدين عاشوا في هناء وصفاء مند قرون كما لطخ تاريخهم من هده الفعلة بكل نقيصة مخزية ومردية ولطخ تلك الرحاب المقدسة بالدماء البريئة فبلسانكم ولسان الجزائر كلها من الأجنة في بطون الأمهات إلى الذين في الأجداث ارفع الشكوى إلى الله ثم الاحتجاج إلى كل من فيهم إنسانية من جميع الأمم

عبد الحميد بن باديس

ملحق رقم (8)

بسم الله الرحمان الرحيم

القرارة في 8 ربيع الاول 1392 هـ – في 1972/4/22

تقرير عن التعليم العربي الحر بوادي ميزاب

حضرة الأخ الكريم الأستاذ الجليل السيد تركي رابح حفظه الله سلام عليكم ورحمة الله، وبركاته، من أخيكم بيوض إبراهيم

وصلتني كتبكم الثلاثة بواسطة الإخوان الكرام الشيخ محمد أبي إسحاق اطفيش والأستاذ محمد عمر لعساكر والأخ السيد عوف عمر بن احمد، اطلعت فيها علي جهادكم المتواصل المضني في سبيل خدمة الدين والأمة والوطن بالتربية والتعليم وبالتأليف والنشر والتاريخ لحركات الإصلاح والنهضة العلمية،أخذ الله بأيديكم وسدد خطواتكم و وفقكم إلى تحقيق فيما تكتبون وتنشرون حتى يكون ما يصدر عنكم مرجعا صحيحا يوثق به ويعتمد عليه،فإنكم–إن شاء الله –أهل لذلك فلطالما تألمنا لأخطاء كبيرة في بعض ما قرأناه من تواريخ جديدة كتبت في العهد الذي عشناه وتعرضت لحركات وأعمال مما وقع بين أيدينا وتحت سمعنا وبصرنا تنكبت فيها عن سبيل الحق والواقع وسجلت غير الصواب، وما تتهم أحدا بسوء قصد أو فساد نية، ولكن التقصير في التحقيق والتهاون في التصديق والميل إلى السهولة والسرعة هي السبب علي ما نعتقد في ذلك ،وقاكم الله شر هذه المزالق .

أخي الكريم طلبتم في كتابكم الكريم مني الجواب عن أسئلة كثيرة متعددة في تاريخ الحركة العلمية والإصلاحية مصحوبة بوثائق وأرقام و صور مما تقتضيه طبيعة التأليف الحديث ولكم الحق كل الحق أن تطلبوا ذلك وأكثر من ذلك وعلينا نحن أن نجيب وليس لنا أن نبخل بما نستطيع جمعه من ذلك وهذا هو جهد المقل فيما نشارك به في عملكم المشكور المبرور ولكم تمنيت أن لو أتيحت لكم الفرصة فزرتمونا حتى تشهدوا بأعينكم وتأخذوا من الصور ما تريدون وتنقلوا ما تنقلون وتستمعوا لأجوبة أخيكم هذا شفاهيا وتسجلوا منها ما يفيدكم، فان مما ابتلي به أخوك مهذا العجز عن الكتابة خاصة وقد تقدمت به

السن وضعف بصره مع بعثرة أوراقه وعدم التنظيم في ملفاته ولكن الله تبارك وتعالى أراد غير ما نريد ولا يكون فأعج لكم السفر إلى القاهرة حيث سجلت رسالتكم في كلية التربية من جامعاتها فدونكم أيها الأخ ما تيسر الجواب به عن أسئلتكم وأمكن جمعه من وثائق وصور وأرقام أرجوا أن تجدوا فيها علي فلتها ما يفيدكم بعض الشيء في عملكم الجليل، ومعذرة إن تأخرت في الجواب فان كثرة أعمالي وضرورة انتظار أخذ بعض الصور من القديم والحديث –مع عدم توفر الوسائل– اقتضت ذلك وأرجوا ألا تكون فرصة الانتفاع بها قد فاتت بعد

السؤال الأول:عن نشأة حركة التعليم الحر والأدوار التي مرت بها إلى عام 1956

الجواب:كان التعليم العربي الإسلامي القرآني بقسميه الابتدائي للصغار والثانوي للكبار حرا منذ قرون أي منذ تأسيس قري ميزاب إلى عهد الاحتلال (احتلال فرنسا لميزاب سنة 1880)

أما التعليم الابتدائي فيزاول فيما يسمى بالمحاضر جمع محضرة وهي كتاتيب ملحقة بمساجد مجاورة لها يتولى التعليم فيها وهي عادة تكون ثلاثة –ثلاثة من أعضاء حلقة العزابة –الهيئة المشرفة على المساجد والمحاضر والشؤون الاجتماعية بالبلدة – يكونون حافظين لكتاب الله عالمين بفرائضهم الدينية يعلمون فيها الكتاب والرسم وحفظ القران ومبادئ الفرائض الدينية وخاصة العقيدة والوضوء والصلاة وليس لمن يقصد المحاضر التعلم حد في السن يكون فيها ابن أربع سنين وابن ستين وسبعين ويعين المعلم فيها كبار الطلبة ويصنفون التلاميذ أقسام حسب درجاتهم . وهذه المحاضر لا تعلم إلا فيها بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء وإلا مابين السحر وطلوع الشمس في أشهر الشتاء.

وأما التعليم الثانوي فان العلماء بوادي ميزاب منذ القرون الأولى لعمارته يتخذون من دورهم مدارس يؤمها الراغبون في التفقه في دينهم وتلقي بعض العلوم العربية من نحو ولغة وصرف،ولا حد في السن كذلك فمن بلوغ الحلم إلى السبعين والثمانين كما ليس هناك حد لسنوات الدراسة فمن الطلبة من يمكث سنتين أو ثلاث سنوات أو أربعا فيكتفي بما أخذه ثم يترك المدرسة للاشتغال بالكسب ومنهم من يطول مكثه حتى يأخذ حظا وافرا من العلوم العالية في أصول الدين وأصول الفقه والتفسير والحديث

والمنطق والبلاغة وغير ذلك،وهؤلاء هم الذين يعدون أنفسهم للتصدي للتعليم في بلدانهم وليخلفوا مشايخهم إذا عجزوا أو استأثرت بهم رحمة الله وكثيرا ما يتمسك المشايخ العلماء بالطلبة الذين توسموا فيهم خيرا ورأوا فيهم استعدادا لشغل كراسي التعليم وليخلفوهم عند عجزهم أو فقدهم فيمنعونهم من ترك المدرسة وقد يتصلون بأوليائهم وعشائرهم ليكفوهم نفقاتهم أن اضطرتهم الحاجة إلى الخروج للكسب وهذا زيادة علي ما يقوم به العلماء يوميا في الغالب من دروس الوعظ والإرشاد للعامة في المساجد بعد الصلاة الظهر وبعد صلاة العشاء وبعد صلاة الفجر حسب اختلاف فصول العام .

وفي أوساط القرن التاسع عشر ميلادي أي قبل احتلال فرنسا لميزاب بسنين تنبه الناس لحاجتهم إلى العلم ورغبوا فيه وفي تعليم أبنائهم بتأثير دعوة العلماء المصلحين أمثال الشيخ عبد العزيز الثميني والشيخ الحاج محمد بن يوسف اطفيش وغيرهما .

ولم يري الناس في تعليم أبنائهم في المحاضر التابعة للمساجد كفاية فشرعوا في فتح مدراس للتعليم العربي الإسلامي القرآني علي غرار تعليم المحاضر نسقا بنسق إلا أن هذا التعليم يكون في صدر النهار وفي الضحى أي من طلوع الشمس إلى الزوال ويومئذ استحدثت أجرة المعلمين لأنهم يعلمون في وقت العمل والكسب .أما معلموا المحاضر التابعة للمساجد والعلماء والمعلمون في دورهم الخاصة فإنهم يعلمون لوجه الله خالصا بدون اجر مطلقا ولا يزالون ذلك إلى يومنا هذا ، وكذلك اتخذ التجار الميزابيون حيثما وجدوا في مدن شمال الجزائر معلمين لأبنائهم علي نسق المحاضر .

هذا هو وضع التعليم عندما احتلت فرنسا وادي ميزاب ودام الحال علي ذلك عشر سنوات حين صدر قانون الفرنساوي يوم 18 أكتوبر عام 1892 المنظم للتعليم العربي في الجزائر الذي ينص في فصله 55 (الصبيان الذين لهم عمر مدرسي يعني ست سنين كاملة إلى ثلاث عشر سنة كاملة لا يجب أن يقبلوا في المحضرة في أوقات الدرس في المسيد العمومي) وكانت مكاتب للتعليم الفرنسي قد فتحت في كل قرية وأبى الناس أن يرسلوا أولادهم إلى المكاتب الفرنسية، فشرعت السلطة الحاكمة في أخذ الصبيان جبرا وجرهم جرا وهم يبكون إلى المكاتب وجعل الناس يهربون أولادهم إلى مدن التل كلما

اقترب موعد الفتح المكاتب ودام الصراع علي ذلك إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى واشتد هذا الصراع مند صدر القانون الفرنسي المومى إليه، فكان تغريم وكان سجن وكان تعذيب طوال هذه المدة واشتد بنوع خاص علي المعلمين الذين يعلمون في الصباح في أوقات المكتب الفرنسي .

وكنت مع زملائي الصبيان في احد الكتاتيب في أوساط العشريات من هذا القرن ،وفي أواخر من بعض الأيام يخبرنا المعلم بان (الرومي يقدم غدا في فردايا) فلا تأتوا غدا للكتاب فنفرح لهذه العطلة .وهكذا دامت المناورات والمدورات مع الحكام الفرنسيين وأذنابهم .ولم ينقطع هذا التعليم.وفي هذه الأثناء نشطت حركة الإصلاح الاجتماعي المتمثل في محاربة الاجتماعية التي يؤيدها المحتلون واذنابهم مثل إغلاق دور البغاء الرسمي والحانات التي افتتحها اليهود لبيع الخمور ثم نشطت حركة الإصلاح السياسي أن صح هذا التعبير الذي يتمثل في مقاطعة التجنيد الإجباري الذي صدر قانون تطبيقه علي ميزاب سنة 1912 والذي يري الميزابيون فيه إفساد لشبابهم بما يتعودونه من موبقات في الثكنات ويرونه كفرا لأنهم يجرون به إلى محاربة إخوانهم المسلمين في الشرق والغرب ولم تكن خافية عنهم الحروب الاستعمارية التي لا تزال فرنسا تخوضها لإتمام احتلالها في إفريقيا وغيرها .تعانقت هذ الحركات الثلاث التعليمية والاجتماعية والسياسية وكان قادتها وموجهوها هم العلماء والعزابة وكبار الطلبة فأصبح الطلبة في نظر المحتلين هم أعداء فرنسا رقم 1 وهم المشوشون والمعكرون لصفو الامن يجب التنكيل بهم حتى يكونوا عبرة لغيرهم وكانت كلمة طالب مرادفة عندهم لكلمة خلاط فيكفي أن يقول القائد أو الأغا أو الباشا لسيده الحاكم العسكري في شخص ما (نعم سيدي هذا خلاط) لجره إلى السجن والتنكيل به لذلك سلطت الأضواء علي دور العلم والتعليم واعتبرت مراكز تشويش وفتنة وعداء لفرنسا .

فلا تسال بعد ذلك عما وقع من تغريم وسجن وتعذيب وأشغال شاقة الشهور العديدة في تعظيت مركز التعذيب في الجنوب الذي يشبه تزولت والبروقية في الشمال سيق إلى هذا المركز كثير من كبار الطلبة والأعيان وسيق إليه مرة هيئة عزابة القرارة كلهم جميعا .

كانت حركة التعليم على ما وصفنا إلى نشوب الحرب العالمية الأولى وفي أثنائها وقع الشروع في إصلاح التعليم بقسميه الابتدائي والثانوي. الابتدائي بإدخال الوسائل المصرية وأجهزتها في المدارس والثانوي بإدخال نظام الطبقات وزيادة المعلمين وقد كان قبل ذلك مختلطا يحضر الطلبة كلهم الدروس الابتدائية في الاجرومية وطبقتها من أصول الدين والفرائض وفي درس الاشموني وطبقته من أصول الدين وأصول الفقه والمنطق وغير ذلك تدرس كلها في مجلس واحد متعاقبة من طلوع الشمس إلى الزوال ومن بعد صلاة العشاء إلى نحو الحادية عشرة

بدئ نظام الطبقات في قرارة سنة 1915 حين صنف أستاذنا الشيخ الحاج عمر بن يحي الطلبة إلى أصناف وطبقات حسب ما هو جار في معاهد العلم الكبرى كالزيتونة مثلا طبقة الاجرومية وشيخ خالد وطبقة قطر وطبقة المكودي او ابن عقيل وطبقة الاشموني وكنت من بين الذين عينهم معلمين لإحدى هذه الطبقات اشتدت الرغبة في العلم في هذه الأثناء وكثر التلاميذ والطلبة في سائر القرى ميزاب ففكر المصلحون وشرعوا في تأسيس جمعيات تتولي أمر التربية والتعليم فتأسست لذلك جمعيات في كل قرية منظمة حسب ماهو معروف من قانون أساسي ومجلس إدارة وأعضاء مشتركين وانتخابيات دورية لأعضاء الإدارة ومكتبها إلا أنها كانت كلها سرية اعني أنها لم ترسم لأعضاء الإدارة ومكتبها إلا أنها كانت كلها سرية اعني أنها لم ترسم نفسها حسب قانون جويلية 1901 خوفا من تدخل السلطة الحاكمة في شؤونها بما لها من حق المراقبة والتفتيش مع أنها لا تقتصر علي النظر في شؤون التربية والتعليم بل تتناول جميع فروع الإصلاح المشار إليها أنفا إذ جمعت بين أيديها جميع أزمة الأمور في البلدة كانت رائحتها تشم في الخارج فكانت مضايقات وإرشادات إلى طلب الرخص والترسيم فاستنكفنا من الرضوخ لطلب الرخص سواء أكانت للجمعيات أو للتعليم ورضينا بالمناورات والمداورات معهم وتحملنا جميع المضايقات حتى كانت سنة 1928 فرات جمعية الإصلاح بغرداية وهي اقرب الجمعيات إلى مركز السلطة أن ترسم نفسها حسب قانون الجمعيات المشار إليه فكانت أول جمعيات التربية والتعليم رسمت نفسها تحت اسم (الإصلاح) وانتخب رئيسا لها الشيخ صالح بن قاسم بابكر احد قدماء تلاميذة ميزاب

الذي أكمل دراسته في تونس الخضراء بدار احدي بعثاتنا إليها ولم يزل رئيسا لهذه الجمعية المباركة إلى هذه اللحظة يجدد انتخابه في كل دورة مد الله في عمره .أما نحن في القرارة التي تبعد عن المركز السلطة بنحو 100 كلم فبقينا مصرين علي استنكافنا من طلب الرخص للجمعية وللتعلم ورضينا بتحمل ما نمنى به في هذا السبيل حتى لم يبق في القوم منزع فرضيت بتقديم الطلب للترخيص في التعليم بعد خمسة عشر عاما من افتتاح معهد الحياة وكان ذلك في فبراير ومارس من سنة 1934 وتجدون مع هذا الكتاب نص الطلب وصورة الرخصة الرسمية المصورة وكانت ستارا يدرأ عنا بعض الشيء مما امتحنا به ويسترنا عن أعين الرقباء .

أما جمعيتنا (جمعية الحياة) فلم يرخص لها إلا في سنة 1937 وبعد أن تجاوزت قضيتها الولاية العامة إلى فرنسا التي أمرت بإعطاء الرخصة وذلك بواسطة المجاهد في سبيل الذود عن الإصلاح السيد خبزي عيسي بن اعماره التاجر ببسكرة فأصبحت الجمعية منذ ذلك الحين مرسمة قانونا ولم يزل الجمعيات بسائر قري ميزاب فرسمت جمعية الفتح ببريان .والنور ببنورة و النهضة بالعطف وتم هذا في الأربعينات من هذا القرن ونشطت هذه الجمعيات الخمس نشاطا كبيرا وأحكمت الصلات بين بعضها البعض ووحدت برامجها ومناهجها التربوية وكان معلموها يجتمعون مرة كل عام في العطلة الصيفية في احدي قري ميزاب وأكثر ما يكون ذلك في القرارة حيث مركز الرئيس العام للجمعيات وأستاذ المعلمين وذلك للنظر في تعديل البرامج وتطويرها وما يقتضيه ذلك من نظم و إصلاحات ويدوم الاجتماع غالبا يومين كاملين وكثيرا ما تعرض في الجلسة الأخيرة أسئلة فقهية بستفتى فيها المعلمون في قراهم فيطلبون الجواب عنها فتكون دراسة فقهية يزداد بها المعلمون ثقافة.

توحيد التعليم:

وفي وسط الأربعينيات وضع قانون وحدة التعليم الذي لا تزال المدارس الابتدائية في هذه القرى الخمس وفي جميع مدن الشمال التي يوجد فيها ميزابيون منضوية تحت لواء قانون الوحدة يطبق فيها جميعها ولها جميعا مفتش واحد يجري عليها جميعا تفتيشية مرة كل عام في أواسط الربيع ويحرر في ذلك

تقريرا عاما يقدمه للرئيس ويوزع نسخا منه علي سائر المدارس ولا يزال المفتش منذ أنشئ قانون الوحدة إلى اليوم الشيخ شريفي سعيد بن بالحاج مدير معهد الحياة .

ومن أعمال هذه الجمعيات الخمس (الحياة) والإصلاح والفتح والنور والنهضة أنها اشترت دار لها بالقصبة بعاصمة الجزائر وراء جامع كتشاوة اتخذتها مركزا لاجتماعاتها وحركاتها الإصلاحية وذلك سنة 1951 تم اشترت في سنة 1952 دارا كبيرا لها في حاضرة تونس 17 نهج ابن خلدون باب المنارة واتخذتها مسكنا لبعثتها العلمية إلىتونس التي تزاول تعلمها في مدارسها العرفانية والقرآنية وفي الصادقية والخلدونية واللسي كارنو والعلويين وجامع الزيتونة وكانوا قبل ذلك يسكنون بدور تكترى لهم واشترى كذلك بعض الإخوان بريان المصلحين دارا أخرى لنفس الغرض نهج العبري ولم تزل هذه الدور ملكا للجماعة إلى هذا اليوم .

وبعد هادا تأسست جمعية النصر بقرية مليكة من قري ميزاب كما تأسست في اغلب مدن الشمال جمعيات رسمت كذلك وانضوت تحت لواء قانون وحدة التعليم وتأسست في بني يسجن جمعية (الاستقامة) ولها فرع بقالمة إلا أن هذه بقيت خارج نظام الوحدة مع أن البرامج والمناهج متقاربة جدا .

عند انتهائي من كتابة ما سبق إلى أخر الصفحة الثامنة اضطرتني بعض الضروريات إلى السفر فقطعت الكتابة وها أنذا أعود إليها اليوم الأربعاء 4 ربيع الثاني 1399هـ 17 ماي 1972 فمعذرة أيها الأخ .

هكذا سارت حركة التربية والتعليم متساندة مع حركة الإصلاح الاجتماعي العام والنضال السياسي في صراع مستمر شاقة طريقها وسط المشاكل والصعاب وبين مشتجر القنا ولم تزل والفضل لله وحده في تقدم مطرد ونمو متزايد حسب إمكانياتها المحدودة .

السؤال الثاني :تمويلها (التمويل)

الجواب: كانت ولم تزل معتمدة في نفقاتها ومصاريفها في الإنشاء والبناء والتجهيز والتسيير علي اشتراكات الأعضاء وتبرعات المحسنين لم يدخل صناديق ميزانيتها درهم ولا دينار من أي حكومة كانت

أو هيئة رسمية لا في القديم ولا في الحديث نحمد الله تبارك وتعالي علي ما عمر القلوب الأمة بالإيمان وحب الإحسان فكانت تستجيب برغبة وغبطة إلى ما تدعى اليه من الإنفاق في سبيل الله وحبب إليها الإنفاق ما تراه وتلمسه من أثاره الطبية.

السؤال الثالث: عن الشهادات التي تخولها المدارس الابتدائية والمعهد.

الجواب: لم تكن هناك إلى م اقبل الاستقلال بزمن قليل شهادات (بالمعني المصطلح عليه تمنح للمتخرجين في التعليم الابتدائي ولا في الثانوي إنما كانت شهادة مزاولة التعليم التي ينتفع بها في المنح العائلية والضمان الاجتماعي بالنسبة للأطفال المدارس الابتدائية. وأما التعليم الثانوي فلا تمنح فيه شهادة إلا لمن أراد من المتخرجين أن يستظهر شهادة تبين فيها كفائتة العلمية وتكون مكتوبة في ورقة رسمية ممضاة بخط يد أستاذه المعترف به وتعتبر الورقة الرئيسية في ملف الطالب رخصة التعليم.ومن فضل الله تبارك وتعالي أن كانت الشهادة نمط خاص وإنما تكتب لكل طالب للتعليم بما يقتضيه حاله وهي تقريبا تشبه الإجازات التي كان علماء السلف يعطونها لمن أنسوا فيه الكفاءة من طلبتهم وقد أعطيت لعدد كبير من المعلمين شهادات من هذا النوع انتفعوا بها وأذن لهم في التعليم بناء عليها ولما كانت تدفع إلى السلطة الحاكمة فإنها لا تبقي بيد أصحابها ومع هذا فإننا عثرنا علي بعض منها أخد أصحابها صورها بالفوتوغراف تجد بعضها مع هذا الكتاب ثم أنشانا بعد الاستقلال شهادة علي النمط المعهود في الشهادات 43سم x 35 سم في إطار جميل وخط جميل بالغتين العربية والفرنسية باسم معهد الحياة الثانوي بالقرارة ولعلكم تجدون نسخة مصورة منها وزعنا كثيرا منها للمتخرجين من الطلبة في القديم والحديث ولكن قانون التعليم الخاص الذي أصدرته الحكومة الجزائرية سنة 1968 منع المدارس الحرة الابتدائية كانت أو الثانوية ان تعطي شهادات ورخصا ولطلبة المعاهد الحرة أن تشارك في جميع الامتحانات الرسمية علي اختلاف درجتها ومند ذلك الحين أصبح طلبة معهد الحياة ويشاركون في الامتحانات بعد أربعة سنوات لشاهدة الأهلية أو التعليم المتوسطة كما يسميه بعض وبع ست سنوات لشهادة البكالوريا

السؤال الرابع : ما هي الدول التي تعترف بشهادة معهد الحياة في البلاد العربية وتواريخ قرارات الاعتراف

الجواب: ليس لنا علم بهذا الأمر علي وجه التحقيق و انما الذي نعرفه ان طلبتنا من حاملي شهادة معهد الحياة الدين ذهبواإلى القاهرة ودمشق وبغداد وبعضهم وهم – قليل – إلي الكويت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يقبلون بوسائل مختلفة ووسائط من بعض سفراء الجزائر والذي يسهل لهم هذا القبول نجاحهم في الامتحانات التي تجري عليهم لأنهم في الغالب أقوياء وخاصة في المواد اللغوية ولعلكم تجدون الخبر اليقين في هذه القضية عند ابننا العزيز لعاسكر محمد .

السؤال الخامس: ما هي صلة معهد الحياة بمدارس والمعاهد الجمعية العلماء ..وخصوصا معهد ابن باديس

الجواب :الصلة هي وحدة الهدف والغاية والتشابه الوسائل وتقارب المناهج فالكل يعمل لإنشاء جيل مسلم صحيح العقيدة صالح العمل مستقيم السلوك مثقف ملم بعلوم ونظم الحياة العصرية غيور على دينه ووطنه و أمته ومن وراء هذا شهود كثير من الشباب المثقف لاجتماعات و حفلات جمعية العلماء العامة منها في الجزائر مثلا والخاصة في مختلف مدن القطر وقراه في العملات الثلاث بقسنطينة ووهران .

أما عن المناهج والبرامج وعدد المدارس وعدد المعلمين والمتعلمين فإنها في وثائق تجدها مع هذا الكتاب سواء كانت في ميزاب أو كانت خارجه .

أما عن عدد المتخرجين من معهد الحياة وعن المراكز التي يشغلونها فإن هذا يتعذر إحصاءه وحصره اليوم فان عدد المتخرجين كثير وهم متفرقون في كل أنحاء القطر وفي أنحاء جميع الولايات الخمس عشرة وهم يشغلون مناصب كثيرة في مختلف مراكز التعليم ومكاتب الحكومة وفي كل فرع من فروع الإدارات يوجد عدد منهم

والكثير منهم في ميدان التعليم منهم والخاص والعام أما في التعليم الخاص فإنك تجد إحصانهم في الوثائق المرافقة لهذا الكتاب وأما في التعليم العام فأكثر من ذلك ولم نحصهم بعد وكثير منهم يمارسون الأعمال الحرة في الصناعة والتجارة.

أما عن دور المعهد في عملية التعريب حاليا فان من الدعامات الرئيسية لمعهد الحياة تمكين الطالب من التضلع في العربية وإلى حد الآن فان الطلبة معهد الحياة هم الأقوى في العربية في سائر الامتحانات كما يصرح بذلك الممتحنون وكما تدل عليه النقط التي يحصلون عليها وكثير منهم اليوم يعلمون العربية لمسؤولين كبار في مختلف الإدارات في الجزائر وقسنطينة و وهران و بجاية و غيرها .. وإما ترجمة أخيكم هذا وعمله في حقول الإصلاح العلمي و الاجتماعي والسياسي وما يكتنف ذلك فإنه ان شاء الله يأتيكم في كتاب غير هذا مصحوب بما يمكن الحصول عليه من وثائق ورسوم

وأرى أن أعجل إليكم بهذا الكتاب الذي يتضمن أطوار الحركة العلمية لأنه فيما أخذناه من كتبكم من المواضيع الرئيسية لدراستكم التي تعدونها اليوم.وقد أبطأت عليكم كثيرا حتي خفت ان يفوت وقت الانتفاع بهذا الكتاب وأظن أن الترجمة المطلوبة تكون موضوع دراسة اخري بعد هذه فتقبلوا مني اليوم هذه الرسالة التي ارجوا ان تفيدكم بعض الشيء فيما انتم بصدده مع ما يصحبها من وثائق وصور

ملاحظات

لطبة المعهد جمعيات لكل سنة من سنواته الست أعمال هذه الجمعيات التباحث والتناقش والتمرن علي الخطابة والكتابة ولكل جمعية جريدة حائطية أسبوعية أو نصف شهرية تتباري فيها أقلام الكتاب وريشات الفنانين وكذلك للبعثات الخارجية جمعيات علي هذا النمط ولعلي ابعث إليكم بعد بصور من هذه الجرائد الحائطية وهي متعددة الألوان والرسوم غالبا ولم يمكن اليوم أخد صور منها لانعدام التصوير الملون عندنا ولعله يتيسر بعد لتأخذوا منها صورة من تفكير الطلبة واتجاهاتهم

ستجدون في بعض صور أقسام الطلبة الرمز بحرف من حروف الهجاء مثلا (القسم الأول حرف – ج–) معني ذلك ان عدد الطلبة في كل قسم كثيرون ويقسمون غالبا إلى أربعة فصول يرمز إلى كل فصل بحرف من حروف الهجاء أ ب ج د .

ووراء هذه المدارس المنضوية تحت لواء وحدة التعليم التي تجدون تفاصيلها في الأوراق الأخيرة من قرار المفتش العام لسنة1970–1971 توجد بعض محاضر قرآنية يزاول فيها التعليم علي النمط القديم وفي تركها كذلك مصلحة كبري لرفع الأمية وتعليم مبادئ الدين لمن لا تساعده ظروفه علي التقيد بقيود المدارس النظامية في الأوقات والمناهج وغيرها .وكذلك يوجد ببلدة يسجن مدرسة ثانوية تسمي بالمعهد الجابري لتعليم علوم اللغة والشريعة ولعلي ابعث إليكم بعد بنظامها وعدد تلامذتها ومعلميها فان مديرها لم يرسل إلى بهذه المعلومات رغم تكرار طلبي وهو واعد بذلك .

وهذا واختم رسالتي إليكم بالدعاء لكم بالتوفيق والتسديد والتيسير من المولي العلي الكبير وأرجو أن لا تكون الفرصة قد فاتت للانتفاع بهذه المعلومات وان تفضلتم بالإرسال كلمة فور وصول هذا الطرد إليكم لنطمئن علي وصوله فانا نكون لكم من الشاكرين .

سلامي لمن معكم من أخوان الصفا

حفظكم الله وسلمكم لأخيكم ..

المصدر الإستاد الشيخ بيوض إبراهيم بن عمر مدير معهد الحياة بالقرارة ميزاب.

ملحق رقم 9

برنامج نجم إفريقيا الشمالية سنة 1933

إن برنامجنا السياسي لنجم افريقية الشمالية بعد آن درسته بعناية وحللته بعمق اللجنة الإدارية المؤقتة السابقة ، قدم وقرئ وصودق عليه من كل الأعضاء المنظمين إلى منظمتنا الذين اجتمعوا في جلسة عمومية يوم 28 ماي سنة 1933 في الساعة الرابعة في 29 شارع دي بريتانو بتريس 3

وان محتوي مواده بسيط ومفهوم جدا وهو بالخصوص يستجيب كلية إلى أمال الشعب الجزائري.

وانه لحن مؤكد أن نوصي بان يقراه الشعب الجزائري باهتمام: وان يفهمه وان ينفذه ويجب أن نعتبره نحن حلفا وطنيا رابطا، جامعا لكل الأهالي المسلمين الجزائريين عاملا بإخلاص وتضحية من اجل الدفاع عن مصالحنا ومطالبنا العاجلة واستقلال بلادنا. من اجل خلاصنا ومن اجل مستقبلنا ولكي نحتل مكانا جديرا بسلالتنا في العالم. فلنقسم جميعا علي القران وبالإسلام أن نعمل حتى النهاية لتحقيق (البرنامج) و لانتصاره الأخير.

القسم الأول:

محو قانون الأهالي البغيض في الحال وإلغاء جميع القوانين الاستثنائية.

2- العفو العام عن كل أولئك الدين كانوا قد سجنوا أو وضعوا تحت الرقابة الخاصة أو نفوا لارتكابهم شيئا ضد قانون الأهالي أو قاموا بجرائم سياسية.

3- الحرية المطلقة للسفر إلى فرنسا والي غريها من البلاد الأجنبية .

4 حرية الصحافة والاجتماع والتجمع و الحقوق السياسية والنقابية

5- إحلال مجلس وطني جزائري منتخب عن طريق التصويت العام محل مجلس الحالي الذي لا ينتخب إلا عن طريق التصويت المحدود.

6- إلغاء البلديات المختلفة والمناطق العسكرية وإحلال مجالس بلدية منتخبة عن طريق التصويت العام محلها .

حق الجزائريين في تقلد جميع الوظائف العامة دون أي تميز . مع المساواة في العمل وفي المعاملة للجميع .

8- التعليم الإجباري للغة العربية وحق (كل الجزائريين) في التعليم علي جميع المستويات وخلق مدارس عربية جديدة كل الأعمال الرسمية يجب نشرها بالعربية والفرنسية في نفس الوقت

9-بخصوص الخدمة العسكرية (من الجزائريين في الجيش الفرنسي) يجب الاحترام الكامل للآية القرآنية التي تقول أن الذي قتل نفسا مؤمنة ...>>

10- تطبيق القوانين الاجتماعية والعمل (علي الجزائريين أيضا)

حق العائلات الجزائرية في الجزائر الحصول علي مساعدة من جراء البطالة. وفي العلاوات العائلية .إلغاء تام للتأمينات الاجتماعية .

11- زيادة القروض الفلاحية إلى الفلاحين الصغار . وتنظيم اكر عقلانية لنظام الري وتطور وسائل المواصلات والمساعدة الحكومية غير المعوضة إلى ضحايا المجاعات الدورية .

القسم الثاني:

1- استقلال الجزائر الكامل.

2- جلاء تام لجيش الاحتلال .

3- تكوين جيش وطني .

حكومة وطنية ثورية

1. مجلس تأسيسي منتخب عن طريق التصويت العام.

2. التصويت العام في كل الدرجات .وصلاحية (الترشيح) إلى كل المجالس بالنسبة لجميع سكان الجزائر .

3. ستكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية .

4. تسليم جميع ممتلكات إلى الدولة الجزائرية بما في دالك البنوك والمناجم والطرق الحديدية والموانئ والمؤسسات العمومية التي اغتصبها المحتلون .

5. تأميم الأملاك الكبيرة التي اغتصبها الإقطاعيون حلفاء المحتلين والكولون والشركات الرأسمالية . وتسليم الأراضي المؤممة إلى الفلاحين .احترام الأملاك المتوسطة والصغيرة. وإعادة الأراضي والغابات التي أخذتها الدولة الفرنسية إل الدولة الجزائرية .

6. حرية التعليم بالعربية و إجباريته علي جميع المستويات .

7. تعترف الدولة الجزائرية بحق تشكيل الاتحادات والتحالفات وحق الإضراب وهي تتعهد بمناقشة القوانين الاجتماعية .

8. المساعدة العاجلة للفلاحين بتخصيص قروض الفلاحة دون فائدة من اجل شراء الآلات والبذار والسماد وتنظيم الري وتحسين وسائل المواصلات إلى آخره.

الملحق10:

أعضاء جيش التحرير الوطني من طلبة معهد

الشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسنطينة

في ثورة أول نوفمبر (1954م – 1962م)

من إعداد المجاهد و الضابط في جيش التحرير الوطني

و الطالب قبل قيام الثورة في معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس

في مدينة قسنطينة ابتداء من عام 1947م

أبو بكر مسعودي – الضابط في جيش التحرير الوطني

توفي رحمه الله عام 2002م

أعضاء جيش التحرير الوطني

من طلبة معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة قسنطينة

إعداد أبو بكر مسعودي – الضابط في جيش التحرير الوطني

★ولاية قسنطينة(01)

-كشود محمد

-بوكعباش سليمان أو عبد الحميد

★ولاية سكيكدة(02)

– بوسنان بومنجل

– بين أينال أحسن

-بوالطمين الأخضر – ثابت عبد الحميد

-نجار علي – بوقادوم حسين

-معوش الطاهر – معطى الله مبارك

-مرابط الصالح – قاص عمر

-مجدوب الخوجة – شليغم عبد المجيد

– بوختالة محمد (شهيد) – كنيو عمار

★ **ولاية المسيلة**(03)

– بوفامة أحمد

– رايس محمد (القل) محافظ متقاعد

– بوديلمي رابح – لمطارفة – شهيد– عباده مصطفى (مدير التلفزة – مغتال)

– قنفود الحملاوي – سليمان– مطاطلة أحمد (القل) دكتور

– بورزقاين العابدين

– خباية محمد (برج الغدير)

– حامد محمد – أولاد ماضي

★ **ولاية برج بوعريريج**(04) ★**جمورة** (07)

-بن السعيد حفناوي (برج الغدير– متوفي) – الطاهر قدوري –ملازم أول – شهيد– السعيد فيراس – شهيد –

– العربي برباري – شهيد –

★ **ولاية بسكرة**(05) – محمد دغنوش– شهيد –

– حسين غانم – شهيد –

– محمد الصادق دبايش – الوردي الواعر – شهيد –

– الأخضر شنشونة– شهيد–

– محمد طبش

★ **سيدي عقبة**(06) – السعيد جغلال

– مبروك بوينس

– أبو بكر مسعودي (ضابط أول عضو منطقة)– عبد الرحمان عطية

–محمدالطاهر مسعودي

– مسعودي قابول

– أحمد شاذكي(شهيد)

– رشيد قري

– عبد الحميد حوحو

★ **طولقة**(08) ★**مشونش** (14)

– نور الدين الصيد – شهيد –– وزاني الأخضر

– محمد الطاهر علاوي –

قصابة عمر الوردي

– الهادي درواز – بوراس علي

– علي حركاتي

– عبد القادر قَريد– شهيد –

★ **فوغالة (15)**

فرفار (09) – أمعمر محمد الطاهر

– أمعمر محمد

– عبد العزيز محبوب – أحمد رويجع– شهيد –

– ضحوة محمد – شهيد –

★ **برج عزوز** (10) ★**بادس** (16)

– السعيد عبادو – علواني عبد الحفيظ – شهيد –

– محمد حضري – علواني بن عزوز – شهيد

– علواني الصادق – شهيد – بكاري عبد الكريم – شهيد –

.

★ **أوماش** (11) **ليانة** (17)

– شعبان محمد (عقيد) عدم من طرف جماعة بن بلة

– بوزاهر الهاشمي – شهيد –

– بوزاهر رشاد – شهيد –

– بن سعيد حمزة – شهيد –

★فلياس (12)

– الساسي حسين

– محمد شريف عباس – وزير سابق –

★القنطرة (13)

– أمحمد بن عبد الحميد

– باي إسماعيل – شهيد –

– بلعيد براهيم – شهيد –

– عبداوي عبد الرحمان – شهيد –

– زروق الهاشمي – شهيد –

– بغتاتو صالح – شهيد –

– سلطاني عمر – شهيد –

– عبد الباقي نور الدين – شهيد –

– حفناوي أحمد – شهيد –

– بوكالة الطاهر – شهيد –

★عين زعطوط (20)

-أحمد بن براهيم – ضابط 2 نقيب –

-معلم عمار – شهيد –

-الأحمر عمار

★دوكال (21)

★ولاية باتنة (18)

– المنور بوراس

– عبد المجيد عبد الصمد – شهيد–

.

★تكوت (19)

– عبد الكريم بن مشيش

– عبد الحميد شعباني – شهيد –

– أحمد مختار

– إسماعيل مختاري – ملازم ثاني –

★عين الخضراء (27)

– محمد الصالح يحياوي

★غسيرة (28)

-شنوفي محمد – محمد الطاهر زعروري– شهيد –

بخوش محمد – شهيد – مزيان علي

– وزاني محمد

★**بريكة** (22) – بخوش بلقاسم –

متوفي –

– بن حركات

محمد – شهيد –

– بن يحي محمد الأمين – الونيسي

مسعود – متوفي –

– سفيان بخوش إسماعيل

★**منحة** (23) ★ **إنوغيسن** (29)

-رحموني عبد العزيز – شهيد– – بوكرشية الصادق – شهيد –

-قانة عبد الحميد – درنوني محمد بلقاسم

-خليف إسماعيل – درنوني أمحمد – شهيد –

-بودوح السبحي – حاية محمد بن براهيم – شهيد –

-قانة بلعيد – عاشور عمار – شهيد –

– عاشور نقوده – رائد متوفي – درنوني عمار – شهيد –

★**أوغينم** (24) – غضالي إبراهيم – شهيد –

– منصور بلقاسم – شهيد –

-سعادة علي – شهيد –– مختاري إسماعيل – شهيد –

-بهلولي – ملازم أول شهيد –– مختاري أحمد – متوفي –

– ساكري الطاهر – شهيد –

– ساكري محمد – شهيد –

★**واد عبدي** (25)– درنوني إبراهيم – متوفي –

.

-بالخير الوردي – قاضي الولاية شهيد –

.

★**حيدوسة** (26)

-زغدار السعدي – شهيد –

-بن عاشور عبد الله – شهيد –

★**بابوس** (30)

-غبروري مبارك – شهيد –

-مازوزي إبراهيم – ضابط أول –

– زروفاوي محمد الطاهر

– عثماني أحمد

★**تيغانمين** (31)

– عالية بلقاسم – متوفي –

– حمدادو الهادي – رائد متقاعد –

– بن عافية عبد الحميد – الربيعي

– ذيب بلقاسم – مسؤول ناحية –

– مراد الأخضر

– قتني محمود – متوفي –

★**ولاية تبسة**(34)

– قنا الوردي

– حراث بن جدو

– بوذراع عبد الهادي

★**مروانة** (32)

علية علي

– قاسي أحمد – دوادي الصالح – شهيد – – علية بلقاسم – الاتصال –

– زروال محمد

★ **عين التوتة** (33)

★ – بن علي علي★**بيضاء برجج** (35)

– عتام عبد الحميد

– جمال قنان

★**ولاية خنشلة**(36)

-أدمي بشير – شرفي محمد الطاهر

-سعودي محمد – خلاف عبد الدين محمد

-حمادي الهاشمي – حلاف أحمر

-قعقاع رابح – مقدم متقاعد – – عمارة رينون – ضابط 1 – شهيد –

-بلخاتم رابح – سليماني الطاهر – متوفي –

-البح محمد – شهيد – – خلاف البشير بن سليمان – شهيد –

-خلاف عبد اللطيف بن المحبوبي– شهيد – – خلاف عبد الحفيظ بن الطيب – شهيد

–

-جريدي أمحمد بن محمد – شهيد – – سالكي بشير

-شرفي الأمير – زاهري أمحمد – شهيد –

-مزوزي

★**سوق أهراس** (37)

-دعاس محمد شريف – دعاس عبد الله

-دعاس محمد – حمروني الطاهر

-الطاهر الطاهر – صحراوي نور الدين – رائد و والي متقاعد

أعضاء جيش التحرير الوطني

من طلبة المعهد من عدة ولايات الوطن

-هجرس الهاشمي – عميد متقاعد – (من القبائل الكبرى)

-بوشاشية بلقاسم – شهيد –

-محمد الزين بلقاسم – شهيد – (جبل سيدي يدير ولاية البرج)

-ايدير محمد – ضابط سام في البحرية – (من بلاد القبائل)

-كاشي حميد – شهيد – (بجاية)

-شلبي مولود (برباشة – بجاية)

-ايت جودي الرشيد – شهيد – (بن ورثيلان)

-سي بشير عبد الحميد – شهيد – (منطقة القبائل)

-سي قعاج محمد الشريف – شهيد – (منطقة القبائل)

-سي قعاج محمد أحمد – شهيد – (منطقة القبائل)

-سي الأحسن العربي – شهيد – (منطقة القبائل)

-بن معلم حسين – لواء متقاعد (قلعة بني عباس)

-ايت أويحي (تازملت – بجاية)

-ذباح الطاهر – عقيد متقاعد – (عين أزال – سطيف)

-مكرور السعيد – عقيد –

-علاش محمد – لواء – (عنابة)

-بن ربيع محمد – محافظ شرطة – (عنابة)

-عرفي أحمد – مقدم –

-بوشعيب حسين – أستاذ –

-بوشعيب مختار – محامي –

-عوالي – رائد –

-نويوان عز الدين

-تفلسية محمد – ضابط –

-شهرة محمد – شهيد – (المغير – الوادي)

-طلحة يحي – رائد – متوفي

-خيتاتي أحمد (برج الغدير)

-حداد محمد (برباشة – بجاية)

-مقدم المولود – شهيد – (بني سليمان – المدية)

-جوادي عبد الحميد – عميد – (القبائل الكبرى)

-جوادي إبراهيم – مقدم متقاعد – (بوسعادة)

-طبيب فاتح (الغرب الجزائري)

-كمام محمد (الغرب الجزائري)

-قطار السعيد (العلمة – سطيف)

-هشماوي مصطفى – سفير – (معسكر)

-ياسين محمود (البليدة)

-معزوزي حسين – شهيد – (البليدة)

-مومني مصطفى (واد زناتي – قالمة)

-عبان محمد (تنس)

-حفراء بلال (الغرب الجزائري)

-مجدوب الخوجة (قسنطينة)

المصدر: الأستاذ الدكتور تركي رابح عما مرة – جامعة الجزائر –

الكتاب: الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة .

الطبعة الثانية افريل 2003م موقع النشر الجزائر

المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية – الجزائر 2003م

قال ابن باديس:

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

وارفع منار العدل و الإحسان و أصدم من غصب

و أذق نفوس الظالمين السم يُمزج بالرهب

و أقلع جذور الخائنين فمنهم كل العطب

واهزز نفوس الجامدين فربما حي الخشب

يا قوم هذا نشأكم و إلى المعالي قد وثب

كونوا له يكن لكم و إلى الأمام ابنا و أب

من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة و الرحب

أو كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب

هذا نظام حياتنا بالنور خط باللهب

هذا لكم عهدي به حتى أوسد الترب

فإذا أهلكت فصيحتي تحيا الجزائر و العرب

قسنطينة 1937م عبد الحميد بن باديس

أبو بكر مسعودي ضابط في جيش التحرير الوطني

معلومات حول صاحب قائمة أعضاء جيش التحرير و المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني من طلبة معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة.

أبو بكر بن عبد الله مسعودي من مواليد 1933/08/18م بسيدي عقبة ولاية بسكرة، التحق بمعهد عبد الحميد بن باديس أثناء السنة الدراسية 1952م/1953م بعد إتمام الدراسة بمدرسة الإرشاد بسكيكدة التابعة لجمعية العلماء، أين كان والده يمتهن التجارة و كان مدير مدرسة الإرشاد المرحوم محمد الغسيري خلفا للمرحوم محمد الصالح بن عتيق أول مدير لها.

– درس بالمعهد الباديسي السنوات الثلاث الأولى و انقطع عن الدراسة بعدها و بتاريخ 1955/06/16م التحق بالثورة المسلحة – بفصائل جيش التحرير الوطني بالأورس – تدرج في المسؤولية من جندي كاتب الى نائب مسؤول الناحية وبعد مؤتمر الصومام في شهر أكتوبر 1956م عين ملازماً سياسيا في نفس الناحية الأولى، المنطقة الثانية الولاية الأولى من طرف الشهيد الصاغ الأول (رائد) آنذاك، عميروش أيت حمودة مبعوث لجنة التنسيق و التنفيذ الى الولاية الأولى في مهمة خاصة.

في شهر فيفري 1957م استدعي إلى تونس للمشاركة في اجتماع إطارات الولاية الأولى هناك تحت إشراف الشهداء: الصاغ الثاني (عقيد) عميروش أيت حمودة و الصاغ الأول محمد لعموري، و الصاغ الأول أحمد نواورة في شهر أفريل 1957م.

في شهر ماي 1957م كلف من طرف الصاغ الثاني الشهيد عميروش بقيادة كتيبة ضمن قافلة نقل الأسلحة و الذخيرة من تونس الى الولاية الثالثة بقيادة المرحوم أحمد البسباسي وهي القافلة الثانية نحو الولاية الثالثة، فقد سبقتها القافلة الأولى بقيادة محمد القبايلي و هذا عبر الولاية الثانية.

في الولاية الثالثة عينت من طرف الشهيد الصاغ الثاني عميروش نائبا عسكريا أي ملازم (مرشح) لقائد الناحية الملازم الثاني آنذاك الشهيد عبد القادر عزيل المدعو (البريكي السحنوني)، و بعد استيلائنا على مركز للعدو المعروف بمركز الحوران بحمام الضلعة ولاية المسيلة، رُقيت الى رتبة ملازم ثاني قائداً للناحية الثانية المنطقة الثانية الولاية الثالثة (حيرز ولاية البويرة)ثم رُقيت الى رتبة ضابط أول للأخبار ة الاتصال بنفس المنطقة.

و في ديسمبر 1958م كلفت من طرف الصاغ الثاني سي عميروش بعد عودته من اجتماع العقداء بالولاية الثانية، وبعد انفجار جهاز الإرسال و الاستقبال وانقطاع الاتصال بتونس لاسلكيا، مهمة لدى قائد الولاية السادسة الشهيد سي الحواس لإرسال بريد الولاية الثالثة بواسطة جهاز الولاية السادسة الى تونس.

في مارس 1959م أسرت أثناء معركة الرفراف دائرة المنصورة ولاية برج بوعريريج حليا و التي استعملت فيها كل أنواع الأسلحة للعدو بما فيها النبالم و الغازات السامة متأثراً بجراحي البليغة.

بعد الاستقلال اخترت مهنة حرة (مطبعة و مكتبة) بسكيكدة التي كان والدي مقيما بها

أشير هنا بأن فكرة إحصاء هؤلاء الطلبة جاءتني بعد هذه الحملات الشرسة لإبعاد جمعية العلماء الرائدة في ميدان إعداد الرجال و الحفاظ على هويتنا العربية الإسلامية من الحفل الوطني و مشاركتها في تحرير البلاد و العباد من هيمنة الاستعمار الفرنسي، و هذا مساهمة متواضعة مني و وفاء لهذه الجمعية الرائدة، كما أشير هنا بأن القائمة لازالت مفتوحة و أنني مقتنع بأن العدد أكثر بكثير من هذا الذي سجلته، و أن الفارق الزمني و الظروف حالت دون تحقيق ذلك،

و أنبه: بهذه المناسبة بأن الكثير من هؤلاء الطلبة المجاهدين التقيت بهم بالولايات الأربع، الأولى والثانية والثالثة والسادسة و كلهم إطارات في حقل الواجب الوطني و منهم من تقلد قيادة ولاية من ولايات الثورة كالشهيد محمد لعموري و الشهيد محمد شعباني (الأولى و السادسة).

أخيراً أرجو من إخواني و رفقائي الذين لم أتمكن من تسجيل أسمائهم ضمن القائمة، من الذين لم أوفق من تحديد الجهة التي ينتمون إليها، أو عدم تسجيل المسؤوليات التي تقلدوها أثناء الثورة أو بعدها، أو تاريخ الالتحاق، أن يعذرني لعدم تمكن من ذلك، وسأكون لهم من الشاكرين.

إن هم زودوني بذلك و بمعلومات إضافية خدمة لتاريخنا و وطننا.

والله ولي التوفيق و السلام

بسكرة 02 مارس 1999م

أبو بكر مسعودي ضابط بجيش التحرير الوطني

المصدر: د / تركي رابح 1989م – التعليم القومي و الشخصية الوطنية – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر

من الشخصيات القيادية التي اهتمت بالتعليم العقيد عميروش قد صنف أنه كان يقف الى الجانب الداعم لنشر التعليم و احترام المثقفين .

(سعد الله 2007م)

و يستشهد هؤلاء بكون العقيد عميروش كان قبل الثورة بجمع بين العضوية في حركة الانتصار و جمعية العلماء و يرى الكثير من أعضاء التنظيمين، أنهما يكملان بعضهما البعض.

فالعمل السياسي و العمل الثقافي لا غنى للجزائر عنهما فكان عميروش وهو في باريس قبل الثورة يناضل من أجل تحقيق أهداف الجمعية و مسئولا على إحدى فروعها هناك.

وقد تعاون عندئذ مع الشاعر الشهيد الربيع بوشامة الذي جاء الى باريس ممثلا لجمعية العلماء التي كان لها عشر الشعب في باريس وحدها (بالإضافة الى مناطق أخرى مثل مرسيليا و ليون)

– كان عميروش يرى – كما قيل – ضرورة المحافظة على القيم العربية الإسلامية و نشر التعليم العربي بين الناشئة وكان الشاعر بوشامة يؤمن بنفس المبدأ

(سعد الله 2007م)

الى أن العقيد عميروش استمر في قناعته بضرورة تعليم الناشئة اللغة العربية و العلوم الإسلامية، وهو الذي أرسل بعض الأفواج من فتيان القبائل ليتعلموا في تونس أو في البلاد العربية الأخرى تحت فرق مرافقة لهم من جيش التحرير (سعد الله 2007م)

كما قيل أنه خصص مالاً لاستكمال بناء مدرسة (قنوات) الحرة و تجهيزها عندما حررها، و لا شك أن العقيد عميروش ليس وحده في هذا الموقف، فقد كان قادة الثورة الأوائل من كان يجمع بين نضال

حزب الشعب السياسي و غيرة جمعية العلماء على التراث الثقافي، تحت الشعار الثلاثي (الإسلام ديننا – العربية لغتنا – الجزائر وطننا)

و يشهد البعض على أن عميروش قد وقف مع التعليم و الثقافة بكونه أقام في تونس مدرسة خاصة لأبناء الولاية الثالثة بالذات، و يستند هؤلاء إلى ما قاله عميروش لضابط فرنسي أعتقله الثوار «إذا فقدنا الحياة فليس لذلك من أهمية على الإطلاق لأن قوتنا الحقيقية تكمن في شبابنا المثقف و في النخبة الشابة التي تتعلم حاليا في خارج البلاد ».(سعد الله 2007م)

وقد نسب البعض إلى عميروش أنه عمل على تطوير التعليم في الولاية الثالثة، بكل الوسائل بعد تطوع الطلبة سنة 1956م لأنه كان يعرف أهمية التعليم للمستقبل، و يقال أنه بعث برسالة الى الطلبة الأوائل سنة 1958م حثهم فيها على اكتساب العلم، و خدمة الوطن من موقعهم في الجامعات و المدارس و الثانوية، كما حثهم فيها على عدم نسيان إخوانهم الذين استشهدوا من أجل القضية الوطنية أو الذين يكافحون في الجبال من أجلها، و أثار نخوتهم بقوله أنهم هم الذين سيكملون الثورة السياسية التي تحرر الشعب من الاستعمار «هذه الرسالة بمناسبة استئناف الطلبة للدراسة بعد الإضراب، و من جهة أخرى نجد فرحات عباس يعلن للطلبة أثناء انعقاد مؤتمرهم الرابع في تونس سنة 1960مإن الثورة استطاعت أن تكون منهم في ظرف قصير ما لم يكونه الاستعمار في ظرف قرن من الزمن ».

وقد ذكر سعد الله أيام وجوده في القاهرة بقوله: قد حثنا على طلب العلم و نحن طلاب في القاهرة قائلا: " إن الجزائر ستكون في حاجة إليكم لتعليم اللغة العربية " (سعد الله 2007)

المصدر: سعد الله أبو القاسم 2007 – تاريخ الجزائر الثقافي ج 10 دار البصائر الجزائر